

العرب في انقواب التاريخ

٢

التاريخ العربي وسطاه

أمين مدني

دار المعارف بمصر

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





العرب في أقطاب التاريخ

٢

الجزء الثاني

التاريخ العربي ومطاردته

أمير مدني



دارالمعارف بمصر

137825

من هو المؤلف؟

هو : أمين مدني . من أسرة آل المدني المعروفة في الحجاز بالفضل والوجاهة .
ولد من أب « عبد الله مدني » تركه رضيعاً ورحل إلى عالم الخالدين . وترك له
سمعته المدوية . . . فقد كان من رجالات المدينة البارزين . . . مدحه الشعراء .
منهم : الشاعر المعروف « العمري » . وحفل مجلسه برجال العلم والسياسة .
وراسله أمراء العرب آنذاك : آل السعود . وشريف مكة . وآل الرشيد .

وقفت حياتها لتنشئته وأخيه الأكبر « عبيد مدني » الذي كان له فضل
السبق في المجال الأدبي — أمحنون من آل البرزنجي الذين نبغ فيهم كثيرون . منهم
صاحب المولد . ومنهم والدها أحمد برزنجي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة . وعضوه
في مجلس المبعوثان العثماني .

تلقى دروسه الابتدائية في مدارس المدينة . ثم انتقل إلى حرم النبوي حيث
تلقى العلوم على أساتذة أفاضل — منهم : الشيخ محمد الطيب الأنصاري . والسيد
أحمد فيضبادي . والشيخ إبراهيم بدي .

ولم تشغله الأعمال الحكومية عن البحث والكتابة في الصحف . ويذكر في
جريدة المدينة المنورة التي ترأس تحريرها أول صدورها .
فهو ابن المدينة وخريج حرمها .

وفى الدين أسعد

خريج كلية دار العلوم جامعة القاهرة



مؤلف الكتاب

للهِ سَلَامٌ
إِلَى الَّذِينَ قَادُوا وَقْوُوا إِلَى سَبِيلِ الْعَرَبِيَّةِ
فِي طَرِيقِ اللَّهِ عَدْلًا ..

أَمِينٌ بِسَدِّ فِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقتطفات من آراء رجال الأدب والتاريخ

أجنت الظن بهذا الكتاب

أقدم هذه المقتطفات حسب تاريخ وصولها إلى وإطلاعي عليها شاكراً لفؤلاء
الأعلام من حملة مشاعل الأدب والتاريخ في هذه الحقبة من أقطاب التاريخ
العربي : ما أسبغوه على الكتاب من تقدير قد لا يستحقه .

١ - من كلمة فضيلة المغفور له الأستاذ العلامة محمد محمد المدني عميد كلية
الشرعية في الجمهورية العربية المتحدة سابقاً :

... وما من شك في أن تاريخ العرب القديم منطوي على كثير من الغيبات
والجاهل التي توهم السالكين وتخيّر المدبجين . وإنه قد توارد على الكتابة في هذا
التاريخ أصناف من الناس - منهم : الذين لا يرون في العرب إلا أوزعاً من الحق
كانوا في قديم الزمان أصحاب أشعار وأوبار وسكان بوادٍ وقفار . تدور حياتهم
بين حل وارتحال . وليست لهم جامعة تجمعهم . ولا أهداف تدفعهم . وإنما همهم أن
يجدوا ما يقيتهم ويعيشهم . ولو كان فيما يصيدون من حيوان أو يحرشون من ضف .
وأكثر هؤلاء من الذين انحازوا إلى الشعوبية الخائرة . فجرّدوا العرب من كل مزية
فكرية . ولم يثبتوا لهم من المواهب إلا موهبة الشعر والخيال . كانوا التائه الذي سمى
بالسراب والآل - ومنهم : الذين بعثهم الاستعمار رواداً له . ومقتدوهم تقديراً بين
يدى حملات صليبية أو استغلالية . فكان أكبر همهم أن يصوروا العرب لأنفسهم
أمة من القعدة العجزة الذين خلقوا ليقادوا . ولا يصلح أمرهم إلا بأن يساموا .

وقليل أولئك الباحثون المنصفون الذين عرفوا فضل العرب . وحاولوا أن ينفضوا
عن تاريخهم ذلك الغبار الذي المعنوي الخائق الذي نشره أعداؤهم وحسادهم .

ولكنهم كانوا في كثير من الأحيان متحمسين أو ملقين القول على عواهنه ؛ يدفعهم الحب لقومهم العرب على أن يتقبلوا كل ما يساق إليهم من ثناء عليهم وتصوير لبالغ عظمتهم .

ولذلك جاء بحث الأستاذ أمين مدني هادفاً إلى الحقيقة في ذاتها ، لا يميل إلى التعصب لأحد أو على أحد ، فنراه يقف وجهاً لوجه أمام الآراء المتصارعة ، ويناقشها في أسلوب العالم المنصف الذي لا سلطان لشيء عليه إلا الحججة والمنطق ، فإذا هو كاللدليل الماهر الذي يقود متبعيه إلى الطريق المستقيم ، مانحاً إياهم الطمأنينة إليه . بأسلوب فعلي مباشر دون طنطنة أو ادعاء .

وإذا كان لنا أن نتوجه إلى المؤلف بكلمة تحية وتقدير فإننا نؤثر أن نجعل هذه التحية دعاء إلى الله جلت قدرته ، أن يجزيه أحسن الجزاء على ما بذل في سبيل أمته وقوميته . وأن يديم توفيقه ، ويبارك في حياته ، حتى تفوز المكتبة الإسلامية العتيدة بالأجزاء الباقية من هذا البحث العظيم .

محمد محمد المدني

القاهرة في ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٦٤

٤

٢ - من كلمة المؤرخ الكبير الراحل الأستاذ حبيب جاماتي :

... إنها لمهمة صعبة حقاً تلك التي باشر صديقي أمين مدني الاضطلاع بها ، وإنه لعمل شاق ذلك الذي عاهد نفسه على إنجازه ، وأنجز بالفعل بعضه على أحسن ما يكون ، وإنها لخدمة قيمة يسديها إلى طلاب المعرفة في دنيا العرب وخارجها ، وإنه لسفر جليل هذا الذي يضعه بين يدي القراء - بعد أن بذل في إعداده جهداً مرهقاً - سدّ به فراغاً في المكتبة العربية ، وحقق به للمثقفين في كل بلد أمنية ، وأضاف حلقة قيمة إلى حلقات السلسلة التي صاغها الباحثون لاستكمال كتابة التاريخ العربي ، وتدوين التطورات التي مرت بها جزيرة العرب ، وتسجيل المراحل التي انتقل فيها العرب في أحقاب التاريخ .

فقد حاول المؤلف أن يرفع الستار عن الغوامض ، ويمزق النقاب عن الأسرار .
ويبدد الشك الحائم حول كثير من حوادث التاريخ العربي : منذ أقدم العصور ،
بطريقة تحليلية رائعة مبتكرة ، معتمداً على كل ما يتفق مع المعقول والمقبول من
المراجع العديدة التي ذكرناها ووصفناها بما فيها من مميزات وعيوب ، ولا يسعنا
إلا الاعتراف له بأنه قام بمجهود غير عادي ، وتوصل إلى نتائج على جانب عظيم
من الأهمية . ووجه إلى تاريخ العرب في حقباته الأولى . أنواراً كاشفة بددت
الظلمات عن كثير من وقائعه . وبذل في بلوغ هذا الهدف أقصى ما يمكن أن
يتوافر لباحث موفق من إمكانيات ومحاولات .

فهذا الكتاب قد وضع حلقات كانت مفقودة من سلسلة الأبحاث التاريخية
العربية في محلها .

حبيب جاماني

القاهرة سنة ١٩٦٤

٣ - من مقال البحثة المحقق واللغوي المؤرخ الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار :
... وإني لمدرّك عظيم الجهد الذي بذله المؤلف العلامة في إعداد فصوله .
واستهواني درسه وبخثه مما يلتقي مع بعض دراساتي وبحوثي . فأنا قد كتبت في لغة
العربية كثيراً . وما زلت . وبخثها بخثاً . وتفرغت للكتابة في اللغات والعقائد في
مختلف العصور . فاضطرتني إلى دراسة تاريخ الآشوريين والبابليين والسومريين
والحضر وفارس ومصر وغيرها . وعلاقة بعضها ببعض . واتفاقيها أو اختلافها مع
ما يتصل بتاريخ العرب منذ بداءته حتى أشرق عليه شمس الرسالة الحمادية .
هنا كان اهتمامي بكتاب الأستاذ السيد أمين مدني والعصر في إني قرأته دوماً ، فلما
وفاحصاً . ويعلم الله أني امتحنت الكتاب امتحاناً عسيراً كل العسر وإذا هو يخرج
منه بدرجة النور المبين مع مرتبة الشرف .

ولو كان لي أن أقترح . وكانت جامعتنا الفتية بالرياض تقبل اقتراحي .
لأشرت أن تجعل هذا الكتاب في جزئه الأول المطبوع الأطلوحة الأولى لإجازة

الدكتوراه تمنحها صاحبه الذي رفع مكانة بلاده وأمته بكتاب يستطيع أن يأخذ مكانه بين أعظم الكتب العلمية التي يتوافر لها العمق والابتكار والشمول .

إن كتاب الأستاذ أمين مدني جدير بهذا التكريم الجامعي الذي يعود على جامعتنا بالتكريم نفسه . ولها أن تفخر بأن باكورتها في منح الدرجات العلمية كتاب يتفرد بين نظائره بالامتياز والتفوق والتبريز .

أحمد عبد الغفور عطار

مجلة قافله الزيت - ذو الحجة سنة ١٣٨٥

٤ - من قصيدة شاعر جلالة الملك عميد شعرائنا الأستاذ أحمد إبراهيم الغزوي - نائب رئيس مجلس الشورى - المنشورة في جريدة المدينة المنورة :

ولن يعود لنا ما كان من ظفر إلا إذا صبح منا السر والعلن

الجَدُّ بالجد لا بالهزل مرتين
أكبرت فيك اقتحام اللج - مصطخباً
تغوص فيه إلى الأعماق .. في جُننٍ
وازددت بالله (إيماناً) بأن له
وأنت منها بما استقبلت من (عمل)
في (رحلة) أنت بالأسفار تنخلها
كذلك منك لنا (البرهان) من بلد
في أمة كانت (الدنيا) - وما برحت
جرت (تاريخها) مما تغولهُ

وأنت منه (الحيا) ينهل - والمزن
(عبر المحيط) الذي ضلّت به السفن
و (الأخطبوطات) في تياره قرن
(آياته) وبها انقادت لك الفطن
يزهو به (العلم) و (التاريخ) والوطن
نخلًا . . وتمهرها مهما غلا الثمن
منه . . استفاض الهدى بالوحي - والسمن
بها تغزل .. إعجاباً .. وتفتن
من (الأساطير) وهي الدس والأفن

ومزته - من تخاريف، وسفسطة بها (الشعوبية) الخرقاء.. تضطغن

* * *

أعظم بها (عزمات) ليس يملكها
أبي عليك النهي - إلا مجاهدة
غدا كما شئت - مجلؤ الصدى ومضى
وما نهضت به إلا على (ثقة)

إلا الأبي، الذكي، الكيس القمين
فيما به أنت مشغوف . ومزتهن
يعلؤ صداد !! ومنه تعظم المن
بالله أنك بالتوفيق تقترن

* * *

عبء تنوء بما يغشاه (جامعة)
وهكذا سنت (ميراث) الألى بهروا
به تحديت ما استغوى به الزمن
بضوءهم - كل من عاشوا - ومن دفنوا

* * *

إن (العروبة) أمصارا وأخبية
أزحت عنها الهوى والإفك أوبقها
ما أنصفوها - وإن كانت حضارتها
ودا نريد لها (الدعوى) وقد نطقت
بل همنا اليوم أن تحيا مآثرها
وأن يعز بها (الإسلام) قاطبة

سبيلها (الحق يعلو) مارسا (حضن)
به العلوج.. ونجواهم هي الإحن
نبراسهم وبها استنوا وما غبنوا
عنها الشواهد . والآثار . والمدن
وأن يدين لها الطاغوت والوثن
لا جنس فيه ولا لون ولا سكن

* * *

أنا (عبيد) وحسبي أن أشيد به
فكيف بي و أمين | صنوه فلق
(مسرحة مشيدا) تغنى باسمه الفن
في كل فن به (الأجيال) تترن

* * *

شكراً لسعيك في (موسوعة) ضمنت لك الخلود بما يبقى ويزدكن
 طوباك فاحي على (الأحقاب) تنشرها أسماط درها (التاريخ) يؤتمن
 أحمد بن إبراهيم الغزوي

جريدة المدينة الغراء سنة ١٣٨٥

٥ - من رسالة الكاتب النقادة والمؤرخ المعروف الأستاذ محمد رفعت :

عزيزي الأستاذ أمين مدني

تحية مباركة وسلاماً - وبعد فقد تلقيت شاكراً هديتكم القيمة ، وأغتم هذه
 المناسبة لأزجي إليكم التهنئة خالصة على ما وفقتم إليه في كتابكم من قدرة فائقة على
 البحث والتحصيل واستقراء الحقائق من مختلف مظانها في الموضوعات التي عالجتوها
 بما تنطوي عليه من مسائل خلافية موهلة في القدم غارقة في الغموض ، فأجلتوها
 وكشفت عنها الغطاء بأسلوبكم الشيق المنبئ عن نفحة مجدية باركت بحوثكم وأعمالكم .
 محمد رفعت

٤

ديسمبر عام ١٩٦٥

مصر الجديدة شارع الفسطاط ، رقم ٨

٦ - من رسالة المستر (يوسف الندر) نائب رئيس شركة أرامكو - الذي جمع

بين الإدارة الفنية والبحوث العلمية : ترجمة الأستاذ القدير السيد جعفر سنبل :

حضرة الأستاذ أمين مدني

أشكركم على النسخة الموقوعة من المجلد الأول من موسوعتكم : العرب في أحقاب
 التاريخ - لقد فهمت من المقدمة أنكم تعتزمون إصدار الأجزاء الأخرى في المستقبل .
 إني أرجو مخلصاً أن تتمكنوا من ذلك . لأن هذه الموسوعة ستكون معيناً من المعلومات
 التاريخية التي لاغنى عنها لكل دارس جاد للتاريخ العربي . ولعلكم ترغبون في الاطلاع
 على المراجعة المرفقة التي وضعها السيد جعفر سنبل ؛ ومما جاء في المراجعة أود أن

أؤكد : أن الكاتب بطريقته المبتكرة في معالجة الموضوع وترتيب مواده قد وضع مرجعاً حجة في التراث العربي ؛ فقد أجاب عن أسئلة كثيرة من الحضارات لم يتمكن أى كاتب آخر من الإجابة عنها حتى الآن ، وأقدم واثقاً من نفسه على تحليل عميق لمعظم مظاهر الحياة العربية والمؤتمرات الأجنبية التي اتصل بها ، فخرج من كل هذا بكتاب فريد سد به ثغرة في المكتبات العربية .

وتفضلوا بقبول فائق احترامى

جعفر سنبل
ج. هـ. الندر - نائب رئيس شركة أرامكو
يوسف الندر

٧ - من مقال نشرته مجلة الإذاعة السعودية الغراء :

لوسقنا التبسط بالبحث في مؤلف « المدنى » القيم لاحتجنا إلى كتابة مئات الصفحات عنه ؛ فلقد دخل العلامة المدنى في سلسلة نقاش مع الآراء المتشعبة في الكشف عن بداية العالم ، وتكلم الكاتب العميق عن بداية حضارة الإنسان . وجن جولات موفقة في شتى ميادين الحضارة الإنسانية - فشكراً للعلامة أمين مدنى على هديته القيمة للمكتبة العربية .

مجلة الإذاعة السعودية عدد ١٢١ - شول سنة ١٣١٥
السنة الحادية عشرة

٨ - من مقال نشرته مجلة الأديب المبنية الغراء - لكاتب الشاعر . والشاعر
الدكتور زكى المحاسنى :

لقد ضم هذا السفر النفيس كلام المؤلف النابغ على تصور ، قبل الإسلام . فبدأ بتحليل فكرى لقضية التاريخ العربى . وكيف وقف موقف المشيخ العادل أمام بلج التاريخ العربى فى خضمه الواسع . معترفاً للأقدمين بالسبق والتقدم . وإنه يكتب تاريخه تعقياً وتنقيحاً وتوسعة حاملاً بيده مشعل التحقيق العلمى الذى لا ينبغي أن

تاريخ العرب وبنوهم

تحمد أشعته الكاشفة . مقدراً عسر المهمة التاريخية التي تخصص بها التأليف الحديث .
وقد كانت خطة كتابه هذه في مقدمة أشبه بملخص لرسالة دكتوراه روى
بموضوعها إلى مدى بعيد في البحث والإعداد وصحة الحكم ، حتى إن كتابه هذا
أستطيع أن أعده مصدراً جامعياً للتاريخ العربي الذي تخصص به المؤلف .
وأعود بالقول لقرائي الأعزاء في (الأديب) الحبيب بأن القلم مهما يبذل من
جهد فلن يستطيع حمل ذلك الأريج الفواح من كتاب الأستاذ أمين مدني .

زكي المحاسني

مجلة الأديب - أكتوبر سنة ١٩٦٦ ؛ الجزء العاشر ، السنة ٢٥

٩ -

ولقد كان الأستاذ عبد القدوس - وما زال - من أوائل بناء نهضتنا العلمية
المعاصرة . ولقد كانت مجلته الغراء (المنهل) من أوائل الصحف التي أحسنت
الظن بكتاب العرب في أحقاب التاريخ . ولقد كان صاحبها من أوائل الذين تحدثوا
عنه في أعداد من منبهله وفي غير مناسبة من المناسبات التي يكتب فيها - محسناً الظن
في الكتاب . وفي النتائج التي توصل إليها .

ولقد كان الأستاذ حمد الجاسر - وما زال - في مقدمة الباحثين في تاريخ
الجزيرة العربية وجغرافيتها . ولقد كان الأستاذ حمد الجاسر آخر من اطلع على
الكتاب . كما قال في جريدة (عكاظ) الغراء في عام ١٣٨٩ هـ : وكان في مقاله من
الذين غضوا النظر عن العيوب وأجزلوا فيما تحدثوا به عن الكتاب ومؤلفه وعمما بذل من
جهد للوصول إلى الهدف الذي من أجله ألف كتاب العرب في أحقاب التاريخ .
ولقد كان للأستاذين علي حافظ وضياء الدين رجب القدح المعلى في العروج
بصحافتنا إلى ما بلغته . ولقد كان ما نشره في جريدة المدينة عن الكتاب مما ينطبق
عليه المثل المعروف : وعين الرضا . . .

وإنني عندما أقتطف بعضاً من الكلمات التي احتفظت بأصولها ونوّمت بأصحابها ،
أشكر من الصميم الذين حيروا الكتاب بكلمات فقيدت عن غير عمد . وإنني عندما أنوه
بأعلام ثقافتنا العربية أنوه بهم مفتخراً بإنتاجهم القيم الرائع الذي بوا المعارف العربية
مكاتها بين المعارف العالمية في عصر التزاحم على البحوث ونقدها . فاستقبلتها الأمم
بما هي أهل له . فحياتهم الله ، ووقفهم فيما نذروا جهدهم له . والله الموفق .

التوطئة

من صحيفة ١٩ إلى صحيفة ٢٢

الموضوعات :

- ١ - هدف هذا الجزء .
- ٢ - ما فرضته فصول هذا الجزء على البحث .
- ٣ - مخطط هذا الجزء .
- ٤ - الأعلام في غمنا عن الأتعاب .
- ٥ - الكلمة الأخيرة في هذا الجزء تكمل الكلمة الأولى منه .

توطئة وتمهيد

١ - إذا لم يكن بد من أن أضع توطئة لهذا الجزء (التاريخ العربي ومصادره) بعد أن مهدت للمؤلف بكامله (العرب في أحقاب التاريخ) بمقدمة وضّحت فيها موضوعاته ، والغرض من تأليفه ، نُشرت مع الجزء الأول (التاريخ العربي وبدايته) - فما على الآن إلا أن أقول كلمة موجزة عن الهدف الذي توخيته في هذا الجزء . والهدف الذي توخيته والذي يبدو واضحاً في كل فصل من فصوله : يتمثل في معرفة مصادر التاريخ العربي من البداية ، فنحن اليوم نرجع - إذا ما أردنا الكتابة في قضية من قضايا التاريخ العربي - إلى الموسوعات التاريخية . ونحن إذا ما رجعنا إلى الموسوعات التاريخية نراها تستند إلى أقوال أوائل الرواد من المفسرين وجامعي السيرة والمغازي وأيام العرب وأشعارها ولغاتها . ونحن إذا ما رجعنا إلى أولئك الرواد في تراجمهم نجدهم قد جمعوا أخبار العالم القديم من تراث قدامى الأمم . وإذا ما رجعنا إلى التراث القديم نجد : كل أمة من الأمم القديمة أخذت ممن سبقتها من عوالم الماضي الخجهول ما بنت عليه معتقداتها في أصل الخليقة وعالم ما قبل الطوفان مما تحدثت به الأنبياء والرسل وأطلق عليه البحث اسم : (التاريخ الديني) .

٢ - فبناء على ذلك فرض على البحث التقصي . وفرض على التقصي أن أسير مع المصادر من مراحلها الأولى التي اكتشف معالمها من تراث مني من الباحثين . وكذلك فرض على البحث أن أعرف حقيقة النصوص التي اعتمدها مؤرخو الشرق العربي . وفرضت على معرفة حقيقة النصوص : أن أفرد لكل مصدر من مصادر التاريخ قصداً خاصاً يوضح ما هو جدير بالإيضاح . ويناقش ما هو خارق بحدوثه . والإيضاح والمناقشة الزماني بأن أعود إلى العصور القديمة . وأنظر بمنظار أجدتها وأقف مع آرائهم في كل مكان ظهر فيه نشاط علمي ذو أثر في دعم الدراسات التاريخية وتطويرها . وأبحث معهم في أمهات قضايا التاريخ ومصادره .

٣ - فعلى هذا الأساس رسمت مخطط هذا الجزء : قسمت موضوعاته . وقد تمت

ما في استطاعة البحث تقديمه لمعرفة مصادر التاريخ العربي . ومناهل رواه .
ومراجع المؤلفين فيه . ومسالكهم . وأساليبهم . والجهد الذي بذلوه في تطوير
البحث التاريخي كل فيما اتجه إليه واشتغل به .

٤ - وما رسمته لهذا المؤلف تجريد الأعلام مما هم في غنوة عنه عند ذكر
أسمائهم . فأسماء أئمة الرواد . ونوابغ المؤلفين . وأعلام المؤرخين . وفحول الشعراء في
الماضي : ومن أصحاب الشهادات الجامعية : الميسانس ، والماجستير . والدكتوراه
في الحاضر - أكبر من الألقاب . وإنهم ولاشك ليعتزون بإنتاجهم العلمي أكثر مما
يعتزون بالألقاب والشهادات .

وما رسمته لهذا المؤلف : كتابة كلمة أخيرة لكل جزء بعنوان : (نهاية المطاف)
ألخص فيها النتائج التي وصلت إليها بحوث الجزء وفصوله . والكلمة الأخيرة (نهاية
المطاف) هي - كما لعلك قرأتها في الجزء الأول . وكما تراها في هذا الجزء - تكملة
للكلمة الأولى فيه : المقدمة - آخرتها ليطالع القارئ النتائج وهو على علم بما جاء
في الفصول ومباحثها . ولذلك تراني أجلت الكلام عن كل فصل من فصول هذا
الجزء إلى نهاية المطاف . وعليه فإنني أترك القارئ ليطالع ما يشاء أن يطالعه من بحوث
هذا الجزء . ويعرف ما يريد أن يعرفه - فإلى اللقاء في نهاية المطاف .

وإلى اللقاء مرة ثالثة في الجزء الثالث من مؤلف (العرب في أحقاب التاريخ)
الذي يبحث في جغرافية الجزيرة العربية القديمة - إن شاء الله .

وأخيراً لا بد لي من الاعتذار عن تأخر صدور هذا الجزء . فلقد صرفتني عنه
ثلاث عمليات جراحية أجريت لي في لندن في غضون خمسة أعوام . فالله أسأل
للجميع العفو والعافية . وله وحده أرفع الحمد على السراء والضراء .

137825

الفصل الأول

فكرة التاريخ ومصادره

من صحيفة ٢٣ إلى صحيفة ٤٠

الموضوعات :

نشأة التاريخ ونصوصه .

فكرة التاريخ ومصادره

من صحيفة ٢٥ إلى صحيفة ٤٠

موضوعات البحث :

- ١- فكرة التاريخ .
- ٢- التاريخ الحجري .
- ٣- مصاعب البحث التاريخي لا تزال قائمة .
- ٤- أين توجد نصوص التاريخ العربي ؟
- ٥- نصوص التاريخ العربي قبل الميلاد .
- ٦- النصوص التاريخية بعد الميلاد .
- ٧- النصوص الأثرية .
- ٨- ما يحتاج إليه تأليف تاريخ عام متصل الحلقات .
- ٩- نصوص تاريخ العرب بعد الإسلام .
- ١٠- سؤال بلا جواب !!

فكرة التاريخ ومصادره

تعتقد أكثرية الباحثين في نشأة التاريخ : أن علم التاريخ فكرة بدأت أولاً بالنقش على ضرائح معابد الأمم . وأن أقدم الأمم التي وصلت نقوشهم إلى أيدي الأثريين في العصر الحاضر . مثل (السوموريين) و (البابليين) و (الآشوريين) في العراق . ومثل : (العماليق) جبابرة الشام . و (الفينيقيين) سكان لبنان . و (الفراعنة) في وادي النيل . ومثل (المعينيين) و (السبئيين) و (الحميريين) في اليمن . ومثل : (الثموديين) في الحجاز . ومثل : (الجرهابيين) في الخليج الإسلامي العربي (١) — أخذوا فكرة النقش عن الأمم التي سبقتهم . فعن تلك الأمم التي أشارت إليها أقدم النصوص نقل (السوموريون) . ومن بعدهم (الآشوريون) . الأنبياء الغامضة عن آدم وأمم ما قبل الطوفان .

فالنقوش التي عثر عليها في المقابر تؤبين عظماء الذين انتقلوا من حياة كانوا نشاط وصحب إلى أبدية كلها خلود وصمت . وعثر عليها على جدران المعابد تحتفظ بأدعية وصلوات . وعثر عليها على مسلات اتخذت سجلات نوائح وقوانين ونظم وأحكام . إلى غيرها من الآثار التي سجلت عليها أسماء ملوك الماضي القديم وأخبارهم وحرورهم وانتصاراتهم — فهذه النقوش تعدّ البداية في تدوين التاريخ .

فللتاريخ في رأى البعض عصور حجرية . مثلما للإنسان عصور حجرية . فكأن أن الإنسان في أول حياته سكن الكهوف . واستخدم الحجارة آنية وسلاحاً . كذلك هو بدأ تدوين التاريخ بالنقش على الجبال . واتخذ من الحجارة سجلات تحتفظ آثاره . ولذا رأى أداة معتقوة تؤكدها النقوش الأثرية . فالنصوص الحجرية حجراً

(١) الخليج الإسلامي : هو الخليج العربي كما سمى وقت . والحدود الحالية هي حدوده القديمة . ولقد اقترحت في المحاضرة التي ألقيتها في قاعة محاضرات جامعة الكويت الإسلامية في الكويت . أن يسمي الخليج الإسلامي : بهاء على أن الشوانسي التي تحيط به جرمها إسلامي . وهو يعبر عن شاطئها الشرقي والجنوبي . المجلد الثاني ص ٩٠ .

مع حرفية هذا الرأي - تجعل من هذا الظن حقيقة ؛ فمن النقوش التي ظهرت ما هو أقدم من التاريخ ، وعلى النقوش التي ظهرت تتضح المحاولات الأولى لتدوين الأحداث تاريخياً تقرأه الأجيال .

ولقد أخذ المحققون في نشأة التاريخ وفي مصادره يستخدمون كلمة (نص) ، ويبحثون في أعماق الماضي عن النصوص التاريخية ، لتنير لهم زوايا الماضي وتبدي لهم خفاياه .

والنص في اللغة : رفعك الشيء ، ونصّ الرجل نصّاً إذا استقصى ما عنده ، ونصّ كل شيء منتهاه^(١) - فالنص التاريخي معناه : الخبر المرفوع إلى مصدر يعدّ منتهاه .

ومن طلب المستحيل : أن نريد من كل نص تاريخي أن يستقصى لنا كل ما يستدعيه الخبر ، لاسيما نصوص التاريخ العربي القديم ؛ فما فتئت الشكوى من سقم نصوص التاريخ العربي القديم يردّها كل باحث في ماضي الجزيرة وفي تاريخ شعوبها ، وما فتئت بواعث هذه الشكوى تتجدد بتجدد المعارف واتساع آفاقها ؛ فالصعوبة التي يلاقيها اليوم من يكتب في التاريخ العربي لا تقل متاعبها عن تلك التي لاقاها بالأمس الذين نهضوا لجمع النصوص وتدوينها - فمثلما كان على المؤرخين الذين بدءوا تدوين التاريخ العربي بعد الإسلام أن يتركوا كل باب لسمع خبر ، أو نقل نص ، أصبح على الذين يكتبون في التاريخ أن يقفوا عند كل خبر رواه القدامى ، أو نص نقلوه ، لتجريد الحقيقة من الخيال والظنون . فليس كل نص معصوماً من المبالغة ، وليس كل خبر حقيقة لا ريب فيها ؛ فمن كاتب النصوص الحجرية عاميون لا يطمأن إلى معلوماتهم ، ومن رواة الأخبار قصاصون لا يتورعون عن خلط ظنونهم بحقائق ما يسمعونه ويرونه .

٣ - ونصوص التاريخ القديم التي بين أيدينا لم تجمع إلا في العصر الإسلامي ، ونصوص التاريخ التي جمعت في العصر الإسلامي وجدّها القدامى من الرواد في أسفار بني إسرائيل ، وفي مؤلفات اليونانيين ، وفي تراث الفرس ، والسريانيين ، واللاتينيين ؛ وفي آثار أمم الماضي منها ما هو بالخط اليوناني ، ومنها ما هو بالخط العبري ومنها ما هو بالخط السرياني ، ومنها ما هو بالخط المسامري ، ومنها ما هو بالخط الثمودي ، ومنها ما هو

(١) لسان العرب ، مادة نصص ٣ / ٩٨ .

بالخط الحميري : ومنها ما هو بلغة الفرس واليونانيين ، ومنها ما هو بغير لغاتهما . وإذا كنا نجد المدونات الإسرائيلية والفارسية غارقة في الخيال – فكذلك نحن نجد الخيال متراكماً على المدونات اليونانية والسريانية . فالمبالغة في الخيال الواضحة في (الإلياذة) اليونانية وفي قصة (مغارة الكنز) السريانية . لا تقل عن مبالغات الخيال فيما ألفه الفرس عن ملوكهم وأبطالهم . وفيما قاله العبرانيون عن دواة أنبياء بني إسرائيل – لذلك قال المستشرقون : [إن المواد المستمدة من القصص اليهودي والمسيحي كانت منذ أمد بعيد قد وجدت سبيلها إلى التاريخ العربي تحت ستار تفسير القرآن . وهو أمر لم يكن في مصلحته تماماً وكذلك كان أثر الرواية الفارسية فيه سيئاً]^(١) .

٤ – زد على ذلك : أن أخبار الأمم العربية في المدونات الإسرائيلية كان أكثرها محدوداً في نطاق ضيق . وخاضعاً للخصومة التي كانت بين بني إسرائيل والعرب في سورية وفلسطين منذ هجرة بني إسرائيل من مصر – فالأسفار الإسرائيلية لم تتحدث عن كثير من أحوال التاريخ العربي . فهي لم تذكر (السوديين) ودولتهم في شمالي الحجاز . والأسفار الإسرائيلية عندما تتحدث عن العرب تتحدث عنهم أعداء لدولتها كافرين بعمقها . فهي لذلك تحرض على ذكر الجوانب المضادة من حياتهم . ولقد أقبل المؤرخون العرب على جميع النصوص لإسرائيلية بكل ما فيها من حملات على الخارجين على بني إسرائيل . وبكل ما فيها من غيظ دفع الإسرائيليين إلى إخراج العماليق من نسب الساميين . كما يؤكد ذلك (جود علي)^(٢) . وهذا الخلق هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالسوريين . ولقد أقبل العرب على النقل من التوراة بدافع الاعتقاد في أن التهديد والتحرير الذي حدث في كتب بني إسرائيل كان محصوراً في التأييل كما قال (بن عيسى)^(٣) إنما بدلوه وحرفوه بالتأويل^(٤) . وأقبل المؤرخون العرب على ما في النصوص الإسرائيلية من أنباء بدافع الرغبة في معرفة أخبار العلم القديم التي وجدوها في الأسفار الإسرائيلية . وجمعها بعضهم ممن وثق فيهم من أصحاب الكتاب^(٥) .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤ : ٤٩١ .

(٢) تاريخ العرب ١ : ٢٦٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ١ : ٨ .

(٤) راجع بحث : الأسفار مصدر من مصادر التاريخ .

وأقدم الأخبار التي وردت في المؤلفات اليونانية عن البلاد العربية - هي الأخبار التي ذكرها (هيرودتس) المتوفى سنة ٤٠٦ ق . م ، عندما كتب عن الحروب بين الفرس والمصريين . ثم (بروسوس) المتوفى سنة ٣٠٠ ق . م ، فقد ذكر دولة عربية قامت في بابل . ويرجع تاريخ العرب الذين ذكرهم (هيرودتس) إلى القرن السادس قبل الميلاد . ويقول (بروسوس) : إن الدولة العربية التي قامت في بابل استمرت مائتين وخمسة وأربعين عاماً^(١) .

وما جاء فيما نقل عن هيرودتس . و بروسوس - يعدّ أكثر وأعمق من الأخبار التي نسبت إلى غيرهما من المؤرخين اليونانيين في عصر ما قبل الميلاد . وما نقل عن هيرودتس و بروسوس يُعدّ نصوصاً ذات قيمة ، على ما هي عليه من إيجاز ، وعلى ما فيها من غموض تراكم بتراكم الزمن على أخبار ما قبل الميلاد . وما نقل عن هذين المؤرخين لا يتجاوز شمالي الجزيرة وسواحلها ، ولا يسد فراغ تاريخها الواسع في ذلك الماضي الخافل بالأحداث .

ولقد احترّم المؤرخون العرب القدامى ما وصل إليهم من تراث ما قبل الميلاد ، واعتمدوا عليه فيما دونوه عن الأمم الغارقة في القدم^(٢) .

ونحن إذا ما انتقلنا من فلسطين إلى مصر نجد (جون ويلسن) يقول عن النصوص الفرعونية : إنها كثيرة الأنازية . لا تتحدث إلا عن كل ما هو فرعونى . أما عن العماليق الذين أطلق عليهم اسم (هكسوس) أو (شاسو)^(٣) . فلم تتحدث عن حضارتهم وتاريخها في مصر . فما قاله جون ويلسن عن الهكسوس في مصر : [فإذا ما أردنا التحدث عن الهكسوس أنفسهم فإننا نرى أمامنا ظاهرة محيرة هي : عدم وجود وثائق مكتوبة عن عصرهم . فإذا كان الغزو ذا أثر سيء كما تقول : فكيف سكنت الكتابات المصرية سكوتاً تاماً ؟ ! ... وجوابنا على ذلك هو : طبيعة وغرض النصوص المصرية نفسها . فهي كانت تهدف إلى تسجيل ما هو خالد . ولم تعن بالأشياء الزائلة ؛ وكانت لا تهتم إلا بما يخلد مظاهر الحياة التي

(١) العرب قبل الإسلام لخرجى زيدان ص ٢٦ و ٥٢ .

(٢) راجع بحث : فكرة التاريخ وتراث ما قبل الميلاد .

(٣) العرب قبل الإسلام ص ٧٠ وما بعدها .

شعروا بأنها تمثل خير تمثيل ما تريده الآلهة لمصر ؛ فلماذا لم تستغ عقليتهم ، أو نفسياتهم ، أن يكون هناك باعث لتسجيل إذلال وطني لهم . وهم يسجلون مثل هذا الحادث عندما ينجحون في طرد الهكسوس . فعندما أقاموا احتفالا في مدينة (صان - الحجر) في شمال شرق الدلتا - كانت (صان)^(١) عاصمة في عصر الأسرة التاسعة عشرة . كما كانت عاصمة الهكسوس في عصر الفترة الثانية من قبل ؛ ولم يكن من المعقول أن تعيد الأسرة التاسعة عشرة المجد لذلك المكان بدون أن تتجاهل تلك الحقيقة وإلا تكون قد أقرت بها . فقد فضلوا الإقرار بما حدث ولكن بطريقتهم في إيجاد حل وسط . وهذا الحل هو أن يحتفوا بذكرى حكم الإله المصري (ست) الذي كان يعترف به الآسيويون^(٢) أيضاً كإله لهم ، وقد أقاموا لوحة نقشوا عليها رسم الملك يقدم الاحترام للإله (ست) وهو يلبس الملابس الآسيوية - وبهذا التدبير اللطيف اعترف المصريون بتأسيس مدينة (صان الحجر - تانيس) كمدينة هامة على يد الهكسوس دون أن ينسبوا إلى الهكسوس أى فضل في هذا الأمر^(٣) .

فما وصل إلى علم المؤرخين العرب في الماضي عن (إبراهيم) و (يوسف) و (موسى) - جاءهم عن طريق القمص الإسرائيلى . فأقدم مؤرخ مصرى هو (مانيتو - المؤرخ المصرى) الذى صنف تاريخه باللغة اليونانية . ويقول عنه (برستد) : [ومانيتو عاش أيام بطليموس الأول الذى حكم مصر من سنة ٣٠٥ إلى سنة ٢٨٥ ق . م] . ويقول عن مؤلفه : [ولم يصل إلينا من كتاب (مانيتو) غير المقدمة . وكتاب (مانيتو) قليل الأهمية لارتكابه على روايات عامية وخرافات متداولة]^(٤) . وما وصل إليهم عن الفتح الإسكندرى والاستعمار البيزنطى . جاءهم عن طريق المؤرخين اليونانيين والبيزنطيين . وما وصل إلى علم المؤرخين العرب في العصر الحاضر عن (العماليق) و (المعينيين) جاءتهم به الآثار التى كتشفت أخيراً في وادى النيل .

(١) هى مدينة (صان الحجر - تانيس) . ونسبت لفظ (صان) (صان الحجر) من

مدينة في الجزيرة العربية . راجع كتاب مصر من أقدم العصور إلى فتح العربى . ص ١٠٠

(٢) الإله (ست) إله آسيوى نقل مبادئه إلى مصر من قبل العرب . راجع تاريخ سوريا

للمطران الدبس ١ - ٢٠٦ .

(٣) الحضارة المصرية لمؤلفه جون ويلسن من ٢٦٤ و٢٦٥ .

(٤) تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى من ٣ .

وإذا انتقلنا إلى الشمال الشرقي من الجزيرة ، إلى العراق ، نجد النصوص الآشورية مشغولة بتفخيم الانتصارات الآشورية ، حريصة على التقليل من شأن الأمم العربية التي اشتبكت مع الآشوريين في حروب دامية – فهي لا تتحدث عن ثروة العرب وحضارتهم إلا عندما تتكلم عن انتصارات الجيش الآشوري وغنائمه التي غنمها من الممالك العربية في أطراف العراق والشام ، من جمال وذهب وفضة وطيب ، ولا تتحدث عن بسالتهم إلا عندما تصف انتصارات آشور على العرب الأقوياء بسلاحهم وخبرتهم بحرب الصحراء^(١). ونجد النصوص الآشورية تعتمد على ما وصل إلى الآشوريين والكلدانيين من نصوص (سومورية) تشير إلى معارف القدامى عن أصل الخليقة وعالم ما قبل الطوفان .

ونجد المؤرخين العرب قد توصلوا إلى نصوص غير هذه التي اكتشفها الأثريون وتحدث عنها المستشرقون – واعتمدوا عليها فيما كتبوه عن الآراميين في العراق : النبط والسريان ، وفيما قالوه عن (بابل) عاصمة الكلدانيين ، وعن (نينوى) عاصمة الآشوريين ، وعن طبقات دول الفرس والأمير الحاكمة^(٢).

وإذا ما انتقلنا إلى جنوبي الجزيرة ، إلى (اليمن) ، نجد في (أخبار عبيد ابن شرية) و (التيجان لوهب بن منبه) ، ملامح تمثل النصوص التبعية التي أغدقت الخيال على ملوك اليمن القدامى ، وعنيت بفتوحاتهم ، ونجد هذه النصوص ، التي تظهر ملامحها على صفحات هذين المؤلفين المنسوبين لابن منبه وابن شرية ، خاضعة للتحزب العنصري إذا ما تكلمت عن العدنانيين ، ونجد القليل من المؤرخين هم الذين لم يتأثروا بهذه الملامح .

وهنا في قلب الجزيرة العربية يتحدث التاريخ العربي عن قوم (عاد) و (ثمود) و (جرهم) و (عبيل) و (طسم) و (جدیس) وغيرهم من الأمم العربية التي أطلق عليها المؤرخون العرب اسم (العرب البائدة) . ومصدر المؤرخين العرب فيما قالوه عن العرب البائدة هو الأخبار التي كان الجاهليون يتناقلونها عبر الأجيال – فلقد جاء في الفهرست لابن النديم : أن (هشاماً الكلبي) ألف كتاباً خاصاً بتسمية

(١) تاريخ جواد على ٢ / ٢٩٩ وما بعدها .

(٢) الطبري ، وابن خلدون ، وكتاب سني ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني .

من نقل عن عاد و ثمود والعماليق و بنى إسرائيل من العرب (۱).

وقال جواد على عن قوم عاد : [ويدل خبر عاد في القرآن وفي الشعر الجاهلي على أن القصة كانت شائعة بين العرب الجاهليين ، معروفة عندهم ، وأنهم كانوا يتصورون بأن قوم (عاد) كانوا من أقدم الأقسام ، ولذلك ضربوا بقدمهم المثل . وقد وردت قصة هود مع قومه ونهيه لهم عن عبادة الأوثان في القرآن الكريم . وجمع المفسرون القصص التي قيلت فيه . وهي في الجملة من أقوال (كعب الأحبار) و (وهب بن منبه) . و (كعب الأحبار) : يمني يهودى العقيدة قبل إسلامه و (وهب ابن منبه) فارسي الأصل عاش في اليمن ، وكلاهما مطلع على المدونات القديمة . فلقد قال (وهب بن منبه) : لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً أنزلت من السماء - اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس . وعشرون لا يعلمها إلا القليل] (۲) . إذن (كعب الأحبار) و (وهب بن منبه) رويان للمفسرين عن مصادر كان الكثير منها في الكنائس وفي أيدي الناس . وكان النزر منها لا يعلمه إلا القليل . ولعل العرب نقلوا من هذه المصادر قصصهم التاريخي . وتحدث به شعراؤهم جاهليين ومخضرمين : (أمية بن أبي الصلت) و (طرفة) و (النابغة) و (زهير) و (مالك بن نويرة) وغيرهم (۳) . وربما رجع إلى هذه المصادر بطليموس الذي نقل عنه جواد على : [أن قوم (عاد) كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب في أعلى الحجاز وعلى مقربة من مناطق (ثمود)] (۴) . ويؤكد بطليموس ما جاء في معجم (ياقوت الحموي) عن مساكن عاد في وادي القرى . فقد قال : [وقرح - سوق وادي القرى . وقيل بهذه القرية كان هلاك عاد قوم هود] (۵) . ولا غرابة فيما نجده من روايات جاهلية عن (ثمود) . فلا بد أن آثار الثموديين في الحجاز لفتت نظر الأجيال الجاهلية . واستدعوا لمن بقي من الثموديين المحتفظين باسمهم إلى ما بعد الميلاد . ولا بد أن يكون في كل جيل جاهلي جيل ثمودي

(۱) الفهست ص ۱۵۱ .

(۲) تاريخ العرب لجواد ۱ : ۲۳۶ و ۲۳۷ .

(۳) تاريخ الطبری ۱ : ۱۶۲ .

(۴) معجم البلدان ۱ : ۴۸ و ۴۹ .

(۵) تاريخ العرب ۱ : ۲۳۵ .

بأخبار أمم الماضي مثل : (قس بن ساعدة) ، ولا يبعد أن يكون أولئك الرجال قد اطلعوا على تلك المصادر التي اطلع عليها (وهب بن منبه) وقرءوا الخطوط الشمودية ، فرووا عن تلك المصادر والخطوط أخباراً تناقلها الجاهليون ، كما روى (كعب) و (ابن منبه) عنها قصصاً تناقلها المؤرخون بعد الإسلام . ومما هو جدير بالإشارة إليه أن التوراة لم تذكر شيئاً عن ثمود^(١) .

ويقول (جرجى زيدان) عن (طسم) و (جديس) : [إن هذين الاسمين مقترنان في تاريخ العرب - اقتران عاد و ثمود ، والاكتشافات الأثرية لم تصل إليهما بعد . فنكتفي بما يستنتج من كلام العرب واليونان]^(٢) . وينقل جواد على عن مجلة الهلال السنة الخامسة : [أن جرجى زيدان ذهب إلى أن (طسمًا) هي (لطوشيم) وهي قبيلة وارد اسمها في التوراة] . وينقل جواد على عن بعض المستشرقين - أنهم قالوا : إن بطليموس ذكر (جديساً) في جغرافيته ، وإنهم كانوا معروفين في سنة ١٣٠ ب . م . ويقول جواد على : [ويرى المستشرق الفرنسي (كورين دي برسفال) أن إغارة (حمير) على (جديس) ، وهلاك (طسم) و (جديس) نتيجة لهذه الغارة ، إنما كانت حوالي سنة ٢٥٠ ب . م]^(٣) .

وعن قبيلة (عبيل) التي قال عنها المؤرخون العرب : إن منازلها في منطقة المدينة . وإن مهلكها بالحمفة - قال جواد على : [ورد اسم (عوبال) في التوراة ، وقال بعض علماء التوراة : إن من الممكن أن يكون (عبيل) هو (عوبال)] . وقال عن شعب (وبار) : [وجاء في جغرافية بطليموس اسم شعب قال عنه المستشرقون إنه شعب (وبار)]^(٤) .

فعلى ما جاء في بحث جرجى وجواد - أن ما يتحدث به العرب الجاهليون ، والمؤرخون الإسلاميون عن (عاد) و (ثمود) و (طسم) و (جديس) و (عبيل) و (وبار) له أصل وصل إليه اليونانيون ، مثلما كان لما قاله العرب عن (الكلدانيين) و (الآشوريين) و (الكنعانيين) الذين انتقلت منهم : قبائل من (الخليج

(١) راجع بحث الأسفار في هذا الجزء .

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٧٩ .

(٣) العرب ١ / ٢٥٣ و ٢٥٤ .

(٤) تاريخ العرب ١ / ٢٥٦ و ٢٥٨ .

الإسلامي - العربي) إلى سورية ، وعرفوا هنالك باسم (الفينيقيين) - أصل في المصادر غير العربية ، فهذه النصوص وغيرها التي تحدثت عن الشعوب العربية في العصور الجاهلية - تلك الشعوب التي استعمرت كل جزء من أرض الجزيرة ، والتي سيأتي ذكرها مفصلاً في الجزء الخاص بجغرافية الجزيرة العربية القديمة - هذه النصوص تثبت أن ما جاء في مؤلفات المؤرخين العرب لم يكن من وحي الخيال الذي لا يصدر عن مراجع تاريخية . بيد أن ما دونه العرب من تاريخ ما قبل الميلاد - قليل وغامض ومشوش بالنسبة للدول العربية في تلك العصور البعيدة . وأن ما دونه العرب يحتاج إلى دراسة على ضوء ما وصلت إليه معارف الأثريين ونتائج الختمتين .

فالتاريخ العربي بدأ - كما قلت في الجزء الأول : التاريخ العربي و بدايته - من عصر (إبراهيم) الذي رفع قواعد البيت و (إسماعيل) . وعهد إبراهيم يرجع إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد . والأمم التي سكنت بجوار البيت مع إسماعيل وبعده إسماعيل . والأمم التي سكنت في المدينة دار الهجرة . حظيت جميعها بعناية المؤرخين العرب وغير العرب الذين وجدوا نصوصاً تاريخية أتحت لهم معرفة الذين سكنوا (مكة) . والذين سكنوا (المدينة) . من فجر تاريخ هاتين المدينتين المقدستين إلى عصر (قريش) في مكة و (الأوس والخزرج) في المدينة . كما توارثت الأجيال أرض الجزيرة : نجدها و يمنها وعراقها و شامها . وسطرت عليها تاريخاً نحن في حاجة إلى معرفته .

٦ - ونحن إذا ما طوينا صفحة التاريخ العربي قبل الميلاد . ونشرنا صفحة التاريخ العربي بعد الميلاد . نجد نصوص التاريخ العربي بعد الميلاد أكثر تفصيلاً ووضوحاً ومصادر من نصوص تاريخ ما قبل الميلاد . فتاريخ العراق يرتبط بالتقويم الساساني آخر الأمر بعد أن أخذت قبيلتنا (قضاة) و (إباد) وحدهم في تحرير التاريخ من النفوذ الفارسي . فامتزج تاريخ (المناذرة - المخزومين) بتاريخ (الساسانيين) الذين وصل نفوذهم إلى اليمن ، وارتبط تاريخ (حمير) بتاريخ فارس . وارتبط تاريخ (سورية) بالروم منذ نشأت دولة (أدينية) في (حمير) . ومنذ نشأت دولة (النبط) في (بطران) . ومنذ نشأت دولة الغساسنة في (البلقاء) . وعن اختلاف العلاقات التي ربطت بين (الروم) و (العرب) . والتي كلفتها

الأحداث التي مرت بأرض العروبة ، كانت نتائجها في غير الجانب العربي ، فقد أصبحت سورية جزءاً من الإمبراطورية الرومانية ، وأصبحت المطامع الرومانية تتطلع إلى قلب الجزيرة ، بعد أن ذابت دولة النبط من الوجود كأن لم تكن . وأخذت تلك المطامع تزداد مع الزمن الذي لم يكن في مصلحة العرب ، وتتربص الفرص لتحقيق ما عجزت عنه حملة القيصر (أوغسطس) التي هبطت مرفأ (لويكه كومة) سنة ٢٤ أو ٢٥ ق . م ، لغزو العرب في عقردارهم وباعت بالخيبة ، كما جاء في تاريخ جواد علي^(١) ، وحملة (أوليوس غالوس) قبل سنة ٢٥ ق . م ، كما يقول جرجي زيدان^(٢) - تلك الحملة التي أراد منها (الروم) أن تفعل ما فعله غزو (بختنصر) الذي سبقها بنحو خمسمائة وثمانين عاماً ، فبلغ (تيماء) التي اتخذها (نبونيد) مقراً له سنة ٥٥٢ إلى سنة ٥٤٥ ق . م^(٣) .

وعلى أرض الدولتين العربيتين : دولة المناذرة والغساسنة - قام صراع عنيف وطويل بين أكبر إمبراطوريتين : الكسروية الساسانية ، والقيصرية الرومانية . وكانت أرض العراق تارة ، وأرض سورية تارة أخرى ، ميداناً لتلك الحروب المتكررة ، وكان موقف اللخمين في صف الساسانيين ، وموقف الغساسنة في صف الرومانيين . فارتباط تاريخ العرب في العراق بالفرس ، وارتباط تاريخ العرب في سورية بالروم ، جعل الكثير ممن عنوا بتاريخ الفرس والرومان يتحدثون عن تاريخ الشعوب العربية في الهلال الخصيب ، مثلما جعل الذين عنوا بتاريخ العرب يتحدثون عن تاريخ الفرس والروم . وعن المدى الذي بلغه فهم العرب مجرى الأحداث العالمية ، والذي ظهر واضحاً عندما تحزب المسلمون للدولة الرومانية الكتابية ضد قریش التي تحزبت للدولة الساسانيين الوثنية ، وظهر واضحاً في مواقفهم المشرفة بجانب اللخمين والغساسنة والحميريين ضد الفرس والروم ، مثل موقفهم في (يوم ذي قار) ، وفي يوم (الصفقة) ، إلى غيرها من المواقف التي تحدث عنها شعراء الجاهلية فلفتوا الأنظار بما نظموه في أيام العرب . وفيما أشاروا إليه من أحداث الجزيرة وامتداد النفوذ

(١) تاريخ العرب لجواد ٨ / ٩٧ .

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٢٧ وما بعدها ، فقد ذكر جرجي : أن وفاة (استرابون) الذي

رافق الحملة كانت سنة ٢٤ ق . م .

(٣) تاريخ جواد ٢ / ٣٣٥ .

الفارسي إلى اليمن عبر الخليج الإسلامي ، واصطدام المسيحية باليهودية في نجران .
 فلقد حفظ المؤرخون العرب القدامى مثل (ابن جرير) و (ابن خلدون)
 و (أبي الفرج الأصفهاني) و (ابن عبد ربه) - أخباراً عن دولة سورية والعراق
 العربيتين تجدها نثراً في كتب التاريخ والأدب والتراجم والأنساب . وتجد روايتها يرفعون
 إلى ذلك البرعيل الذي صارت أقواله عند المؤرخين خصوصاً تاريخية - مثل ابن الكلبي
 وغيره ممن سنتكلم عنهم في هذا الجزء . كما جمع المؤرخون العرب المعاصرون مثل
 (جرجي زيدان) و (جواد علي) و (كرد علي) . وغيرهم ممن اهتموا بالتاريخ
 العربي القديم ، أقوال المؤرخين اليونانيين والبيزنطيين والفرس الذين اذبروا للكتابة في
 تاريخ الشرق الأوسط . ويقول جرجي زيدان إن اليونانيين ذكروا دولاً وقبائل
 وأماكن لم يعرفها مؤرخو العرب على الإطلاق كدولة (الأنباط) و (المعينيين)
 و (السبئيين) وغيرهم مما سنأتي على تفصيله (١) .

ونحن لا نعجب إن وجدنا الجاهليين يتحدثون عن دولة (كِنْدَة) التي نشأت
 في (غمر ذي كندة) كما جاء في معجم البلدان لياقوت (٢) . أو (بطن عاقل)
 جنوبي (وادي الرمة) كما قال غيره (٣) - فمملكة (كِنْدَة) ذات مساحة مترامية
 في قلب الجزيرة . وملوك كندة يعدون من الشعوب القحطانية . وأسرتهم من الأسر
 البارزة في جنوبي الجزيرة وفي شماليها . وقد كانت النساء فيهم (٤) كما جاء في
 (أخبار مكة) للأزرقي .

ولا غرو ! إن وجد (هشام الكلابي) خصوصاً شتى تتيح له تأليف كتابه
 (ملوك كندة) . فملوك كندة تاريخ حافل بالأحداث . منه ما يتعلق بملوك (حيرة)
 اللخمين . ومنه ما يتعلق بملوك (الباقاء) الغساسنة . ومنه ما له علاقة بالفرس
 وما له علاقة بالروم . ومن ملوك كندة : أمير شعراء الجاهلية (مرؤ القيس) .

(١) العرب قبل الإسلام من ٢٧ - يبحث تعبيراً عن هذا الموضوع في كتابه " العرب قبل الإسلام " ص ١٠٠
 سباً وغيرها من الدول التي ذكرها اليونانيون .
 (٢) معجم ياقوت مادة (كندر) .
 (٣) تاريخ العرب لجواد ٣ - ٢٣١ .
 (٤) النسب شهر كانت العرب تخرج إلى الجاهلية ، والعلماء في الجاهلية هم الذين ذكروا عن نسبه
 أي تأخير الأشهر .

ومثلما حفظ الشعر الجاهلي نصوصاً تاريخية في حياة (امرئ القيس) وحروبته في سبيل أخذ الثأر لأبيه ورحلته إلى ملك الروم ، كذلك حمل الشعر الجاهلي نصوصاً تاريخية عن حياة (المهلهل)^(١) وأخيه (كليب) ، وعن الحروب الطويلة التي خاضها ليأخذ بثأر أخيه ، فالمهلهل - في تحقیقات مؤرخي الشعر الجاهلي - هو الذي هلهل الشعر . وشعر المهلهل أكثره نظمه في الحروب التي عرفت في التاريخ الجاهلي بحرب البسوس . والشعر الذي قيل في حرب البسوس يعدّ من أقدم الشعر الجاهلي^(٢) ، ومن أكثره انتشاراً .

وأخبار الشعوب التي سكنت المدن الحجازية : مكة ، المدينة ، الطائف ، مدين وغيرها - من أكثر الأخبار انتشاراً في الجاهلية ، ففي مكة البيت الحرام ، والبيت الحرام قدسته اليهودية كما قدسته المسيحية . وإلى المدينة هاجر اليهود انتظاراً لنبي آخر الزمن ، ومن المدن التي اشتهرت بالكتابة والقراءة (الطائف) ، ومن المدن التي تحدثت عنها الأشعار (أرض مدّين) . فكل هذه الأسباب وفرت للمؤرخ نصوصاً تاريخية أضاءت جوانب هامة في تاريخ الحجاز .

٧ - والمؤرخ الذي يبحث اليوم في تاريخ الشرق العربي القديم - لا يستغنى عن النصوص الأثرية التي وصلت إلى أيدي المنقبين عن الآثار . فعلى آثار البلاد العربية اطلع المهتمون بالتاريخ القديم على فصول هامة من تاريخ الآشوريين . والبابليين في العراق . والعماليق . والكنعانيين في سورية وسينا ووادى النيل ، والدادانيين والثوديين وغيرهم في وادي القرى . والمعينيين . والسبئيين والحميريين وغيرهم في اليمن .

ولقد أخذ المحققون - شرقيين ومستشرقين - يبحثون في النصوص الأثرية ويقابلونها بما لديهم من النصوص التي وجدوها في المدونات الكلدانية ، واليونانية ، والعبرية . والسريانية . واللاتينية . والعربية ؛ وأخذت الثقة المطلقة بالنصوص الأثرية تدفع بعضهم إلى اتهام النصوص المدونة التي تتعارض مع ما تحقق لديهم على ضوء النصوص الأثرية . ولقد قلت في الجزء الأول من هذا الكتاب إنني لا أستبعد

(١) يقال : هلهل فلان شعره إذا لم ينقحه وأرسله كما حضره ، ولذلك سمي الشاعر مهلهلا . ومهلهل اسم شاعر ، وهو امرؤ القيس بن ربيعة أخو كليب ، وقيل سمي مهلهلا لأنه أول من أرق الشعر - وقيل لرواد شعره . لسان العرب - ١١ / ٧٠٦ .

(٢) قصة الأدب في العالم ١ / ٣٥٤ .

عن المؤرخين القدامى الذين تحدثوا عن العصور الغارقة في القدم ، العثور على نصوص أثرية أفادتهم ، فبروسوس عندما عين سني الدول القديمة بالنسبة للعصر الذي عاش فيه لم يرجع إلى التوراة ، فالتوراة لا تزيد عمر الإنسان في هذه الأرض على بضعة آلاف من السنين ، في حين وصل بروسوس بسني الدول إلى نصف مليون سنة تقريباً^(١) .

٨ - وعلى كثرة النصوص المدونة - القديم منها والحديد . ووفرة النصوص الأثرية الحديد اكتشافها والقديم - فإن جمع المواد التاريخية وتحققها وتصنيفها تاريخاً عاماً مرتبطاً الحلقات من بداية التاريخ العربي إلى فجر الإسلام هو - ولا شك - فوق طاقة الفرد . وما هاته المؤلفات التي تحمل أسماء تدل على العمومية مثل : (تاريخ الأمم والملوك) و (البداية والنهاية) و (ديوان المبتدأ والخبر) إلا محاولات مهتد بها المؤلفون القدامى الطریق لمحاولات جديدة قام بها الذين عنوا بالتاريخ العربي القديم مثل (الألوסי) في مؤلفه (بلوغ الأرب) و (جرجي زيدان) في كتابه (العرب قبل الإسلام) و (جواد علي) في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) .

فعلى ما قدمته المحاولات القديمة من فوائد ضخمة لا يمكن جحود فضلها على كل من يبحث في تاريخ الشرق العربي . وعلى الخطوات الواسعة التي خطتها الدراسات التاريخية في العصر الراهن - ما زال مسلسل التاريخ العرب تنقصه حلقات . وسيستمر كذلك ما لم يتصد لتأليف تاريخ عام جهاد جماعي ترعاه دولة من الدول العربية الغنية - تهنيء هذا الجهد والتفرغ . الوسائل القادرة على جمع النصوص وتحققها . وربط حلقات البحوث المتناثرة في مؤلفات لا تجمعها لغة واحدة ولا يوحدتها هدف واحد . إلى غير ذلك مما يحتاج إليه تأليف موسوعة تاريخية مرتبطة الحلقات .

٩ - ونحن إذا ما انتقلنا من العصور الجاهلية إلى العصور الإسلامية نجد أن تاريخ العربي الإسلامي يبدأ بالسيرة والمغازي النبوية . وما أكره عناية مؤرخين بالنصوص التي تألفت منها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه . وتنحصر نصوص السيرة

(١) راجع بحث دول ما قبل التاريخ في الجزء الأول: التاريخ العربي وبعده من هذا المؤلف ص ٣٣٠ .

والمغازى فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقوال صحابته . ولقد تفرغ الكثيرون لتحقيق كل حديث نبوى ، وكل أثر صحابى ، وبينوا المجمع على صحته من الأحاديث ، والثابت من الأقوال الماثورة ، وأبدوا آراءهم فى رواة الحديث والأثر .

ثم يأتى بعد السيرة والمغازى تاريخ الخلفاء الراشدين . والعناية بتاريخ الخلفاء الراشدين تأتى فى المرتبة الثانية ، لا سيما خلافة (أبى بكر) و (عمر) . أما الأحداث التى وقعت بعدهما فكثير منها لم يسلم من التحزب للعلويين والتحزب للعثمانيين الأمويين .

ومن بعد الخلفاء الراشدين بلغت مواد التاريخ العربى من الكثرة وتعدد الموضوعات التاريخية ما حصر جهد المؤلفين فى جمع النصوص كما وصلت إليهم دون أن يعيروا روايتها شيئاً من الاهتمام الذى بذلوه فى معرفة رواة الحديث والأثر ، وأخذت المؤلفات التاريخية تنتقل من الموضوعية إلى موسوعات فى التاريخ السياسى والأدبى والاجتماعى . وفى تقويم البلدان وتراجم الأعلام وأرومات الأنساب إلى غيرها من الموضوعات التى تألفت منها ثروتنا التاريخية .

ومن أواخر العصر العباسى بدأت الغيوم تتكاثف وتحجب الأحداث التاريخية — لا سيما فى قلب الجزيرة وشواطئها الغربية والشرقية والجنوبية — فلقد انزوت أقطار عربية فى ظلام حالك حجب عن الأنظار حياتها . فجهل العالم ما يحدث فيها . وجهلت هى ما يحدث فى العالم . بل من تلك الأقطار ما جهل أهله ما يحدث فى أرضهم . وهذا ما جعل النصوص التاريخية لفترات طويلة من زمن البلاد العربية فى مستوى النصوص الجاهلية فى عصورها المظلمة : قلةً وغموضاً .

فتصنيفية نصوص التاريخ العربى الإسلامى من الشوائب ، وتلخيصها فى مؤلف واحد يطلق عليه اسم — التاريخ العربى الإسلامى العام — هو : أيضاً يحتاج إلى جهد جماعى تحتضنه دولة غنيّة من الدول العربية .

١٠ — واليوم يتساءل الباحثون فى التاريخ : ما هى نصوص تاريخ القرن العشرين التى ستطلع عليها الأجيال القادمة ؟ !

إننى أترك الجواب عن هذا السؤال إلى رجال المستقبل . وعلى الآن أن أبحث فى أرومات نصوص التاريخ العربى التى استندت إليها .

الفصل الثاني

التاريخ في القرآن

من صحيفة ٤١ إلى صحيفة ٨٠

الموضوعات :

من صحيفة ٤٣ إلى ٦٠

من صحيفة ٦١ إلى ٧٠

من صحيفة ٧١ إلى ٧٦

من صحيفة ٧٧ إلى ٨٠

١ - القصص القرآني .

٢ - القصة في القرآن .

٣ - الأمثال القرآنية .

٤ - النص القرآني أصدق النصوص .

القصص القرآني

من صحيفة ٤٣ إلى صحيفة ٦٠

من موضوعات البحث :

- ١ - أنباء الغيب في القرآن .
- ٢ - قصص القرآن كان وما زال هدفاً للتهمة والشكوك .
- ٣ - المستشرقون يجددون الشك في قصص القرآن .
- ٤ - لماذا نفند التهم المجددة ؟
- ٥ - جهل بعض المستشرقين بخواص اللغة العربية وجهل بعض الباحثين بخصائص التاريخ هما من مسببات الشكوك .
- ٦ - حقيقة الأمثلة التي اعتمدت عليها الشكوك المتعددة .
- ٧ - ما أشبه رأي المستشرقين اليوم - برأي الخارجين عن لإجماع بالأهس .
- ٨ - القرآن لم ينف عنه : ما جاء في صحف إبراهيم وموسى .
- ٩ - طبيعة الشك هي التي جعلت المستشرقين يخالطون النص القرآني بقول المنسرين .
- ١٠ - عودة بعض مستشرقين إلى محجة الصواب .
- ١١ - ليس القرآن تاريخاً يتتبع الأخبار فصلاً فصلاً .
- ١٢ - تطور البحث في قصص القرآن .

القِصَصُ الْقُرْآنِي

١ - (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين . . . وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) (١) . صدق الله العظيم .

إن في هذه الآيات البيّنات تعريفًا واضحًا بما جاء في القرآن من قصص : (وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) . وإن في هذه الآيات إشارة صريحة إلى ذلك الجدل العنيف الذي أثاره خصوم الإسلام من قريش : (فاصبر إن العاقبة للمتقين) .

٢ - ولقد ظن الذين كانوا يجادلون في القرآن : أن تغليط القصص القرآني يمكن الوصول إليه عن طريق الكتابيين . فأخبار الأولين تحدثت عنها التوراة . وتحدثت عنها الإنجيل . وتحدثت عنها المؤرخون الفرس . والمؤرخون اليونان . فمن السهل الاستعانة بما دوّنه الفرس من أخبار الماضي . ونقل من الخيرة إلى مكة . فقد يكون فيه ما يشبه القصص القرآني . ومن السهل الاستعانة بيهود يثرب على هذا القرآن الذي حيرّ قريشاً أمره . فما هو بالشعر الذي عرفوا : رجزه وهزجه !! وما هو بالسحر الذي عرفوا : نفثه وعقده !! وما هو بالكهانة التي عرفوا : زومتها وسجعها - وليس الشعر وليس السحر وليست الكهانة في شيء منه !! فما على المكذابين : إلا أن يوالى (النضر بن الحارث) الجاوس في مجلس محمد صلى الله عليه وسلم ، والتحدث بما جمعه من تاريخ فارس وأساطير ملوكها وأبطالها . وما على المكذابين : إلا أن يوفدوا إلى يثرب رجالاً يسألون يهودها عن القرآن . وعن رأيهم فيه ! ففي مكة ملأت الأندية : أحاديث (النضر بن الحارث) و (عقبة بن أبي معيط) . وفي المدينة وضع اليهود أسئلتهم التي رجع بها الموفدون من قريش يسألون

(١) سورة هود (الآيتان ٨ : ١٢٠) .

محمدًا صلى الله عليه وسلم : ما هي الروح ؟ وكم كان عدد فتية أهل الكهف ؟
ومن هو الرائد الذي جاب مشارق الأرض ومغاربها ؟

ولم يكن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم حتى يجيبهم تلقائياً ، بل هو تنزيل من عزيز حكيم ، فمكث محمد صلى الله عليه وسلم صابراً ينتظر أن ينزل عليه الجواب . ومكثت قريش في شعابها ترهبص الإخفاق لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومكثت اليهود في آطامها تترقب ما يحدث . إلى أن جاء الحق فأخرس المجادلين من قريش ، ولم يجد المكذبون من اليهود مطعناً فيه (١) .

- ٣

ولقد جدد المحققون في مصادر التاريخ : البحث في أخبار القرآن ، فسار بعضهم في طريق المرتابين في قصص القرآن . فقالوا : إن في القصص القرآني أنباء لا تقرها الحقائق التاريخية الثابتة ، وأنباء خلطت بين الأشخاص والزمان والمكان . واستشهدوا على الأنباء التي لا تقرها الحقائق : بكلام عيسى في المهدي ، وحجتهم في ذلك هي : أن كلام من كان في المهدي صبياً من الظواهر الفدوة التي لا يمكن أن تسكت عن التحدث بها ألسنة الذين شاهدوا هذه الحارقة . فكلم لَمْ يتحدث عنها النصارى وهم أتباع عيسى بن مريم ؟ ! - ولم لَمْ يذكرها اليهود مع أن أحبارهم شغلوا بالمعجزات ؟

وقالوا : إن من الأنباء التي خلطت بين الأشخاص والزمان قصة (موسى) مع (فرعون) . فإن (هامان) الذي كان وزيراً في العصور الفرعونية جاء بعد مضي زمن طويل على وفاة (موسى) و (فرعون) . وقالوا : إن في القرآن قصصاً مكرراً . وإن القصص الذي تكرر في القرآن يختلف باختلاف المقصد من تكراره : مثل : رحلة موسى مع أهله إلى مصر - فمن رأيهم : أن ما جاء في سورة (طه) عن موقف موسى في الوادي المقدس : (وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً ، فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعل آتيكم منها بقميس أو أجد على النار هدى) ، يختلف عما جاء في سورة النمل : (إذ قال موسى لأهله : إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما جاءها نودي : أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) . وقالوا : إن العصا التي

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٠٠ .

اهتزت في الوادي المقدس كأنها جان ، ظهرت أمام فرعون ثعباناً يلقف ما صنع السحرة ، فالجان : هو الصغير الدقيق الأبيض من الحيات . والثعبان : هو الكبير الضخم منها . فالفارق جد كبير بين الجان والثعبان ! !

٤ - إن هذا النقد - كما تراه - لا يعتمد على فهم لغة القرآن وأسلوبه ، وعلى تحقيق متعمق في أنبائه . وإن النقاش في هذه الآراء وتفنيدها يعدّ من لزوم ما لا يلزم في بحث مصادر التاريخ العربي ، لو لم أستهدف : وضع صورة واضحة للمصادر وفهمي لها - بين يدي القارئ ، ولولا أن هناك بعضاً قد اقتنع بهذه الآراء فقال : [وهذه الأقوال وكثير غيرها إنما كانت لأن المسلمين قد حرصوا الحرص كله على فهم القصص القرآني على أساس من التاريخ ، ولو أنهم أعرضوا عن هذا الأساس . وحاولوا فهم القصص القرآني على أساس من الفن الأدبي لأغلقوا هذا الباب الذي جاءت منه الرياح ، ولسدوا على المشركين والمبشرين : السبل . وحالوا بينهم وبين الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وفي القرآن الكريم] (١) .

فأين هذا النقد من حقيقة القرآن ؟ ! إن القرآن لم ينزل تاريخاً يتحدث عن أخبار الأمم كما يتحدث عنها المؤرخون . فما جاء فيه من قصص جاء عبرة تفرض الاستفادة مما حل بالماضين في بناء حياة سليمة من أخطاء الماضي وضلالاته .

٥ - وإن اقتصار القرآن على العبر التاريخية لا ينبني عليه : أن القرآن لم يقصد في قصصه أحداثاً تاريخية . وأن العقلية الإسلامية أخطأت في فهمها : أن ما جاء في قصصه : حقائق تاريخية . وإنما لنجد أكثر من دليل يؤكد لنا : أن فهم القرآن على أساس من الفن الأدبي نبع من ظنون بعض المستشرقين . وأن النقد الذي قام على هذا الفهم لا يعتمد على معرفة تامة بأسلوب القرآن . ولا يعتمد على معرفة تامة بلغة القرآن وأسرارها وغريبها - فإذا كان (عمرو بن الخطاب) يفسر عليه معنى التخوف في الآية الكريمة : (أو يأخذهم على تخوف) . إن الله يفسره له شيخ من هذيل . لأن التخوف من لغة هذيل . وإذا كان (بن عباس) يعترف بأنه كان لا يدري ما معنى (فاطر السموات والأرض) . إلى أن احتكم عنده

(١) القصص القرآني ص ٢٨ و ٢٣ .

عربيان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها أي بدأت حفرها (١) - فحريّ بأولئك المستشرقين أن يجهلوا الكثير مما جاء في القرآن ، وأن يظنوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم حرف اسم (إلياس) إلى (إلياسين) في سورة الصافات لضرورة السجع (٢) ، لأنهم يجهلون كما يبدو : أن العرب كثيراً ما كانوا يزيدون أو ينقصون أو يبدلون حروف الأسماء الأعجمية . فتارة يقولون : إلياس ، وتارة يقولون : إلياسين - كما يقولون تارة : ميكائيل ، وتارة ميكائين .

ومثلما وقف جهل بعض المستشرقين بينهم وبين فهم القرآن على ضوء اللغة العربية ، ومثلما وقف التعصب الصليبي بين بعضهم ومعاني القصص القرآني ، فلم يبحثوا فيه بروح نزيه مخلص لوجه الحقيقة والعلم - كذلك وقف عدم التقصي بين بعض كتابنا العرب الباحثين في القصص القرآني ، وحقائق التاريخ ، فأخطأوا فيما هو صريح وواضح .

ومثلما تأثر بعض الباحثين العرب بآراء المستشرقين - قد يكون بعض المستشرقين تأثروا بأخطاء البحوث العربية المستعجلة ، وقد يكون بعض المستشرقين استعانوا بها على علم بأخطائها في تغليط قصص القرآن - فمن البحوث المستعجلة : كتاب (أبو الأنبياء إبراهيم) ، فقد جاء فيه : [كان مملوك الأرض قبل إبراهيم - أربعة : سليمان بن داود عليهما السلام وذو القرنين - وكانا مؤمنين ، ونمرود وبختنصر] (٣) فلو أن مؤلف هذا الكتاب (حسنى عبد المجيد) ، كلف نفسه مؤنة البحث لعرف : أن سليمان ولد بعد إبراهيم بنحو ألفي سنة وأن بختنصر ظهر على مسرح الشرق العربي بعد إبراهيم بنحو ألف وخمسمائة عام .

أليس مثل هذا التعجل في البحث - يحمل المستشرقين على اتخاذ هذا الفهم مرآة - للمعارف الإسلامية ؟ أفلم يكن المستشرقون هم الذين اتخذوا من كتاب (قصص الأنبياء) . لانيسابوري - أنموذجاً لفهمنا القصص القرآني وثقافتنا التاريخية ؟

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٧٧ ، والنيسابوري المهمش على الطبري ، وراجع مصادر الشعر الجاهلي ص ١٥٢ وما بعدها ، وترجمة حماد الراوية في هذا الجزء .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة إلياس ٢ / ٦٠٥ .
(٣) كتاب أبو الأنبياء - إبراهيم ص ١٦ .

ومما يستلفت النظر كذلك : أن يضع (عبد الوهاب النجار) . في كتابه (قصص الأنبياء) ، مع الآيات التي ذكرت قوم (عاد) . واتي اعتمدا عليها النجار فيما كتبه عن قصة (هود) : الآية رقم (٤١) من سورة المؤمنون : (فأخذناهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء - فبعداً للقوم الظالمين)^(١) . فاعمل النجار اعتمدا على ما جاء في تاريخ (ابن كثير) الذي ذكر هذه الآية في قصة (عاد) خطأ^(٢) قد يكون سببه : أن هذه الآية جاءت في سورة المؤمنون بعد قصة (نوح) . وقوم عاد نشأوا بعد قوم نوح . وفي أكثر السور ذكروا بعدهم . فلو أن النجار تأمير سورة المؤمنون لعرف من الجدل الذي قصته سورة المؤمنون ومن النهاية التي ختمت بها حياة الظالمين في هذه الآيات : أن القصة هنا تشير إلى (ثمود) قوم صالح لا إلى (عاد) قوم هود . وأن موضع هذه الآية في قصة (صالح) لا في قصة (هود)^(٣) .

فهل يبعد عن الافتراض : أن يأتي مستشرق فيأخذ من وضع هذه الآية في قصة (عاد) قوم هود - دليلاً على أن القرآن يكرر القصة بأخبار متناقضة . فمرة يقول : إن قوم عاد - دهرتهم ريح صرصر - ومرة يقول : أخذتهم الصيحة ؟

٦ - وبعد . فإذا كان علينا أن نغند المزام التي تصر على أن كلام عيسى في المهدي لا تقره الحقائق التاريخية . لأن اليهود والمسيحيين القدامى لم يقولوا عنه شيئاً فعلياً أن نعلم : أن عماد هاتمه المزام - هو : ما جاء في تفسير الرازي عن كلام عيسى [واءم] : أن اليهود والنصارى ينكرون : أن عيسى عليه السلام تكلم في زمان طفولته [إلى آخر ما نقله عن تفسير الرازي (محمد أحمد خائف مد) . وبنى عليه رأيه :] هذه الأقوال وكثير غيرها قصد إليها المبشرون وبالأخص ليثبتوا : أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم . لأنه لو كان من عند غيره وجدت فيه هذه الأخطاء التاريخية^(٤) . وهذه الأقوال وكثير غيرها من

(١) قصص الأنبياء - للنجار ص ٥٥ . ٥٥ . ٥٥ . ٥٥ . ٥٥ . ٥٥ .

(٢) تاريخ ابن كثير ١ - ١٢٦ .

(٣) ابن جرير الطبري ١٨ - ١٥ . ١٥ . ١٥ . ١٥ . ١٥ . ١٥ .

(٤) الفن القصصي في القرآن الكريم ص ٢٥ .

إلى آخر كلام خاف الله الذي سبق نفاه فيما سبق من هذا البحث .

فما جاء في تفسير الرازي يشير إلى نكران اليهود والمسيحيين : أن عيسى بن مريم تكلم في المهدي - فالرازي لا ينكر : أن عيسى تكلم في المهدي . وما جاء في تفسير الرازي جاء في تفسير النيسابوري [وعن اليهود والنصارى أنهم أنكروا تكلم عيسى في المهدي قائلين : إن هذه الواقعة مما تتوافر الدواعي على نقلها، فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى - في المسيح وفي مناقبه - وأيضاً : إن اليهود مع شدة عداوتهم له أو سمعوا كلامه في المهدي بالغوا في قتله ودفعه في طفولته . وأجاب المسلمون من حيث العقل بأنه لولا كلامه الذي دلم على براءتها (مريم) من الذي قذفوها به لأقاموا عليها الحد ولم يتركوها . ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه] (١) .

ونحن إذا ما أتمنا قراءة الآيات التي جاءت في سورة مريم نجدها تنهى بقوله تعالى : (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) . فاليهود والنصارى اختلفوا في حقيقة عيسى بن مريم : فالقد زعم اليهود : أنه ساحر كذاب . فكفروا به - أما النصارى فاختلفوا فيه - فقال بعضهم : هو الله . وقال بعضهم : هو ابن الله . وقال آخرون هو : كلمة الله وعبده وهم مسلمة أهل الكتاب (٢) .

ونحن إذا ما رجعنا إلى تاريخ المسيحية - نجد : أن (متي) كتب إنجيله باللغة (الآرامية) سنة ٥٠ - ٥٥ ب . م . ونجد الباحثين في إنجيل (متي) يقولون : في إنجيل (متي) . سند طويل يصل نسب (السيد) بالنبي (داود) (٣) - ونجد في سنة ٣٧٩ ب . م : الخلاف يشتد وينتشر بين العامة - هل المسيح مولود أو غير مولود (٤) - ونجد : في سنة ٤٢٩ ب . م (نسطوريوس) . يؤكد : أن مريم لم تلد إلهاً . بل إنساناً (٥) - مما يدل على تبليبل استمر طويلاً .

ونجد : المؤرخين الذين عاصروا المسيح وكتبوا عن أخبار عصره لم يذكره -

(١) تفسير النيسابوري المهش على تفسير ابن جرير ١٦ / ٤٦ .

(٢) تفسير ابن جرير ١٦ / ٦٣ .

(٣) الروم ١ / ٤٠ .

(٤) الروم ١ / ٩١ .

(٥) الروم ١ / ١٢٣ .

ويقال : إن إشارة (يوسفوس - يوسف اليهودي) إلى السيد المسيح أضيفت إلى كتاب يوسف - فعلى سكوت المؤرخين انبني شك بعض المسيحيين المتأخرين في وجود المسيح - وكذلك نجدهم لا يتحدثون عن المسيحية والمسيحيين إلا بعد انتشار المسيحية وازدياد المؤمنين بها . ويقول (عباس محمود العقاد) : [والخريب في شأن هؤلاء العلماء - أنهم لم يكافؤوا أنفسهم تفسيراً مقبولاً لوجود المسيحيين بهذه الكثرة بعد جيل واحد من عصر الميلاد]^(١) - ولقد تساءل (عبد الوهاب النجار) . أين كان المسيح من عهد أن كانت سنة اثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ تسعاً وعشرين سنة . فإن الأناجيل ساكتة عنه ؟ ! إن الأوربيين يقولون : إنه ذهب إلى الهند وتلقى تعاليم بوذا^(٢) ! !

إنني لم أعرض هذه الأقوال إلا لأبين : أن ليس من المنسرين من يغلط نص القرآن بحجة أن اليهود والمسيحيين لم يذكروا ما جاء في النص القرآني . وأن المنسرين كانوا أمناء في بحوثهم . فهم يذكرون النص ولا يكتبون اعتراض اليهود والمسيحيين عليه . ولأبين أن مولد المسيح ونشأته أحاط بهما كثير من الغموض بما جعل بعض لمسيحيين يرتابون في وجوده . فضلاً عن كلامه في المهدي . ومما يرد في كلام عيسى في المهدي - ما جاء في سفر (لوقا) أن (مريم) ولدت (المسيح) في نزل جعل مأوى لارعاة^(٣) - ولعل ذلك هو الذي جعل النيسابوري يقول : ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يعملوا لدفعه . فمولده في نزل جعل مأوى لارعاة لم يلفت أنظار غير الذين تهتمهم (مريم) . ولأبين أن المسيحية لم تلفت الأنظار إليها إلا بعد انتشارها . وأبين أن المسيحيين اختلفوا في حقيقة المسيح فبعضهم قال : إنه كلمة الله وعبداه وبعضهم قال : إنه إله أو ابن إله .

ولأبين : أن الأسفار اليهودية والتاريخ المسيحي لم يسكتا عن كلام (عيسى ابن مريم) في المهدي فحسب . بل سكتا عن كثير من أخبار ملهده وبعثه . وأن اليهود والمسيحيين كانوا مختلفين في أمر المسيح . فلا عبرة من أسرار اليهود : كلام عيسى في المهدي . فهم قد كذبوا برسالاته . فكيف يتحدثون عن معجزاته ؟ !

(١) عبقرية المسيح - بحث : تاريخ مؤلفه المسيح .

(٢) قصص الأنبياء ص ٣١١ .

(٣) قصص الأنبياء ص ٣١٥ - الطلوع لا بعد .

وهم لم يكونوا بجانبه ساعة مولده ، وهم لم يتحدثوا عنه إلا بعد رجولته وقيامه بواجب رسالته ، ولا غرو ! إن لم يذكر المسيحيون كلام عيسى في المهد ؛ فالمسيحيون لم يكونوا مسيحيين إلا بعد أن آمنوا بعيسى ، ولم يؤمنوا بعيسى إلا بعد أن أخذ يؤدي : رسالته - ولم يؤد : رسالته إلا بعد أن مضت ثلاثون عاماً أو أكثر من حياته ، فما وصل إليهم من أخبار طفولته وشبابه وصل إليهم عن طريق اليهود - وموقف اليهود من المسيح ونكرانهم كل ما ثبت عنه ، معروف للجميع .

فإذا كان علينا أن نأخذ بذلك المنطق الذي لا يصدق إلا بما تحدثت به اليهود وقاله المسيحيون - فعلينا ألا نصدق بوجود الثموديين الذين لا تزال آثارهم باقية في شمالى الحجاز . ونعدّ ذكرهم في القرآن من الفن الأدبي . لأن التوراة لم تذكرهم - وعلينا ألا نصدق بوجود المسيح عيسى بن مريم نفسه . ونعدّ ذكره في القرآن من الفن الأدبي . لأن المؤرخين المعاصرين له لم يذكروه .

وإذا كان لا بدّ لنا من أن نوضح ما جاء في قصة (موسى) عن (هامان) - فعلينا أن نعرف : أن ما جاء في تفسير (الرازي) - هو : أيضاً الدعامة التي اعتمد عليها رأى (خلف الله) الذي نقل في كتابه عن الرازي : [قالت اليهود : أطبق الباحثون في التواريخ : أن هامان ما كان موجوداً ألبتة في زمان موسى وفرعون] إلى آخر ما جاء في كتابه (١) . ونحن بعد أن عرفنا هذا ليس علينا أن نعيد القول في مواقف المفسرين وأمانتهم - فلقد سبق ذلك . وإنما علينا : أن نعلم : أن النيسابورى - رد على اليهود الذين طعنوا في ما جاء في القرآن عن (هامان) بقوله : [إن الطعن في تاريخ اليهود والمنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة أولى من الطعن في القرآن المعجز المتواتر أولاً ووسطاً وآخر] (٢) - وإن إشارة النيسابورى إلى انقطاع تاريخ اليهود : مفيدة في إظهار الحقيقة ؛ فلقد أثبت الذين تعمقوا في بحث مصادر تاريخ بلاد العرب : [أن التوراة التزمت الصمت من بداية هجرة الإسرائيليين من مصر إلى ما بعدها زمنًا طويلاً] (٣) .

زد على سكوت التوراة عن أحداث هامة من تاريخ بني إسرائيل : أن (هامان)

(١) الفن القصصى في القرآن ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) تفسير النيسابورى المهمش على الطبرى ٢٤ / ٤٦ .

(٣) التاريخ الجغرافى للقرآن - لمؤلفه نادى ص ١٨٨ .

الذي جاء ذكره في القرآن : لا يعدو - أن يكون مهندساً أمره فرعون موسى : أن يوقد على الطين ناراً ويبني له صرحاً - لعله يطلع إلى إله موسى . فهل التوراة التي التزمت الصمت - من بداية هجرة الإسرائيليين من مصر إلى ما بعدها - ذكرت المهندسين الذين كانت لهم مكانتهم في عصر الفراعنة جسيعهم . ولم تذكر واحداً منهم كان يُسَمَّى : هامان !؟

وإذا كان على أن أبدى شيئاً عما ظنه البعض اختلافاً في خبر موسى في الوادي المقدس - يثبت : أن كلا من الخبرين قصة مستقلة . وأن ما ورد في سورة (طه) يختلف عما ورد في سورة (النمل) ، وما جاء في السورتين يختلف عما جاء في سورة (القصص) . وعما قالوه على أساس هذا الظن : [إن الموقف واحد . وإن الحادثة واحدة ، ولكن الوصف مختلف ، والحوار غير الحوار . وحديث الرب العلي مع موسى النبي في موطن غيره في آخر - فمقصد القرآن من قصة موسى في سورة (طه) غيره من قصة موسى في سورة (النمل) . وقصة موسى في سورة (طه) قصة مستقلة . وقصته في سورة (النمل) قصة مستقلة . ومن الوجهة الأدبية هذه قصة وتلك أخرى . وعلى هذا لا تكرار ولا اختلاف ولا تشابه]^(١) !

إن ما قالوه - أولاً : [إن الموقف واحد . وإن الحادثة واحدة . ولكن الوصف مختلف . والحوار غير الحوار] يتعارض مع ما قالوه ثانياً : [هذه قصة . وتلك قصة] - ثم إننا لا نرى في اختلاف الوصف . واختلاف الحوار - ما يخرج الخبر عن حقيقته التاريخية فالخبر في كل سورة يؤكد : أن موسى رأى نوراً ، فأبصر ناراً . فأمر أهله بالملكوث ريثما يعرف حقيقة ذلك النور ؟ هل هو : نار فيأتينهم منها بقميس . أو أنه نجد على النار هدى ؟ ! (كذلك نقص عليك من أبناء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرى)^(٢) .

ثم أين الاختلاف الذي يجعل : الحوار غير الحوار وتقصصنا قصة ؟ هل هو : اختلاف حرفية الألفاظ . مثل : (رأى آدم . وجدوه شهاب) ؟ أو - هو : اختلاف صياغة الجمل . مثل : (إذ رأى ناراً . وآدم من جانب

(١) الفن القصصى في القرآن ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سورة طه (الآية ٩٩) .

الطور ناراً) - فإذا كان مثل هذا الاختلاف - يفرض علينا : أن نقتنع بأن قصة موسى في سورة (النمل) - قصة أخرى غير التي في سورة (طه) ؛ فعلىنا أن نعتقد : أن قصة (هود) و (صالح) و (إبراهيم) و (يوسف) و (سليمان) في كل سورة هي قصة غير التي في السورة الأخرى - لوجود مثل ذلك الاختلاف !! - وإذا كان هذا الاختلاف ينبني عليه من الوجهة الأدبية - استقلال قصة (النمل) عن قصة (طه) - فعلىنا أن نعتقد : أن أكثر من موسى أرسل إلى فرعون - إذ لا بد لكل قصة من بطل ! وعلىنا أن نعتقد : ألا وجود لموسى - وأنه من خيال الأدب الفنى . ونعتقد شكوك المستشرقين الذين شكوا في وجود الأنبياء : إبراهيم ، وموسى . وعيسى - ورجحوا : أن المسيح شخصية من شخصيات الخيال^(١) - وعلىنا أن نفهم : ما جاء في القرآن عن إبراهيم وإسماعيل . وأنهما رفعا قواعد البيت على أساس من الفن الأدبي لاعلى أساس أنه خبر عن حدث تاريخي !!

ولقد نسي الذين يظنون ذلك الظن : أن القرآن لم يذكر موقف موسى في الوادى المقدس في هذه السور الثلاث فحسب . بل ذكره في سورة (الشعراء) وفي سورة (النازعات) . وأشار إليه في سورة (الفرقان) وفي سورة (السجدة) - وأنه عندما أشار إلى الرسالة التي تلقاها موسى في الوادى المقدس - قال في سورة السجدة : (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريه من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل) وقال في سورة الفرقان : (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) . ونسوا : أن القرآن قصد من تكرار الموعظة النار بيخية - رسوخها - ولو أنها كررت حرفياً لما كان لها أثرها في النفوس - وأن هذا هو أسلوب القرآن - المعجزة الذي لم يستطع فصحاء العرب أن يأتوا بسورة من مثله .

إن الذين لا يعرفون اللغة العربية وبلاغة أساليبها - هم : الذين - لا يلاحظون أن اختلاف وصف العصا - مرة بالجان ومرة بالشعبان - اختلاف مقصود لا يخرج القصة عن حقيقتها - فتشبيه العصا بالجان يهتز أمام موسى في الوادى المقدس ، ووصفها بالشعبان يلقف ما صنع السحرة أمام فرعون والجمهور الغفير الذي حضر ليشهد ما يصنع السحرة بموسى - هو : وصف دقيق للموقفين يزيد القارئ المحقق

(١) عبرية المسيح ص ٨٠ .

إيماناً بصحة الخبر وأنه حدث تاريخي لا ريب فيه .

٧ - وإنه خلّيق بالبحث وقد ناقش الجدل المتجدد في القصص القرآني وما قاله ناقدوه عن موقف موسى في الطور : أن يشير إلى أن الجهمية - أنكروا من قبل : أن الله كلم موسى - لأن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم ولسان وشفقتين - ويشير إلى ما أثاره هذا الإنكار من جدل شغل علماء المسلمين به وبالرد على من أنكروا : أن موسى كلم الله ؛ لنعلم : أن الأجيال كانت وما زالت تختلف في فهمه وفي تفسيره . وأن نقد القصص القرآني اليوم هو صدى للجدل الذي ما فتئ يتكرر منذ نزل القرآن .

فعلى ذلك نحن لا نستغرب إذا رأينا المستشرقين والذين خلبوا بأرائهم واعتنقوا شكوكهم : يثيرون في عصرنا الحاضر الجدل من جديد . ولا نستغرب إذا ما رأينا الخطأ في الفهم : يتكرر في قصة موسى عندما كان في الوادي المقدس يتلقى رسالة ربه - وعندما كان في مصر يجادل فرعونها وينظر سحرته - وأخيراً في قصة موسى مع العبد الصالح اتي أخذ المستشرقون يجددون الشك الذي أثاره من قبل (نوح البكائي) ويشبهونها بالأساطير الهندية : ويقولون : إن [التشابه بين القصتين عظيم حتى لا يدع مجالاً للشك في أن القصة الواردة في القرآن - أصلها اليهودية]^(١) - ويجددون إنكار - الوثنيين من قريش الذين قالوا : إن القرآن لم ينزل من عند الله . فمثلاً قال المشركون من قريش : إنه أساطير الأولين تملأ عليه . يقول المتعصبون من المستشرقين : إنه مستمد من التوراة ومن الإنجيل ومن أساطير اليونانيين والفرس والبريانيين . ومثلها لجأ القرشيون المتحجرة قلوبهم إلى (بيع الحيرة) و (أحبّار يثرب) لجأ المستشرقون المتعصبية أفكارهم إلى التوراة وإلى الإنجيل وإلى ما وصل إليهم من تراث اليونانيين والسريين والفرس . ومطلقاً يقابلون ما جاء في القصص القرآني بما ورد في المذونات التي سبقته .

كان في القرآن نبأ سبق ذكره في التوراة أو في الإنجيل . فلو لم يستمدوا استدعاه من التوراة ومن الإنجيل . وإذا كان له ذكر فيما أخرج يهود يثرب والفرس والروم - قالوا : إن محمداً علم هاتاه الأنبياء من بعض الفرس والروم الذين استقروا في مكة - وقالوا : أكثر من ذلك تجنياً على الخدائق . عندما أخذوا يقابلون النص القرآني

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٦٠٧ .

— بما جاء في أسفار السامريين — قالوا : إن في القرآن أخباراً مأخوذة من السامريين الذين لم تعرف مدوناتهم إلا بعد الإسلام^(١) — وإذا لم يجدوا لأخبار القرآن ذكراً في تلك المصادر — قالوا : إنها ليست حقائق تاريخية إنما هي — قصص أدبي جدير بالمسلمين أن يفهموها — على أساس من الفن الأدبي — لا على أساس أنها حقائق تاريخية !!

٨ — إننا نخطئ — إن اعتقدنا : أن القرآن لا يذكر شيئاً مما جاء في التوراة والإنجيل وصحف إبراهيم — فالقرآن ينص على (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون)^(٢) وعلى أن مما جاء فيه موجود في صحف إبراهيم وموسى : (إن هذا لفي الصحف الأولى — صحف إبراهيم وموسى)^(٣) .
بيد أن تخطيطنا هذا الاعتقاد ليس معناه : أن القصص القرآني مستمد من التوراة أو غيرها — وأن ما جاء في القرآن من أنباء الماضي — هو : منقول من التوراة — كما يظن بعض المستشرقين — فلو كان شيء من ذلك صحيحاً لما سكت عنه اليهود الذين كانوا يتابعون القصص القرآني ويسألون عنه ويجادلون فيه .

٩ — ونحن لا نعجب : إن وجدنا بعض المستشرقين يخلطون نصوص القصص القرآني بأقوال المفسرين الذين اعتمدوا على مدونات أهل الكتاب وغيرهم ، وعلى ما يرويه لهم اليهود — في تفسير القصص القرآني ، وتأليف قصص الأنبياء — لأن هذه طبيعة الشكوك لا سيما التي تملئها الخسومة ويسوق إليها التعصب — فلقد ربطت هذه الشكوك بين ما جاء في بعض التفاسير وفي بعض قصص الأنبياء — بين (الحضر) — وبين قصة موسى مع العبد الصالح — وخلطت بين نص سورة (الكهف) وبين الروايات التي جمعها المفسرون . ثم بنت على ذلك حكمها [يطلق جمهور المفسرين على هذا العبد الصالح : اسم الحضر — أما غيرهم فيجعلونه فتى موسى ، وللتفسيرين أصولهما في الأساطير الشرقية — ويمكن تتبع القصة القرآنية ودرها إلى مصادر رئيسية ثلاث — هي : (ملحمة جلجمش) و (قصة الإسكندر)

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١١ / ٨٨ وما بعدها .

(٢) سورة النمل (الآية ٧٦) .

(٣) سورة الأعلى (الآيتان ١٧ و ١٨) .

و) الأسطورة اليهودية الخاصة بإيلياء والرباني يوشع^(١). وفي القرآن قصة عن إلياس آخر وإن لم يصرح باسمه - وتذكر الأساطير اليهودية رحلة إلياس مع يوشع بن ليفي - أتى فيها إلياس بمثل ما عمل ذلك العبد الصالح الوارد ذكره في القرآن . والتمشابه بين القصتين عظيم حتى إنه لا يدع مجالاً للشك في أن القصة الواردة في القرآن : أصلها القصة اليهودية [٢].

إننا لا نرى عجباً إذا ما اتفق الخبر الوارد في القرآن مع ما جاء في التوراة - فهذا الاتفاق لا يزيدنا إلا ثقة في حقيقة هذا الخبر - فموسى الذي في القرآن هو : موسى الذي في التوراة - والأحداث التي وقعت للأنبياء تحدثت عنها الأسفار وتحدثت عنها القرآن - ولكن الذي نلقت النظر إليه - هو : بُعد الخيال الذي خلطه المستشرقون بالنصوص القرآنية عن حقيقة القصص القرآني - فالقرآن لم يقل عن نبي من الأنبياء أو صالح من الصالحين - إنه خالد على هذه الأرض - لا يراه إلا عباد الله الصالحون - إنما أحياء بعض المفسرين وبعض مؤلفي قصص الأنبياء والصالحين - هي التي تصورت ذلك .

واستغلال المتعصبين ضد القصص القرآني من المستشرقين - هو : الذي جعلني ألقت النظر إلى ما جاء في كتاب (أبو الأنبياء إبراهيم الخليل) عن ملك الأرض قبل إبراهيم . وإلى وضع (النجار) في كتابه (قصص الأنبياء) ما جاء في سورة المؤمنون عن (قوم ثمود). ضد الآيات التي نزلت في (قوم عاد) .

١٠ - فإصرار هذه الجماعة من المستشرقين : على أن صحة ما جاء في قصص القرآن تتوقف على وجود أصل له فيما سبقت من كتب مقدسة ومصادر مدونة . تعسف رجح عنه الكثيرون - مثل - (توماس كارليل) الذي يقول في كتابه (الأبطال) : [لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متدين من أبناء هذا العصر أن يصدق إلى ما يظن من أن الدين الإسلامي كذب وأن محمداً خداع] [٣] . ومثل : (تومستاف لوبون) الذي يقول في كتابه (حضارة العرب) : [ولم أجد في القرآن ما يعجب به

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ٣٤١ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٦٠٧ و ١ / ٥٤١ وما بعد .

(٣) كتاب الأبطال ١ / ٩٦ .

الشرقيون - وما يمكن أن يعاب به [(١)] - إلى غير ذلك مما جاء على السنة المشرقية عن النصوص العربية وصحة أكثرها .

ثم هذه أخبار (عاد - المعينين) (٢) وأخبار (ثمود) التي انفرد بذكرها القرآن . والتي كانت إلى وقت قريب موضع شك المشرقين - أصبحت أخباراً ذات قيمة في البحوث التاريخية بعد أن اكتشف الباحثون آثارهم في شمالى الحجاز وفي اليمن - ولا أرانى مبالغاً إذا قلت : إن اتساع المعارف الأثرية - أقنع جمعاً من الباحثين غير قليل بأن القصص القرآنى يشير إلى حقائق تاريخية (٣) .

١١ - ولا بد لى هنا : أن ألفت النظر إلى أن هدف القصص القرآنى لا يقتضى تفصيل أخبار الماضى وتتبع أحداثه مثلما تفصل التواريخ : الأخبار . وتتبع الأحداث - فالقصص القرآنى ذكرى وموعظة - ونحن إذا ما رجعنا إلى القرآن وتلواناه سورة سورة - نجد القرآن حريصاً على ما ينير العقول ويهديها ، ويقوم الأخلاق ويوجهها - وينظم الروابط الاجتماعية ويصون الحقوق الفردية - يضرب الأمثال ويقص من أنباء الماضى ما فيه موعظة وعبرة ليتجنب المؤمنون به : الأخطاء التي تورط فيها من سبقهم من الأمم - فلو أن القرآن ذكر جميع ما يترتب على كل ما أمر به ونهى عنه ، وفصل ما رغب في التفكير فيه : فى السماء . والأفلاك : والأرض . وما خلقه الله عليها من إنسان وحيوان وزرع . وتحدث عن كل أنباء الماضى - لما وسعت القرآن أكبر مكتبة فى العالم - ولما استطاع المسلمون أن يحفظوه ويحافظوا عليه - (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) (٤) .

فلا غرو ! إن نحن لم نجد فى قصص القرآن تاريخاً كاملاً لأمة من أمم الزمان الغابر - ولا غرو ! إذا كان قصص القرآن - جاء على صورة الخبر القصير . والقصة الواعظة والمثل المضروب . وإذا كان قصصه عنى بالنتائج واكتفى بالإشارة

(١) حضارة العرب ص ١٢٤ .

(٢) راجع الجزء الخاص بجغرافية الجزيرة وشعوبها ففيه رجحت أن العادين هم : المعينون .

(٣) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) سورة الكهف (الآية ١٠٩) .

والخبر القصير . ولا غرو ! إذا كانت أنباء الأمم ومواقف الرسل تتكرر في القرآن ، فإن الغرض الأول من ذكرها : العبرة - فكلما تكررت الموعظة زاد تأثيرها - (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) (١) .

١٢ - أما جمع أخبار الماضين المتناثرة في سور القرآن وشرحها - فمؤى المهمة التي اضطلع بها المفسرون . واستهدفها المؤرخون - كل واحد منهم بمنطقه وما وصل إليه علمه - فمن الطبيعي أن تتفرق الآراء . وتتنوع الأفهام . وتختلف أساليب البحث في القرآن . وتتطور مع تطور المعارف واتساع الآفاق العلمية . ومن الطبيعي أن يتجدد البحث في قصص القرآن تبعاً لما جاء من معلومات في الحياة المتجددة - وتبعاً لمتطلبات الفكر المتطور الخلاق بين الأفلاك يطلب المزيد من المعرفة - فعتلية إنسان اليوم الذي تعمق في بطن الأرض ليعرف حقيقتة الماضي . وانتقل إلى سطح القمر ليدرس جيولوجية الأفلاك غير عتلية إنسان الأوس الذي حجب عنه الزمن حياة الماضي . فأخذ يبني حضارة مجددة على أساس التفكير له منطقته وموازينته . فلم يصبح اليوم : الطوفان أمراً عجيبياً فلقد وجد في طبقات الأرض وروعوس الجبال ما يدل على حدوثه (٢) . ولم يصبح استخدام سايهان الرياح : مستبعداً . فعالم اليوم استخدم الرياح وتجاوزها .

والذلك نرى الذين تحملوا مسؤولية تفسير القرآن في العصر الحاضر يرجعون إلى ما جاء فيه عن خلق السماوات وأفلاكها . وعن الجبال التي تمر مر السحاب وعمما شهدته هذه الأرض من أحداث أشار إليها قصص القرآن . ونرى المحققين منهم يزيلون من على قصص القرآن الخيال الذي جمعه بعض المفسرين من متعدد المراجع التي اعتمدا عليها - ويزيلون عنه شكوك المتطرفين المتمسكين بعتلية القرون التاسع عشر الميلادي - التي جعلت من قصص القرآن مجالاً للنقد والشك .

ونرى الشكوك المتجددة لم تأت بما يقنع الباحث في قصص القرآن . بل من الأدب الفني الذي لا أصل له من التاريخ فهل القصة في القرآن مثل قصصه !؟

(١) يوسف (الآية ١١١) .

(٢) راجع البحث الثاني من الجزء الأول من هذا المؤلف الذي ملأه بمعلومات تاريخية وعلمية .

البحث الثاني :

القصة في القرآن

من صحيفة ٦١ إلى صحيفة ٧٠

من موضوعات البحث :

- ١ - معنى القصة وفنيتها .
- ٢ - قصص القرآن ليست متحررة من الخقائق .
- ٣ - شطوط الباحثين في قصص القرآن .
- ٤ - أمثلة أخطأوا في فهمها .
- ٥ - هل القرآن لم ينف عنه الأساطير ؟!
- ٦ - سر خطأ الظنون المتعثرة .
- ٧ - روعة قصص القرآن لا شبيهة لها .

القصة في القرآن

١ - تشترك (القصة) بكسر القاف مع (القصص) بفتح القاف - في معنى (الخبر) - فالقصة : الخبر ، وقص على خبره قصصاً أورده - وتشترك معه في معنى (البيان) ؛ فالقصة : الجملة من الكلام . ونحوه قوله تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص) ، أي نبين لك أحسن البيان . (القصص) بكسر القاف - جمع قصة^(١) - والقصة المعروفة اليوم - هي : النوادر الخيالية - وأول ما بدأ تأليف القصة بدأ بشخصيات تاريخية اتخذت أبطالاً للقصص - مثل : سيف اليزن . وعنزة بن شداد - ثم أخذ مؤلفو القصص لا يتقيدون بأية شخصية حقيقية . ومن الذين تصدوا للبحث في قصص القرآن - كثرة تأثرت آراؤها بأسلوب القصة الفنية - فانطلقت تفرض الخيال في قصص القرآن وتتمسك الأدلة على ذلك . ومن الذين تأثرت آراؤهم بفنية القصة - كثرة حصرت قصص القرآن . في نطاق القصة الخيالية والفن الأدبي فيها .

لا شك في أن لرأي الناقد الذي يستهدف فنية القصة الأدبية ويعتمد على مقاييسها - مجاله في مضمار القصة الفنية . وفي الموضوع الذي تعالجه - أهو : من شطوط الخيال غير الهادف ؟ - أم أنه خيال هادف يصور حقيقة من حقائق الحياة ؟ وإن لحكم نقاد القصة بمعناها الذي عرفت به اليوم - قيمته الأدبية . أما في القصص القرآنية . فالموضوع يختلف . فليست مقاييس القصة الفنية مفروضة عليها . لأن القصص القرآنية شيء . والقصص الفنية شيء آخر . فالقصة التي احتلت مكانها اليوم في الأدب العربي - لا تتقيد بالحقائق التاريخية . فلكتاب القصة مطلق الحرية في استلهاج الخيال . وعلى كاتب القصة : أن يثير اهتمام القارئ بحل ما أوتى من قدرة أدبية وخيال خصب . فلا بأس عليه إذا هو خرج عن حقائق الحدث التاريخي - أو هو أسند إلى الشخصية التاريخية ذات الدور البطولي في روايته :

(١) لسان العرب مادة قصص ٧ / ٧٣ .

كلاماً لم تقله ، وفعلاً لم تفعله - ولا جناح عليه : إن شد أزر البطل بأعوان لا صلة لبطل القصة بهم ، أو لا وجود لهم على الإطلاق ، وإن هو وضع في طريق البطل : خصوصاً خياليين ليضفي على بطل القصة صوراً من الشجاعة والإقدام !! وأكثر من هذا - لمؤلف القصة اليوم : أن يتمخيل بطلاً خيالياً يسند إليه أحداثاً تاريخية .

٢ - أما القصة في القرآن - فإنها حقيقة ليست من الخيال ولا الخيال منها - فما ورد في القرآن عن (هود) و (صالح) و (يوسف) - هو : حقائق لامراء فيها - وما جاء في قصة القرآن عن (إبراهيم) و (إسماعيل) - هو : حدث تاريخي آمنت به الجماهير . وما جاء في القرآن عن (فتية الكهف) : حق لم يجد فيه اليهود مطعناً - (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) (١) .

٣ - فلقد شط أولئك الذين اتخذوا : فنية القصة الأدبية وموازينها أساساً لدراسة قصص القرآن . فمن الخطأ : أن يحسب أولئك النقاد - أن حرية القصة وجدت طريقها إلى قصص القرآن ، وأن القرآن قصد إليها . وأن من ظواهر القصة الفنية في القرآن : إسناد بعض الأحداث لأناس في سورة ثم إسنادها إلى أناس آخرين في سورة أخرى : وأن من ظواهرها : إنطاق الشخص الواحد في الموقف الواحد بأقوال مختلفة . وإنطاق الفرد والجماعة بما لا يمكن أن يقوله الفرد أو الجماعة . فبتأثير هذه الظنون قالوا : [إن هذه الظواهر تتجلى فيما قصه القرآن عن موسى في الوادي المقدس - وعن اليهود الذين قالوا : (إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله)] - وفي عباب هذه الظنون عامت بعض الأفكار - فسار بعضها بسلامة نية متحمساً لفنية القصة . وخاض العباب بعضها مدفوعاً برغبة التشويش على القرآن . والتشكك فيما جاء في قصصه . فالشك إذا ثبت في جزء - افترض في بقية الأجزاء .

٤ - فالأمثلة التي اتخذوها دليلاً على ما يقولونه عن القرآن . وأنه أسند أقوالاً وأفعالاً إلى أناس . ثم أسندها إلى أناس آخرين قاصداً التحرر القصصي - يتضح انحراف فهمها إلى هذا النحو - لكل من يتتبع تاريخ الشعوب التي أشار إليها القرآن - فأديان شعوب الماضي البعيد متشابهة في فاسفتها وعقول أصحابها : متقاربة في فهم

(١) الكهف (الآية ١٣) .

حقيقة رب هذا الوجود ، وهذا التقارب يظهر جلياً في وثنية (قوم نوح) و (قوم دود) و (قوم صالح) وأخيراً في وثنية (قريش) : رغم فواصل الزمن - فلقد أثبت البحث في أديان الشرق العربي : أن (وُدًّا) . كان إلهاً عند (قوم نوح) . كما كان إلهاً عند (المعينيين) ، وأن (اللات) كان إلهاً عند (ثمود) كما كان إلهاً عند (قريش) . وأثبت أيضاً : أن عقيدة الثالوث المقدس اعتنقها اليمينيون . والسوريون والمصريون من قبل أن يولد (المسيح بن مريم) . بآلاف السنين . ولقد أشار القرآن إلى ذلك : (وقالت اليهود : عزيز ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله - ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون)^(١) .

وكذلك أثبت البحث التاريخي : أن شعوب الماضي القديم تنقلت في أنحاء الشرق العربي حاملة معها عقائدها . وأفكارها . وتقاليدها . ولغاتها . وأسماء مدنها وأوديتها وجبالها - إلى المكان الذي اتخذته بديلاً من وطنها الأول - كما فعل الكنعانيون في الماضي البعيد عندما هاجروا من شواطئ (الخليج الإسلامي العربي) إلى شواطئ البحر الأبيض - وكما فعل الأوربيون في الماضي القريب عندما هاجروا إلى أمريكا - فهل ترك الكنعانيون أفكارهم وعقليتهم ومنظمتهم في سواحل الخليج الإسلامي ؟ وهل ترك الأوربيون عقيدتهم ومنظمتهم وعقليتهم في أوروبا ؟ وهل هم اليوم في أمريكا يفكرون بعقلية الهنود الحمر ؟

فليس من حرية القصة : تشابه المواقف وتشابه الأحداث وتشابه الجدل . بين الأمم الغابرة وبين أنبيائها المرسلين . وما تعمّد القرآن - كما يظنون : إسناد بعض الأحداث إلى أمة . ثم إسنادها إلى أمة ثانية قاصداً حرية القصة التي لا تتقيد بالحقائق التاريخية . بل إن الأحداث هي التي تكررت فلا بد من ذكرها على حقيقتها .

وإننا لنجد الدليل الفصل الذي يفند ما يظنون : في قوله تعالى : (وما كنا ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أثارهم مقتدون)^(٢) - فما أكثر ما يعيد التاريخ نفسه وهذا هو : قد أعاد نفسه فيما مر بنا من أقوال المستشرقين في القصص القرآني التي تشبه أقوال الوثنيين من قريش .

(١) التوبة (الآية ٣٠) .

(٢) سورة الزخرف (الآية ٢٣) .

ويكفيها مؤنة البحث في قصة موسى في المهدي - ما سبق في بحث القصص القرآني - فقد أثبت البحث هناك - أن القرآن لم ينطق موسى : بأقوال مختلفة ، فكل ما جاء عن موقف موسى في الوادي المقدس - لم يخرج الخبر عن حقيقته التاريخية ، واختلاف الألفاظ عندما يتكرر الكلام عن الخبر الواحد - هو : من أسارب القرآن .

والحقيقة فيما يزعمون : أن القرآن - أنطق اليهود بما لا يمكن أن يقوله اليهود (إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) - قاصداً تحرر القصة من قيود الحقائق التاريخية - تظهر لكل من يتبع الخبر الذي جاء في القرآن - عن ظن اليهود : أنهم قتلوا المسيح - فلقد جاء في الآية نفسها : (وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً)^(١) ، يقول ابن جرير : إن الذين اختلفوا في عيسى هل هو الذي بقى في البيت بعد خروج من خرج منه لفي شك من قتله^(٢) ؟ - وفيما يقوله ابن جرير وغير ابن جرير - ما يصور لنا الشك الذي ساور الجمهور في زعم اليهود الذين أصروا على أنهم قتلوا المسيح ، ويصور لنا الشك الذي غيم على اليهود ، وكثرة الأخذ والرد بين خصوم المسيح وبين أنصاره على مسمع ومرأى من الجماهير . فلا يبعد على العامة التي تجمهرت أن تسأل هل قتل المسيح رسول الله ؟ ولا يبعد على اليهود الذين يحاولون إقناع العامة بقتله - أن يقولوا : (إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) فهم عندما قالوا ذلك لم يقصدوا الإيمان بالمسيح كما أنهم عندما قالوا لقريش : إن وثنياتهم أفضل من دين محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يؤمنون بأن الشرك أفضل من التوحيد . وإنما قصدوا : تأكيد قتلهم عيسى بن مريم .

واليوم ماذا ترى اليهود قالوا : عند ما تبرءوا من زعمهم - أنهم قتلوا المسيح ؟ ! أترأهم : تقيدوا بما يعتقدونه في المسيح عيسى بن مريم - في براءتهم التي قدموها إلى (بابا الفاتيكان) ؟ ! أم أن المناسبة اضطرتهم إلى غير ذلك ؟ وهل ترى : من غير المتوقع أن يأتي في المستقبل مؤرخون يقولون : إن هذه البراءة أنطقت اليهود بما لم يمكن أن يقوله : إنا لم نقتل المسيح بن مريم ابن الله ، وإن إنكار اليهود زعمًا

(١) سورة النساء (الآية ١٥٧) .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٦ / ١٣ .

أصروا على حدوثه طيلة هذه القرون المديدة - : هو نوع من الفن الأدبي ؟ !
 ٥ - وما برح الذين تأثرت آراؤهم بفنية القصة - يقولون : إن القرآن لم ينف
 عنه - وصف خصومه له بأنه - أساطير الأولين ، فمن كتابنا العرب المسلمين الذين
 بحثوا في القصص القرآني^(١) جماعة أخذت بهذا القول ظانة : أن القرآن لم ينف
 عنه وصف الأساطير ووقفت واجمة أمام هذه الآية : (وقالوا : أساطير الأولين
 اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا - قل : أنزله الذي يعلم السر في السماوات
 والأرض - إنه كان غفورا رحيمًا)^(٢) .

إن الاستغراب من عدم نفي القرآن عنه : الأساطير - هو : نتيجة لفهم
 الأساطير على أنها أباطيل الخيال - فكان على الذين ذهب بهم الفهم إلى هذا
 المعنى أن يرجعوا إلى ما تدل عليه الأساطير - فلأساطير معان - منها : ما لا يمت
 إلى الأباطيل بصلة - فالسطر - في اللغة العربية : الخط والكتابة - والسطر في
 اللغة العربية جموع : أسطر . وأسطار . وأساطير . وقال (الزجاج) : أساطير
 الأولين خبر لا ابتداء محذوف . [وقالوا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم :
 أساطير الأولين . أي ما سطره الأولون - وواحد الأساطير - أسطورة]^(٣) -
 فالآية هذه نزلت ردًا على ما كان يقواه (النضر بن الحارث) الذي كان يعقب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه فيحدث عن تاريخ ماوك فارس . ويقول :
 هذه أساطير الأولين - أي أخبارهم . أنا ما كتبتها . وأنا أتحدث بها .
 كما استكتب محمد أساطيره وتحدث بها ! وإنها تملى على محمد صلى الله عليه وسلم
 بكرة وأصيلا . فنزلت الآية ترد على هذا الزعم : (قل أنزله الذي يعلم السر في
 السماوات والأرض) - ترد على هذا الزعم بأن محمد لم يستكتب أخبار الأولين كما
 اكتبها (النضر بن الحارث) - ومن الواضح : أن مما سطره الأولون حتمًا -
 ذكرها القرآن . ومنها أباطيل نفاها القرآن بشدة (ولا تطع كل حاضض بينهم . من
 شاء بنديم . مناع للخير معتد أثيم . عدل بعد ذلك زيم . أن كان ذا دين ودين .

(١) القصص القرآني ص ١١٠ .

(٢) سورة الفرقان (الآية ٣) .

(٣) لسان العرب مادة سطر .

إذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين (١) .

إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها - فلو كان ما جاء في القصص القرآني عن أم : نوح . وهود . وصالح . وإبراهيم . وموسى . وعيسى - من أساطير الخيال لرد القرآن على الذين يجادلون فيه : أن هذا القصص - أمثلة الغرض منها الموعظة - فالقرآن وضع الأشياء في المواضع التي تصل إليها عقول الذين مخاطبهم - فعندما سألت اليهود عن عدد أهل الكهف - جاء الجواب : (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) (٢) - وعندما سأل المسلمون عن الأهلّة - جاء الجواب : (يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحج) (٣) - فما نزل عن أنبياء بني إسرائيل يقص أكثر ما كان اليهود فيه يختلفون - فلو كان من أساطير الخيال الذي لا ظل فيه للحقيقة لاكتشف ذلك اليهود - وما نزل عن (هود) وقومه (عاد) وعن (صالح) وقومه (ثمود) حقائق أزال عنها شكوك الذين يجادلون في عاد و ثمود : الآثار التي اكتشفت في العصور الأخيرة .

٦ - في هذه الظنون تعثر بعض كتابنا مأخوذون بمنطق المستشرقين ومقاييسهم - فأبدوا أسنفهم لفهم العقلية الإسلامية : قصص القرآن على أساس من التاريخ ! وبنوا دفاعهم على الاعتراف بخطأ العقلية الإسلامية . وعلى تسويغ وجود الأساطير الخيالية في القرآن ، فقالوا : [وإذا قال المستشرقون : إن بعض القصص القرآنية كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير - قلنا : ليس في ذلك على القرآن من بأس . وإنما هذا سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى - فالقصة الأسطورية إذاً من القصص الأدبي الذي نجد من المفسرين من أجاز أن يكون موجوداً في القرآن الكريم] (٤) .

وما في هذه الظنون لا يضطرنني لأن أزيد البحث إيضاحاً وتفصيلاً لتبيان حقيقة تشابه حوار وجدال الأمم المتفاوتة أزمانها والمتباعدة أمكنتها - ذلك التشابه الذي قالوا عنه : [وهكذا ترى : أن الأساس الذي قام عليه بناء القصتين -

(١) سورة القلم (الآية ١٥) .

(٢) سورة الكهف (الآية ٢١) .

(٣) سورة البقرة (الآية ١٨٩) .

(٤) الفن القصصي في القرآن ص ١٨٠ .

قصة (هود) وقصة (لوط) - واحد . وأن الروح التي تسود القصتين واحدة . وإن اختلفت العناصر من أحداث وأشخاص وحوار في بعض الأحيان . إن السر في هذه الوحدة - هو : أن القصد الذي يرمى إليه القرآن من القصتين واحد . وهو الذي أشار إليه في أول السورة من حرص على هداية قومه . ثم موقفهم منه . ولعل هذه الروح هي التي سادت ما في السورة من قصص . ومن هنا بنيت بناء - متشابهاً . واتفقت في كثير من مواد البناء - ونستطيع أن ننتهي من هذه الفقرة إلى القول : بأن المنطق العاطفي هو الذي يسود القصة التاريخية في القرآن . ومعنى ذلك أن القصص التاريخية في القرآن - قصص أدبي أولاً وأخيراً [(١)] .

فالبحث هنا ليس في حاجة إلى زيادة الإيضاح - فلقد سبق أن وضحت تشابه العقائد والفهوم - فالسر في هذه الوحدة لا يكمن في أن القصص القرآني قصص أدبي لا تاريخي - إنما السر يكمن في الحقيقة التاريخية الثابتة - ألا وهي : تشابه العقائد - فإذا تشابهت العقائد تشابهت العقول والفهوم . وتشابه منطقها وجدلها (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير . إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) (٢) .

والسر في انصراف هذه الظنون إلى أن القصص القرآني : قصص أدبي - هو : أن معارف أصحاب هذه الظنون - أدبية أكثر منها تاريخية - فلو أن هؤلاء تعمقوا في الدراسات التاريخية لما تورطوا في نقد لا يثبت أمام الحقائق التاريخية . ولو أن هؤلاء رجعوا إلى النصوص التاريخية ودرسوا بتعمق القرآن وما جاء فيه من تشابه المواقف والأقوال - لما فهموا القرآن على أساس العقلية الأدبية فحسب .

إنني لا أعتقد : أن أحداً من الذين يتدبرون القرآن بيمان وعدم يؤخذ بهاده الآراء - فيقول : إن القصص القرآني من الفن الأدبي الذي لا يس عليه من الخيال . فينظر إلى قصص الأنبياء والرسل وأممهم على أنها من قصص الأدب الجمع . منهم أضفى على هذه الآراء من مظاهر البحث العلمي وتحريف القول . وبهنا تظاهر أصحابها بسلامة النية وحسن القصد .

(١) الفن القصص في القرآن - ص ١٢١ .

(٢) سورة البقره (الآية ٢٣) .

وإذا كان هناك بعض المفسرين رجع إلى روايات الإسرائيليين وخيال الفرس فملاً مؤلفه بهما - فإن هذا البعض لا يمثل العقلية الإسلامية وانطباعاتها - فإذا كان بعض المفسرين تحدث عن قصة (العبد الصالح) بخيال الإسرائيليين - فليس يعنى ذلك أنه يعتقد ما تقوله الرواية الإسرائيلية عن (إلياس) وخلوده : حقيقة . فإن جميع المفسرين يؤمنون بقوله تعالى : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد)^(١) .

وإذا كان بعض المفسرين : فسر القصص بما في المصادر الإسرائيلية - فإن تفسير المفسرين شيء ونص القرآن شيء آخر - فما جاء في التفاسير لا يمكن بوجه من الوجوه أن يكون حكماً على ما جاء في القرآن الكريم .

فالحكاية . أو القصة . أو الرواية . بالمعنى الذي احتكر هذه الكلمات اليوم - ليست بمثل قصص القرآن . فما جاء في قصص القرآن - حق ليس فيه شيء من حرية القصة الفنية التي تبيح للكاتب أن يقول ما لم يقل . ويتحدث بما لم يحدث - أما القصص الأدبية بجميع أنواعها تاريخية ، أو اجتماعية - (دراما) كما يقولون - فيها شيء من الجدية والألم ، أو (كوميدى) فيها الكثير من المرح والفكاهة - فهي التي تحررت من كل ما يلزم الخبر التاريخي .

٧ - قد يحاول بعض مؤلفي القصة الأدبية ، حياكة القصة بأسلوب القرآن - وقد تشبه القصة الفنية قصص القرآن في نهجها وموضوعها وألفاظها - ولكن إذا ما تلمسنا روعة القرآن التي تهز الشعور وتملأ القلوب - لا نجد لها في غير مواضع القرآن وقصصه . فأين قولهم : القتل أنفى للقتل من قوله تعالى : (في القصص حياة) ؟ ! فالذين يحاولون أن يجدوا مثيلاً لقصص القرآن وقصصه - يفعلون كما يفعل الشعراء عندما يذكرون في شعرهم بعض آيات من القرآن ليست من الشعر ولا الشعر منها .

وإذا كان البحث : في قصص القرآن وعلى أي أساس يجب أن نبني فهمنا عليه ، قد انتقل بنا إلى القصة في القرآن ، وهل فيها شيء من تحرر القصة الفنية ؟ فكذلك البحث في قصص القرآن سينتقل بنا إلى البحث في الأمثال التي جاءت في القرآن .

(١) سورة الأنبياء (الآية ٣٤) .

البحث الثالث :

الأمثال القرآنية

من صحيفة ٧١ إلى صحيفة ٧٦

من موضوعات البحث :

- ١ - في الأمثال حكمة وها قصص .
- ٢ - أمثال القرآن في رأى الباحثين .
- ٣ - القصص المثلية .
- ٤ - الأمثال التي لا تشير إلى حدث بالذات .
- ٥ - أمثال تحدثت عن أفراد ذكرهم التاريخ .
- ٦ - أمثال لا تشير إلى حدث أو شخص بالذات .

الأمثال القرآنية

١ - [] كثيراً ما نقرأ في كتب التاريخ والأدب أمثالا عربية . وكثيراً ما نجد في الأمثال العربية صوراً رائعة لما يسمى : السهل الممتنع . وكثيراً ما نلمس في تلك الصور الرائعة نصيحة مجرب . وإرشاد واعظ . وكثيراً ما تشير النصيحة إلى حدث جدير بالقارى أن يحذر من مغبة نتائجه . وكثيراً ما نجد بعض الأمثال التاريخية امتزجت بالخيال الفارسي والإسرائيلي والمسيحي - الذي دخل على التاريخ والأدب من الباب الذي دخل منه الفرس واليهود واليونانيون والروم إلى المجتمع العربي .

ومن الطبيعي : أن يهتم المؤرخون بالأمثال التي تشير إلى خبر تاريخي . ومن المتوقع أن يتخذ الخبر القصير الذي يتضمنه المثل : مجالاً للخيال - ولقد أطلق بعض الباحثين القدامى لأخيلتهم العنان في القصص التي ذكر فيها المثل . كالمثل الذي يعزى تارة إلى امرئ القيس الكندي . وتارة إلى المهلهل التغلبي : اليوم خسرت وغداً أمر .

٢ - وفي القرآن الكريم كثير من الأمثال الهادفة إلى موعظة وحكمة وإرشاد . وفي القرآن الكريم كثير من الأمثال اختلف الباحثون في فهمها وتفسيرها - فمهد الاختلاف في فهم الأمثال التي جاءت في القرآن : الطريق اظنون تشبه الظنون التي تكأكات على قصص القرآن والقصة فيه .

٣ - فمن أمثال القرآن التي تشير إلى قصة تاريخية - وصل إلى سمع الأمة التي خاطبها القرآن غوامض من أنبائها - قوله تعالى : (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما . فعززا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون)^١ - فالقرية معرفة لا نكرة . والقرية وأصحابها كما يظهر من كلمات هذه الآية - والله أعلم - معروفة عند العرب الذين كانوا يجوبون أرض

(١) سورة يس (الآية ١٤) .

الروم بتجارتههم ، فيسمعون قصصهم التاريخية - لذلك نرى أقوال المفسرين تكاد تجمع على أن القرية - هي : التي تسمى بعد الإسلام : (أنطاكية) ، ولذلك نرى أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية ، متأثرة بما في القصص اللاتينية واليونانية من خيال .

وهذا النوع من الأمثال أستمأه بعض المشتغلين بدراسة أمثال القرآن وقصصه : القصص المثلية - وقالوا عن القصص المثلية في القرآن : إنها نوع من القصة الفنية التي لا يلزمها الاعتماد على شخصية حقيقية ولا تنقيد بحدث - والفرق بين القصة في القرآن وبين قصة الفن الأدبي سبق الكلام عنه . فليس ثمة ما يدعو إلى التكرار .

٤ - ومن الأمثال التي ضربت في القرآن : أمثال لا تشير إلى حدث معين . ولكن ما فيها من ملامح تتوافر في ذات أو في مكان صرف الأذهان إلى الشخصية أو الأرض اللتين تتوافر فيهما الصفات التي يتضمنها المثل كقوله تعالى : (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان - فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)^(١) - فأوصاف هذه القرية تنطبق على مكة التي نعمت بدعوة إبراهيم فكان حرها مثابة وأمناء - وكانت شعابها أسواقاً تجارية - فكفرت برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فاستهدفت خصومة المسلمين - فبناء على ذلك جزم بعض المفسرين بأن هذه القرية - هي : مكة . غير متنبهين إلى تاريخ نزول هذه الآية . فهذه الآية من آيات سورة النحل ، وسورة النحل نزلت عندما كان محمد صلى الله عليه وسلم في مكة وعندما كان القرشيون لا يخافون تسلط المسلمين على غيرهم - وقال آخرون : إنها المدينة مستدلاً بوضعها عندما حاصرها الخارجون على الخليفة (عثمان بن عفان) - وفات هؤلاء : أن المثل أشار إلى حدث وقع قبل الإسلام ، فهو يحذر الذين خاطبهم ألا يتورطوا في مثل ما وقع لغيرهم^(٢) - أما القرآن فلم يقل : إن تلك القرية - هي : مكة أو المدينة . وإنما ضرب مثلاً ينطبق على كل قرية كانت في الماضي - آمنة مطمئنة فكفرت بنعمة الأمن وسعة الرزق فأذاقها الله لباس الخوف ، والجوع -

(١) سورة النحل (الآية ١١٢) .

(٢) راجع تفسير ابن جرير .

وعلى كل قرية تكون في المستقبل ناعمة مستقرة، فتكفر بأنعم الله وتنحرف عن الطريق المستقيم .

٥ - ومن أمثال القرآن - ما يشير إلى ذات معروفة في التاريخ كالمثل الذي جاء في هذه الآية (ضرب الله مثلاً للذين كفروا : امرأة نوح وامرأة لوط)^(١) - فامرأة (نوح) - وامرأة (لوط) معروفتان في التاريخ - ولقد سار المفسرون في تفسير هذا المثل وراء ما علموه من التوراة ووصل إليهم من قصص الغابرين .

٦ - ومنها ما لا يشير إلى ذات معينة كقوله تعالى : (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهرأً - هل يستوون ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)^(٢) - فاجتهد المفسرون في تفسير هذا المثل على النحو الذي فسروا به مثل - القرية الآمنة المتقدم . فعرف بعضهم العبدین وروى عنهما قصصاً - على أن ما جاء في هذه الآية : مثل ينطبق على الكثيرين في كل زمان وفي كل مكان - ففي كل زمان ومكان أغنياء وفقراء اتجهوا للعمل الصالح - الفقير بإيمانه والغني بإيمانه وماله - فهل يستوون - الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .

إن مواقف تلك الجماعة من المستشرقين الذين صادفتنا آراؤهم ونحن نبحث في القصة والتخصص في القرآن . من أمثال القرآن . تشبه مواقفهم في القصة وقصص القرآن . وإن أمثال القرآن - سواء ما كان منها يشير إلى حدث تاريخي . وما كان منها عاماً لا يتقيد بحدث أو شخصية تحدث عنهم، التاريخ - لا تتجاوز نطاق القصة والتخصص . فإند ضرب الله الأمثال للناس : مؤعظ للأفراد والجماعات - توجيههم إلى المستوى اللائق بإنسانية الفرد وكرامة المجتمع . وتبين لهم أسباب الانحلال التي تدفع الأفراد والجماعات من النور إلى الظلام . ومن الرجاء إلى الفقر . ومن الأمن إلى الخوف (وأن لو استقاموا على الطريقة لأستقيناهم ماء غدقاً)^(٣) - (مثله كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمة لا يبصرون)^(٤) - ولقد وجد الباحثون في أمثال القرآن - من شأنه أن يهديهم

(١) سورة التحريم (الآية ٩) .

(٢) سورة النحل (الآية ٧٥) .

(٣) سورة الجن (الآية ١٦) .

(٤) سورة البقرة (الآية ١٧) .

فيضاً من المعاني المشرقة - فأخذ كل باحث ينظر إليها بمنظاره - ويخلق معها بقدر
 طاقته العلمية - فمنهم من لم يخطئ في فهم المثل والقصة والقصص - وجانب
 التوفيق الذين قصر إدراكهم عن فهم مقاصد القرآن . في مثله وفي قصته وفي قصصه .
 وهذه سنة الله في خلقه - ففي المدارس والجامعات : طلبة نوابغ وآخرون ذوو عقول
 مغلقة لم تفاح محاولات المعلمين في فتحها . وفريق في مكان وسط (ولو شئنا
 لآتيناه كل نفس هداها)^(١) - فلو كان الناس في درجة واحدة من النبوغ لما كان
 ناموس الحياة على ما هو عليه منذ خلق الله الناس .

٤

(١) سورة السجدة (الآية ١٣) .

البحث الرابع :

النص القرآني صدق النصوص

من صحيفة ٧٧ إلى صحيفة ٨٠

من موضوعات البحث :

- ١ - النص القرآني يشير إلى حقائق .
- ٢ - الشكوك التي تحوم حول القصص اليوم هي شكوك الماضي نفسها .
- ٣ - إن قديم الشكوك وجديدها ليس فيها ما يقنع .
- ٤ - لماذا أظان البحث الوقوف أمام هذه الشكوك ؟

النص القرآني أصدق النصوص

١ - لأن اختلفت الطرق بالباحثين . ولئن تطورت معارف المحققين في قصص القرآن وأمثاله مع تطور الزمن وتطور الثقافات ومع تدرج عقل الإنسان واتساع آفاقه - إن قصص القرآن : خبيراً ومثلاً - ما زال يشع بحقائق لم تذهب عنها بعيداً العقول التي تحلق في أجواء السماء لتعرف : ما في هذا الكون العظيم . وتتوغل في بطن الأرض لتعرف : تاريخ أمم العصور الغارقة في القدم . فلقد علم المخلوقون في السماء : أن الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون . وعلموا : أن هذه الجبال الشامخة تدور مع الأرض فتدور مع دورة الأرض مر السحاب !! وعلم المنتقبون في أعماق الأرض : ما كانت عليه صحارى الجزيرة العربية في عصورها الخوالي - فرجع الكثيرون عن إنكارهم ما جاء في القرآن من أنباء الماضي وأمه مثل : قوم (عاد) و (ثمود) . وما كان لهم من مال وبنين . وجنات وعيون . وبأس شديد . عندما شاهدوا معالم ذلك على آثارهم . وعندما اكتشفوا : كانت عليه حياة (الجرهميين) في أرض (الخليج الإسلامي - العربي) وما كان عليه (دادي القرى) وأرض (اليمامة) و (بلاد حضرموت) و (معين) و (سبأ) في اليمن ورومان (سينا) - من عمران ونشاط اقتصادي وفرح حياة وارفة الظلال لعالم ذلك الزمن العظيم .

٢ - إن الشكوك التي استعرضناها في كلامنا عن القصص . والتقصص . والآيات في القرآن . واستعرضنا معها أدلتها . والتي تحاول أن تصرف العقول الإسلامية عن فهم القرآن . على أساس من التاريخ إن فهمه على أساس من الفن الأدبي لا يخرج من الحقائق - هي : شكوك لا تستند إلى غير شكوك تشبهها أنكرها . وما جاء في القرآن عن كلام عيسى في المناء . أنكرها . وما جاء في سورة (طه) أنهم قتلوا المسيح : (إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) ولا تستند إلى غير منطق المستشرقين الذين أصروا على أن قصة موسى في سورة (طه) غير القصص (١) راجع بحث (إرم ذات الجعد) في الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٢٠٩-٢١٠)

التي في سورة (النمل) – والذين أصروا على أن (هامان) الوزير في عصر الفراعنة كان بعد عصر موسى وفرعون – لأن التوراة والمؤرخين في عصر الفراعنة – لم يذكروا أنه كان يوجد وزير اسمه (هامان) في عصر فرعون موسى .

٣ –

وإن هذه الشكوك قديمها وجديدها – لا تملك من الأدلة ما تقنع الباحث في التاريخ : أن قصص القرآن لا يتحدث عن حقائق تاريخية – إننا إن وقفنا حيارى حيال المتشابه من القرآن . والذي لم تصل إلى حقيقة معارفنا كما وقفت معارف الذين من قبلنا حيال قوله تعالى : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب)^(١) . وقوله تعالى : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض – فانفذوا – لا تنفذون إلا بسلطان)^(٢) . فليست حيرتنا معناها : الشك فما زال الإنسان يسير في الأرض فينظر كيف كانت عاقبة الذين من قبل . ويخلق في السماء يتفكر في خلق السماوات والأرض . وما زالت حقائق القرآن تتجلى فيؤمن بها الذين يدرسون القرآن من دون خصومة وحقد – إيماناً نابعاً من اقتناعهم بأن ما في القرآن ليس من شطوط الخيال ولا من فنون القصص الفنية .

٤ –

وبعد . . . فإنخالك أيها القارئ قد عرفت وجهة البحث في قصص القرآن . وعرفت : أني لست من الذين يشكون في خبر من أخبار القرآن . ولست ممن يعدون : أن القرآن في قصصه – قصد تحرر القصة وسار على طريقة الفن الأدبي . فيما قصد من أنباء الغيب ، ولست من الذين يخطئون العقلية الإنسانية لأنها فهمت القصص على أساس من التاريخ . ويقولون : كان الأجدر بها أن تفهم ما جاء فيه عن الأنبياء والرسل وأممهم على أساس أنه قصص أدبي أولاً وآخرأ . . .

فهذا أنا أضع القصص القرآني في مقدمة النصوص : لأنه أصدقها . وهذا أنا أعتمد على كل ما حدثنا به من أنباء ماضي البلاد العربية وأممها . وإنني أصارح القارئ بأنني لم أطل الوقوف أمام تلك الشكوك إلا لأزيلها عن القصص القرآني وأستجلى حقيقة الأخبار التي جاءت فيه – وأبين سلامتها من الخرافة والخيال . وأحدد موقف هذا الكتاب من نصوص القرآن . والله أسأل أن يجنبنا خطأ الفهم ويهدينا إلى سواء السبيل .

(٢) سورة الرحمن (الآية ٣٣) .

(١) سورة النمل (الآية ٨٨) .

الفصل الثالث

الأسفار والتراث القديم

من صحيفة ٨١ إلى صحيفة ١٣٤

الموضوعات :

- ١ - الأسفار مصدر من مصادر التاريخ . من صحيفة ٨٣ إلى ١١٠
- ٢ - المؤلفون في التاريخ قبل الميلاد وبعده . من صحيفة ١١١ إلى ١٣٤

تاريخ العرب و بدايتهم

البحث الأول :

الأسفار مصدرة من مصادر النابج

من صحيفة ٨٣ إلى صحيفة ١١٠

من موضوعات البحث :

- ١ - معجم الأسفار .
- ٢ - التوراة بين المتطرفين والمعتدلين .
- ٣ - رأى الرواد العرب فى تحريف التوراة .
- ٤ - أسباب التحريف .
- ٥ - استغلال اليهود موقف المسلمين من التوراة .
- ٦ - ما هى حقيقة الأسفار ؟
- ٧ - أدلة التحريف فى الأسفار .
- ٨ - الأسفار فى نظر المؤرخين .
- ٩ - رأى اليهود فى الأسفار .
- ١٠ - الفرق بين الناسخ والمنسوخ فى القرآن والمؤول واخريف فى الأسفار .
- ١١ - موقف الرواد المسلمين من الأسفار .
- ١٢ - كيف حافظ المسلمون على القرآن وفرد اليهود فى الأسفار ؟
- ١٣ - آراء مستشرقة بالغت فى الشك . وآراء عربية تمسكت بشكوك المستشرقين .
- ١٤ - رجوع المستشرقين عن المبالغة فى شكوكهم .
- ١٥ - ما فى الأسفار لا يخلو من المبالغة والخيال . والمؤرخ العربى مغال فى النقل عنها .
- ١٦ - نتائج البحوث المتعددة فى التحقيق .
- ١٧ - ليس لنا : أن نرفض أخبار الأسفار بدون دليل .
- ١٨ - بيان بأسماء الأسفار وعددها .

الأسفار مصادرها والتاريخ

١ - السفر بكسر السين : الكتاب . ويطلق على الكتاب الكبير . وقيل - هو : جزء من التوراة ، وجمعه أسفار . والسفيرة بفتح السين المشددة : الكتابة . والكلمة نبطية^(١) .

فالسفر الواحد جزء من التوراة ، والتوراة - هي : الأسفار التي تنسب إلى (موسى) . والأسفار التي تنسب إلى موسى - خمسة : (التكوين) و (الخروج) و (اللاويين) و (العدد) و (التثنية) - وهذه الأسفار الخمسة هي : قسم من مجموع أسفار بني إسرائيل . ولكل سفر - عنوان خاص به . وكل سفر من التوراة ينقسم إلى عدة دراسات - و (الدراسة) معناها : السورة . وتنقسم كل دراسة إلى عدة أسبوقات و (الأسبوقه) معناها الآية^(٢) .

وأسفار بني إسرائيل قسمها الباحثون - إلى قسمين :

الأول : العهد العتيق - وهو : أسفار ما قبل (عيسى بن مريم) .

والثاني : العهد الجديد - وهو أسفار ما بعد (عيسى بن مريم) - ومجموع

العهدين : العتيق والجديد - يسمى (بيل) : وبيل - اصطلاح يوناني^(٣) .

واختلف الباحثون في عدد كتب العهد العتيق . فقلنا بعضهم : إنها سبعة

وأربعون سفرًا^(٤) . وأحصاها بعضهم حسب النسخة (البروتستانتية) فبلغت تسعة

وثلاثين سفرًا . وأحصاها حسب النسخة (الكاثوليكية) فبلغت ستة وأربعين سفرًا^(٥) .

واسم التوراة عبري الأصل - ومعناه : التماثون^(٦) . أما الإنجيل

(١) لسان العرب ٤ / ٣٧١ .

(٢) النهيت ص ٣٤ .

(٣) كتاب إنهار الخن ١ / ٥١ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٥١ و ٥٢ .

(٥) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٦ .

(٦) دائرة معارف فريد وجدى ٢ / ١٠٢ .

يوناني أصله : (إنكليون) ومعناه : البشارة والتعليم - وقد أطلق اسم (الإنجيل) أولاً على أربعة أسفار - هي : (إنجيل متى) و (إنجيل مرقس) و (إنجيل لوقا) و (إنجيل يوحنا) - ثم أطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد . مثلما أطلق اسم التوراة على أسفار العهد القديم مجازاً^(١) .

وكتب العهد الجديد - هي أيضاً تنقسم إلى قسمين :

الأول : عدده عشرون سفرراً .

والثاني : عدده سبعة أسفار وبعض الفقرات من الرسالة .

٢ - والأسفار من الموضوعات الشائكة التي يستلزم البحث فيها : دراسة دقيقة متأنية نزيهة ، فالبحث في التوراة ، والبحث في الإنجيل مازالا موضوع نقاش شائك ، والنقاش في التوراة والإنجيل ، أو بقول أعم : البحث في الأسفار - ما فتئ يختلف موضوعه ، ويختلف نهجه وطبعته تبعاً لعقيدة الباحث وعقليته ، والمصادر التي يعتمد عليها - فمن الباحثين من ينظر إلى (موسى) وأنبياء بني إسرائيل من بعده نظرة احترام وإجلال - فيقف موقف الحذر المتروي مما ينسب إلى الأنبياء والمرسلين - ومن هؤلاء : علماء المسلمين الذين يؤمنون بما أنزل على (موسى) و (عيسى) وغيرهما من الأنبياء والرسل ، ومن الباحثين من تجاوز شكه : كتب موسى وعيسى - إلى حقيقتهما ، فهو يشك في وجودهما ، ومن هؤلاء : بعض المستشرقين الذين أطلقوا للشك عقاله وألقوا حبل التهم على غاربها ، فوضعوا توراة موسى وإنجيل عيسى مع القصص الخرافية واتهموا (سليمان) و (داود) بما يبرأ منه سليمان وداود .

٣ - فالرواد القدامى من المسلمين ، تقيدت أكثريتهم برأى (ابن عباس) في التوراة . وما يقال عن التبديل والتفسير فيها - فمن رأى ابن عباس : أن تبديل الكلم عن مواضعه : تحريفه - بالتفسير والتأويل اللذين اختلطا بنص التوراة بصورة جعلت من العسير تمييز ما هو من توراة موسى مما هو من تفسير أحبار اليهود ، ويستشهد لرأيه بقوله تعالى : (وعندهم التوراة فيها حكم

(١) كتاب إظهار الحق ١ / ٥٢ و ٥١ .

الله) فلو أنهم بدلوا من التوراة ألفاظها لم يكن عندهم التوراة التي فيها حكم الله^(١) -
 مما جاء في تفسير قوله تعالى : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) -
 أى : وعندهم التوراة فيها « حدود الله »^(٢) ، وفي تفسير قوله تعالى : (قل : من
 أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس ؟ تجعلونه قراطيس تبدونها
 وتخفون كثيراً)^(٣) - أى : أن الأحبار من اليهود احتفظوا بكتاب موسى في قراطيس
 فأبدوا بعضها وأخفوا كثيراً منها .

فما جاء في هذه الآيات الكريمة - يدل : على أن اليهود دونوا الكتاب الذي جاء به
 موسى ، وأنهم كانوا في عصر نزول القرآن يبدون بعضه ويخفون بعضه . ومن الطبيعي :
 أنهم يبدون ما يرونه في مصاححة موقفهم من الإسلام والعرب : وما يرونه يسوغ
 أخطاءهم التاريخية فهم يكتمون ما قاله (يوشع) عن قتلهم (موسى)^(٤) . ويجهرون
 بتكذيبهم (عيسى) ومحاولة اغتياله - ويؤولون - ما لا بد لفهمهم من تأويله .
 ولقد حذر القرآن الكريم^(٥) اليهود الذين كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا
 من عند الله يشترون به ثمناً قليلاً من مغبة ما يفعلون - فلا شك في أن (ابن خلدون)
 أحسن الظن في أسباب التأويل عندما قال : [فتطرق من الغفلة وعدم الضبط
 وتحريف من لا يحسن الكتابة . بنسخها . وذلك يمكن في العادة لا سيما وملكهم قد
 ذهب وجماعتهم انتشرت في الآفاق . واستوى الضابط منهم وغير الضابط . والعالم
 والجاهل . ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك]^(٦) .

٤ - والذي يبدو على كلام (ابن خلدون) : أنه متحسس لما في الأسفار
 من تاريخ - فهو لا يريد أن يدخل عليها ما ينجم عن تعدد التأويل من
 شكوك . فالتأويل لم يكن نتيجة لهذه الأسباب فحسب - بل هناك أسباب أعمق
 من الغفلة وعدم الضبط انساق معها الأحبار فأكثروا التأويل المتعدد . الأسباب

(١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٨ .

(٢) سورة المائدة (الآية ٤٢) . وتفسير الطبري ٦ / ١٦٠ .

(٣) سورة الأنعام (الآية ٩١) . وتفسير الطبري ٧ / ١٧٨ .

(٤) مجلة الهلال عدد ٧٢ السنة السابعة والسبعين أول يولية سنة ١٩٦٩ .

(٥) تفسير ابن جرير ١ / ٣٠٠ وما بعدها .

(٦) تاريخ ابن خلدون ١ / ٨ .

منها : مسايرة عالم ذلك الزمن في تأليه الرجال الصالحين والعظماء البارزين ، فما جاء في الأسفار عن تأليه عيسى أدخل عليها جريماً مع العقائد السائدة في ذلك الزمن - فهل نزل على نبي من أنبياء بني إسرائيل : أن عزيزاً ابن الله؟! ومنها السير مع أطوار الحياة والتكيف مع الأحداث - فما جاء في الأسفار من تنبؤات ودفاع عن الإسرائيليين انطبع بطابع عقلية الأمم التي جاورها الإسرائيليون والأحداث التاريخية .

٥ - فليس من شطط الظنون - أن افترضنا : أسباباً كثيرة للتأويل - فلقد فطن اليهود في صدر الإسلام - لما جاء في القرآن عما نزل على الأنبياء (قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)^(١) - فاستغلوا موقف المسلمين المعتدل من الأسفار ، وإقبالهم على ما يظنون : أنه جاء فيها من أخبار الأمم التي ذكرها القرآن وعن أنبيائها - فنسبوا قصصهم الشعبية إلى الأسفار . فنقلها البعض بدون تحقيق ، وحققتها الأعلام ، فرجعوا عن بعض ما روه عنها كما ثبت عن (ابن عباس) وغيره^(٢) .

فكثير من الروايات المنقولة عن الإسرائيليين - تدل على أن قدامى المسلمين شغلوا بمعرفة أحكام القرآن في العبادات أكثر مما شغلوا بقصص القرآن وأخباره ، وشغلوا بتحقيق الأحاديث النبوية وأقوال التابعين التي تخص السيرة والمغازي - عن التحقيق فيما يرويه العبرانيون من أخبار بني إسرائيل ومن سبقهم من أمم العالم القديم . فطفقوا يروون عن الأخبار بكثير من التسامح - وهذا هو السر في تناقض الروايات التي جمعها (ابن جرير) في تفسيره وفي تاريخه ، فلقد جمع ابن جرير عن قصة (الذبيح) روايات متناقضة أسندت إلى مصدر واحد - فلقد جاء في تفسيره : أن (ابن عباس) قال عن الذبيح : إنه (إسحاق) - ثم قال : [إن المفدى - إسماعيل ؛ وزعمت اليهود : أنه إسحاق وكذبت اليهود] .

ولم يذكر لنا ابن جرير - متى قال ابن عباس : إنه إسحاق ؟ ومتى قال :

(١) سورة البقرة (الآية ١٣٦) .

(٢) راجع ترجمة ابن عباس في هذا الجزء .

إنه إسماعيل؟ — بيد أن المتتبع لقصة الذبيح ورأى المؤرخين الإسلاميين فيه — يجد : أن رواية كعب التي نقلها أبو هريرة : [قال كعب لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم ؟ إنه الذبيح الذي رأى إبراهيم : أن يذبحه] — انتشرت بين المفسرين والمؤرخين — دون أن يهتم أحد بتحقيقها . ولعل ابن عباس — هو من الأوائل الذين حققوا في هذه الرواية التي كان هو نفسه من رواتها . فرجع عنها — كما رجع عنها (ابن عمر) . وأخذت الرواية الأخيرة تنتشر بين مفسري القصص مثل : (الشعبي) و (ابن جبير) و (ابن مهران) و (مجاهد) و (ابن أبي رباح) . وغيرهم من الذين رووا عن ابن عباس — قوله : إنه إسماعيل .

ولقد استمرت قصة الذبيح ورواية الإسرائيليين لها : موضوع نقاش وتحقيق . فلقد نقل (ابن جرير) رواية أسندها إلى (محمد بن كعب القرظي) . الذي يروي : أن الذبيح — هو : إسماعيل — جاء فيها : أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز . وهو خليفة ، وأن (عمر بن عبد العزيز) قال له : هذا الشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما هو — وإنه سأل : من حسن إسلامه من اليهود . فأجاب : أنه (إسماعيل) — وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يخسرون العرب على أن يكون لأبيهم الفضل الذي ذكره الله فزعموا : أنه إسحاق . لأن إسحاق أبوه^{١١} .

فالذي يبدو واضحاً من قصة الذبيح : أن من أسباب التأويل والتحريف : الدوافع العنصرية التي جعلت (يوسفس — يوسف) يقول من قبل : إن الحكموس — هم : بنو إسرائيل^{١٢} . وإن أغلبية اليهود استغلت اقتناع الرعيل الأول من المسلمين — بالخبر الذي يسند إلى التوراة . وإن أكثرية ذلك الرعيل كانت تتلف أمام ما يرويه الأحبار عنها . وقف (عمر بن عبد العزيز) وإني لأراه كما هو !
على أن رأى (ابن خلدون) لا يبعد عن الواقع فكثير من اليهود في ذلك الزمان على عدم التبسط ورداءة نسخ بعض الأسفار فيرجلون أجوبة من بعض ما كان يسألهم عنه المؤرخون في العصر الإسلامي . فأولئك أو مفسرين بما تهوده أنفسهم ووصلت إليه مداركهم وسألهم على التأويل والتفسير : أنهم كانوا

(١) تفسير ابن جرير جزء ٢٣ / ٥١ إلى ٥٥

(٢) الحضارة المصرية ص ٢٦٦ .

يقرءون الأسفار بالعبرانية ويفسرونها بالعربية^(١)، وكثير من اليهود كانوا أميين يكذبون الرسل ولا يصدقون الكتب ولا يعلمون من التوراة شيئاً، وإنما كانوا يتحدثون بالظن وبما تجنح إليه أمانيتهم^(٢).

ولقد جاء في الفهرست لابن النديم: [قرأت في كتاب وقع لي قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة (المأمون) ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها، وأكثر الحشرية والعوام يصدقون به ويعتقدونه - وقال (أحمد بن عبد الله بن سلام) ترجمت صدر هذا الكتاب، والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئة - وهي لغة أهل الكتاب - إلى اللغة العربية حرفاً حرفاً، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص^(٣) - وجاء في الطبقات: أن (عامر بن عبد الله بن عبد القيس) كان يستمع في مسجد بالشام إلى (كعب) يقرأ له سفرًا من أسفار التوراة^(٤).

وما جاء في الفهرست وفي الطبقات - يؤكد لنا: أن حرص المسلمين على حرفية ما ينقلونه من الأسفار إلى اللغة العربية - ليس بأقل من حرصهم على سماع ما يرويه الأخبار ونقله حرفياً - وهذا الذي جعل القصص اليهودي ينتشر كما هو بين العامة، ويصدقه ضعاف المؤرخين، ويوضح لنا: أن الأسفار دونت بلغات وخطوط عبرية وإرمية ويونانية، والنقل من لغة إلى أخرى لا بد أن يصحبه التأويل والتفسير - كما قلت من قبل.

ونحن إذا ما رجعنا إلى معلومات العرب الجاهليين عن الأسفار - نجدها معلومات مشوشة وصلت إليهم من الذين جاوروه في أرض الجزيرة من يهود ومسيحيين، ونجد العربي الجاهلي ينظر إلى ما في أيدي الرهبانيين والأخبار:

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ٦ .

(٢) تفسير ابن جرير ١ / ٢٩٦ .

(٣) الفهرست ص ٣٢ و ٣٣ .

(٤) الطبقات ٧ / ١١٠ .

نظرة احترام تمنعه من أن يجادل فيها ، وإذا ما رجعنا إلى معلومات الباحثين في الأسفار - نجدهم : يسألون عن الأسفار اليهود والنصارى . ونجد ما يُدعى به إليهم اليهود والنصارى ، يشير إلى اختلاف اللغات التي دونت بها الأسفار . ويشير إلى تفسير المفسرين وتأويل المؤلفين اللذين اختلطتا بنصوص الأسفار التي تسند إلى (موسى) و(عيسى) ومن جاء بعد موسى ، ومن جاء بعد عيسى من أنبياء بني إسرائيل والتلامذة - اختلاطاً يجعل تمييز الأصل من المؤلف والتفسير من المتن : من أصعب الصعاب : فلقد جاء في الفهرست لابن النديم : [سألت رجلاً من أفاضلهم عن التوراة التي في يد اليهود وعن أسماء كتبهم - فقال : أنزل الله جل اسمه على (موسى) - التوراة وهي : خمسة أحماس - وقال : لموسى كتاب يقال له (المشنا) ومنه يستخرج اليهود : علم الفقه والشرائع والأحكام . وهو كتاب كبير - ولغته (كسداني) و (عبراني) . ومن كتب الأنبياء بعد ذلك : كتب (يهوسع) و (سفيطي) و (شمويل) و (سفر أشعيا) و (سفر إرميا) و (سفر حزقييل) و (ملخي) وهو سفر داود وأصحابه ويعرف بتفسير ملخي الملوكة و (الأنبياء) وهو اثنا عشر سفرًا صغيراً . ولهم كتب يقال لها : (بطارات) مستخرجة من كتب الأنبياء الثمينة . ومن كتبهم : (عزور) و (دانيال) و (أيوب) و (سيرسيرين) و (أخا) و (روث) و (قوهلت) و (زبور داود) و (أمثال سليمان) و (ديوان الأيام) فيه سير الملوك وأخبارهم (وحشوارش) ويسمى (الجلجلة) . ويقول ابن النديم إن [سعيد الفيومي ألف عدداً من الكتب لها قيمتها بين الأسفار منها : كتاب (العبور) وهو التاريخ] .

وعن الإنجيل وأسماء كتب علماء النصارى ومصنفهم سأل ابن النديم (يونس القس) عن الكتب التي يفسرونها ويعملون بها مما خرج إلى اللسان العربي . فقال له يونس : [من ذلك كتاب (الصورة) وينقسم إلى قسمين : الصورة العتيقة . والصورة الحديثة . وزعم : أن العتيقة - هي : السند القديم على مذهب اليهود ، والحديثة على مذهب النصارى . قال : والعتيقة تستند إلى عدد من الكتب أولاً : (التوراة) - وهي : خمسة أسفار - كتاب (محتوى) ويحتوي على عادة كتب منها : كتب (يوسع بن نون) و (الأسباط) وهو كتاب القضاة . و (شمويل)

و (قضية داود) و (أخبار بني إسرائيل) و (قضية رعوث) و (سليمان بن داود) في الحكم و (قوهلمت) و (سيرسيرين) و (حكمة هويسع بن سيرين) و (الأنبياء) ويحتوى على أربعة كتب (أشعيا النبي) و (إرميا) و (الاثنى عشر نبياً) او (حزقييل) — وكتاب الصورة الحديثة ويحتوى على الأناجيل الأربعة : (إنجيل متى) و (إنجيل مرقس) و (إنجيل لوقا) و (إنجيل يوحنا) — وكتاب (الحوارين) ويعرف باسم (فراكسيس) وكتاب (بولس السليح) أربعة وعشرون رسالة — إلى غير ذلك من كتب في الفقه والأحكام [(١)] .

ف هذه الكتب التي ذكر أسماءها ابن النديم استناداً إلى من وثق بهم — يبدو من عناوينها التي جاءت أولاً عن اليهودي الذي قال عنه ابن النديم : (من أفاضلهم) وثانياً : عن يونس الذي قال عنه ابن النديم : وكان فاضلاً — : أن نسخها تعدد في أزمنة متفاوتة ولأسباب متعددة . وتفاوت أزمنة التدوين ، واختلاف اللغات وتجدد العناوين — يبعث أمام الباحث مختلف الظنون . بيد أنني لا أستطيع أن أقول : إن تعدد العناوين التي اتسمت بها الأسفار — مثل : سفر (التكوين) الذي أطلق عليه اسم (الخليقة) و (المشنا) التي جمعت أخيراً ونسبت إلى (موسى) — وتعدد اللغات واختلاف الأسلوب باختلاف البيئات والزمن — نشأ عنه تحريف المدونين والمفسرين وتأويل المؤلفين — لأنني لم أطلع على جميع نسخ الأسفار حسبما يستلزمه إبداء الرأي فيها — لذلك أترك القول لمؤلف كتاب (إظهار الحق) — فؤلف الكتاب (٢) (رحمة الله) كما يبدو في بحثه — من نوابغ القرن الثالث عشر من الهجرة الذين أضافوا إلى دراساتهم الإسلامية : الاطلاع على الأسفار وأبدى تفهمًا لمنطق الآراء التي لا تقنع بغير الدليل المادي ، فزادتهم المعرفة إيماناً وعلمًا كان لهما أثرهما في إظهار الحق . ولقد كان رحمة الله في كتابه — حريصاً على أن تكون أدلته من الأسفار ، ومن المؤلفات اليهودية والمسيحية التي بحثت في حقيقة الأسفار . وكان واضحاً في بيان الحقائق التي استهدفها ، والتي كان في مقدمتها :

(١) فهرست ابن النديم ص ٣٤ و ٣٥ .

(٢) يتضمن كتاب إظهار الحق مناظرات جرت بين مؤلفه وبين بعض القسس في الآراء التي تجعل النسخ في القرآن يشبه التأويل في الأسفار . ورحمة الله ليس هو : رحمة الله السندی صاحب المؤلفات الفقهية المتوفى سنة ٩٩٣ هـ .

الفرق بين المنسوخ في القرآن والمؤول في الأسفار . وكان مستوعباً في نقاشه كل ما يفيد المؤرخ الذي تفرض عليه بعض القضايا التاريخية : الرجوع إلى نصوص الأسفار - فهو قد ناقش كل سفر نقاشاً خاصاً به . وبين الأخطاء التي على المؤرخ ترقى الوقوع فيها - لاسيما التي تخص الأمم العربية والأرض العربية .

فمن الأخطاء التي بينها : إحصاء بني إسرائيل عندهما هاجروا إلى فلسطين - فلقد كان ذلك الإحصاء من اجتهاد مفسري التوراة والمؤلفين الذين فسروا برأيهم نصوصها - ومن الأخطاء التي اتخذها رحمة الله : دليلاً على زيادة المفسرين المؤولين في توراة موسى - ما جاء في سفر الخليفة : [وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض (آدوم) قبل أن يملك لبني إسرائيل (فما عزي إلى (موسى) يدل على أنه قيل بعد أن ملك بنو إسرائيل ، وبنو إسرائيل لم يملكوا إلا بعد وفاة موسى بثلاثمائة وستة وخمسين عاماً]^(١) . إلى كثير من الأخطاء التي جاءت في الأسفار . ومما قيل عن اختلاف الكنائس في نسخ الأسفار التي دونت قبل المسيح . والتي دونت بعده مما لا يلزم في بحث مصادر التاريخ العربي : الحديث عنه . فلذلك تراني أترك للقارئ المستزيد : حرية الرجوع إلى كتاب (إظهار الحق) لافتتاً نظره إلى أن مؤلفه استهدف : الدفاع عن القرآن وإظهار الفرق بين النسخ والمنسوخ في القرآن وبين المؤول والمحرف في الأسفار في جدل احتدم بينه وبين بعض التفسيريين في الهند . ولذلك تراني اقتطفت من الكتاب ما يخص التاريخ . وتراني قبل أن أتكلم عن الفرق بين المنسوخ في القرآن وبين المؤول في الأسفار بقدر ما يستدعيه البحث . أستعرض معك آراء الذين عثموا بالتاريخ في الأسفار ليسير البحث حسب الخطط المرسومة لهذا الكتاب .

٨ - فلقد عقد (محمد دروزة) في كتابه (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) فصلاً خاصاً بتعريف الأسفار جاء فيه : [أن أسفار العهد القديم التي كانت مستند هذا الكتاب - منها : ما هو تاريخي من الدرجة الأولى مثل : (شكوتين) و (الخروج) و (العدد) من الأسفار المنسوبة إلى (موسى) . ومثل : (يشوع) و (القضاة) و (شمويل) و (الملوك) و (أخبار الأيام) و (إستير) و (عزرا)

(١) كتاب إظهار الحق ١ : ٦٣ ، ٢٣٩ .

و (نحميا) و (دانيال) و (إرميا) و (راعوث) و (يهوديت) و (طوبيا) –
و (المكابيين) فهذه الأسفار تربط بين سيرة ووقائع بني إسرائيل – بل آبائهم –
وبين ساوكلهم الديني!]

وتوضح لنا مقدمة كتاب دروزة : وجهة المؤلف ، فغرض المؤلف من كتابه
– هو : فضح المزاعم اليهودية بصورة أوضح من الصورة التي رسمها (المطران الدبس)
في مؤلفه (مقالة في العبرانيين) فلتحقيق هذا الغرض حرص على كشف المغالطات
التي دسها المفسرون والمؤلون في أسفار أنبياء بني إسرائيل ونسبوها إلى أسفار ليس لها
وجود^(١).

ويؤكد دروزة – كغيره : [أن في أسفار (موسى) عبارات كثيرة تدل على
أن هذه الأسفار لم تكتب من قبل موسى ولا في أيامه ولا بإملائه – وإنما كتبت
بعده بأقلام كتاب عديدين ، وفي أزمنة مختلفة ، وقد تكون كتبت بعده بمدة
طويلة – بل قد كتبت أو أعيدت كتابتها – بعد سبي بني إسرائيل من أورسليم –
القدس . وعودتهم من السبي في القرن السادس] . ويفرض (محمد دروزة) –
على بقية الأسفار مثل هذا الفرض – عندما قال : [وما قلناه عن الأسفار الخمسة
يصح أن يقال : بالنسبة لمعظم الأسفار التي تحتوى على أحداث ما قبل السبي ،
وخاصة التاريخية منها]^(٢).

وجاء في كتاب الروم وصلاتهم بالعرب تأليف (أسد رستم) عن الإنجيل :
[ويستدل من أقوال بعض الآباء : أن (متى) تولى تبشير اليهود فكتب إنجيله لهم
باللغة (الآرامية) بينما كان (بطرس) و (بولس) يعملان في رومة (٥٠ – ٥٥)
وفي تضاعيف هذا الإنجيل – ما يدل على أنه كتب لليهود – فهناك سند
طويل ينسب السيد المسيح بداود الملك ، وثمة تفاصيل تجعل من سيرة المسيح
تكلمة لنبؤات التوراة – وأن بطرس الذي كان يبشر في (رومة) يجهل اللغة
(اليونانية) ولا يعرف سوى (الآرامية) لذلك استدعى (يوحنا) ليترجم له بين
الرومانيين – وأن (بولس) التحق به (مرقس) : من يهود قبرص كان يتكلم اليونانية

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم : المقدمة ص ٦ و ٩ وما بعدها .

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٦ .

ويقرأ ويكتب بها - فدون سيرة (المسيح) بعد وفاة (بولس) ^٢ بدون الترتيب الذي اتبعه المسيح في أعماله وأقواله - وحسب رواية (بطرس) الذي نكلم بحسب ما دعت إليه الحاجة ودونما تقييد بتسلسل الأحداث - أما سفر (متى) فقد ضاع الأصل الآرامي وبقيت ترجمته إلى اليونانية [^(١)] .

وجاء في كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد على عن (التوراة) و (التلمود) وصلتهما بالتاريخ العربي [وقد جاء ذكر العرب في مواضع كثيرة من أسفار التوراة ، والتوراة : مجموعة أسفار كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة - كتبوا أكثرها في فلسطين - وأما ما تبقى منها - مثل : سفر (حزقيال) و (المزامير) فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي ، وأقدم الأسفار - هو : سفر (عاموس) ويظن : أنه كتب حوالي سنة ٧٥٠ ق . م - أما آخر ما كتب منها - فهو : سفر (دانيال) - والإصحاحان : الرابع والخامس من سفر (المزامير) وقد كتبت هذه في القرن الثاني قبل المسيح] . ويقول جواد على : [وهناك نوعان من التلمود : التلمود الفلسطيني - الأورشليمي ^(٢) - كما يسميه العبرانيون اختصاراً . وضع كما يفهم من اسمه في فلسطين . وقد تعاونت على تحرير هذه الشروح والتفاسير المدارس اليهودية في الكنائس (الكنيس) - وأقدم صورة من صورته في أواسط القرن الثالث الميلادي . وقد أضيفت إليه بعد ذلك شروح وتفسيرات عدة إلى أن اتخذ هيئته النهائية في القرن الرابع الميلادي . والنوع الثاني : التلمود البابلي - فقد بدأ بكتابته الحبر (آشي) المتوفى سنة ٣٤٠ ميلادية . وأكمله الأحرار من بعده إلى أن اتخذ صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد . ولكل من التلمودين طابع خاص به - هو طابع البلد الذي وضع فيه . ولذلك يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث - أما التلمود البابلي فيضهر عليه الطابع العراقي الحر . وفيه عمق في التفكير وتوسع في الأحكام والمحاكمات . وغنى في المادة . وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني - وقد وردت في (التلمود) إشارات إلى العرب وتفيدنا إشاراته في تدوين تاريخ العرب لأن التلمود مكمل لأحكام التوراة . أما

(١) الروم وصلاتهم بالعرب ١ / ٤٠ وما بعدها .

(٢) يفهم الكثيرون : أن اسم أورشليم - أي القدس - سم عبري . والحقيقة أنه اسم

عربي أصله : (أورشليم) وسليم هو مؤسس مدينة القدس .

الفترة بين الوقت الذي انتهى فيه من كتابة التوراة والوقت الذي بدأ فيه بكتابة التلمود
 فيمكن أن يستعان في تدوين تاريخها بعض الاستعانة بالأخبار التي ذكرها المؤرخ
 اليهودي (يوسف - يوسفوس فلافيوس) الذي عاش بين (سنة ٣٧ - ١٠٠) ^(١)
 للمسيح تقريباً ، ففي كتبه معلومات ثمينة عن العرب وأخبار مفصلة
 عن العرب (الأنباط) لا نجدتها في كتاب آخر قديم - لا أنه عاصرهم بيد أنه لم
 يهتم بهم إلا من ناحية علاقتهم بالعبرانيين - ولم تكن بلاد العرب عنده إلا مملكة
 الأنباط . كما يعثر المفتش عن أخبار العرب قبل الإسلام على مواد تاريخية في
 (الأبوكريفا) وهي الكتب غير القانونية التي أضيفت إلى العهد القديم وبعض
 الأسفار الملحقه بالعهد الجديد] ^(١).

٩٧ -

أما اليهود أنفسهم - فإنهم يعترفون بأمر خطيرة - منها : قتل (موسى) نبيهم
 الذي أنقذهم من عبودية الفراعنة - ومنها : تحريف ديانته : ومنها ضياع نص
 التوراة - فلقد جاء في كتاب (موسى والتوحيد) لمؤلفه (فرويد) اليهودي : [وعندما
 قويت المجموعة المتمردة - هاجمت مجموعة الرب وقتلته ، وما قام به العبرانيون كقتلهم
 موسى وهجر ديانته هو تكرار لتلك التجربة الإنسانية ، ويقول المؤرخ الألماني
 (سيلين) : إن مقتل موسى معروف على الدوام عند رجال الدين ، وقد ظل هذا
 سرّاً حتى أذاعه (هوشع)] ، وجاء فيه عن التوراة [أنه حدثت عملية إبدال - وهي
 عملية سيكولوجية معروفة ، فأضيف تاريخ شخصية أخرى إلى تاريخ (موسى) ،
 فمن الحقائق المعروفة في تواريخ اليهود : أن التوراة أعيدت كتابتها عدة مرات ، وفي
 إحدى هذه المرات ضاعت ، وفقدت تماماً ، فاجتمع سبعون من كبار رجال الدين
 وأعادوا كتابتها من الذاكرة] ^(٢).

وبعد ! فمن الصعب : إحصاء كل الآراء التي أبدت في الأسفار ، ومن
 الصعب : أن يسير البحث مع كل تحريف للأسفار - فالآراء التي أبدت في
 الأسفار كثيرة ومتشعبة ، وكل مؤلف له هدف يرمى إليه - فرحمة الله استهدف بيان
 الفرق بين المنسوخ والمؤول - والفرق بينهما : جد واضح ، فالناسخ والمنسوخ في

(١) تاريخ العرب لجواد ١ / ٢٢ إلى ٢٤ .

(٢) مجلة الهلال - العدد السابع من السنة السابعة والسبعين ، أول يوليو سنة ١٩٦٩ .

القرآن شيء . والتحريف والتأويل في الأسفار شيء آخر . والناسخ والمنسوخ موضوع بحث فيه علماء الفقه الإسلامي . وانتهى بعضهم إلى أن ليس هناك منسوخ - فقله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾^(١) لم ينسخه قوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ﴾^(٢) . فإذا ما تورط المسلم في شرب الخمر - فعليه ألا يقرب الصلاة حتى يزول أثرها ويتبين ما يقول . ثم إن الناسخ لم يزد على القرآن وإن المنسوخ لم يحدف من القرآن - فكل من الناسخ والمنسوخ آيات من القرآن .

والفرق بين القرآن والأسفار : أن القرآن دونه كتاب الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع بعد وفاة النبي في عهد (أبي بكر) . وتوراة موسى لم تدون إلا بعد قرون من وفاته . والقرآن دون كما نزل حريف . وجمع بعد مراجعة ما في أيدي المسلمين من القرآن وما يحتفظ به كتاب الوحي وبعد إجماع الحفاظ الذين حفظوه عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة وقد نزل . والتوراة لم تدون حريف . ولم يدونها الذين عاصروا موسى ولا الأجيال القريبة من عصر موسى . والقرآن دون باللغة العربية وحدها منذ دون إلى الآن . والتوراة دونت بعدة لغات . وفي كل لغة دونت فيها الأسفار اختلاط بأصلها ما يؤله المؤولون ويفسده المفسرون . وقل أن تطابق كلمة بكل معانيها كلمة أخرى إذا ما نقلت من لغة إلى لغة . وقل أن تجد نسخة خطية من الأسفار مطابقة للنسخة الأخرى التي دونت بعدها أو قبلها .

ولا أراي في حاجة إلى أن أقول : إنه لا يوجد بين ملايين مصاحف نسخة عصور القرآن مصحف واحد يزيد حرفياً أو ينقص حرفياً . عن ثنية المصاحف . برغم تعدد المذاهب الإسلامية وشذوذ بعضها . فهذه معجزة القرآن : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾^(٣) . ولا أراي في حاجة إلى أن أقول : إنه لا يوجد نسخة من الأسفار جدد تدوينها تطابق غير حريف . وإنما قول هذا خطأ .

والأسفار : قديم العهد منها وجديد لم تخل في عهد مسلمين ثم دخل على

(١) سورة النساء (الآية ٣ :) .

(٢) سورة المائدة (الآية ٩٠ :) .

(٣) سورة الحجر (الآية ٩ :) .

الأنبياء . ولا تخلو كذلك من المحرف والمؤول ، ولذلك وقف المسلمون منها موقف الحذر ، فهم لا يشكون إلا فيما يثبت التحقيق : الريبة فيه ، وهم لا يصدقون إلا ما يؤكد التحقيق الثقة فيه ، لا سيما فيما يعود إلى غير التاريخ .

وموقف الرواد المسلمين من التوراة في مظهره : التصديق والشك - لم يكن باعثه التعصب ضد اليهود لأنهم أعداء الإسلام ، أو التعصب لمصلحتهم لأنهم كتابيون يؤمن المسلمون بما نزل على أنبيائهم - وإنما الإيمان بما نزل على الأنبياء هو الذى بعث الحذر مما انتحله المؤولون والمفسرون وزجوه فى صلب الأسفار . فنحن إذا نظرنا إلى موقف المسلمين من الأحاديث النبوية نجد : موقفهم منها قريباً من الأسفار (١) . فهم لا يأخذون بالحديث ما لم تثبت صحته وسلامة سنده من الضعف . وإنما الفرق بين رجال الحديث وبين رجال التاريخ : أن علماء الحديث قريبو عهد من الأحاديث النبوية فبدلوا جهداً منتجاً فى تحقيق الصحيح منها والموضوع والقوى السليم من الضعيف المعلول . أما علماء التاريخ فلم تكن لديهم مراجع يعتمد عليها فى معرفة الأصيل من الدخيل فى الأسفار .

١١ - فهذا هو الفرق بين المسلمين وبين اليهود والمسيحيين - فالمسلمون حفظوا القرآن وحافظوا على نصه ولم يخلطوه بالحديث ، وحفظوا الحديث ولم يخلطوه بأقوال الصحابة - فالقرآن الكريم كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى والحديث كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - فإن كان هناك اختلاف فى بعض ألفاظ الحديث . أو زيادة فى رواية ونقص فى رواية أخرى - كرر الحديث حسب أسانيدِهِ لتوضيح ما اختلف فى لفظه أو ما زيد فيه أو ما نقص منه . والأثر حقق ونسب إلى مصدره . فما كان عن (أبى بكر) أسند إلى أبى بكر . وما كان عن (عمر بن الخطاب) أسند إليه . وما كان لغيرهما أسند إليه - وما كان للسلف الصالح نسب إلى صاحبه - فلذلك لم يصل الشك إلى القرآن . ولم يترك الموضوع من الأحاديث دون التنبيه إليه - ولقد انتهى التحقيق فى الحديث إلى التسليم بالصحاح - على أن الإجماع انحصر فى الأحاديث التى اتفق عليها الإمامان : (البخارى)

(١) كتاب نظرات فى القرآن لمحمد الغزالي ص ٥٣ وما بعدها .

و (مسلم) : ولذا نجد المؤرخ المحقق مطمئناً لنصوص التاريخ العربي الإسلامي ، متأكداً من أصلها .

ورأى المؤرخين المسلمين المتأخرين في التوراة - واضح في تحقيقاتهم . وتحقيقاتهم تعرف بأن هناك كتباً أنزلت على أنبياء بني إسرائيل . بيد أنها نشك في الأصول التي تداولها الإسرائيليون والمسيحيون . وأسباب الشك عند المتأخرين هي : الأسباب عينها التي جعلت القدامى يشكون في أصول الأسفار . ولقد جاءت تحقيقات أكثر المستشرقين يهوداً ومسيحيين - تؤكد : أسباب الشك - فتحقيقات هؤلاء تؤكد : أن أصول الأسفار التي دونت في بداية تدوين اليهود وأسفارهم فقدت . وأن المدارس اليهودية والمسيحية زادت عليها فيما تجدد تدوينه : تفاسير اجتهاد المفسرون فيها بتأويل ما التبس عليهم وما رأوه في مصلحة العقيدة اليهودية ومبادئها وأهدافها - ولقد عدت تفاسير المفسرين وتأولاتهم جزءاً من الأسفار - فنقد جاء في (موسوعة تاريخ العالم) : [أما أسفار موسى الخمسة التي نشرت في صورتها النهائية سنة ٤٠٠ ق. م وأما الكتب التاريخية : يشوع . القضاة . صدييل . الملوك . فإنها انتشرت على أنها كتب دينية حوانى سنة ٥٥٠ ق. م . وفي حوانى سنة ٢٠٠ ميلادية جمعت النصوص القانونية اليهودية في (مشنا) كتاب التعاليم وفي (التلمود) حوانى سنة ٥٠٠ ميلادية]^(١) .

وهناك بحوث عربية متأخرة اقتدت بآراء المستشرقين في كتب العهد القديم . وفي كتب العهد الجديد . فبالغت في الشك مثلما بالغ المستشرقون على أساس حرية النقد . وتحرر البحوث من العقائد التي تفرض الخذر من الغلو الذي تدفع إليه في كثير من الحالات جرأة البحث وحرية النقد .

فالجديد في هذه البحوث هو : آراء المستشرقين الذين هاجموا التوراة بأسلوب ساخر . ونقدوا أحبارها نقداً لا ذعماً . فلقد جاء في دائرة معارف (لاروس) عن التوراة : [قد أثبت العلم العصري ولا سيما النقد الألماني . بعد أبحاث مستنيرة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات : أن التوراة لم يكتبها (موسى) وإنما عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات

(١) الموسوعة ١ ٦٦ .

سماعية ، سمعوها قبل - (أسر بابل) . بل ذهب العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليست فيها الروايات الإسرائيلية جميعها . ولكنها تحتوى فقط على إشارات ورموز وحكايات ، وأن هجرة مصر ما هي إلا قصة وهمية أو حادثة رمزية ليس لها أدنى أصل حقيقى [(١)] .

ولقد مر بنا في بحث القصص القرآنى في هذا الجزء : أن شك بعض المستشرقين لم يقف عند كتب أهل الكتاب بل تجاوزها إلى الشك في وجود (إبراهيم) و (موسى) و (عيسى) !!

ونحن بعد ما سبق أن قلناه في الجزء الأول من هذا الكتاب . وبعد الذى قلناه في هذا الجزء - عن شكوك بعض المستشرقين - لا نرى : ضرورة للبحث في هذه الشكوك مرة أخرى - وإنما الضرورى هنا - البحث فيما يقوله المستشرقون عن الرواية العربية وتأثرها بالقصص اليهودى والمسيحى - فلقد علق بعض المستشرقين على رواية المؤرخين في العصر الإسلامى بقوله : [إن القصص اليهودى والمسيحى وجد طريقه إلى التاريخ العربى تحت ستار تفسير القرآن - وهو أمر لم يكن فى صالحه تماماً] (٢) . ولقد تعلق بعض الحريصين على مصلحة التاريخ العربى بهذا الرأى . فأعرضوا عن النصوص التى نقلها المؤرخ العربى عن الأسفار ، واتهموه بالسذاجة . دون أن يتنبهوا إلى أساليب المستشرقين فى تقديمهم . والقواعد التى يقوم عليها - فلو أنهم قوموا ببحث المستشرقين لوجدوها فى كثير من الموضوعات محدودة الثمن لا أنها تعتمد على عقلية العصر الحاضر ومنطقها . فما انفق معها - هو فى رأيهم : حقيقة تاريخية ، وما تعارض معها - هو فى رأيهم : خرافة خيالية - لذلك نراهم فى تقديمهم كثيرى التحول من الشك إلى الثقة وبالعكس . فى بحث واحد وفى موضوع واحد - فبينما نرى (غوستاف لوبون) يقول : [وما كانت الكتب العبرية المقدسة وحدها - هى : التى حاكت نسيج هذه السير - فإن التواتر والأساطير وغيرها أيضاً نقلتها إلينا] ، نراه يقول مرة أخرى : [ومما يجب التسليم به - هو : أن الكلدانيين من أقدم شعوب العالم - والكتب العبرية والتواتر يؤيدان : أن كلدة كانت أقدم بلد معمور] (٣) .

(١) دائرة معارف وجدى - مادة تورا ٢ / ٧٠٢

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٩١ .

(٣) بابل وآشور ص ٢١ و ١٧ .

في حين نرى (غوستاف لوبون) مرة أخرى : ينتقد التوراة التي جعلت الكلدانيين أولاً من أقدم سكان أرض ما بين النهرين - [عادت - التوراة - أخيراً كما جاء في سفر (إشعياء) . فجعلتهم مستعمرة بسيطة من مستعمرات الآشوريين] ويقول : [فهذه الرواية الثانية لا يصح الأخذ بها لعدة أسباب سند كرها]^(١) فلو كان يوجد متسع في البحث لتعقبنا الأسباب التي سيدكرها - فيكفي هنا أن نقول إن غوستاف لوبون في بحثه تاريخ الكلدانيين - أكد : أن الكلدانيين كانت لهم دولة قديمة . وأن الآشوريين في عهدهم الثاني - شادوا إمبراطورية شملت بلاد ما بين النهرين وامتدت إلى سورية وغزت مصر - فكانت دول ما بين النهرين ومن ضمنها دولة بابل مستعمرات آشورية - إذن فما هو : وجه التناقض في رواية التوراة ؟ !

١٤ - ثم جاء عصر اكتشاف الآثار - فأخذ المستشرقون يرجعون عن كثير من شكوكهم على ضوء النصوص الأثرية ، فثلبا رجوع (غوستاف لوبون) عن شكوكه عندما قال : [وما كان أحد في أوربا من خمسين سنة يصدق : أنه سيأتي يوم تؤيد فيه عيوننا بطريق المشاهدة تلك الروايات التي كنا نقرؤها ولا نصدقها]^(٢) . كذلك رجوع (ديتلف نيلسن) عندما قال : [فمن هذه الصورة المتعددة الألوان التي تكونت من مجموعة النقوش - نتبين : الثقافة الحقيقية التي نمت وازدهرت في الشرق الأدنى كما نتبين اللغة الغامضة الواردة في العهد القديم . والتي كثيراً ما تحدثنا عن سبأ وثوراتها وزيارة ملكتها لسليمان الواردة في (سفر الملوك) الأوب الإصحاح العاشر]^(٣) .

١٥ - على أنني في دفاعي هذا عن الأخبار المنسوبة إلى الأسفار لا أنزه كل ما وصل إلى المؤرخين العرب وغير العرب فمنها : ما هو من مبالغات الخيال الذي ذهب بتحويل المؤلفين وتفسير المفسرين إلى تيه النصوص السوميرية - مما جعل المستشرقين يقدموننا [فكل الأساطير المختصة بالهة الإغريقية . وكذلك قصة حبيفة أوديسس في سفر التكوين من توراة العبرانيين تجد مثلها في معتقدات كندها والشمس]^(٤)

(١) بابل وآشور ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٤ .

(٣) التاريخ العربي القديم ص ٣٠ .

(٤) بابل وآشور ص ٩١ .

ويظنون : أن التوراة مأخوذة من قانون (حمورابي)^(١) - فما قاله (المطران الدبس) عن الأنساب [فمن أى أصل تفرع نسب الشعوب الذين لم يذكر (موسى) أنسابهم - هذا مبحث آخر لا يعتصم علينا الاهتداء إلى وجهه]^(٢) - فلا بد أن هناك الكثير مما لم يرد في الأسفار - ولم يعتصم على الأحبار الاهتداء إلى وجهه ، ومن هنا دخل التأويل والتفسير إلى الأسفار يصحبهما خيال المؤلف والمفسر المتأثر بأساطير (بابل) (ونيوى) وتراث السوموريين .

ولا أنزه بعض المؤرخين العرب من حشو مؤلفاتهم بروايات لا يتثبتون من صحة سندها إلى أحبار الكتابيين - مثل : (كعب الأحبار) وغيره . فكثير من الروايات نسبت إلى كعب الأحبار رجماً بالغيب - أثبت التحقيق فيها : أنها من صنع رواة الأخبار - فمن هذه الروايات : الخبر الذى تناقلته بعض المؤلفات العربية عن كعب الأحبار . وحديثه عن الآثار التى قيل : إن رجلاً يسمى (عبد الله ابن قلابة) عثر عليها فى أحقاف اليمن - فقد جاء فى هذه القصة : أن (معاوية ابن أبى سفيان) سأل كعباً عنها - فقال له كعب : يا أمير المؤمنين - إنها (إرم ذات العماد) وإن توراة موسى أشارت إليها^(٣) - فى حين أن معاوية لم يصل إلى إمارة المؤمنين إلا بعد وفاة كعب . فإما أن يكون راوى هذا الخبر أضاف إلى حديث كعب مع ما أضاف : لقب أمير المؤمنين . أو أن الخبر بكامله - موضوع - فكثرة ما يسنده المؤرخون إلى الأسفار ، ويروونه عن أحبار الكتابيين جعل بعض المحققين يتخيل : وجود كتاب آخر غير توراة العبرانيين^(٤) . ولعل سبب كثرة ما يرويه المؤرخون العرب نشأ عن ادعاء اليهود : أن الله لم يخلق فى الأرض شيئاً إلا وقد فسره فى توراة موسى !! ذلك الادعاء الذى كان له أثره على الذين كان ديدنهم النقل والتدوين .

١٦ - فالنتيجة التى نحصل عليها من البحوث التى حررها المتعمقون فى دراسة

(١) الوحى المحمدى ٥١ .

(٢) تاريخ سورية للمطران الدبس ١ / ٩٩ .

(٣) قصص الأنبياء للنيسابورى ص ١٤٢ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٦ / ٤ .

الأسفار : ومن التحقيقات التي قام بها المتبعون لنصوص التاريخ العربي وأروماتها .
تتلخص فيما يأتي :

أولاً : أن التوراة وكتب الأنبياء بعد موسى . وأن الإنجيل والأسفار بعد عيسى - دونت بعد وفاة الذين نسبت إليهم الأسفار - فلقد دونت التوراة بعد قرون كثيرة من وفاة موسى - فمن المحال أن تحتفظ بضعة أجيال في ذاكرتها بحرفية التوراة ونص ألفاظها - وأن توراة موسى وأسفار الأنبياء من بعده نقلت من لغة إلى لغة ودونت عصراً بعد عصر . وأن الذين نقلوها من لغة إلى لغة ودوتوها جيلاً بعد جيل - تركوا لأنفسهم الحرية في التأويل بدافع ما يفرضه نقل كتاب من لغة إلى لغة - وجرباً مع ما يلائم بيئة اللغة ومنطق أصحابها . وما يمليه تطور الزمن وتجدد الحياة . ويساير ما ارتأته المدارس اليهودية وقرره رهبان الكنائس وأخبارها في مجالس نتج عنها الفهم اليهودي عن اعتبار بعض الأسفار على أساس ديني إلى فهمها على أساس أدبي وتاريخي . وفي مجالس نتج عنها جمع النصوص القانونية في (كتاب التعاليم - المشنا) في عام ٥٠٠ ميلادية ونسبت هذه المجموعة إلى موسى^(١) . وفي المجالس التي عقدها (قسطنطين) وقرر المجتمعون فيها : عدم التسليم بغير كتاب (يهوديت)^(٢) - وأقدم الأناجيل : الإنجيل الذي دونه (متى) . والإنجيل الذي دونه (متى) دون بلغة الآراميين وبمنطق العبرانيين - والإنجيل الذي دونه (مرقس) على أساس ما سمعه من (بطرس) . وما سمعه (مرقس) ينحصر فيما كان يتحدث به (بطرس) حسبما تدعو إليه حاجة الحديث^(٣) . ولذلك لم يدخل سفر من الأسفار من التأويل والتفسير . ولقد سبق أن تكلمنا عن أسباب التأويل والتفسير وتحريف الكلم عن مواضعه في تضايف هذا البحث .

ثانياً : أن وجهة نظر المؤرخين في اعتبار الأسفار مصدراً من مصادر التاريخ العربي - تعتمد على قدم نصوص الأسفار . لذلك نراه يرجعون إلى (جرجي زيدان) من أسماء القبائل والأماكن العربية . وإلى ما تحدثت عنه من أخبار رومن الجعيد كما فعل (جرجي زيدان) في كتابه (العرب قبل الإسلام) وكما فعل (جواد علي) في

(١) موسونة تاريخ العالم ١ / ٦٦ ما بعد .

(٢) إنظار الحق ١ / ٥٣ .

(٣) الروم وصلاتهم بالعرب ١ / ٤٠ ، ٤١ .

كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) - فما قاله جواد على : - أما الفترة ما بين (التوراة) و (التلمود) - [فيمكن - الاستعانة في تدوين تاريخها بالأخبار التي ذكرها بعض الكتاب . ومنهم - المؤرخ : يوسف فلافيوس] ^(١) فإذا كان هناك تحريف في الاسم حدث من نقله من لغة إلى لغة - بينوه كما فعل جرجي زيدان وجواد على وغيرهما من الذين استشهدوا بأسماء عبرية ويونانية . ولسوف يأتي الكلام عن اختلاف الأسماء التي تنقل من لغة إلى لغة في البحث الآتي من هذا الفصل . وإذا كان هناك اشتباه في النص لفتوا النظر إليه كما فعل (رحمة الله) في كلامه عن أرض (أرغوب) وقرى (يابر) ^(٢) - وإذا كان هناك انحراف عن الحقائق التاريخية أظهروا حقيقته وأسبابه مثلما فعل (جون ويلسن) في كلامه عن الهكسوس ^(٣) . وفعل ابن جرير في كلامه عن الذبيح ^(٤) .

إن قيسة النصوص الإسرائيلية تقدر على أساس قدم زمنها . فمثلها من الوجهة التاريخية مثل كل تراث قديم يصور لنا معلومات الأجيال الغارقة في أعماق الزمن . ومعلومات الأجيال التي دوت في عصورها - الأسفار - يأتي الكلام عن مصادرها في البحث الآتي . فمن رأى (غوستاف لوبون) : أن ما في الأسفار عن عالم ما قبل الطوفان وأصل الخليقة يوجد مثله في نصوص (المسوموريين) وعالم ذلك الزمن ^(٥) . ومن رأى بعض المستشرقين الألمان : أن شريعة (موسى) مستمدة من شريعة (حمورابي) البابي الأرمي ^(٦) - ومن رأى الذين اعتمد عليهم (جواد على) في مؤلفه : أن الأسفار يتلون طابعها بلون البيئة التي دوت فيها ، فما دون في العراق ظهر عليه الطابع العراقي ، وما دون في فلسطين ظهر عليه الطابع الفلسطيني ^(٧) .

فهذه الآراء - كما تراها : مبنية على أساس اختلاط وحي (موسى) والأنبياء الذين جاءوا من بعده . ووحى (عيسى) والأنبياء الذين جاءوا من بعده - بتفسير

(١) تاريخ جواد ١ / ٢٤ .

(٢) كتاب إظهار الحق ١ / ٢٤٠ .

(٣) الحضارة المصرية ص ٢٦٦ .

(٤) تفسير ابن جرير ٢٣ / ٥١ وما بعدها .

(٥) بابل وآشور ص ٩١ .

(٦) الوحي المحمدي ص ٥١ .

(٧) تاريخ جواد على ١ / ٢٤ .

المفسرين، وبما أضيف وأول من قبل المدارس اليهودية والمجالس المسيحية. وما فسّر، وأضيف، وأول - في رأى المؤرخ الذى لا يهمه غير الخبر التاريخى - هو: نص له قيمته بالنسبة للتاريخ الذى يعود إليه ذلك النص - يفيد فى معرفة الماضى، لاسيما أن الآثار قد أثبتت: صحة الكثير من الأخبار التى تحدث عنها تراث القدامى. والتى كانت إلى وقت قريب هدفاً لسخرية الشكوك.

فبناء على كل هذا: كان على المؤرخ البحاث - ألا يصدق نصاً إسرائيلياً أو يشك فيه إلا بعد تحقيق وثبت. فالمؤرخ الذى يسجل كل ما يروى عن الأسفار على عاهاته يفقد تاريخه قيمته العلمية. مثلما يخسر التاريخ الذى يخلو من نصوص التراث القديم قيمته التاريخية. وكذلك: كل بحث يأخذ بجميع الشكوك يضع الكثير من حقائق التاريخ مثلما يخسر كل بحث يرفض الشكوك مهما كانت أدلتها واضحة: نتائج لا تستغنى عنها الدراسات التاريخية.

١٧ - والأسفار يهودية ومسيحية - هى: فى مقدمة نصوص التاريخ القديم ذى قيمتها فى تاريخ البلاد العربية الجاهلى بالنسبة لانتشار الجاليات اليهودية والمسيحية فى أرجاء البلاد العربية. تلك الجاليات التى هاجرت إلى شبه الجزيرة من مصر. ومن آسيا الصغرى ومن البحر الأبيض المتوسط. والتى لم يغفلها التاريخ العربى ولم تهمل ذكرها مصادره. فلقد ورد ذكرها فى أخبار الجاهلية وأشعارها. ولقد تحدث القرآن الكريم عن أصحاب الأخدود وعن أنبياء بنى إسرائيل فى سورة ومصر إلى غير ذلك مما لا بد للمؤرخ من الكلام عنه والتحقيق فيه.

فبالأسفار كغيرها من مصادر التاريخ العربى لها مكانتها بين نصوص التاريخ لا يمكن تجاهلها. والأسفار ككل مصدر من مصادر التاريخ عرضة لشك وخلاف تلك النصوص التى تثبت عصبتها. وكل نفي أو إثبات لا بد أن يستند لتحقيق يستند إلى أدلة تؤكد النتائج التى يصل إليها: وكل تحقيق لا يستند إلى أدلة واضحة منصفة سليمة من التطرف وسليمة من الجور. هو: فى عصر البحوث العلمى والقارى المعتدل - هراء.

١٨ - والأسفار التى ذكر البحث أسماءها. هى قليل من كثير نظم به البيان الآتى تكملة لبحث الأسفار:

بيان بأسماء الأسفار وعدددها

أولا : القسم الأول من العهد العتيق :

- | | | |
|---|---|-----------------------------------|
| هذه الأسفار الخمسة منسوبة
إلى موسى عليه السلام | } | ١ - سفر التكوين ويسمى سفر الخليقة |
| | | ٢ - سفر الخروج |
| | | ٣ - سفر الأحبار |
| | | ٤ - سفر العدد |
| | | ٥ - سفر التثنية |
| | | ٦ - سفر يوشع بن نون |
| | | ٧ - سفر القضاة |
| | | ٨ - سفر راعوث |
| | | ٩ - سفر صموئيل الأول |
| | | ١٠ - سفر صموئيل الثاني |
| | | ١١ - سفر صموئيل الملوك الأول |
| | | ١٢ - سفر صموئيل الملوك الثاني |
| | | ١٣ - سفر أخبار الأيام الأول |
| | | ١٤ - سفر أخبار الأيام الثاني |
| | | ١٥ - سفر عزرا |
| | | ١٦ - سفر عزرا الثاني ويسمى إنحميا |
| | | ١٧ - سفر أيوب |
| | | ١٨ - سفر زبور |
| | | ١٩ - سفر أمثال سليمان |
| | | ٢٠ - سفر الجامعة |
| | | ٢١ - سفر نشيد الإنشاد |

- ۲۲ - سفر أشعيا
 ۲۳ - سفر إرميا
 ۲۴ - سفر مرآئى إرميا
 ۲۵ - سفر حزقيال
 ۲۶ - سفر دانيال
 ۲۷ - سفر هوشع
 ۲۸ - سفر يوئيل
 ۲۹ - سفر عاموس
 ۳۰ - سفر عوبديا
 ۳۱ - سفر يوزان
 ۳۲ - سفر ميخا
 ۳۳ - سفر ناحوم
 ۳۴ - سفر حبقوق
 ۳۵ - سفر صفونيا
 ۳۶ - سفر حجى
 ۳۷ - سفر زكريا
 ۳۸ - سفر ملاخيا

ثانيًا : القسم الثانى من العهد العتيق :

- ۱ - سفر أستير
 ۲ - سفر باروخ
 ۳ - جزء من سفر دانيا
 ۴ - سفر طوبيا
 ۵ - سفر يهوديت
 ۶ - سفر وزدم
 ۷ - سفر إيكايزيا ستيكس

٨ - سفر المكابيين الأول

٩ - سفر المكابيين الثاني

ثالثًا : القسم الأول من العهد الجديد :

وهذه الأسفار الأربعة هي التي
أطلق عليها اسم إنجيل - وأطلق
على الباقي مجازاً

- ١ - سفر إنجيل متى
٢ - سفر إنجيل مرقس
٣ - سفر إنجيل لوقا
٤ - سفر إنجيل يوحنا

رسائل إلى بعض المدن

- ٥ - سفر أعمال الحواريين
٦ - سفر رسالة بولس الأولى
٧ - سفر رسالة بولس الثانية
٨ - سفر رسالة بولس الثالثة
٩ - سفر رسالة بولس الرابعة
١٠ - سفر رسالة بولس الخامسة
١١ - سفر رسالة بولس السادسة
١٢ - سفر رسالة بولس السابعة
١٣ - سفر رسالة بولس الثامنة
١٤ - سفر رسالة بولس التاسعة
١٥ - سفر رسالة بولس العاشرة

رسائل إلى بعض الأشخاص

- ١٦ - سفر رسالة بولس الحادية عشرة
١٧ - سفر رسالة بولس الثانية عشرة
١٨ - سفر رسالة بولس الثالثة عشرة
١٩ - سفر رسالة بولس الرابعة عشرة
٢٠ - سفر رسالة بولس الخامسة عشرة

رابعاً : القسم الثاني من العهد الجديد - وهو كناية عن رسائل وبعض فقرات من

الرسالة الأولى ليوحنا :

- ١ - سفر رسالة كلوسى
- ٢ - سفر رسالة بطرس
- ٣ - سفر رسالة يوحنا الثانية
- ٤ - سفر رسالة يوحنا الثالثة
- ٥ - سفر رسالة يعقوب
- ٦ - سفر رسالة يهوذا
- ٧ - سفر رسالة مشاهدات يوحنا

ومن كتب العهد الجديد سوى الكتب التي ذكرت في هذا البيان : كتب جاوز عددها السبعين منسوبة إلى عيسى ومريم والحواريين وتابعيهم . وهى فى نظر المسيحيين المتأخرين - كتب موضوعة باسم عيسى ومريم والحواريين .

أما الأسفار المذكورة فى هذا البيان فإلقد سبق الكلام عنها عموماً . وسبقت الإشارة إلى أن من اليهود من لا يعترف بأن التوراة نفسها من إلهاء (موسى) . ولقد تصدى (رحمة الله) الذى ننقل عنه هذا البيان لسناقشة فى هذه الأسفار . فبين عدم وجود سند متصل لها . وما فى هذه الأسفار من اختلاف وأغلاط . وما فيها من تحريف لفظى وتحريف بالزيادة والنقص . وبين الرسائل المنسوبة إلى غير واضعيها والكتب المفقودة إلى غير ذلك مما تجده فى كتاب (إظهار الحق) .

وأخيراً وآخرأ أكرر القول : إن قيسة الخبر الموجود فى الأسفار فى نظر المؤرخ - تقدر على أساس تاريخ الخبر . وإن على كل مؤرخ ألا يأخذ خبراً ما لم تثبت صحته سواء كان الخبر من الأسفار أو من غيرها .

المؤلفون في التاريخ قبل الميلاد وبعده

من صحيفة ١١١ إلى صحيفة ١٣٤

من موضوعات البحث :

- ١ - بداية الثقافة .
- ٢ - التاريخ الديني .
- ٣ - من المرجح : أن الجزيرة العربية - هي : مهد التدوين ؟
- ٤ - صلات اليونانيين وغيرهم بالعرب وبواعثها .
- ٥ - البيان الذي نظمه جرجي زيدان بأسماء أقدم المؤرخين .
- ٦ - مصادر التاريخ الأقدم من القديم .
- ٧ - ليس كل ما ألفه القدامى خرافة وخيالا .
- ٨ - وقفة مع نقاد التراث القديم .
- ٩ - مصادر قدامى المؤرخين الذين تكلموا عن العرب .
- ١٠ - حقيقة المصادر التي رجع إليها العرب فيما كتبوه عن تاريخ اليهودية والمسيحية القديم .
- ١١ - من أي نوع كانت معارف اليونانيين في عصر الإسكندر الأكبر ؟
- ١٢ - إيضاح عن أسماء الشعوب والأماكن التي ذكرها القدامى غير العرب .
- ١٣ - أسباب مبالغة المؤرخين .
- ١٤ - أمثلة معاصرة .
- ١٥ - تصحيف الأسماء وأسبابه .
- ١٦ - ميول المؤرخين .

المؤلفون في التاريخ قبل الميلاد وبعده

١ - لم يأل الإنسان جهداً في بناء مستقبل أبنائه على ضوء تجاربه وما تعلمه من آبائه - منذ ظهر في هذا الوجود. ولم يبرح الإنسان عقله من التفكير في بداية هذا الوجود ومصيره - منذ عرف معنى الحياة . فكما ورث الإنسان الأول أبنائه تجاربه - توارثت الأجيال الأفكار جيلاً بعد جيل . وكما تطورت التجارب وسارت في طريق التقدم - تطورت الأفكار وتشعبت بها مسالك الاستطلاع والمعرفة .

فمن بداية البحث الفردي أخذت المعارف تنمو وتوسع كلما نمت حياة الإنسان واتسعت عقلية . وأخذت الأفكار تتخطى العقبات في طريق التجميع . وأخذت النتائج تتبلور على صورة البحث العلمي - وهكذا دوليك أخذت المعارف تنتقل من مرحلة إلى أخرى حتى وصلت معارف إنسان اليوم إلى ما وصلت إليه .

٢ - والبحث في بداية الوجود وأصل الخلق - شغل به الإنسان منذ بدأ يفكر في هذه الحياة، فمن الزمن الخجول ظهرت عباقرة الرسل والأنبياء يذكرون الناس بماضيهم - ويلفتون نظرهم إلى مصيرهم المحتوم . ومن هنا كانت نقطة البداية لمعرفة التاريخية . وهذا الجزء من التاريخ : بداية الوجود . وأصل الخلق . ونشأة الإنسان - عدته الأجيال تاريخاً دينياً عليها أن تؤمن به ولا تشك فيه . وحدث هذا الجزء تجمعت الأفكار وأخذت تسطر التاريخ .

ومن أقدم ما وصل إلينا مما سطرته أجيال الماضي : ما ظهر تحت راس المنقبين عن الآثار في أرض وادي الفرات . وما زال وادي الفرات يروي حكايات وادي النيل - وفي أقدم ما وصل إلينا من التراث القديم : الآباء التي ذكر حكايات الفكر التاريخي - ومن تلك الأنباء : ما أصبح حقائق تاريخية . ومنها : ما لا يزال أساطير خيالية .

٣ - وإذا صح : أن الكنعانيين - هم الذين نقلوا الحضارة الأولى من الخليج الإسلامي

– العربي إلى سهول سورية وجبال لبنان^(١) – وإذا صحّ ما قيل عن هجرة جماعة من الكنعانيين إلى اليونان . وعن رائد هذه الجماعة (قدموس) الكنعاني ، وأن (قدموس) هذا هو الذي وضع الحروف اليونانية^(٢) – تكون شواطئ الجزيرة العربية على الخليج الإسلامي – هي : المدرسة الأولى التي انبعث منها التدوين . وبالتالي التدوين التاريخي .

١ – ونحن إذا ما أردنا أن نبحث عن صلوات اليونانيين بشرقنا العربي – نجدها : صلوات أقدم من تاريخ الغزو الإسكندري – ونحن إذا ما أردنا : التثبت من تلك الصلوات نخرج بالبحث عن موضوعه بدون ضرورة تدفعنا إلى الخروج عنه – فبواعث عناية اليونانيين وغير اليونانيين بحضارة شرقنا العربي وتاريخها – واضحة . فالأدوار السياسية والحضارية التي برزت فيها دول هذا الشرق من قبل عصور التاريخ ومن بعدها – اجتذبت أنظار الطماحين إلى الفتوحات واستهوت طلاب المعارف وعشاق المال . ففي أرض دجلة والفرات . والنيل . والنحاس ، والذهب . والبخور . والطرق التجارية . والموانئ العالمية – تقابلت الأديان وتلاقت الثقافات وزخرت المجتمعات بكل ما تتطلع إليه آمال ذلك الزمن – وفي بعض هذا : ما يلفت النظر . ويبعث المهتم على العمل لإنشاء صلوات أو فرضها على سكان هذه الأرض – فمن تلك الصلوات التي نشأت ثم فرضت : صلوات شعوب (مقدونيا) وغيرها من سكان شبه (جزيرة البلقان) . وأمم (البحر المتوسط) التي سبقت الكثير من شعوب أوروبا إلى الحضارة – بسكان شبه الجزيرة العرب وأمم الشرق الأوسط العريقة في تمدينها – وتعايش العناصر في أرض واحدة لا بد أن تنشأ عنه صلة الدم كالتى قال عنها الكلاسيكيون . ونفتها شكوك المتأخرين الذين عدّوا حديث القدامى عن صلة الدم تلك : من الأخبار الساذجة التي تناقلتها الكتب الكلاسيكية^(٣) ، ولم يلتفتوا إلى ما قيل عن هجرة قدامى الكنعانيين إلى مقدونيا وهجرة المقدونيين إلى الشرق الأوسط .

(١) راجع بحث الخطوط السامية – العربية – في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) تاريخ سورية للمطران الدبس جزء ١ مجلد ١ ص ٢٥٧ و ٢٦٣ .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ١ / ٢٥ .

فما لا شك فيه : أن للأمم كثيرة - صلات قديمة بالشرق العربي في المجالين : الثقافي والسياسي . وفي مقدمة هذه الأمم : اليونانيون . وأن للأمم الشرق العربي صلات كثيرة بشعوب آسيا ، وإفريقيا ، وشبه جزيرة البلقان . وفي مقدمة هذه الأمم الكنعانيون وخلفاؤهم الفينيقيون - ومما لا شك فيه : أن مدارس اليونانيين القديمة في مقدونية عنيت بأحداث هذا الشرق الذي امتد نفوذ دوله في عصور ما قبل الميلاد إلى (جزيرة قبرص) وروابي (الأنضول) و (أرمنية)^(١) - وأن مدارس يونانية نشأت بعد غزو الإسكندر الأكبر - في المستعمرات اليونانية التي نشأت بعد ذلك الغزو - في (إيران) وأطراف (العراق) ، وفي (الإسكندرية) وشواطي مصر .

ولقد زادت في التحام الثقافة الإغريقية بالثقافة الفارسية الآرية والثقافة السامية العربية - في العراق . وسورية . ومصر : انتصارات الإسكندر المقدوني الأكبر حوالي سنة ٣٣٦ ق . م - مثلما ربطت فيما بعد الثقافة الرومانية بجميع تلك الثقافات : انتصارات القيصرية البيزنطية على سورية ومصر . ولقد وجد الإسرائيليون في فلسطين التي خضعت لملوكهم : مجالا لنشر أسفارهم - وكما كان العراق آياها السبي : مأوى الإسرائيليين - كانت أرضه المكان الذي دون فيه أقدم أسفارهم سنة ٧٥٠ ق . م .

فن التحام هذه الثقافات انبعث نشاط فكري سجلته اللغات الحية في ذلك الزمن : اليونانية والسريانية بخطوطهما الواضحة المهدبة - مدونات أفادت وما زالت تفيد الدراسات التاريخية . وأنارت سبل الدين نهضوا يؤلفون ويحققون في تاريخ الشرق الأوسط القديم .

٥ - ولقد نظم (جرجي زيدان) في كتابه (العرب قبل الإسلام) بياناً بأسماء أقدم رواد التاريخ حسب سني وفياتهم : كلدانيين ويونانيين ويهوداً وبيزنطيين .

(١) قصة الحضارة ٢ / ٢٦٨ .

سنة الوفاة قبل الميلاد

الاسم

٤٠٦ ق . م	١ - هيرودتس
» ٣١٢	٢ - ثيوفراست
» ٣٠٠	٣ - بروسوس
» ٢٥٠	٤ - أرسطون
» ١٩٤	٥ - إيراتوستينيس
» ١٤٥	٦ - أغاثارسيدس
» ٨٠	٧ - ديودورس الصقلي

سنة الوفاة بعد الميلاد

الاسم

٢٤ ب . م	١ - إسترابون
» ٧٩	٢ - بلمينيوس
» ٨٠	٣ - صاحب كتاب (الطواف)
» ٩٣	٤ - يوسيفوس - يوسف
» ١٣٠	٥ - أبولودورس
» ١٤٠	٦ - بطليموس القلوذى
» ١٧٥	٧ - إريان
» ٢٥٠	٨ - هيروديان
» ٣٤٠	٩ - أوسابيوس
» ٣٧٣	١٠ - أثناسيوس
» ٣٥٩	١١ - زينوفون
» ٤٢٠	١٢ - هيرونيموس
» ٤٢٥	١٣ - فيلوسترجيوس
» ٥٦٥	١٤ - بروكوبيوس البيزنطى
» ٥٦٧	١٥ - ستيفانوس البيزنطى

* * *

٦ - من الضروري للبحث أن نقف قليلاً عند هذه الأسماء التي جاءت في بيان (جرجي زيدان) لمعرفة مصادر هؤلاء المؤرخين الذين جمعوا ذلك التراث الذي وصل جزء منه لأيدي الذين تعمقوا في دراسة التاريخ القديم . ولمعرفة من أين أتت إلى (هيرودتس) و (ديودورس) و (إسترابون) أخبار (سميراميس) ؟ ومن أين عرف هؤلاء قصورها ؟ وعلام اعتمدوا في وصف الحضارة (البابلية) و (الآشورية) ؟ ومن أي طريق وصلت إليهم أخبار القبائل العربية ومدنها ؟ ومن أين أتت أخبار عالم ما قبل الطوفان ؟ !

إن الشكوك في التاريخ الأقدم من القديم لم تصرف الباحث عن حقيقة ما فتي يرددها . حقيقة تظهر في عباب الشكوك مؤكدة : أن للكثير من قصص القدامى أصلاً تاريخياً - وأن الأقدمين لم تنعدم في عصورهم النصوص الأثرية . بل كانت لديهم نصوص لا تقل عن النصوص - التي اعتر بها الممتخرون بالاكشافات الأثرية في العصور الأخيرة . ونالت ثقة مطابقة من الذين يعتقدون : أن المؤرخ في العصر الراهن أصبح بفضل الكشف الأثرى - يعرف عن التاريخ القديم ما لم يعرفه المؤرخون القدامى الذين سبقوا الميلاد . والذين عاصروا . والذين جاءوا من بعده إلى عصر الاكتشافات الأثرية . فما جاء في التعليق على كتاب (قصة الحضارة) مؤلفه (ديبوراانت) - : [لقد كان كشف هذه الحضارة المنسية من أروع القصص غريبة في عدم الآثار - لقد كان الرومان . واليونان . واليهود . وهم : الذين نسيهم القدامى أكبر جهلاً منا بالمدى الواسع لأحقاب التاريخ . لا يعرفون شيئاً عن (سومر) . ولعل (هيروديت) لم يصل إلى علمه شيء عن هؤلاء الأقوام . وإذا كان قد وصل إلى علمه شيء عنهم فقد أغفل أمرهم . لأن عهدهم أبعد إليه من عهده لسبب ! ولم يكن ما يعرفه (هيرودوس) وهو مؤرخ بابلي كتب حوالي سنة ٢٥٠ ق . م . عن (سومر) إلا مزيجاً من الخرافات والأساطير . فقد وصف في كتابه (تاريخ الجبابرة) يتوهم واحد منهم يسمى (أوليس) خرج من حبيح القاري حبيح الإسلامى . وأدخل في البلاد فنون الزراعة . وصرق المعادن . والكتيبة . وقد ترك لبني الإنسان كل الأشياء التي تصالح أمور حياتهم . ولم يخترع من ذلك الوقت شيء حتى الآن . ولم تكشف بلاد (سومر) إلا بعد ألف سنة من اكتشافه

بروسوس [(١)] .

إن القول بأن أولئك القدامى لم يعرفوا شيئاً عن (سومر) وأن تراثهم مزيج من الخرافة والأساطير - يعتمد على أدلة النفي ويهمل شواهد الإثبات التي جاءت في النتائج التي وصل إليها تحقيق الباحثين في مصادر المدونات القديمة ، ولقد تأرجحت آراء البعض بين الشك في معارف القدامى وبين الثقة فيها - مثل : (غوستاف لوبون) الذي قال مرة : إن مكتبة (آشور بانيبال) مملوءة بمنتف كثيرة من النصوص (السومورية) الأكادية القديمة ، وإن تلك النصوص كانت الحاضر الأول الذي ألهم الكتاب النينويين^(٢) - ووجدت بمكتبة (آشور بانيبال) في قصر (فويونجيك) بنينوى (عاصمة - الآشوريين) : نصوص من لوحات الآجر تمثل كتابة لا تقل مساحتها عن مائة متر مكعب تكفي سطورها لتملأ ما لا يقل عن خمسمائة مجلد - وكانت كتابة الآشوريين والسوموريين والأمم المجاورة في بلاد (مادي) و (فارس) و (أرمينية) على أسلوب خطي واحد - هو : الخط المسماري^(٣) - وكان لهذه المكتبة التي تُعدّ أول مكتبة عرفت في العالم - نظام دقيق^(٤) .

ثم عاد (غوستاف لوبون) مرة ثانية فوقف مع الناس الذين وقفوا أمام نصوص التوراة وتراث قدامى المؤرخين - بين الشك فيها والتصديق بها : [ووقف الناس حيارى عند العبارات المبهمة التي جاء - ذكرها في التوراة ، والأساطير التي وردت على لسان (هيرودوس) و (ديودورس) . و (إسترابون) - منقولة عن (ستيزباس) وهو طبيب إغريقي في بلاط (أرتخسيس) الثاني (نيمون) الذي ملك الفرس من سنة ٥٠٥ إلى سنة ٣٥٩ ق . م . وهو مرجع تلك الروايات البعيدة عن كل تصديق - ولذلك لم يبق غير مرجعين وحيدين . وإن كانا مشكوكاً فيهما أيضاً - وهما : (أوزيب) و (يوسيفوس - يوسف) اللذين نقلتا عن بعض أوراق من كتاب كاهن

(١) قصة الحضارة ٢ / ١٤ .

(٢) حضارة بابل وآشور لغوستاف لوبون ص ٤٦ ، والنينويون هم الذين نسبوا إلى (نينوى) عاصمة الآشوريين الواقعة في منطقة الموصل بالعراق .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٢ و ٤٣ .

(٤) انتصار الحضارة ص ٢١٤ .

كلداني اسمه (بيروز - بروسوس) معاصر للإسكندر -- وهو الذي كتب تاريخ الآشوريين نقلا عن المخطوطات المسمارية -- فكان في هذا التاريخ مثل (مانيتون) فيما وضعه عن تاريخ مصر -- وكانت الكتب العبرية المقدسة رحدتها^(١) -- هي : التي حاكت نسيج هذه السير . فإن التواتر والأساطير وغيرها أيضاً نقلتها إلينا من بلاد العرب بأسماء تختلف عما جاء في ذلك التراث -- فقد جاء -- اسم (نوح) بدلا من اسم (كزيسوسروز) واسم (نمرود) بدلا من اسم (يستوبار)^(٢) .

فغوستاف لوبون المختار هو نفسه -- يؤكد : [وكان الكلدانيون لا ينشرون مكتشفاتهم . أو يخلدون أخبارهم بعبارات موجزة . أو بروايات مبهمة . بل كانوا يصنفون في ذلك كتباً حقيقية ومؤلفات شاملة تتناول كثيراً من الموضوعات : كالتاريخ . والعلوم . والدين -- حتى القصص والأساطير . وبترجمة النصوص السرمورية الأكادية القديمة قد نتسكن من معرفة أصل هذه الكنوز لأن مكتبة (آشوربانيبال) مملوءة بنسف كثيرة منها . لا بد أنها كانت الخاظر الأول الذي أهم الكتب النينوية . وكان ملوك آشور يعنون كثيراً بترجمتها . ولكن هذه التراجم تحول بيننا وبين صحة الحكم على قيمة الأسفار الكلدانية الأدبية ما دمت لا نستطيع الحصول على غير أصول وتراجم نينوية . وكل ما يمكننا أن نقوله الآن أخذاً عن الآثار الآشورية : أن الكلدانيين كانت لهم مكتبات وكتب ومدارس . ودور علم عامرة منذ أربعة آلاف سنة قبل المسيح . أي في عصر (سرجون) القديم الذي أشرنا إليه . ولقد أخذ المؤرخ (بيروز) تاريخه مباشرة عن كتب (بابل) لأن (الإغريق) يذكرون هذه الكتب التي طالت شهرتها وذاعت حتى إن (داسماشوس) حدثنا في رسالة (الأصول الأربعة) عن أصل الخليفة مما استنبطه من مخطوطات كلدانية وجد في ترجمة في مكتبة (آشوربانيبال)]^(٣) .

فاستقصاء البحث يفرض علينا : أن نفتش عن مصادر النصوص السرمورية التي وجدت في مكتبة (آشوربانيبال) -- ومن أين عرف الكلدانيون أصل الحقيقة ؟ ونحن إذا ما أخذنا نفتش عن تلك المصادر نجد : المستشرق (ديلاهورت)

(١) ما يخص التوراة تجد البحث فيه في الفصل الخامس بالإسكندر من هذا الجزء .

(٢) بابل وآشور ص ١٩ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٦ وما بعدها .

— قد سبقنا إلى التفتيش عنها وقال : [فإذا سرنا إلى أبعد من ذلك — عرضت لنا في الحال أسرة (أجادة) حوالي سنة ٢٨٤٥ — ٢٦٤٩ ق. م ، وقد أقام (سرجون) مؤسس هذه الأسرة مملكته على أنقاض قوة (لوجالزا جيس — من أدرك ملك سومير) — وقد تغلب هذا بدوره على (أورو كاجينا) من (لاجاش) وابتداء من هذا الملك توجد وثائق معاصرة تسمح بالذهاب إلى أبعد من هذا حتى تصل إلى (أورنيينا) ، وأقدم أثر منقوش يتضمن واقعة مؤكدة — هو : رأس دبوس حلى برسوم الحيوانات مقدم للإله (نينجر) — وفي (نيبور) يوجد أثر نذره للإله (أتليل) إيشكاكون كبش يدعى : (أوتوج) وعليه كتابة أكثر إمعانًا في القدم [^(١)] — ونجد أنفسنا بعد الذي قاله (ل . ديلا بورت) مضطرين إلى الرجوع إلى ما قيل عن فكرة التاريخ ونصوصه الحجرية — أفلا تكون تلك النتف التي ملأت مكتبة آشور ، وتلك المدونات الكلدانية — اعتمدت على آثار خلفتها الأمم التي سبقتها مثلما اعتمد المؤرخون اليوم على آثار : آشور . وبابل — وأن المعنيين بالآثار في العصور القديمة حلوا رموزها كما حل الأثريون اليوم رموز الآثار التي اكتشفوها ؟ — وإذا كان القدامى قد مزجوا : التاريخ بالخيال — فهل سلمت ظنون الأثريين في عصرنا الحاضر من الخيال ؟ !

أوليس (بروسوس — بيروز) ^(٢) — في تقديره عمر الإنسان في هذه الأرض — أقرب إلى الحقائق التي توصل إليها الجيولوجيون والأثريون في العصر الحاضر — من الإسرائيليين والمسيحيين الذين كانوا إلى زمن قريب لا يزيدون عمر الإنسان على هذه الأرض أكثر من بضعة آلاف من السنين ؟ ؟ أوليس (بروسوس) — ذكر دولا قامت قبل الطوفان ودولا نشأت بعده قبل عصر سرجون بمئات الألوف من السنين فجاء المكتشفون في العصر الحاضر بنصوص أثرية ذهبت بظنون الباحثين في التاريخ القديم إلى حضارة ما قبل الطوفان ؟ ! ^(٣)

فمن رأي : أن الحكم على المؤرخين القدامى — بأنهم كانوا على جهل تام

(١) كتاب — بلاد ما بين النهرين ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) بروسوس — وبيروز وبيروس — مؤرخ اختلف المترجمون في نقل اسمه إلى العربية .

(٣) راجع العرب قبل الإسلام لمرجى زيدان ص ٥٢ ، والجزء الأول من هذا المؤلف : بحث دول

ما قبل التاريخ ١ / ٦٣ .

بالأمم التي اكتشفت آثارها ، وأن الحكم على تراثهم بأنه خليط من الخرافة والخيال حكم مجحف - فهذه البحوث المتعمقة كما نراها تؤكد لنا : أن أولئك القدامى كانوا يملكون نصوصاً تاريخية ، وأن من أولئك القدامى من وصل إلى نتائج لا تبعد كثيراً عن النتائج التي وصل إليها الجيولوجيون والأثريون . وها نحن أولاء نرى (غوستاف لوبون) عندما ينتقل من موقف الشك إلى عتبة الثقة - يقول : [ولقد انفصلت تحت معاول الفعلة أجزاء مهمة من طلاء جدران - قصر (سرجون الثاني الأكادي) القريب من المدينة المعروفة الآن باسم (خورزاباد) كانت مغطاة بنقوش بارزة بديعة وكتابة لم يفهم لها معنى إلى الآن - وكاد الأمل يخيب في حل رموز الخطوط المسمارية المخالفة لغيرها من الخطوط - وبفضل عبقرية علماء الآثار الذين وضعوا في أيدينا مفتاح الباب الذي ندخل منه إلى مجاهل ذلك التاريخ وتلك الحضارة التي كان يخوم الشك حول وجودها - لم يصعب بعد ذلك علينا الوقوف على ماضي الكلدانيين والآشوريين - لأنهم - هم أنفسهم : الذين تكفلوا بأن يقصرو علينا أخبارهم . وإن المستقبل كفيلاً بإمارة اللثام عما لا تزال رموزه غير مفهومة]^(١) .

٧ - فنحن إذا كنا نعتمد على عبقرية علماء الآثار ، لم نجرده القدامى من مثل هذه العبقرية . فالعبقرية ليست من مميزات الإنسان في هذا الزمن ! فليست معارف العصر الحديث إلا ثمرة دروس مرت بالإنسان وتجارب مارسها ، وما دونا نسمع عن آثار غارقة في القدم - ظهرت عفواً . وآثار اكتشفها التنقيب العسفي . فما الذي يمنع القدامى من العثور على آثار ربما كان الوصول إليها قبل ألفين وخمسمائة عام أسهل من العثور عليها اليوم ؟ ؟

إننا لا نستبعد أن يكون (ديودورس) قد وقف أمام آثار ماضية يسرها : أن تنبئه بأخبارها . فلما لم تجبه عن كل ما تهمة معرفته بها إلى معارف (ستيزياس) يستوضحها . كما بدأ إليها (إسترابون) ولا يزال (هيرودتس) بلأ المعاصره (ستيزياس) . واستعان بتقليد في كل ما يحسب أن يفتهم فيه بالمبالغة^(٢) شأن كل مؤرخ مستطلع في الماضي والحاضر .

(١) حضارة بابل وآشور من ٢٦ وما بعدها .

(٢) بابل وآشور من ١١٧ وما بعدها .

ولعل (ستيزياس) رجع إلى النصوص وصلت إلى (أرتخوسيس - نيمون) -
فلقد كان ملوك ذلك الزمن الذين تكفلوا بأن يقصوا علينا أخبارهم واحتفظوا بمكتبات
ملأتها النصوص الأثرية - حريصين على تدوين الأخبار بالتفصيل ، أما (بيروز)
الذي نقل عنه (أوزيب) ونقل عنه (يوسفوس) - فقد نقل عن مخطوطات م بارية
- كما جاء في بحث غوستاف لوبون .

على أننا لا نستبعد : أن يكون خيال بعض أولئك القدامى ، أو بعض من أخذ
عنهم تدخل في تفسير بعض الغوامض فصاغ الأساطير عن حدائق (سميراميس)
المعلقة ومخترعات عصر (أوانس)^(١) وتصور : الحدائق المعلقة - حدائق معلقة في
الهواء ، وأن (أوانس) - هو وحده : الذي اخترع كل ما يحتاج إليه عالم ما قبل
الطوفان - في حين أن الحدائق المعلقة - تعد من روائع الفن المعماري القديم القائم
على قواعد هندسية كتب عنها المؤرخون : وبينوا حقيقتها البعيدة عن صور الخيال
السادج^(٢) ، وفي حين أن عصر (أوانس) يعدّ من العصور الذهبية التي مرت على
الإنسان في عصور ما قبل الطوفان - كما تؤكد ذلك رواية الكلاسيكيين ، وتؤكد
النصوص الأثرية^(٣) .

إنني لا أستكثر على القدامى : النبوغ في الفن المعماري - بعد أن رأيت في
(الهند) روائع الفن القديم السابق لمدينة أوربا الحديثة ، وسمعت عنها في (إيران) .
ففي الهند رأيت : مسجداً في (أحمد آباد) تهتز مآذنه ، وسمعت : أن في إيران مثل
هذا المسجد ، وبعد أن رأيت في (بعلبك) قلعتها وفي (الجيزة) أهراماتها . وبعد
أن رأيت في (روما) آثار الرومانيين - إلى غير ذلك من آثار (ثمود) في الحجاز
و (الأنباط) في فلسطين .

إنني لا أستكثر كل ذلك - لأنني أعلم : أن الذين شيدوا تلك الآثار ملوك
وملكات سخروا الطاقات العامة في بناء تلك الآثار - وإنني لا أستكثر على الذين
عاشوا قبل الميلاد : اختراع ما هو ضروري لحياتهم - لأنني أسمع : أن أدلة

(١) لعله يقصد (إدريس) .

(٢) بابل وآشورص ١٠٩ وما بعدها .

(٣) قصة الحضارة ٢ / ١٦ .

وصلت إلى أيدي المنقبين جعلتهم يتخيلون : أن عصوراً ذهبية أظلت الإنسان القديم حيناً من الدهر .

٨ - وإننى فى اعتقادى هذا - أقف مع الذين لم يسرفوا فى اتهام ذلك الرعيل من المؤرخين بالخرافة والخيال ، ولم يبالغوا فى الثقة بما دونوه - فلقد جاء فى تاريخ (جواد على) عن (هيرودتس) : [وهو على حرصه على النقد والمحاكمة لم يتمكن من أن يكون بنجوة من الأفكار الساذجة التى كانت تسود ذلك العالم الابتدائى فى ذلك العصر]^(١) .

والذى يقف مع متبعى العقلية التاريخية . ومراحل التصنيف فى التاريخ - تقابله فى الألف سنة الذى سبق الميلاد - انطلاقة التدوين من خصوصية حجزته فى قصور الملوك إلى عمومية وضعته فى مهب المتناقضات : حقائق . وخرافات ، وتنبؤات : جاء بعضها فى تراث السوموريين . والأكاديين . ومن سبقهم إلى أرض الفرات . وجاء بعضها مع الأسفار الإسرائيلية التى اختلطت نصوصها بالتفسير والتأويل . وجاء البعض الآخر من القصص الفارسية والهندي والإغريقي . فى الوقت الذى ملأت الشرق العربى أحداث جسام لامفر للمؤرخ من سماع أخبارها وتسجيلها . فى ذلك الألف - توالى الحروب . وملاً أرض ما بين النهرين - اليهود المرحلون . وفى غضون ذلك الألف أخذ الإسرائيليون يدوتون أقدام أسفارهم . وفيه تحطمت إمبراطورية آشور العظيمة بين عشية وضحايا .

فمن ضياع النصوص التى احتفظت بها مكتبة الآشوريين . ومن انتشار تنبؤات (ناحوم) التى جاءت بعنوان (وحى على نينوى)^(٢) . ومن القصص الإيراني والهندي : نجم امتزاج مصادر التاريخ فأصبحت المدونات مزيجاً من مختلف المصادر بكل ما فيها من حقيقة وخيال . فلقد اختلط الخيال اليهودى بأدهام الكلدانيين . فرسم لأجيال تلك العصور : أرباباً وضعوا على قدة (الأولمبية)^(٣) اليونانية إلى غير ذلك مما جعل الأساطير المختصة بالآلة الإغريق . وقصة

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٦/١ .

(٢) بابل وآشور ص ٣٩ .

(٣) الأولمبية ألعاب رياضية كان اليونانيون القدماء يحتفلون بها كل أربع سنوات (المجد)

فيستندون إليها فى تاريخ الأزمنة (المنجد) .

الخليقة الواردة في سفر التكوين من أسفار العبرانيين تشبه القصص الواردة في معتقدات كلدة وآشور^(١).

وبناء على هذا الامتزاج والتشابه افترض المستشرقون : أن توراة موسى مأخوذة من قانون (حمورابي)^(٢) - وقالوا عن الأسفار التي دونت في (بابل) - : يظهر عليها الطابع العراقي الحر . وعمق التفكير وغنى المادة^(٣).

ولقد كان تأثير المصادر المختلطة بما فيها من خيال - على بعض قدامى المؤرخين : ضئيلاً . فلقد اعترف المستشرقون - وهم أكثر المحققين شكوكاً بفضل ستيزياس وهيرودتس وديودورس وإسترابون وغيرهم من المؤرخين الذين سبقت عصورهم ميلاد المسيح - في بقاء شهرة أرض الجزيرة من حيث العمارة والإنشاء حية مدى كل هذه السنين بناء على ما رووه عنها - فما قاله غوستاف لوبون : [وما كان أحد في (أوربا) من خمسين سنة يصدق أنه سيأتي يوم تؤيد فيه عيوننا بطريق المشاهدة تلك الروايات التي كنا نقرؤها ولا نصدقها ، وأن مدن الشرق القديم هذه ستنفض عن عظمتها ومجدها رمال الصحراء التي ظلت مدفونة بها أكثر من ألفي سنة]^(٤).

بيد أن الخيال بدأ يستفحل بعد الميلاد بفعل تقادم الزمن وتتابع الكوارث التي مر بها هذا الشرق وكثرة القصص الشعبي الذي اختلفت عناصره ، واختلفت المصادر التي ألف منها رواة الأخبار قصصهم ، فأصبح من النادر وجود مؤرخ قليل الخضوع للخيال مثل (أريستون - أرسطو) الذي نبغ في عهد البطالسة في مصر .

ولم يقتصر مؤلفو التاريخ في العصور القديمة على الكلام عن العراق وسورية ، بل تكلموا عن غيرهما من أقطار الجزيرة العربية . ولم تكن مصادر ما كتبه عن الأقطار العربية - مدونات الكلدانيين والآشوريين وحدها - بل كان من أولئك المؤلفين رحالون جابوا البلاد العربية وطافوا بحارها ، ودونوا مشاهداتهم وما عرفوه عنها - البلاد العربية - في مؤلفات وصلت إلى المؤرخين العرب في الماضي ، ونوه

(١) آشور وبابل ص ٩١ .

(٢) الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا ص ٥١ .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ١ / ٢٤ .

(٤) بابل وآشور ص ١٠٤ .

بها في الحاضر - جرجي زيدان وجواد علي وغيرهما من الباحثين في ماضي العرب الجاهلي وقالوا : إن من أولئك الرحالين (إسترابون) وإنه أفرد للعرب فصلاً خاصاً في الكتاب السادس عشر من مؤلفه الجغرافي - ذكر فيه مدناً عربية ، وتحدث عن حياة العرب الاقتصادية والاجتماعية وعن غزو (إليوس غالوس) جزيرة العرب - وإخفاق ذلك الغزو وأمام الصمود العربي - ومنهم : صاحب كتاب (الطواف في بحر أريتريا) . ومنهم : (يوسيفوس - يوسف اليهودي) الذي تكلم عن عمالقة مصر . ويقول جرجي زيدان : إن (بطليموس) جمع في جغرافيته كل معارف اليونانيين الذين سبقوه^(١) - ويقول (جواد علي) : [إن من أقدم من ذكر العرب (أخيلس) من سنة ٥٥٦ إلى سنة ٥٢٥ ق . م]^(٢) .

١٠ - إننا كلما تتبعنا مصادر التراث التاريخي القديم الذي رجع إليه العرب فيما كتبوه عن - تاريخ المسيحية واليهودية وملة إبراهيم وقوم نوح - نجد : تلك المصادر تستند إلى نصوص غارقة في القدم - فعلى ذلك : أن الحكم على التراث القديم بأنه مجموعة أساطير خيالية وخرافات ساذجة - يستدعي حشيات لم تتوافر لإصدار مثل هذا الحكم - كما قلت من قبل - وأنا بعد الذي تقدم لا بد لنا من الرجوع إلى تراث القرون الأخيرة التي سبقت الميلاد .

فنحن إذا ما رجعنا إلى ما جاء في تحقيق المؤرخين عن المصادر اليونانية القديمة مثلاً - نجد : المحققين في تاريخ الإسكندر المقدوني وتاريخ فتوحاته - يقولون : إن الإسكندر كان تلميذاً لأرسطو قبل أن يكون ملكاً على مقدونية . وإن (أرسطو) لم يأل جهداً في تعليم الإسكندر طيلة ثلاث سنوات لسه فيها : الأدب اليوناني . والفلسفة والتاريخ . وإن الإسكندر قبل أن يغزو الفرس درس تاريخهم وعرف الكثير عنهم . وإنه عندما تغلبه الغزو استصحب معه جماعة من الفلاسفة والعلماء وصفوة من ربابين مقدونية^(٣) . وتقول د. د. د. في كتابها عن (ابن فاتك) و (الشهرزوري) : [إن الدافع للإسكندر عن الفرس لم يكن

(١) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان ص ٢٦ وما بعدها .

(٢) تاريخ العرب لجواد ٢٦/١ .

(٣) كتاب الإسكندر الأكبر للخانجي ص ٢ وما بعدها و ص ١١ وما بعدها .

حب الشهرة في الغزو وحده، وإنما الدافع هو الظماً إلى المعرفة - لذلك صحب معه الفلاسفة إلى كل بقعة حل فيها [(١)]؛ لذلك لم يكن تحفز الإسكندر وهو يتأهب لغزو الشرق أنشط من تحفزه بعد أن تم له النصر الكبير - فلم تلهه نشوة الظفر عن العمل للمزيد من الفتوحات وللمزيد من معرفة أرض الشرق الأوسط وبحاره - فاستمرت جيوشه في فتح البلدان - واستمرت فلاسفته في دراسة معارف الشرق. واستمرت ربابينه في اكتشاف بحاره وشواطئه. واستمر الإسكندر يزود هؤلاء وهؤلاء بكل إمكانيات ذلك العصر. ولو امتدت أيام الإسكندر - لتم اكتشاف الشيء الكثير مما يفيد التاريخ والمعارف.

١١ - فمن أي نوع تلك الدروس التي تلقاها الإسكندر من أستاذه (أرسطو) الذي قال عنه المؤرخون: إنه غزا العالم القديم بمعارفه مثلما غزاه تلميذه الإسكندر بجيوشه؟! هل هي من مجموعة الأساطير والخرافات؟! إن الذي يغلب على الظن: أن الإسكندر تلقى في مدرسة أرسطو علوماً بعيدة عن الخرافة والخيال - فلقد كان معلموه يدركون ما يترتب على معارف الملك المنتظر الطموح، ولقد ظهرت قيمة المعارف التي تلقاها الإسكندر واضحة في انتصاراته العظيمة، وإن الذي يغلب على الظن: أن الإسكندر لم يستصحب معه علماء ساذجين - تتسلط على عقولهم الخرافة والأساطير - ولا يقدرّون خطورة المهمة التي انتدبوا لها وما عليهم أن يقدموه ليكون أساساً تقوم عليه مخططات عاهل مقدونية المحظوظ.

إننا إذا ما استمعنا إلى المحققين الذين تناولت بحوثهم تاريخ الإسكندر - نجدهم: إذا ما تحدثوا عن الإسكندر - قالوا: إن بعض أخباره وشيئاً من فتوحاته: وطواف قائده في الخليج - جمع في كتاب ألفه (أوريان) المتوفى سنة ١٧٥ بعد الميلاد. وإن ما في هذا الكتاب على جانب عظيم من الأهمية (٢) - وإذا ما تحدثوا عن الكتب الكلاسيكية - قالوا: [ولهذه الكتب على ما فيها من أخطاء: أهمية كبيرة - إذ وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية كبيرة الخطورة. ووردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لم نعرف عنها

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ١٢٨ .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد ٢ / ٣٧١ .

شيئاً ، وقد استقى هؤلاء الكتاب معارفهم من الرجال الذين اشتركوا في الحملات التي أرسلها اليونان والرومان على بلاد العرب ، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل بلاد العرب ، وأقاموا مدة بين ظهرانيتهم لاسيما في بلاد الأنباط . ومن التجار وأصحاب الفن الذين كانوا يتوغلون في البحار وفي بلاد العرب للمتاجرة . وتعد الإسكندرية من أهم المراكز التي كانت تعنى عناية خاصة بجمع الأخبار عن بلاد العرب - وقد استقى كثير من الكتاب الكلاسيكيين معارفهم عن بلاد العرب من هذه البورصة التجارية العالمية^(١) - ويرى (جرجي زيدان) : [أن هؤلاء المؤلفين - على تشتت ما كتبوه : فضلا كبيرا على تاريخ العرب ، وأنهم أوضحوا كثيراً من غوامضه . فذكروا : دولاً وقبائل وأماكن . لم يعرفها مؤرخو العرب على الإطلاق كدولة (الأنباط) و (المعينيين) و (السبئيين) وغيرهم]^(٢) .

وإنني أستوقف القارئ عند هذا الرأي الذي أخذ يعتنقه الباحثون . والذي يقول : إن اليونانيين ذكروا : دولاً وقبائل وأماكن لم يعرفها مؤرخو العرب . لألفت نظره إلى ما سبق أن قلته في مبحث (فكرة التاريخ ومصادره) في هذا الجزء : إن كثيراً من دول العرب وشعوبها - تحدث عنها المؤرخون اليونانيون والرومانيون والفرس والإسرائيليون - بسبب احتكاكها باليونانيين والروم والفرس واليهود . فلا يبعد أن يتحدث المؤرخون - البيزنطيون واليهود والفرس عن دولة (اللخيين) ودولة (الغساسنة) و (الأنباط) و (التدمريين) والدول التي سبقت في وادي (الفرات) أو جبال (لبنان) - بأكثر مما تحدث عنها العرب - فلقد كانت معارف (ديودورس الصقلي) المتوفى سنة ٨٠ ق . م أكثرها عن (الأنباط) وإن كان (ديودورس) ذكر مكة وبيتها الحرام^(٣) - وكان (يوسف - يوسنوس فلافيوس) المتوفى سنة ٩٣ ب . م - يرى : أن بلاد العرب - هي : مملكة الأنباط^(٤) . وإذا ما رجعنا إلى ما قيل عن تاريخ (هيرودتس) المتوفى سنة ٤٠٦ ق . م -

(١) تاريخ العرب لجواد / ١ / ٢٥ .

(٢) العرب قبل الإسلام ص ٢٧ .

(٣) التاريخ الجغرافي للقرآن ص ١٣ .

(٤) تاريخ جواد على / ١ / ٢٤ .

عن بلاد العرب - نجد معلوماته عنها: محدودة في نطاق ضيق . ولعل (إيراتوستينيس) المتوفى سنة ١٩٤ ق . م أوسع علماء ببلاد العرب بفضل الدراسات التي قام بها اليونانيون والبطالسة بعد الإسكندر - والتي حفظ بعضها في مكتبة (الإسكندرية) التي كان (إيراتوستينيس) مديراً لها^(١) - ولو لم تتتابع الأحداث قبل الإسلام على مكتبة الإسكندرية لعرف العالم شيئاً عن تلك العهود .^(٢) ولا غرابة فيما إذا رجع المؤرخون العرب إلى مؤلفات اليونانيين وغيرهم ممن سبقهم إلى تدوين التاريخ وتأليفه . ونقلوا عما جاء فيها من أسماء الدول وأنساب القبائل وأماكنها .

وأستوقف القارئ لألفت نظره إلى أن الجزم بأن العرب لم يعرفوا على الإطلاق: دول (الأنباط) و (معين) وسبأ - يحتاج إلى أدلة تثبت: أن الأسماء التي ذكرها المؤرخون الذين سبقوا العرب في تدوين المؤلفات التاريخية والجغرافية - لم يذكرها العرب في جاهليتهم . ويدونها بعد إسلامهم بحروف غير التي ذكرها بها من سبقهم من مؤرخين ورحالين - يونانيين وكلدانيين وغيرهم - فما بين (إسترابون) وبين الذين دونوا التاريخ وألقوا في الجغرافية من العرب - مئات السنين . ومن الواضح: أن في أعماق الزمن - دولا وشعوباً لمع اسمها فترة وجيزة في الدهر القديم : ثم اضمحل كيانهما السياسي والاجتماعي - فأصبحت لها حياة جديدة وأسماء جديدة - ومن الواضح: أن كثيراً من الدول والشعوب أطلق عليها الكلدانيون واليونانيون والبرانيون: أسماء من الصعوبة تطبيق بعضها على الأسماء التي عرفها بها العرب - أطلقوا أسماء تجاوز بعضها الحقيقة مثل: اسم (إثيوبيا) الذي أطلقوه على الشعوب الممتدة بلادها من (الحبشة) وشرقي (اليمن) إلى غربي (عمان) - واسم (اليمن السعيدة) الذي أطلقوه على أرض الجزيرة العربية الممتدة جنوبي الهلال الخصيب^(٣) .

وما يقال عن الأسماء التي جاءت في مدونات القدامى - يقال في الأسماء التي جاءت على النصوص الأثرية - ولقد سبق أن قلت في الجزء الأول: إن أدلة كثيرة ترجح: أن معين - هي عاد . ولا إخال مؤرخاً عربياً لا يعرف (سبأ) التي ورد

(١) التاريخ الجغرافي للقرآن ص ١٢ و ١٣ .

(٢) راجع بحث: المسلمون لم يشعلوا النار في تراث القدامى ، في هذا الجزء .

(٣) في الجزء الثالث جغرافية الجزيرة العربية القديمة وضحت الأسماء المغلوطة والأسماء غير العربية .

ذكرها في القرآن - ولا إخال محققاً في التاريخ العربي اليوم - يجهل اختلاف الرأي في مكان سبأ أهو : في اليمن ؟ أم في شمالي الحجاز ؟ أم في الحبشة - ولا يعرف : أن تراكم السنين على دولة سبأ - هو : السبب في هذا الاختلاف .

فنحن إذا ما رجعنا إلى تراث أول إغريقي بحث في الجغرافية (هومر) الذي تألق نجمه في عام ١٠٠٠ أو ٨٠٠ ق . م - نجده يذكر (السوريين) باسم (أرمي) ويذكر : العرب باسم (أرمي) ونجد اليونانيين من بعده يذكرون : مدينة (ينبع) باسم (جامبيا) و (قرية) باسم (جراهي) - ونجد من يقول : إن (بطليموس) لم يزر بلاد العرب . ولكنه كثيراً ما تقابل مع التجار في مدينة الإسكندرية واستقى منهم كثيراً من معلوماته عن البلاد العربية كما فعل (يوسف فلافيوس) الذي عاش في الإسكندرية واستفاد من مكتبتها التي كانت باقية إلى أيامه . واستفاد من التجار الذين كانوا يفتدون إلى ميناء الإسكندرية . ومثلما ذكرت بعض الأماكن العربية في المدونات اليونانية - بأسماء يونانية ذكرت بعض المدن العربية في الأسماء بأسماء عبرية - مثل (الرقيم) فقد كانت تسمى بالعبرية (شيلوه) و (بطراء) باليونانية وقد تكرر اسم (حورب) في العهد القديم على أنه اسم بقعة في بلاد العرب تمتد بين الحجاز وسورية وطور سيناء وقد أطلق اسم (شرق) في الإنجيل على العرب في حين أطلق الإنجيل في بعض الأحيان اسم (الجنوب) عليها^(١) .

١٣ - وأستوقف القارئ أيضاً لأثبت نظره - إلى أن من الذين كتبوا عن العرب رحالين ساروا مع القوافل التجارية في فيافي الجزيرة واختلطوا بقبايلها مثلما اختلط بهم التجار فدونوا ما رأوه وما سمعوه من أفواه عمدة العرب - ومنهم من أقام في مدن التجارية مثل : (الإسكندرية) و (تدمر) و (بصرى) و (الحيرة) و (الباقية) وغيرها يستقى أخبار البلاد العربية من القادمين منها كما كان يفعل رواة الشعر الجاهلي - فقد جلس أكثرهم في البصرة يسأل العرب القادمين إلى مدينتهم عن أيام العرب وأشعارها - وإلى أن مثل هذه الأخبار التي تأتي عن هذه الطريق يجب أن توضع على مشرحة التحقيق كما كان يفعل رواة الشعر الذين وضعوا الشعر تحت مجهر النقد ليميزوا المنحول من الأصل . فليس كل تاجر ثقة . وليس كل عربي

(١) كتاب التاريخ الجغرافي للقرآن من ٦٠ ، ٦٩ ، ١٣ ، ١٤ .

دقيقاً فيما يرويه ، وقد يكون من الرحالين : من لا يملك الوسائل التي أتاحت للذين كانت لهم إمكانيات دولية كالذين أوفدهم البطالسة إلى جزيرة العرب - ومنهم من لم تتح له ظروفه فرص التقصي فاعتمد على المظاهر العامة التي تواجه الزائر المستعجل .

١٤ - فنحن سكان الحرمين اليوم - نرى فيما كتبه زوار مكة والمدينة : من مشاهدات : صفات لا تنطبق على مجتمعنا . ومعلومات خاطئة لا تتفق مع واقعنا . وأسماء لبعض الأماكن محرفة كما ينطقها العامة . وأكثر من ذلك ما وقع فيه مندوبو (المساحة المصرية) الذين رسموا للمدينة خارطة دقيقة في المساحة - ولكنها غير دقيقة في أسماء الأماكن . وذلك لأن أولئك المندوبين اتصلوا بالمهندسين المحليين الذين لا يعرفون شيئاً عن تاريخ أماكن المدينة - فن الأخطاء التي وقعوا فيها : وضع اسم (سوق الفلاكية) بدلا من (سوق الفلتية)^(١) ، ومن المنتظر: أن يسبب هذا الخطأ متاعب للباحثين الذين سيحققون في المستقبل تاريخ المدينة و يضعون وقتاً ثميناً في البحث عن علماء الفلك في المدينة الذين تسمى هذا السوق بهم - مثلما أتعب الباحثين اليوم : التحقيق في (دار القراء) وهل كانت دار علم تدرس العلوم الإسلامية من قبل غزوة بدر^(٢) ؟ !

١٥ - ومما هو جدير بالانتباه والملاحظة : ما قاله (ياقوت الحموي) عندما أشار في مقدمة كتابه (معجم البلدان) إلى مؤلفات اليونانيين : (أفلاطون) و (فيثاغورس) و (بطليموس) وغيرهم : [قد وقفت لهم على تصانيف جهات أكثر الأماكن التي ذكرت فيها . وأبهم علينا أمرها . وعدمت لتناول الزمان فلا تعرف]^(٣) .

حقاً ! إن للزمان تقلبات . وإن لتقلبات الزمان فعلها في الأجيال ومعالم الأماكن - فكما تتلاشى الشعوب والدول في طيات الزمن - كذلك تدرس معالم الأماكن وآثارها في بطن الأرض . فمثلما ابتلع الزمان : الدول والشعوب فلا يذكر منها غير التي كان لها دور في التاريخ - كذلك ابتلعت الأرض معالم الأماكن فلا

(١) سوق الفلتية - من أسواق المدينة المستجدة قد تكون العامة أطلقت عليه هذا الاسم بناء على أن الذين يتاجرون فيه يتاجرون بالبضاعة التي ترد من الفلاة .

(٢) راجع بحث - من المدينة بدأ التاريخ وتدوينه ، الآتي في هذا الجزء .

(٣) معجم البلدان ١ / ٧ .

يعرف منها غير التي سجلت آثارها ما ينم عن حقيقتها - أضف إلى ذلك تصحيف الأسماء التي تنقل من لغة إلى لغة ومن جيل إلى جيل - فبأية لهجة من لهجات القبائل العربية وصل إلى مسامع اليونانيين وغيرهم - اسم المكان أو القبيلة أو الملك ؟ وبأى خط كتب اليونانيون وغيرهم : اسم المكان أو القبيلة أو الملك ؟ وبأى لفظ رجع الاسم إلى أصله العربي --- بعد أن عربت مدونات اليونانيين وغيرهم : الأسماء التي عادت اليوم عن طريق اللغة الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية أو غيرها من لغات المستشرقين الذين نقلوا عن المصادر القديمة . فزيادة حرف في الاسم أو نقصه . وإبدال حرف بحرف آخر يهابل الفكر ويبعث الخلاف .

ومما هو جدير بالانتباه والملاحظة : ما قاله (الأمير شكيب أرسلان) في تعليقه على تاريخ ابن خلدون - [وليس تحت أيدينا الآن كتاب (هيرودوتس) (هيرودوش) كما سماه (ابن خلدون) - ولذلك نحن لانسأل عما في هاتين الأعلام التي ينقلها المؤلف من تصحيف]^(١) .

أجل ! إن كثيراً مما وصل إلى المؤرخين في عصور ما بعد الإسلام - وصل إليهم نصوصاً منقولة عن مؤلفات ضاعت أصولها . وإن كثيراً من تلك النصوص التي وصلت إلى أيدي المؤرخين العرب السابقين مثل (ابن خلدون) وذلك لرعيلا ليست في متناول أيدي الباحثين اليوم - فحكم على ذلك التراث أو الحكم له لا يشمل غير القليل الذي قنع الباحثون ببعضه وهو زال بعضه تحت رحمة الشكوك .

ونحن مع اعترافنا بنشاط مؤرخين القدامى الذين سبقوا ميلاد مسيح . ولكن تأخروا عنه - ومع علمنا بأن هذا النشاط ورثه البطركس في مصر عن الإغريق الذي حرص على اكتشاف سواحل جزيرة العربية تمهيداً لغزوه من البحر فأعاد لرواده ما يازمه لاكتشاف سواحل جمهورية ليبيا في حين أن الإغريق من مفاجئاً قضى عليه وعلى مشروعاته فقد اقتدى به (بطليموس) في اكتشافه عزم على بسط نفوذه على البحر الأحمر فأوفد (أريستون) (بطليموس) ليكتشف

(١) تاريخ ابن خلدون - الجزء ١ - طبع في القاهرة سنة ١٣٥٥ - ١ - ٢٨١ .

له سواحل بلاد العرب من (طور سيناء) إلى باب المندب - فأتم أرسطو : مهمته .
فكان هو أول إغريقي - أشار إلى (ثمود)^(١) - ومع علمنا بأن أكثر الرواد الذين نقلنا بيان أسمائهم من كتاب العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان - كانوا رجالين دونوا عن العرب ما يدونه كل مؤرخ رحالة همه الكتابة في التاريخ - مثل : (هيرودتس) و (إسترابون) وغيرهما . إننى مع ذلك كله - لا بد لي أن ألفت النظر إلى المبالغات النابعة مما كان يعتقد المؤرخون في الشعوب القديمة التي خلفت آثاراً أطلقت خيال أولئك الذين عاشوا في عصور متأخرة لم يستطع الإنسان أن يبني فيها مثل ما بنى الفراعنة في مصر . أو ينحت مثل ما نحت الثموديون في الحجاز . فكما عبث الخيال بكثير من ظنون مؤلفي التاريخ ورواة الأخبار التي نجدتها فيما نتداوله من مؤلفات - كذلك لعب الخيال دوره فيما دونه (هيرودتس) وغيره عن (سميراميس) و (أوانس) وعالم ما قبل الطوفان - ونحن إذا كنا نعترف بأن المؤرخين العرب ليسوا جميعهم في مستوى (ابن خلدون) . فعلينا كذلك أن نعرف أن ليس كل مؤلف يوناني في مستوى (هيرودتس) و (بطليموس) . وأن ليس كل ما كتبه المؤرخون اليونانيون في مستوى ما كتبه (إسترابون) و (أوريان) - فإذا كان من المؤرخين اليونانيين من اتخذ مما ألفته أخيلة العامة قصصاً جعلت من الإسكندر ملاكاً يصنع المعجزات . ويبحث عن نهر الحياة مع طاهيه (أندرياس) الذي اكتسب صفة الخلود بعد أن شرب من ذلك النهر قبل أن يعلم : أن من شرب منه يحظى بالخلود^(٢) - ولقد وصل ذلك القصص إلى المؤرخين العرب عن طريق المدونات السريانية واليونانية فتصوروا : أن الإسكندر الملقب بندي القرنين هو : ذو القرنين المذكور في القرآن^(٣) . وقال بعضهم : عن الإسكندر هو : ذو القرنين الثاني^(٤) - إذا كان الخيال أخضع ظنون المؤرخين الذين لا يبعد عنهم عصر الإسكندر مثلما بعدت عصور الأمم التي تحدث عنها (هيرودتس) و (بروسوس) وذلك الرعيل - فخليق

(١) تاريخ العرب لحواد ٢ / ٣٧٥ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ٣٤٨ .

(٣) الأخبار الطوال ص ٣٧ وما قبلها .

(٤) تفسير النيسابورى المهمش على تفسير ابن جرير ١٦ / ١٨ وما بعدها . ودائرة المعارف

الإسلامية ٢ / ١٢٨ .

بظنون هؤلاء ألاّ تسلم من الخيال الذى صرف الكثيرين عما فى تراثهم من حقائق قنعت بها المعارف الأثرية فى القرن العشرين بعد أن رفضها منطق القرن التاسع عشر واستبعدتها دراسته .

وَمَا هو جدير بالانتباه والملاحظة : ما يقوله بعض المستشرقين عن المؤرخين القدامى . وإن بعضهم يميل مع عنصريته - وفى مقدمة هؤلاء الإسرائيليون الذين يتجاهلون حقائق تاريخية فى سبيل ما يظنون مفيداً لتاريخ اليهود - لقد قال (جون ويلسن) فى مؤلفه (الحضارة المصرية) - [وهذه قصة مغرضة - لأن يوسيفوس كان يريد : أن يثبت أن الهكسوس هم بنو إسرائيل]^(١) .

إن الميل مع العنصرية : أمر مأموس فى كل أمة من الأمم - وإنما هناك تفاوت بين المؤرخين . فبعضهم معتدل فى ميوله . وبعضهم مغال فيها . وما أكثر ما منى التاريخ العربى : الجاهلى منه والإسلامى بالتحزب العنصرى .

وبعد : فمثل التراث القديم والنصوص التى اعتمد عليها . مثل غيره من التراث التاريخى فيه الحقيقة . وفيه الخيال . وفيه انحراف عن أصله . وفيه الذى طمس الزمان معالمه . ومثل المؤرخ القديم - مثل المؤرخ الحديث . فكل منهما يتحدث بمنطقه ويقيس بمقاييس عصره - فإذا كان الزمن القصير - أضاع معالم الكثير من فى جغرافية بطليموس - فما بالك بالزمن الذى سبق ميلاد المسيح بآلاف السنين !

وإنه نخلق بنا : أن نعتزف بأن ذلك التراث هو : حصيلة مجهود كبير بذلته القدامى فى تدوين ما جمعوه من المعلومات التاريخية . وأن ما دونه قدامى له ثمنه بالنسبة لقدمه . وبالنسبة للفوائد التى يجنيها تحقق الذى بحث فى مراحل التاريخ ومصادره . وبالنسبة للنصوص التى اعتمد عليها لأقدمه . وأننى وضحت مصادرها فيما تقدم .

وأخيراً يجدر بى - أن ألفت نظر القارىء إلى عتف القدامى . وبأنهم باهمية تراث القدامى وإن نصوص ذلك الاعتراف التى لغاتها حروفية . وهى اعتراف المؤرخين المتأخرين بأن كثيراً مما كان يرفضه منطق العصور الوسطى أصبح حقائق ثابتة مثل : رأى (بروسوس) فى عمر الإنسان على الأرض الذى وضع فى تقديره

(١) الحضارة المصرية من ٢٢٦ . وراجع بحث الأستاذ فى هذا الجزء .

سنى الدول والشعوب قبل الطوفان وبعده ، فقد أثبت التحقيق العلمى : أن عمر الإنسان يقارب نصف مليون عام . وقد سبق البحث فى سنى دول ما قبل الطوفان ، وفيما يفهم من سنى الملوك الذين حدد بروسوس عددهم - فى الجزء الأول من هذا المؤلف^(١) وسبق أن نقل نص اعتراف غوستاف لوبون وغيره بصحة ما رواه الأقدمون الذين تحدثوا عن (سميراميس) .

وخلق بنا : ألائك فى شىء مما فى التراث القديم أو نصدقه - ما لم تتوافر أدلة الشك - وشواهد التصديق - وألا نستبعد أن تصل المعارف فى المستقبل إلى أدلة تصدق ما نعتبره اليوم خيالاً وخرافة - مثلما وصلت معارف اليوم إلى أدلة أثبتت : أن ما عدّ فى الماضى خيالاً أصبح فى الحاضر حقائق مثل : عمر الإنسان فى هذه الأرض وحضارة بابل وآشور ودول ما قبل الطوفان .

وخلق بنا : ألائك نخطئ المؤرخين العرب الذين رجعوا إلى ما وصل إليهم من التراث القديم - ونقول : وكان ذلك فى غير مصلحة التاريخ العربى .

(١) الجزء الأول : التاريخ العربى وبدايته ، بحث دول ما قبل التاريخ ٦٣/١ .

الفصل الرابع :

الأساطير والشعر في العصر الجاهلي

من صحيفة ١٣٥ إلى صحيفة ١٦٨

- ١ - أساطير الأولين في العصر الجاهلي ومصادرها من صحيفة ١٣٧ إلى صحيفة ١٦٢
- ٢ - الشعر الجاهلي وصلته بالتاريخ من صحيفة ١٦٣ إلى صحيفة ١٦٨

أساطير الأولين في العصر الجاهلي ومصادرها

من صحيفة ١٣٧ إلى صحيفة ١٦٢

من موضوعات البحث :

- ١ - المجتمع الجاهلي .
- ٢ - القراءة والكتابة عند العرب قبل الإسلام .
- ٣ - ماذا تعني كلمة (الأمية) ؟
- ٤ - تدوين الأحداث في العصر الجاهلي .
- ٥ - مصادر القصص الجاهلي .
- ٦ - اهتمام العرب الجاهليين بالأحداث التاريخية .
- ٧ - كيف تجمع القصص الجاهلي ؟
- ٨ - القصص الشفهية .
- ٩ - الخيال في الأساطير لم يحجب الأصل التاريخي .
- ١٠ - المدونات الجاهلية .
- ١١ - الفرص التي أتاحت للجاهليين جمع القصص التاريخي .
- ١٢ - التبادل المادي والروحي وأثره في المعارف التاريخية .
- ١٣ - مصير المدونات الجاهلية .
- ١٤ - مدونات الجاهليين التي اطلع عليها المؤرخون .
- ١٥ - النتائج التي وصل إليها البحث .

أساطير الأولين في العصر الجاهلي ومصادرها

١ - إننا لا نعطي البحث حقه : إن نحن سلمنا بما قاله (كرد علي) عندما وصف العرب عامة بالوحشية والشظف استناداً إلى ما قاله الطبري - : [كان العرب يأكلون الخنافس والجعلان . والعقارب . والحيات وكل ما دب ودرج . وإن التمر والشعير كان طعمه أهل المدن . وإن رئيس الأسرة الغنية هو وحده الذي كان يأكل الدقيق] ... فاعتقدن : أن العرب جميعاً كانوا يعيشون في دخل جزيرتهم كما تعيش الوحوش في دخل غاباتها . ولا نعطي البحث حقه : إن نحن أخذنا بما يقوله بعض المستشرقين عن حياة العرب في جاهلية . وإنها كانت في عزلة تامة عن العلم المتحضر آنذاك - فاعتقدن : أن العرب جاهليين كانوا في عزلة عن حضريهم وماضيهم لا يعرفون شيئاً من أخبار الأمم التي كانت تجاورهم . ولا يعرفون قليلاً ولا كثيراً مما كانت عليه (عاد) و (تمود) و (جرهم) وغيرهم من الأمم التي أطلق عليها العرب اسم : العرب البائدة .

وإذا كان من حق البحث التقصي . فإن التقصي هنا لا يترجم بالعودة إلى ما سبق في الجزء الأول من هذا الكتاب عن الحياة العربية في عصور الجاهلية القديمة . بل يكفيننا : أن نقلب صفحات كتاب كرد علي (الإسلام والحضارة العربية) . فنحن إذ ما قلبنا صفحات الكتاب نجد فيه صوراً لمدينة الجزيرة . مثل : مكة . والمدنية . والطائف . وحجر اليمامة - تختلف عن الصورة الأولى التي يرسمها . نقه كرد علي عن الطبري !!

٢ - وإننا لا نعطي البحث حقه : إن نحن سرنا وراء ما فهمنا (...) مما جاء في بحث (درمنغام) المستشرق الفرنسي عن النبي صلى الله عليه وسلم : [أن أبا طالب الذي كفل النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن غنيباً . فلم يتح له تعاليم الصبي الذي بقي أمياً طول حياته] ففهمنا مع السيد رشيد : أن (درمنغام) يوهم

(١) الإسلام والحضارة ١ - ١٣٣ وما بعدها .

القارئ : [أن أولاد الموسرين بمكة كانوا يتعلمون كأن هناك مدارس يعلم فيها النشء بالأجور كمدارس بلاد الحضارة . وهذا باطل لا أصل له]^(١) - فإن الذي يتتبع تاريخ العرب الجاهليين يعلم : أن العرب لم يكونوا جميعهم أميين لا يعرفون الكتابة والقراءة - ويعلم : أن سكان (الحيرة) في العصر الجاهلي كانوا يرسلون أبناءهم إلى (الكتاب) ليتعلموا الكتابة والقراءة فإذا ما حذقوها بعثوا إلى (كتائب) فارسية^(٢) . ويجد من روايات المؤرخين المتواترة : روايات تؤكد : أن قريشاً أخذت الكتابة من أهل الحيرة^(٣) . وأن النضر بن الحارث القرشي أخذ عن الحيريين أخبار فارس وسير أبطالها^(٤) - وأن أبناء الأوس والخزرج كانوا يتعلمون الكتابة على بعض اليهود ، وأن من بين الشقيين في الطائف كتاباً . والذي يعلم كل هذا لا يستبعد : أن يبعث بعض القرشيين أبناءهم إلى كتاب الحيرة . ولا يستبعد على القرشيين : تعلم خط الشقيين من أهل الطائف . وإن الذي يتتبع السيرة النبوية - يعلم : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تنهياً له الأسباب ليكون واحداً من الذين عرفوا الحيرة وواحداً من الذين عرفوا الكتابة والقراءة . - للأمر العظيم الذي أعده الله له . فبعث أمياً ينزل عليه كتاب عربي مبين .

وإننا لا نعطي البحث حقه : إن صدقنا بما قاله (توماس كارليل) : إن العرب كانوا منعزلين عن العالم لم تصل إليهم غير أبناء غامضة عن حياة المسيح ووفاته^(٥) . فالتواصل التجارية كانت تجوب فيافي الجزيرة ومدنها وقراها : وإن من العرب تجاراً يتعاملون مع الروم في سورية ومع الأحباش في أفريقيا واليمن . وإن جاليات كثيرة من يهود ومسيحيين هاجرت إلى الجزيرة العربية . فسكن بعضها في الحجاز وسكن بعضها في اليمن .

٣ - فمن حق البحث : ألا يتجاهل الأدلة التي قدمها مغربلو التاريخ العربي الجاهلي والتي تثبت : أن عدداً غير قليل من الجاهليين : رجالاً ونساء - كانوا

- (١) الوحي المحمدي ص ٧٥ .
- (٢) الأغاني ٨٣/٢ طبع بيروت .
- (٣) المزهري ٣٤٣/٢ .
- (٤) المزهري ٣٩٣/٢ .
- (٥) كتاب الأبطال ١٠٤/١ و ١١٢ .

يقرءون ويكتبون . فأوضح دليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولئن نؤمن لرقيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه - قل : سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا ﴾ (١) . فالأمة التي لا تعرف الكتابة ولا القراءة لا تطلب أن ينزل عليها كتاب تقرأه . ونحن إذا كنا نجد : عدداً من المتقدمين - يرى : أن الكتابة في العرب الجاهليين توشك أن تكون عديمة مثل : (ابن سعد) الذي يردّد في طبقاته قوله : وكانت الكتابة في العرب قليلة - فكذلك نجد : عدداً من المتأخرين غربل التاريخ الجاهلي بحثاً عن الحقيقة - فلما وجدها ردّ على من يقول بقلة الكتابة عند العرب - فهذا (ناصر الدين الأسد) يرد على « ابن سعد » في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي) : [ومما يلفت النظر فيما يقوله ابن سعد : أن ابن سعد كان يردّد هذه العبارة - وكانت الكتابة في العرب قليلة - كلما ذكر في طبقاته الذين يكتبون في العصر الجاهلي - رغم أن عدد الذين ذكرهم ابن سعد في العصر الجاهلي من الكثرة بحيث لا يصح لابن سعد أن يكرر عبارته تلك كما ذكر قارئاً جاهلياً] (٢) .

وهذا الذي لاحظته (ناصر الدين الأسد) على (ابن سعد) يلاحظه كل باحث في العصر الجاهلي . فالطبري . والبلاذري . وابن حبيب . على ما يقولونه : عن جهل العرب بالقراءة والكتابة . قد ذكر كل واحد منهم عدداً كثيراً من الكتاب في العصر الجاهلي . وأكدوا جميعهم : أن كثيراً من سكان الطوائف الثقيين كانوا يعرفون الكتابة والقراءة . وأن الطوائف أخرج في العصر الجاهلي عدداً ليس بقليل من الكتابة .

وأكثر من هذا - أن الأصنفهاني ذكر في كتابه الأغاني : رجلاً في جاهلية كانوا يجيدون مع الكتابة والقراءة باللغة العربية . قراءة وكتابة لغات مثل : العبرية والديريانية والفارسية منهم : (عدى بن زيد العبادي) . و (لقيط بن يعقوب الإيادي) . و (ورقة بن نوفل) (٣) . ولقد عقد (محمود شكوي الأوسني) وصلاً في مكاتبات العرب ومراسلاتهم تحدث فيه عن (لقيط الإيادي) وسبباته الشعرية التي

(١) سورة الإسراء (الآية ٩٣) .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي .

(٣) راجع تراجم هؤلاء في الأغاني .

أخبر فيها قومه بإزمام (سابور) على غزوهم - وعقد فصلاً آخر في أدوات الكتابة وأسمائها في اللغة العربية^(١) - ونقل (جواد على) ما ذكره (يوسف غنيمه) في كتابه (الحيرة) : [أن أناساً كانوا يحسنون القراءة والكتابة واللغات الأعجمية مثل الفارسية والسريانية واليونانية - وقد ظهر منهم - من ألف مباحث في الكتاب المقدس . وفي الموضوعات اللاهوتية والطبية . واللغوية والتاريخية . وكان منهم من له وقوف على كتب التاريخ وأخبار الملوك وعن هؤلاء أخذ النضر بن الحارث]^(٢) .

ونحن بعد أن بحثنا في الجزء الأول من هذا الكتاب في خطوط اللغة العربية وكيف نشأت الخطوط : المسند ، والإرمي ، والقرشي إلخ ، وكيف تطورت . وكيف كان الحجاز ونجد نقطة تلاقى لغات وخطوط جاءت من الجنوب وجاءت من الشمال . لا نرى ضرورة لأن نقول هنا ما قلنا هناك . ونكرر ذكر الأدلة التي اعتمد عليها ترجيحنا قدم الكتابة والقراءة في الجزيرة العربية مهد الساميين - إنما الضروري للبحث هنا - هو : الإشارة إلى الفارق بين الحياة العربية في عصور ما قبل الميلاد . والحياة العربية في عصور ما قبل الإسلام . ذلك الفارق الذي وضحتنا مداه في البحث التاسع عشر - (معالم المجتمع والدولة في قلب الجزيرة العربية) من الجزء الأول - فلقد كان نصيب الفكر العربي من ذلك الفارق لا يقل عن نصيب عمران العرب واقتصادهم - فلم يثبت الكتابة العرب وجودهم في ظلام التدهور الذي خيم على الجزيرة قبل شروق الإسلام - فجهل الكثيرون وجودهم .

أجل ! إنا إذا ما توغلنا في التاريخ العربي القديم - نجد : الكتابة والقراءة في جاهلية قبل المسيح . أفضل بكثير منها في جاهلية قبل الإسلام . بدليل آثار الدول العربية في بلاد ثمود وغيرها والخطوط التي ظهرت في جنوبي الجزيرة وشمالها . ولكن مع ذلك لا يمكننا أن نتجاهل ما نقله (البلاذري) عن (الواقدي) : [أنه كان الكتاب في (الأوس والخزرج) . وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية وكان يعلمه بعض الصبيان بالمدينة . وأن التعليم عم حتى شمل

(١) بلوغ الأرب ٣ / ٣٧٠ و ٣٧٢ .

(٢) راجع المصادر في الجزء الأول من تاريخ العرب لجواد على ١ / ٤٠ .

النساء الجاهليات حيث كان بعض النساء الجاهليات يقرآن ويكتبن [١] -
وما جاء في تاريخ الطبرى عن انتشار الكتابة والقراءة في (الأنبار) حيث وجد
(خالد بن الوليد) : أهلها يكتبون العربية ويتعلمونها [٢].

واستدراكنا بما نقله البلاذرى عن الواقدى - ليس معناه : أننا نسير في ركاب
(درمنغام) فنفترض وجود تعليم واسع ومنظم في العصر الجاهلى ، فكل ما يمكن
أن نقوله عن الكتابة والقراءة في جاهلية ما قبل الإسلام : أنها كانت شائعة في
إمارة المناذرة في العراق ، وفي إمارة الغساسنة في الشام . وفي مملكة التباينة في اليمن
وأن عدد الذين يعرفونها في الطائف ومكة والمدينة لا بأس به . وأنها كانت في
بعض أنحاء الجزيرة العربية جد نادرة .

٤ - وليس من السبق العلمى : البحث عن معنى (الأمية) التى نعت بها العرب
الجاهليون . ولكن من الضرورى البحث فى معنى الأمية لما يترتب على فهم هذه
الأمية . فإما أن يكون العرب أميين لا يعرفون الكتابة - والقراءة . ويكون من الجهد
الضائع : البحث عن مصادر للتاريخ مدونة عند أمة لا تعرف الكتابة ولا القراءة .
وإما أن تكون الأمية التى نعت بها العرب تعنى شيئاً آخر غير جهل بالكتابة
والقراءة . فيكون من حق البحث : أن يفترض وجود مدونات كان يحتفظ بها الذين
يقرءون ويكتبون من الجاهليين . وأن يفترض احتواء بعضها على كثير أو قليل من
أخبار الأمم التى سبقت عصر ما قبل الإسلام .

فالبحث فى هذه الأمية طرق فى الماضى . وطرق فى الحاضر . والنتيجة التى
ينتهى إليها بحث المتأخرين لا تختلف عن النتيجة التى انتهى إليها بحث المتقدمين .
على ما يلاحظ على بعض البحوث المتقدمة من ضنون تبالغ فى تصويرها العرب
مغمورين فى صحارى البلاد العربية لا يسمعون بشيء مما يسمع به أهل (الحرد)
وسكان (البلقاء) فى الشمال - وأهل اليمن فى الجنوب . وعلى ما يلاحظ عن بعض
البحوث المتأخرة من مبالغة فى حسن الظن بالحياة العربية قبل الإسلام . فعلى
اختلاف الوجوه فإن النتيجة التى انتهت إليها أكثرية المتقدمين وأكثرية المتأخرين

(١) فتوح البلدان ص ٦٦١ و ٦٦٣ طبع بيروت سنة ١٣٧١ .

(٢) تاريخ الطبرى ٢ / ٥٧٥ مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٧ .

تؤكد - : أن العرب في جاهليتهم لم يكونوا جميعاً - يجهلون الكتابة والقراءة .

فهذه النتيجة - هي التي جعلتنا لا نغالي مع المغالين في اعتقادهم : أن العرب كانوا معدمين من الحضارة محرومين من القراءة والكتابة . ولا نغالي مع المغالين في اعتقادهم : أن العرب كان لهم في الجاهلية حظ وفير من ثقافة قامت على دراسة منظمة .

إذن ! ما معنى الأمية التي وصف بهام العرب ؟ لقد أجاب عن هذا السؤال (ابن عباس) عندما فسر قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون ﴾^(١) فقال : سماهم أميين لحدودهم كتب الله ورسوله^(٢) . وأجاب عنه (ابن زيد) و (قتادة) عندما فسر قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا ﴾^(٣) : قال : ابن زيد : إنما سميت أمة محمد صلى الله عليه وسلم : الأميين لأنه لم ينزل عليهم كتاب . وقال قتادة : كان هذا الحى من العرب أمة أمية ليس فيها كتاب يقرءونه^(٤) .

ولكن ما أجاب به ابن عباس وابن زيد و قتادة - لا يصرفنا عما قاله غيرهم - في تفسير ما نزل عن اليهود - (ومنهم أميون) . فقد قال بعض المفسرين : إنهم أناس من اليهود - وعلق (ابن جرير) على الأقوال التي جمعها في تفسيره بقوله : وروى عن (ابن عباس) الأميون - قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتاباً أنزله - فكتبوا كتاباً بأيديهم - سماهم أميين لحدودهم - وما روى عن ابن عباس - هو في رأى ابن جرير - تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب : أن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب . ورأى ابن جرير يعتمد على ما تفسر به الأمية لغة - وابن جرير في رأيه - يستأنس بالحديث النبوى : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب^(٥) .

ونحن إذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة - نجد : إلى جانب تفسير (الأمي) بالذي لا يكتب - تفسيراً آخر : [الأمي : العبي الجلف القليل الكلام] ولكن

(١) سورة البقرة (الآية ٧٨) .

(٢) تفسير ابن جرير ١ / ٢٩٦ .

(٣) سورة الجمعة (الآية ٢) .

(٤) تفسير الطبرى ٢٨ / ٦١ .

(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٩٦ .

لا نجد من يفسر قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ (١) من يفسر الأمي : بالعبي الجلف القليل الكلام (٢). فلاكثر الكلمات معان متعددة ومختلفة ، وأكثر الكلمات العربية يحصرها سياق الكلام : في معنى واحد . وكثيرة هي الكلمات التي تنقل من معنى إلى آخر - وهذا الذي جعل ابن عباس وابن زيد يقولان : من اليهود : أميون لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتاباً أنزله الله ولا يعرفون الكتاب - أي التوراة - إلا أماني ، فالأماني : جمع أمنية والأمنية من التمني . والتمني : حديث النفس بما يكون وبما لا يكون - ومن معاني التمني : الكذب . يتمني الحديث أي يضع حديثاً لا أصل له ؛ ومن معانيه القراءة - تمنى الكتاب قرأه . وكتبه - ولقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ (٣) أي قرأ وتلا ألقى في تلاوته ما ليس فيه (٤) وعلى ذلك اختلف المفسرون في تفسير الأماني - فقال بعضهم : إنها حديث النفس بما ليس لها . وقال بعضهم الأماني : ظنون يضعونها لا أصل لها في الكتاب - فهؤلاء الأميون - هم : الذين تحدث عنهم المفسرون : لا يعلمون الكتاب إلا أماني مشحونة بوسوسة النفس - وهؤلاء الأميون هم : الذين قال عنهم القرآن : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ - فليس الذين يضعون حديثاً لا أصل له . والذين يكتبون بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله (٥) هم : أميون على ما جباهتهم أمهاتهم عليه . وليس تحمیل کاتبه (الأميين) : معنى (الذين لا كتاب لهم يقرءونه) خرجاً عن معنى الأمية !!

أما الحديث الذي استدل به ابن جرير - على أن الأميين - هم : الذين لا يكتبون فقد فسره (ناصر الدين الأسمد) على ضوء مراجعته بقوله : | هذا حديث - أولاً : لا يعنى إلا ضرباً خاصاً من الكتابة . والحساب . وهو : حساب النجوم وتقييد ذلك بالكتابة لمعرفة مطلع الشهر - مما لم يكن للعرب عهد به - ثانياً : لا يعنى

(١) سورة الاعراف (الآية ١٥١) .

(٢) لسان العرب مادة أمم ٣٤/١٢ .

(٣) سورة الحج (الآية ٥٢) .

(٤) لسان العرب ٢٩٤/١٥ - ٢٩٥ .

(٥) تفسير ابن جرير ٣٠٠/١ .

نفي الكتابة والحساب نفيًا عامًا شاملاً - وإنما هو نفي لأن تكون الكتابة وأن يكون الحساب نظامًا متبعًا في كل الشؤون ، كما كان ذلك عند بعض الأمم ذات التقاويم^(١) .

ومما يستأنس به هنا - ما روى عن (أبي هريرة) : [نحن قوم لا نكتب ولا نحسب]^(٢) ، فأبو هريرة - لا يقصد: أن العرب في العصر الإسلامي لا يكتبون ، وإنما قصد كتابة الحديث . وأبو هريرة لا يعارض في الكتابة وإنما هو من الجماعة التي كرهت تدوين الحديث على غرار ما دون به القرآن^(٣) .

وبناء على ذلك - ليس ثمة ما يسوغ تغليط (ابن عباس) و (ابن زيد) و (قتادة) في تفسيرهم (الأميين) أولاً : في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون ﴾ ، وثانياً في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾^(٤) ، بأنهم اليهود الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني ، والعرب الذين لم ينزل عليهم كتاب يقرءونه^(٥) - فالأمية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة لا تشمل العرب جميعهم ، فلقد كان في قريش ، وفي ثقيف ، وفي الأوس والخزرج في الحجاز . وفي اللخمين في العراق ، وفي الغساسنة في الشام . وفي الحميريين في اليمن - رجال ونساء يكتبون ويقرءون . ولقد كانت للعرب خبرة بالتجارة وبالأعمال التجارية ، وكان منهم تجاريهبطون الأسواق العالمية في الإسكندرية وفي الشام وفي العراق وفي الحبشة . فالشؤون التجارية تستلزم القدرة على الكتابة والقراءة والحساب لمعرفة نوع البضاعة وقيمتها ومقدار رأس المال ومبلغ الربح والخسارة . ولا يمكننا أن نفترض : أن كل تاجر جاهل يمتاز بذاكرة تغنيه عن تقييد أعماله وحساباته إلى كل ما يحتاج إليه العمل التجاري ولا سيما أن أكثر الذين يتنقلون بين الأسواق التجارية كانوا يتاجرون برأس مال مشترك أو لحساب غيرهم . وإخال ناصر الدين الأسد بنى فهمه الحديث (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٦ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٦٧/١ .

(٣) راجع الفصل الآتي في هذا الجزء بعنوان : من المدينة بدأ التاريخ وتدوينه في العصر الإسلامي .

(٤) سورة الجمعة (الآية ٢) .

(٥) تفسير ابن جرير ٢٩٦/١ وما بعدها و ٦١/٢٨ وما بعدها .

على ضوء هذا - ولقد كانت للعرب صلات سياسية بالفرس والروم تستدعي معرفة اللسان الرومي والفرسي - ولقد وجد (غنيمه) في نخشه : أناساً في الحيرة يحسنون الكتابة والقراءة واللغات الأعجمية - ولقد انتشر في الجزيرة العربية الكتابيون - يهوداً ومسيحيين ، وأخذوا يبشرون باليهودية . وأخذ بعض العرب يستجيب للمبشرين ، وأخذ أفراد منهم يبحثون عن الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى رب السموات والأرض ، ولذلك وجد الباحثون : أناساً من العرب كانوا على علم بالكتب المسيحية - واليهودية - مثل : (قس بن ساعدة) و (أمية بن أبي الصلت) و (ورقة بن نوفل) ووجدوا بعضاً من اليهود يعلم أبناء الأوس والخزرج الكتابة والقراءة .

ومن أدلة قدم الكتابة والقراءة في الجزيرة العربية . ووجود كتاب وقراء في عصور الجاهلية : الخطوط التي ظهرت على صخور الجزيرة وجبالها - وما أكثر الخطوط التي نقشت على صخور الأرض العربية !! ومن المدونات التي عرفها المحققون في التاريخ العربي ومصادره . والتي رجع إليها رواد الثقافة والتاريخ : مكاتبات حمير في الجنوب . وذخائر الحيرة في الشمال . وأسفار اليهود في منازل اليهود التي هاجروا إليها . فلقد ثبت : أن (عبید بن شریة) عرف الحيرة وعرف كنائسها . وثبت : أن رواية (وهب بن منبه) عن نصارى نجران وقصة الراهب (فيسون) مطابقة للروايات النصرانية . ولما جاء في كتاب (شعون لإرشمي) . وأن وهباً طالع على كثير من المدونات القديمة^(١) . وثبت فيما نقل عن (المسدني) . أن كثيراً من عرب الجنوب كانوا يعرفون الخط المسند إلى ما بعد الإسلام . وفيها نقله (جود علي) عن مصادره : ثبت عليهم أن الخط المسند كان معروفاً قبل الإسلام في كل شبه الجزيرة العربية^(٢) . وثبت : أن الرواية العربية عن (ثود) و (عد) تكاد تكون من مصدر المؤرخين الوحيد .

ثم إننا إذا ما رجعنا إلى الماضي القريب . وبالتحديد إلى أواخر العهد العثماني

(١) راجع ترجمة عبید بن شریة في هذا الجزء .

(٢) راجع ترجمة وهب بن منبه في هذا الجزء .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام بخواد علي ١٩٥٧ .

نجد : القراءة - والكتابة في بادية الأقطار العربية تكاد تكون معدومة - وتكاد تكون نادرة في حواضرها ، فهل لنا - أن نقول : إن عرب القرن العشرين من الميلاد - أمة أمية لضآلة نسبة القراءة والكتابة ؟ !

فمن الأدلة التي قدمها الباحثون عن الخطوط القديمة ، ومن الحجج التي أكد بها القائلون : إن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة من العرب في العصر الجاهلي - كان غير قليل - من هذه الأدلة - والحجج - نستشف وجوداً حقيقياً للكتابة والقراءة في عصور الجاهلية القديمة - أخذ يتضاءل إلى درجة الاضمحلال في بعض أصقاع الجزيرة . ونستشف عناية سكان الجزيرة العربية في العصور الجاهلية بتسجيل الأحداث ، وتسجيل الأحداث يرجع تاريخه إلى الزمن البعيد ، وقد تقدم الكلام عن النصوص الحجرية في البحث المتقدم - (فكرة التاريخ ومصادره) .

ومن الأحداث التي سجلها الشموذيون والأمم التي عاصرتهم في الجزيرة العربية ، والأمم التي سبقتهم إليها والتي جاءت من بعدهم - أحداث ليست بذات قيمة إلا عند الذين سجلوها - وأحداث لا تتجاوز أهميتها الأزمنة التي سجلت فيها ، ولكنها تعد في العصر الحاضر خصوصاً تفيد في معرفة التدوين عند العرب ، فقليل من هذه المدونات التي وجدت في آثار (مدائن صالح) و (العلا) و (حجر اليمامة) وغيرها من الأماكن التي كانت عامرة بأمم الماضي القديم ، يكفي للدلالة على اهتمام العرب في العصور القديمة بالتدوين التاريخي .

ويقول بعض المفسرين : إن الذين ذكرهم القرآن الكريم : ﴿ وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾^(١) - هم من عرب الجاهلية الثانية الذين نصبوا أنفسهم لتعليم الأخبار ورواية القصص التاريخي ، فيقصدونهم من يقصدونهم يستلبيها ويكتبها - وقيل عن (النضر بن الحارث) : إنه كان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه ، فيتحدث عن (رستم) و (اسفندار) وهما فارس ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن مني حديثاً^(٢) ؟ وقيل : إن مشركي قريش كانوا يقولون : إن هذا الذي جاءنا به محمد - أساطير الأولين ، يعنون

(١) سورة الفرقان (الآية ٥) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٠٠ .

أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها في كتبهم ، اكتبها محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود^(١) .

٥ - ولم يفعل النضر ما فعله ، ولم يقل القرشيون ما قالوه إلا لأن تدوين الأخبار في كتب يتداولها المهتمون بالأساطير من العرب - شيء مألوف عند العرب ، ولقد جمع (جواد على) - الروايات التي تقول : إن أهل الحيرة كانوا يعنون بتدوين أخبارهم وأنسابهم وأنساب ملوكهم وأعمار من ملك منهم . وإنهم كانوا يحفظون ما يدونونه في بيع الحيرة^(٢) . ولقد أكد جواد على مستنداً إلى تحقيق بعض المستشرقين : أن أخبار القبائل والإمارات العربية الشمالية مثل : المناذرة والغساسنة وعرب (تدمر) أقرب إلى التاريخ والواقع من أخبار عرب شبه الجزيرة بما في ذلك أخبار اليمن . ويعود ذلك في نظر جواد على إلى عنايتهم بتدوين أخبارهم وإلى عناية المؤرخين الأعاجم بتدوين أخبارهم كذلك - كالسريان واليونان والرومان والفرس . ووقوف الرواة عليها . ثم قرب عهدهم من الإسلام . ويؤكد أيضاً مستنداً إلى ما جاء في مؤلف (يوسف غنية) الذي سبقت الإشارة إليه . والذي جاء فيه : [أن أناساً يحسنون القراءة والكتابة واللغات الأعجمية . وأن أهل الحيرة قد وقفوا على مؤلفات فارسية وضعت في التاريخ . وأن بعض هذه المؤلفات ترجم قبل الإسلام ونقل منها إلى العربية بعد الإسلام . وقد نقل النضر بن الحارث وغيره ممن اتصلوا بالحيرة مثل هذه الأخبار إلى سائر أنحاء شبه الجزيرة - وهذا ما ساعد على حفظ تواريخ عرب الشمال]^(٣) .

٦ - فمن (الحيرة) في العراق . ومن (مآب) في سورية . ومن (صنعاء) في اليمن نقل العرب ما نقلوه من قصص تاريخي . وما نقله العرب من الجنوب والشمال : يمثل المعارف التاريخية في تلك الأقطار المزدهمة بمختلف الأجناس قبل الإسلام . وبعده - وأكثر المعارف في الشمال تساطت عليها العقلية الفارسية وليد الفتح . تأثر اليسنيون بالأمم التي جاورتهم .

(١) تفسير ابن جرير ٨ / ١٣٩ .

(٢) راجع الطبري ولسان العرب وتاج العروس في أخبار الحيرة ومادة حير .

(٣) تاريخ جواد على ١ / ٣٩ و ٤٠ .

أما الجانب الآخر فإننا نجد صوراً منه في شعر الجاهليين وقصصهم . ولذلك نرى : جواد على وغيره يرجعون إلى الكلاسيكيين العرب فيما لم يجدوه في مؤلفات اليونانيين والفرس . وأما ما حفظه اللخميون في بيع الحيرة فقد سبق إليه الرواة العرب قبل أن يصل إلى أيدي المستشرقين .

ومما لا مرية فيه : أن وجود مصادر غير عربية إلى جانب المصادر العربية — جعل تاريخ الهلال الخصيب أكثر وضوحاً من تاريخ اليمن قبل الاستعمار الحبشي والفرسي . فتاريخ اليمن القديم انحصرت مصادره فيما دونه الحميريون وفيما وجدته (وهب ابن منبه) من مؤلفات الكتابيين التي قال عنها [لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً أنزلت من السماء — اثنان وسبعون منها في أيدي الناس وعشرون لا يعلمها إلا القليل] ، ولقد ترجم الهمداني — بعض علماء اليمن فقال عنه : [وارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها ، وقارئ (زبر) حمير القديمة ومساندها الدهرية] — ولقد علق (عبد العزيز الدوري) بقوله : إن تسجيل الأحداث بكتابات تراوح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن التاسع بعد الميلاد — كان أسلوبه في البداية مشوشاً — إلا أن تقويمًا ثابتًا يبدأ بسنة ١١٥ ق . م ، أدى إلى نظام ثابت للتاريخ — يوحى بوجود شيء من الفكرة التاريخية ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الهمداني يشير إلى وثائق ملكية ومجلات حميرية حفظت واستفيد منها فيما بعد ، وإلى (زبر) أو وثائق وسجلات للأنساب حفظتها بعض العوائل والبطون^(١) .

هذا ما يقال عن الأساطير التي كان العرب الجاهليون يتحدثون بها في الشمال والجنوب ومصادرها ، أما أساطيرهم عن (عاد) و (ثمود) — فإننا نجد عند (الطبري) : حديثاً عنهم جاء فيه : [فأما أهل التوراة فإنهم يزعمون : أنه لا ذكر لعاد ولا لثمود ولا نبيهم (هود) و (صالح) في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه — ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد و ثمود وأمورهم — ما يعلم به من ظن خلاف ما قلنا في شهرة أمرهم في العرب : صحة ذلك . ومن أهل العلم من يزعم : أن صالحاً عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة

(١) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٤ .

وأنه أقام في قومه عشرين سنة^(١) - وينقل الطبري عن بعض النسابين - أنه قال [قد حفظت طائفة من علماء العرب لمعد : أربعين أباً بالعربية إلى إسماعيل واحتججت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل ذلك بما يقوله أهل الكتاب فوجد العدد متفقاً واللفظ مختلفاً] ويقول الطبري : [وأملى ذلك على فكتبته]^(٢) .

فما جاء في الروايات التي جمعها (ابن جرير الطبري) في تاريخه وفي تفسيره . وما نقرؤه في أشعار الجاهلية عن العرب البائدة - يرجحان وجود مخطوطات عدهما أصحابها كنوزاً جديرة بالصيانة والاحتجاب عن العابثين الذين لا يدركون قيمتها - عنها انتشر قصص التاريخ بين العرب الجاهليين . وأخذت الألسنة تتداوله تزيد فيه من الخيال ما يحلو لها زيادته وتنقص منه ما ضاع من ذاكرة الرواة على مر الأجيال . ومما يؤكد هذا الترجيح - ما ثبت عن (ورقة بن نوفل) في قصته مع (خديجة) زوج النبي صلى الله عليه وسلم التي أتته تسأله عما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في الخبر عن ورقة : [وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل ما شاء أن يكتب]^(٣) - وما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع (سويد بن الصامت) الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لعل الذي معك مثل الذي معي ؟ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : [ما الذي معك ؟] قال سويد : [الذي معي مجلة لثمان] والمجلة - هي : الكتاب - فكل كتاب عند العرب مجلة^(٤) . ثم إننا إذا ما رجعنا إلى (أخبار عبيد بن شريفة) وإلى (التيجان) لوهب بن منبه يغلب على ظننا أنهما جمعا من مدونات اطلع عليها (ابن شريفة) و (ابن منبه) .

٧ - وإنا لنجد في ندوات الجاهليين وأسواقهم الأدبية التي تبوأ الحديث عنها مكانة في تاريخ الأدب الجاهلي . وفي تاريخ المجتمع العربي : دليلاً يؤكد أن أهل العرب بالأخبار والتاريخ . ففي تلك الندوات . وهاتيك الأسواق كان يدور حديث

(١) تاريخ الطبري ١٦٢/١ .

(٢) المصدر نفسه ٣٠٧/٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢٢٣/١ و ٢٢٨ و ٢٢٩/٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ٤٢١/١ . ولسان العرب : مادة جهل ١١/١٢٠ .

حول مغازى العرب ونوادر الملوك وشعر الشعراء ، وشئون التجارة - فتدون غرر القصائد وتحفظ أخبار المغازى وسير الملوك .

٨ - وإذا نحن أخذنا بهذه الأدلة - فعلينا : أن نعرف الطريق الذى وصلت منه أخبار الأمم البائدة وعالم ما قبل الطوفان وآدم وزوجه . وإذا نحن أردنا أن نعرف الطريق الذى سلكته تلك الأنبياء - فعلينا : أن نرجع إلى بحث الأديان - فتاريخ الخليفة وعوالم ما قبل الطوفان وأمم ما قبل التاريخ - هو جزء من العقائد والأديان ، فالعقائد قامت على التبشير والتحذير - التبشير بشجرة العسل الصالح ، والتحذير من مغبة العسل الظالم ، وضرب الأمثال بما كان عليه الأولون من مال وبنين وجنات وعيون ، وما أصابهم من كوارث بما قدمت أيديهم - فهذا نحن أولاء نجد : قصة (آدم) و (إدريس) و (الطوفان) منتشرة بين أُمم ما قبل التاريخ فى آسيا وفى أوروبا - فما عرفناه عن عقائد أقدم الأمم - وهم (السوموريون) وما تحدثت به نصرصهم عن أصل الخليفة وعالم ما قبل الطوفان - نجده يتردد فى بلاد (مدين) فيقول - (شعيب) لقومه : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعد ﴾^(١) فلو لم يكن قوم شعيب يعرفون شيئاً عن تلك الأمم لما كان لشعيب أن يوجه انتباههم إلى ما أصاب أمماً لا يعرفون عنها شيئاً .

فلا يبعد أن يكون (إبراهيم) الذى بعث فى (أور) وأتم رسالته فى فلسطين والحجاز - قد تحدث بما فى صحفه عن آدم وحواء ونوح وعالم الماضى الغامض ، كما تحدث بها (هود) فى عاد و (صالح) فى ثمود - وكما تحدث اليهود والمسيحيون فيما بعد بما فى أسفار بنى إسرائيل وأناجيل المسيحيين .

٩ - ولا يبعد أن يكون أبناء الذين نجوا مع نوح ممن حملهم معه فى سفينته ﴿ ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾^(٢) والذين نجوا مع هود ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه ﴾^(٣) ، والذين نجوا من قوم صالح ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا صالحاً

(١) سورة هود (الآيه ٨٩) .

(٢) سورة هود (الآيه ٤٠) .

(٣) سورة هود (الآيه ٥٨) .

والذين آمنوا معه ﴿١﴾ - أولئك الذين قال عنهم المؤرخون: إن ذرية نوح - هي التي استعمرت الأرض بعد الطوفان - وإن عاداً الثانية نسبت إلى هود ، وإن البقية من قوم صالح عاشت ذريتها تحمل اسم ثمود إلى ما بعد الميلاد - لا يبعد أن يكون أبناء هؤلاء احتفظوا بما تحدثت به آباؤهم عن عهودهم البائدة فتناقلتها الأجيال من بعدهم . مثلما تناقلت الأجيال - العربية : أخبار : طسم ، وجديس ، وعبيل ، وجهرم ، والعماليق ، وسبأ ، وحضرموت ، وغيرهم من الأمم البائدة (٢) .

ولقد سبق في الجزء الأول : البحث في الأمم البائدة ، والبحث في الإبادة التي اعتقد بعض المؤرخين - خطأ : أنها فناء لم يبق من تلك الأمم ديراً ولا دياراً (٣) - فالأمم البائدة لم تتعلمهم الأرض دفعة واحدة بين عشية وضحاها - وإنما دولهم هي التي دالت وسلاطنتهم هو الذي زال - فانصهرت البقية المغلوبة على أمرها في الدول التي برزت بعدها فتبدل اسمها ، واختفت ألقابها فاسحة الخيال لغيرها من الأمم ذات الدولة والسلطان . وهكذا سنة الحياة وتلك الأيام نداؤها بين الناس .

فلا بد أن يكون حديث الآباء للأبناء عن ماضيهم مستفيضاً . ولا بد أن يكون حرص الأبناء على آثار ماضيهم شديداً . ولا بد أن تكون بقايا تلك الأمم حملت معها ذكريات ماضيها إلى كل مكان هاجرت إليه وبلد توطنت فيه . ولا بد أن يكون منهم رواة أخبار وشعراء تغنوا بماضيهم العزيز عليهم . وندبوا مجدهم الآفل كما ندب (عمر بن الحارث) جرهمياً (٤) :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزلنا صروف الليالي والجود العوثر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت بعز فا يخطى لدينا المكاشر

(١) سورة هود (الآية ٦٦) .

(٢) الجزء الأول من هذه الكتاب - العرب في أحقاب التاريخ - التي صدر بعنوان : التاريخ العربي وبدايته ٢٣٥/١ وما بعدها .

(٣) الدير : الدارات في الرمل ، والدير خان أنصاري - والديار مساحب الدير - من العرب ، ٣٠٠/٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ١١٥ .

وكما تحدث (أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري) عن خزاعة (١) :
 فلما هبطنا بطن مكة أحمدت (خزاعة) دار الآكل المتحايل
 فحلت أكاريساً وشتت قنابلاً (٢) على كل حي بين نجد وساحل
 نفوا جرهماً عن بطن مكة واحتبوا بعز خزاعي شديد الكواهل

* * *

ولقد قلت فيما سبق في الجزء الأول ، وفيما سيأتي في هذا الجزء : إن الشعر المنحول منه والأصيل - هو : مرآة تنعكس عليها ظلال الفكر الجاهلي وعقلية الماضين ، وإنه لا بد من تدخل الخيال فيما ينظمه الشعراء ويرويه رواة الأخبار ، وإن تخيلات الراوي وتصورات الشاعر يتأثران بتطور الزمن ، فينمسخ مجالهما كلما اتسعت آفاق المجتمع ، ويضيق كلما ضاقت ، فبقدر ما ترتفع المعارف بعقلية المجتمع يرتفع الخيال عن السذاجة والخرافة - ومن بديهيات الظنون التي تلاحق الباحث في أخبار التاريخ القديم : افتراض الخيال في قصص توارثتها أجيال تأثرت بمختلف العقليات والمدارك - لا سيما العقلية الجاهلية في قلب الجزيرة العربية - حيث انتشرت اليهودية والمسيحية وأخذ الأخبار والرهبان يبشرون بما يزعمون : أنه من التوراة والأنجيل - كما تأثرت عقلية سكان الوادين : الفرات والنيل ، وسكان اليمن وشواطئ الخليج الإسلامي - بأخيلة الأمم التي ازدحمت في تلك البقاع - حيث تصادمت العناصر وتصارعت العقائد .

فأساطير الجاهلية ومعارفها عن أصل الخليفة وعالم ما قبل التاريخ - هي : بقايا أنباء غامضة تداولتها أجيال عاصرت - إبراهيم ، وهوداً ، وصالحاً - وأنباء وصلت مع العقائد ، فاستقبلتها عقول خضعت لوثنية كلها خرافة وتدجيل . أما قصصهم وما يعرفونه عن الأمم البائدة فقد تجمع مما احتفظت به بقايا تلك الأمم - من آثار ، وأخبار ، وأشعار تتجدد وتتلون مع الزمن . وتتسع مع الفهوم والمعارف . وأما تاريخ الشمال والجنوب فقد عرفوا شيئاً عنه روايات سمعوها من سكان الجنوب والشمال ، ومخطوطات اطلعوا عليها في (الحيرة) و (صنعاء) .

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٩٢ .

(٢) الكرس الجساعة من الناس ، والقنبلة القطعة من الخيل .

والذى يستلذت الانتباه فى القصص الجاهلى : أن أصل القصة التاريخية لم يحجبه الخيال على كثافته ، فعلى كثافة الخيال فى القصص الجاهلى - لا يزال أصل القصة متفقاً عليه . فالقصص الجاهلى عن (عاد) و (ثمود) و (جرهم) و (عبيل) وغير هذه الأمم من العرب البائدة يلتقى - جميعه فى نقطة واحدة . فالقصص الجاهلى - مجمع على أن قوم عاد : أمة من أقدم الأمم ذات قدرة فنية بارعة وقوة حربية لا تطاق . وإنما الذى اختلف فى هذا القصص - هى : الصور التى رسمها الخيال والمبالغات التى لونت بها صور الخيال ، وليس هذا بغريب على طبيعة الرواة - فما آفة الأخبار إلا روايتها - فنحن اليوم ما زلنا نتحدث عن أمجاد (دمشق) وثقافة (بغداد) وحضارة (قرطبة) ، ولا يخلو حديثنا من الخيال والمبالغة . وما زال المحققون منا يسرون فى تيه الروايات التى تحدثت عن أيام (على بن أبى طالب) : يوم (الحمل) و (صفين) ، وعن عصر (هارون الرشيد) ونهاية (البرامكة) . وعن (الأندلس) ولياليه . وما زالت التحقيقات تبحث عن الحقائق فى ذلك التيه . وما زال سراب الخيال يغرر ببعض الباحثين . وما زالت أعاصير المبالغات تثير الغبار أمامهم - على الرغم من كثرة المصادر المدونة التى تتيح للباحث مقاباة مصدر بمصدر ورواية برواية للوصول إلى الأصل الحقيقى . فكيف بذلك القصص الذى لم يصل إلى العربى الجاهلى نصوصاً واضحة . وإنما وصل إليه عن أسفار لم يطلع على بعضها غير قلة لا تذكر . ووصل إليه روايات لم يملك ناقلوها مقاييس النقد العلمى ، توارثتها الأجيال . واستورد بعضها التجار العرب من الأقطار التى كانت على صلة تجارية بهم .

ونحن إن كنا لا نعلم عن المدونات التى كان الجاهليون يحتفظون بها كوزاً . ثمينة - إلا القليل الذى ذكره المؤرخون بعد الإسلام بالمناسبة . مثل : مدونات (النضر بن الحارث) و (عقبه بن أبى معيط) وكتاب (لقمان) الذى سمع به (سويد بن الصامت) . فإن فيما نقله المؤرخون ، ما يدل على أن العرب كانوا ينقلون من الشام ومن العراق : المدونات التى تروى لهم . فمن ذلك ما قيل عن (ابن قرة) : إنه جاء بكتاب إلى (ابن مسعود) وقال له : وجدته بالشام فأعجبني فجئتك به - فبعد أن اطاع عليه ابن مسعود قال : إنما هلك من كان قبلكم بما أتاهم

الكتب وتركهم كتابهم^(١) . وإن فيما نقله المؤرخون ما يدل على أن قلب الجزيرة العربية لم يخل من مدونات دينية وغير دينية .

ولقد رأيت إبَّان جولتي التفتيشية على منطقة (جازان)^(٢) سنة ١٣٦١ هـ - في قرية من قرى جازان وصل الجهل بأهلها إلى حيث إنهم لا يعرفون من العالم الواسع غير حوادث القرية التافهة ، ولو ازم الحقل البدائية ، وبلغ الانزواء بهم إلى حيث إنهم لم يسمعوا شيئاً عن الحرب العالمية الثانية القائمة آنذاك - رأيت في هذه القرية : خزانة كتب يملكها قاضيها - فيها مختلف الكتب : دينية وأدبية وتاريخية - ولمست في صاحب هذه الخزانة معرفة وسعة اطلاع بالتاريخ الإسلامي والأدب العربي ، ولقد أكد لي الجازانيون : أن هذا القاضي - هو : ابن هذه القرية النائمة في سهول تهامة ، وأنه لم يتخط منطقة جازان إلا لأداء فريضة الحج .

فالذي يسمع من المؤرخين العرب عن المدونات الجاهلية ، ويرى مثل تلك المكتبة في سهول تهامة قبل أن تنهض وزارة المعارف بنشر التعليم في البادية - لا يستبعد وجود مدونات صدر عنها بعض القصص الجاهلي مصبوغاً بخيال السذج من الرواة - ونقله الأساطير .

١٢ - ولقد جاء في طبقات (صاعد) عن (أبي محمد الهمداني) - أنه قال : [ليس يوصل إلى خبر من أخبار العجم والعرب إلا بالعرب ومنهم . وذلك لأن من سكن بمكة من (العماليق) ، و (جرهم) ، و (آل السميذع بن هونة) ، و (خزاعة) أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعنة العاتية وأخبار أهل الكتاب . وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم من عهد (أسعد كرب) و (بختنصر) حووا علم الأعاجم وأخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد ، وعنهم صار أكثر ما رواه (عبيد بن شريفة) و (محمد بن السائب الكلابي) و (الهيثم ابن عدي) . وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسان خبير - بأخبار الروم وبنى إسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين من (تنوخ) و (إياد) فعنه أتت أخبار (طسم) و (جديس) ، ومن وقع من ولد (نصر من الأزدي) بعُمان - فعنه أتى

(١) تقييد العلم ص ٥٣ .

(٢) لقد انتدبت على رأس هيئة للتفتيش على جازان سنة ١٣٦١ هـ من قبل وزارة المالية .

كثير من أخبار (السند) و (الهند) وشيء من أخبار (فارس) ، ومن وقع بجبل (طى) فعنه أتت أخبار (آل أذينة) و (الجرامقة) ، ومن سكن باليمن فإنه علم أخبار الأمم جميعاً لأنه كان في دار مملكة (حمير) - والعرب أصحاب حفظ ورواية [١].

وما جاء في كلام الهمداني - يجمع ما تقدم مفصلاً عن المصادر التي تجمع منها قصص الجاهليين وأساطيرهم - والطرق التي وصلت منها إلى العرب قبل الإسلام أساطير الأولين :

فأولاً : التاريخ الديني - وأقصد بالتاريخ الديني : الأنبياء التي تتحدث عن أصل الخليقة وآدم وعالم ما قبل التاريخ - فهذه تحدثت عنها الكتب المقدسة . ووصلت أنبأؤها إلى الجزيرة مع الرسل والمبشرين - كما قلت من قبل .
ثانياً : تاريخ الأمم المجاورة للبلاد العربية وأساطيرها - فهذه استوردتها العرب من الأمم التي احتكت بهم واحتكوا بها .

ثالثاً : تاريخ الأمم العربية البائدة - وأخبار هذه الأمم وصلت رواية متفرقة عبر الأجيال التي توارثت أرض الجزيرة العربية .

ولقد تحدث بعض المستشرقين عن التبادل المادي والروحي بين سكان البلاد العربية التي شاركت وما زالت تشارك في الحياة البشرية - وبين (إيرن) و (تركيا) و (حوض البحر المتوسط) - والهند وإفريقية - وقالوا : إن عمق هذا الاتصال من أقدم الأزمان . وإن استمراره إلى العصر الحاضر أهم بعض مؤرخين الكلاسيكيين . فافتنعوا بالنظريات التي عدت بين اليونانيين في بعض العصور . والتي تقول بوجود أصل دهنوي بين بعض القبائل العربية وبين اليونانيين .

لا شك في أن التبادل المادي والثقافي - هو : الخطوة الأولى في توضيح العلاقات التاريخية - وهو : العامل الأهم في المشاركة لبناء المنافع والمصالح . فالتعاون والتعاون لا يتم إلا بعد تجاوب ينشأ عن العنصرين اللذين تتولد منهما العلاقات بين الشعوب : العنصر المادي والعنصر الروحي . وفي سبيل في الجزء الأول عن أديان الشرق العربي قبل الإسلام وتشابهنها : غنى عن التوسع في معرفة منشأ

(١) طبقات صاعد ص ٥٨ و ٥٩ .

القصص في جاهلية العرب ، وتأثير القصص : البابلي ، والفارسي ، والإغريقي ، والعبري ؛
والحبشي ، والهندي — على خيال الجاهليين عندما يتحدثون عن العالم القديم .

فمن هذه المسالك ، وبفعل تلك العوامل ، تجمع القصص التاريخي وصيغت
أساطيره من متنوع العقائد ، والثقافات والعقليات ، ولقد وجدت خرافات وثنية
البلاد العربية : الطريق إلى القصص التاريخي واسعاً في كل قطر من أقطار البلاد
العربية فعبثت به كما شاء لها تدجيل الكهنة وجهل العامة أن تعبث .

١٣ — وفيما تقدم توافرت أدلة لا بأس بها — ترجح : وجود مدونات عند العرب
الجاهليين ، ولم تستبعد عن المدونات الجاهلية : الأخبار التاريخية — وبدافع اقتناع
بعض المحققين بتلك الأدلة أخذوا يتساءلون عن مصيرها . ومن بين البحوث التي
أخذت تحقق في المدونات الجاهلية وتتساءل عن مصيرها بعد الإسلام : بحث
نشرته مجلة (الأبحاث) في جزئها الثاني أعاد فيه (نبيه أمين فارس) ما قاله في مقدمة
الجزء الأول من (الإكليل) — عن اتجاه رغبة الإسلام الرسمية في استئصال كل
ما يمت إلى الجاهلية بصلة ، وإن حديث (الإسلام يجب ما قبله) — دفع المسلمين
إلى طمس آثار كل شيء يتفرع عن النظام القديم غير مميزين بين ما يتعلق
بالوثنية والأنصاب والأصنام وما يتعلق بالحالة العامة كالثقافة والأدب والتاريخ ،
فكان من نتاج ذلك ذهاب أخبار الجاهلية .

ولقد اتخذ (جواد علي) هذا البحث : أساساً لكلامه عن المدونات الجاهلية ،
فرد على الذين يقولون : إن المسلمين فهموا من الحديث — الإسلام يجب ما قبله —
أنه أمر يقضى بإعدام كل أثر جاهلي — وقال : [إن هذه الدعوى صدى لما نادى
به جماعة من المستشرقين ، وإن ما نادى به هذه الجماعة — هو : تهمة وجهت
إلى (ابن الكلبي) أو لغيره . وإن الكلمة التي استشهد بها (نبيه فارس) قد استلهمها
من حديث أطول ورد في معنى آخر يخالف ما ذهب إليه لا علاقة له بهدم
الجاهلية . ورد في صحيح (مسلم) في باب (الإسلام يهدم ما قبله) — ورد هذا
الحديث مع غيره جواباً عن أسئلة الصحابة عن أعمال منافية للإسلام ارتكبوها في
الجاهلية — فقالوا : يا رسول الله : أنؤخذ بما عملنا في الجاهلية ؟ — وإن الإسلام لم
يحرم فيما حرمه من أعمال الجاهلية — أقلام الجاهلية ولا الشعر الجاهلي ولا النثر الجاهلي

— أو إنه أمر بإحراق كتابات الجاهليين — وإن في القرآن آيات تعرضت للجاهلية، وأخباراً عن أقوام عاشت قبل الإسلام — ولو كان الإسلام قد تعمد طمس الجاهلية والقضاء على معالمها لتخرج القرآن وتخرج المسلمون من الإشارة إليها [(١)] .

وما جاء في كلام (نبيه أمين فارس) عن رغبة الإسلام . وأنها اتجهت إلى نحو كل التراث العلمي للأمم غير الإسلامية — جاء مثله في كلام (جرجى زيدان) عن مكتبة الإسكندرية والتهمة التي وجهت إلى المسلمين بشأن حرقها . وحيث إن لمصير التراث العلمي في العصر الإسلامي بحثاً خاصاً سيأتى في بحث : من المدينة بدأ التاريخ وتدوينه في العصر الإسلامي — من هذا الجزء بيئنا فيه : موقف الإسلام المعتدل من التراث العلمي ، وأن ما قام به المسئولون عن العقلية الإسلامية تفعله اليوم مراقبة المطبوعات في كل دولة من دول العصر الحاضر — حرصاً على أخلاق المجتمع وعقائده وعبادته — وبيئنا فيه حقيقة موقف الرعيل الأول من التدوين . نكتفي هنا بهذه الإشارة .

فمن الحقائق الثابتة : أن المسلمين لم يعدوا من مدونات الجاهلية إلا ما يمس العقيدة ويضلل العقول الحديث عهداً بالإسلام . وأنهم لم يكرهوا غير تدوين الحديث على غرار ما دون به القرآن . ومن الحقائق الثابتة : أن مدونات احتفظت بها الحيرة ، ومدونات لبثت في مكانها في مدن اليمن وقراها . ومدونات احتفظت بها أفراد كانوا يرجعون إليها فيما يروونه عن العصر الجاهلي : إلى غير ذلك من مدونات (السريانيين) و (اليهود) و (المسيحيين) التي لم يتعرض لها المسلمون .

١٤ — فأكثر البحوث التي وضعت في التاريخ العربي الجاهلي . وفي الشعر الجاهلي — ومصادرهما : تشير إلى وجود كتب ظهرت في مطلع القرن الثاني الهجري تحتوي على أنساب وأشعار وأخبار جاهلية . ولقد سبق في هذا البحث . وسوف يأتي في التراجم في هذا الجزء : أن كتاب (أخبار ابن شريفة) وكتاب (التيجان) يصوران القصص الجاهلي . والمادة التاريخية في تلك العصور . وأن مؤلفيهما كانا يناديان بأقوال لا تبعد عن أن تكون محفوظة في مدونات يحتفظ بها ابن شريفة ووهب ابن منبه .

١٥ — وكل البحوث التي ناقشت قصص الجاهلية وأساطيرها — تؤكد : أن للعرب

(١) تاريخ جواد على ١ / ٦٢ إلى ٦٦ .

في - جاهليتهم قصصاً تاريخياً وصل إليهم من مسالك متعددة ، وأن العرب في جاهليتهم كانوا على علم بما يحدث في عالم ما قبل الإسلام - فلقد كشف لنا رمان (أبي بكر الصديق) مع مشركي قريش - على أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون - عن مدى اهتمام العرب بالشئون الدولية وبلغ فهمهم للأحداث وما يترتب عليها - وأن الأمية التي وصف بها العرب لا تعني جهلهم جميعاً بالكتابة والقراءة . ولقد استنتج الكثيرون مما وجدوه في معاجم اللغة العربية من كلمات تدل على التدوين وأدوات الكتابة ، وأسمائها وصفات القلم - كيف يبرى ، وكيف يقط ، وأنه يسمى قبل أن تبريه : أنبوبة ، فإذا بريته فهو قلم . والمداد والدواة والقرطاس والكتاب والمجلة والصحيفة ، أن هذه الأسماء لم يضعها العرب عبثاً - وأن من العرب من كان يدون ما هو مهم في نظره ، وأن الخطوط العربية القديمة ظهرت على آثار الثموديين وغيرهم من الأمم العربية البائدة ، وأن في جاهلية ما قبل الإسلام عدداً كان يقرأ العبرية والفارسية ، ويدون شيئاً مما يطلع عليه بالعربية . ولقد وصل إلى أيدي الرواد في أوائل العصور الإسلامية ما دون في الحيرة وما دون في اليمن ، وأن ما عرف من مدونات الجاهلية - هو : ما ذكره المؤرخون بالمناسبة ، وأن ما ذكره المؤرخون بالمناسبة ضاع مع ما ضاع من التراث القديم ، فلم يصل إلينا منه غير تلك الصور الباهتة التي نراها في (أخبار ابن شرية) و (تيجان ابن منبه) ومؤلفات (ابن الكلابي) وروايات (الهيثم بن عدى) .

وكل ما وصل إلى أيدي الباحثين وسمعه من أساطير الجاهلية وصورها ونصوصها لم يبلغ في رأى المحققين المستوى العلمى للتاريخ .

فلئن كان العرب في ماضيهم الجاهلي مهتمين بالأخبار وحفظها يتناقلونها جيلاً عن جيل ، قصصاً تاريخياً تتوارثه الأبناء عن الآباء والأجداد - كما أشار إلى ذلك (صاعد) فيما رواه عن (أبي محمد الهمداني) - وليس يوصل إلى خبر من أخبار العرب والعجم إلا بالعرب ومنهم - والعرب أهل حفظ^(١) . . .

ولئن كانت أسفار الإسرائيليين والمسيحيين قد انتشرت مع الجاليات اليهودية والمسيحية ، وعرف شيئاً منها الذين اعتنقوا اليهودية والمسيحية من العرب ، والذين

(١) طبقات الأمم لصاعد ص ٥٨ .

اشتاقوا لمعرفة ما في مدونات البيع والصوامع والذين كان منهم بعض شخصيات (سفر أيوب) (١) ، ولئن كان من شعراء العرب من يجيد الفارسية إجادة أهله لأن يكون كاتباً في بلاط الفرس ومترجماً - مثل : (لقيط بن يعمر الإيادي) . . .

ولئن كان سكان البادية العربية في عصورهم الخوالي من الذكاء والحفظ بمكان ، ولئن كان شيء مما كان العرب الجاهليون يتناقلونه عن أخبار الماضي البعيدة : وصل إلينا فيما وصل من أخبار (النضر بن الحارث) ومن شعر (لبيد العامري) و (عدى ابن زيد العبادي) ، وغيرهما من شعراء الجاهلية ، ولئن كان هذا الشيء الذي وصل على الرغم من الخيال الذي يغشاه - له أصل تاريخي إما من حيث الشخصية - مثل (لقمان) الذي يتناقل العرب قصة نسر (لبد) ، وإما عن الدول التي قامت في الجزيرة العربية مثل : (العاديين) الذين كانوا يبنون في كل ريع آية ، و (الشموديين) الذين جابوا الصخر بالوادي ، ومثل (التبابعة) وملوكها . و (جرهم) في مكة و (العماليق) في المدينة . . .

لئن كان لكل ذلك . أصل تاريخي تؤكد أدلة لا مناص للباحث من الالتفات إليها ، والوقوف عندها - إن التاريخ العربي بكل صورته لم يكن عاساً يجوع ويدون إلا بعد الإسلام .

فعلى المؤرخ الذي يحاول الوصول إلى مصادر القصص الجاهلي وأساطيره : أن يوطن نفسه على الصبر والأناة . ويفتش عن الوثائق التاريخية في الأخبار القصيرة والكلمات العابرة التي تأتي في الكلام عن التاريخ الإسلامي . وفي الحديث عن الأدب الجاهلي وأخبار شعراء الجاهلية وأيام العرب . وعليه أن يجرد الأخبار التي يطالع عليها من الخيال ويستخلص الحقائق من المبالغات التي امتزجت بها - وإنه لعسر الحق أمر جد عسير .

(١) مصادر الشعر الجاهلي .

الشعر الجاهلي وضيائه بالتاريخ

من صحيفة ١٦٣ إلى صحيفة ١٦٨

من موضوعات البحث :

- ١ - أسباب اهتمام رجال التفسير والحديث بالتاريخ الجاهلي وشعره .
- ٢ - القصيدة العربية شاركت في أحداث الجزيرة .
- ٣ - الشعر العربي ارتفعت مكانته في المجتمع الإسلامي .
- ٤ - مكانة رواة الشعر ونقاده .
- ٥ - الرعاية والاحترام سبب من أسباب نخل الشعر .
- ٦ - قيمة ما جمعه الرواد من الشعر الجاهلي ولغته وأخباره .
- ٧ - أهمية تراجم رواة الشعر الجاهلي .

الشعر الجاهلي وصلته بالتاريخ

١ - لأن بدأ تدوين التاريخ في العصر الإسلامي مع تدوين التفسير والحديث ، ليس ذلك لأن التاريخ كان في نظر المسلمين على مستوى التفسير والحديث . وإنما كان الباعث للعناية بتدوين التاريخ وتحقيق نصوصه : التمسك القرآني وسيرة النبي عليه السلام ومغازيه - فما جاء في القرآن الكريم من أنباء الغيب . وما جاء في الحديث عن حياة الرسول عليه السلام ورسائله وهجرته ومغازيه - هو الذي دفع المسلمين في صدر الإسلام للبحث التاريخي . فالبحث التاريخي لم يبدأ على أساس أنه علم قائم بذاته . بل لأنه من متممات التفسير وجزء من الأحاديث النبوية التي عني المسلمون بتحقيقها . أما التفرغ لأخبار الماضي وقصصه . فقد كان الكثير في صدر الإسلام - يرونه : ملهاة عن التنقه في التشريع الإسلامي .

ولئن شارك الشعر الجاهلي : التاريخ في اهتمام الباحثين عن أنباء الماضي . إن المشاركة لم تنشأ لأن العرب المسلمين كانوا يفتخرون بجاهليتهم ويحذون إليها . وإنما كان الباعث على الاهتمام به - ما في القرآن من ألقاظ غريبة وما فيه من أنباء أصحاب الفيل وإيلاف قريش ورحلة الشتاء والصيف وغير ذلك مما وجد المسلمون في ديوانهم - الشعر - قاموساً يفسر غريب الألقاظ . وهو - راء غريباً بنصوص تتحدث عن الفيل وأصحابه وعن قريش وتجارتها . وبمشاهدة تصور واقف العرب في الجاهلية من النفوذ الفارسي والرومي . وكيف حسي الله بيته من (أبيعة) وفيه ! وكيف انتصر العرب بثباتهم وتضحيتهم على قوى الاستعمار الساساني في (ذي قور) وتبين نوع المعلومات التي وصلت للجاهليين عن (عاد) و (ثمود) و (حمير) و (الإرميين) و (العماليق) و (طسم) و (جديس) و (خزاعة) و (قضى) و (أذينة) في تدمر و (الغساسنة) في الشام و (المناذرة) في (العراق) و (كندة) في نجد و (التباينة) في اليمن - إلى غير ذلك مما جاء عن أعم الماضي وأبعثاته .

٢ - والشعر العربي إن لم ينظم ملاحم مثل : (الإلياذة) و (الأوديسة) فإن

القصيدة العربية شاركت في أحداث الجزيرة قبل الإسلام وبعده - فهي مفخرة القبيلة ، وصحيفة مجدها ، وموعظة المصلح ، وبوق دعوته ونشيد الحرب وطبولها . ولقد أحس الشاعر العربي بشخصيته منذ البداية ، فكان في فخره وحماسه ، وفي مدحه وهجائه ، وفي فرجه وراثته ، وفي غزاه وتشبيبه ، وفي وصفه الصحراء المسبحة في اليوم الصائف . والقفار المظلمة في الليلة الممطرة - حرّاً لا يخضع لغير شعوره وأحاسيسه تحيط به العيون والآذان كلما جادت عليه قريحته فأنشد شعراً يشعل النار أو ينسق الأزهار .

٣ - والشاعر العربي احتل مركزه في العصر الإسلامي فأسهم (حسان) وذلك الرعيل في الدفاع عن الإسلام ونشر مبادئه . ولقد ارتفعت مكانة الشعر العربي بعد الإسلام عما كانت عليه في الجاهلية ، لحاجة علماء اللغة العربية له ، فعليه انبنت قواعد اللغة العربية ومعاجمها ، ولحاجة المؤرخين له فيما يعود لحياة العرب قبل الإسلام وأيامهم . وأول من استلقت الأنظار إليه (عمر بن الخطاب) ، فلقد تناقلت مؤلفات الباحثين في الشعر العربي - هذا الأثر المنسوب إليه : عليكم بديوانكم لا تضلوا - قالوا : وما ديواننا ؟ قال الشعر (١) .

وكثير الذين تحدثوا عن الشعراء الجاهليين والمخضرمين وقالوا عن بعضهم : إنهم كانوا يقرءون ويكتبون لا باللغة العربية فحسب بل كانوا يعرفون غيرها ، وإنهم كانوا على مستوى ثقافي لا بأس به بالنسبة لعصورهم - وكثير الذين نوهوا باهتمام العرب بديوانهم وحرصهم على صحة ما وصل إليهم من شعر لم يكن أكثره مدوناً في غير الصدور - فما حفظه الآباء من الأجداد حفظه الأبناء من الآباء جيلاً بعد جيل - إلى أن جاء الإسلام فوجد الرواد في الشعر العربي ما يساعد على معرفة اللغة وغريبها . ووجدوا فيه من أبناء الجاهلية ما أضاء لهم جوانب كثيرة من حياة العرب في جاهلية ما قبل الإسلام .

٤ - لذلك كان اهتمام رواد الثقافة العربية بجمع الشعر وتصحيحه والاستفادة منه في الكتابة عن حياة الجاهليين وفي معرفة اللغة العربية ولهجاتها ، واقيمة هذه الفوائد تفرغ كثير من الرواد للشعر رواية وتحقيقاً - تشجعهم الجماهير بتقديرها ،

(١) راجع بحث (التأليف في التاريخ وكرهية التدوين) الآتي في هذا الجزء .

والخلفاء والوزراء والأمراء برعايتهم والاستماع لهم والإغداق عليهم . فبقدر ما كان لعمر وبن العلاء ، وحماد الراوية ، والأصمعي ، والمفضل الضبي وغيرهم من المختصين برواية الشعر ونقده من مكانة في بلاط الخلفاء ومجالس الوزراء والأمراء . كان لهم مكانتهم عند العامة التي احترمتهم والتفت حواهم في الأندية والمساجد تسمع منهم وتسالهم وتحفظ عنهم .

٥ - وقد تكون رعاية الدولة واحترام العامة - هما : سبب من الأسباب التي جعلت بعض الرواة الشعراء ينظمون غرر القصائد ويروونها باسم شعراء مبرزين في سبيل رواية شعر لم يروه غيرهم - تزيد في مكانتهم . والشعر المنحول : من الموضوعات التي شغل بها نقاد الشعر الجاهلي . وسيأتي الكلام عن الشعر - المنحول في مواضعه من هذا الجزء .

فمن طريق ما جمعه أولئك الرواد من أطراف البصرة و (مربدها) من الشعر واللغة والنوادر وصل إلينا الكثير من تاريخ عرب ما قبل الإسلام . فمن شعر (المهلهل) عرفنا : البسوس وحرربها . ومن شعر (عدى بن زيد) عرفنا : شيئاً عن مدى الارتباط السياسي بين المناذرة واللامخمين وبين الأكاصرة الساسانيين . ومن شعر (زهير) و (عنبرة) وغيرهما عرفنا : أشياء عن الحياة الجاهلية وتقاليدها . فهذه أيام العرب أكثر مصادرها الشعر . فشعر الشعراء هو الذي سلط الأضواء عليها . والشاعر العربي - هو الذي كان عليه واجب الدعاية ووصف الأخلاق وإخبار عن الحياة حلوما ومرها - ينافح عن القبيلة إن هزمت ويشدو بشجاعتها إن انتصرت . فنحن إذا ما رجعنا إلى موسوعات تاريخ الأدب العربي نجد : شعر الجاهلي واغته من أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون الذين اهتموا بحياة ما قبل الإسلام - سواء الذين عنوا بتاريخ العرب بين كتيبان الصحراوي في قلب الجزيرة . والذين عنوا بتاريخهم على صنماف الأنهار . وفي بادية الشام . ومن سواحل البحار العربية - فكما عرفنا من شعراء نجد والحجاز : أخبار بحرية ومشكلات العرب في الحجاز ونجد . عرفنا من شعراء سود العراق وبادية الشام الكثير من أخبار ومشكلات أطراف الجزيرة العربية .

٦ - فما وصل إلى أيدي الباحثين من الشعر واللغة - يعد إذا ما اطمأنوا إلى

صحته : نصوصاً لها قيمتها في الدراسات التاريخية ، ولا سيما في العصور الجاهلية المتأخرة - ونصوصاً لها قيمتها في الدراسات اللغوية والأدبية - وهذه النصوص التي كانت سنداً للذين تحدثوا في مجالس الخلفاء وفي المساجد وأندية العامة عن لغة العرب وأيامهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وأنسابهم - لا تزال إلى اليوم سند الباحثين في تاريخ العرب ، والمجتمع القبلي ، والخليق بالتنويه به هنا : الثقافة العامة في عصور الرواد الأولين ، فهي التي كانت تشد عضد بناء الثقافة العربية . فلقد كان لتكريم الدولة وإقبال العامة أثرهما في تفرغ أولئك البناة للمهمة العلمية التي هيأتهم لها مواهبهم . وفي تحمل أعبائها وتكبد صعابها .

٧ - واقدم حرصنا على تقديم تراجم الطليعة من كتاب السيرة والمغازي النبوية ، والتاريخ العربي . لنعرف شيئاً عن مسئولية جمع النصوص التي تحملها تلك الطليعة ، ففي تراجم رواد التاريخ تتمثل - مشاق جمع النصوص وتصنيفها في المرحلة الأولى التي بدأ علم التاريخ طريقه منها ، وتظهر قيمة الثروة التي جمعها السلف الأول من الرواد فجاء على أثرهم المؤلفون - فنسقوها في مؤلفات هي اليوم مصادرنا التي نرجع إليها في تحقيق التاريخ الجاهلي - على ضوء الشعر والمناسبات التي قيل فيها ، فأخبار الجاهليين التي نراها مجموعة في مؤلفات (ابن قتيبة) و (الجمحي) و (أبي عبيدة) و (ابن منظور) من الذين ألفوا في الشعر والشعراء وفي أيام العرب وأخبارهم ، وفي اللغة العربية ونصوصها - أكثرها مستمد من الشعر الجاهلي .

وما سيأتي في تراجم الرواد . وما سيأتي في بعض بحوث هذا الجزء التي فرضت علينا الكلام عن الشعر والشعراء . وما تقدم في الجزء الأول من هذا الكتاب عن قدم الشعر العربي (١) - هو الذي يجعلنا نكتفي هنا بالحديث عن قيمة الشعر في التاريخ واللغة . ومكانة الشعر ورواته في عصر تفجير الطاقة العربية لبناء الثقافة والتاريخ .

(١) راجع الجزء الأول من هذا المؤلف بحث : الشعر العربي عريق مثل لغته .

الفصل الخامس

من المدينة بدأ التاريخ ونذوينه في العصر الإسلامي

من صحيفة ١٦٩ إلى صحيفة ١٩٨

الموضوعات :

المدينة المدرسة الأولى في الإسلام

المدينة المنورة المدركية الأولى في الإسلام

من صحيفة ١٧١ إلى صحيفة ١٩٨

من موضوعات البحث :

- ١ - صدى الأنباء في عصور المدينة الجاهلية .
- ٢ - بواعث الدراسة العلمية في المدينة بعد الإسلام .
- ٣ - التفسير والسيرة هما اللذان بعثنا الاهتمام بالتاريخ .
- ٤ - علم الحديث لم يسبق التفسير كما يظن المتأخرون .
- ٥ - حقيقة حديث عائشة عما كان يفسره النبي عليه السلام من القرآن .
- ٦ - مجالس النبي عليه السلام في مسجده لتعليم الناس اتخذه العلماء مثلاً .
- ٧ - ما هي دار القراء التي كانت على عهد النبي عليه السلام مدرسة كما يظن البعض؟
- ٨ - كان زيد بن ثابت أستاذ مدرسة المدينة الأولى وكان خريجو مدرسة المدينة أساتذة الحواضر الإسلامية .
- ٩ - المدارس المسجدية .
- ١٠ - تدريس الأطفال في العصر الإسلامي .
- ١١ - تطور المدارس الإسلامية .
- ١٢ - فتور النشاط العلمي في المدينة وأسبابه .
- ١٣ - الدقة في أخبار المدينة .
- ١٤ - حرص الأمويين على جمع المدونات بعدد بداية للمكتبة العربية .
- ١٥ - أوائل الذين دونوا في التاريخ .
- ١٦ - آراء حول القصص التاريخي في العصور الإسلامية .
- ١٧ - دور المرأة في بناء الثقافة العربية الإسلامية .
- ١٨ - الكلمة الأخيرة .

في العصر الإسلامي

١ - قبل أن ينير الإسلام ظلام الجاهلية المخيم على حرار المدينة وسباخها - كانت تتردد بين جبالها وأوديتها أصدااء تحمل أبناء قصيرة عن عوالم الماضي القديم . ودوله ، وعقائده ، أصدااء كانت تنبعث تارة مع ضوضاء القوافل التجارية التي كانت تمر بالمدينة ذاهبة من شمالي الجزيرة العربية إلى جنوبها . أو متجهة من الجنوب إلى الشمال . فيسمعها المدنيون من القادمين من أرض الغساسنة أبناء عمومة الأوس والخزرج الذين حالفوا الروم أنصار المسيحية التي بشرت بنبي آخر الزمن ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (١) . ويسمعونها من القادمين من اليمن التي كانت تتحدث عن (تبار أسعد أبي كرب) والصورة التي حملها عن المدينة وما تنتظره من مستقبل مشرق (٢) .

ويسمعونها في مكة حيث انتشر نبأ نبي يظهر بين العرب يحطم الأصنام ، فأقضى مضاجع الوثنيين ، فأخذ (أبوسفيان) ينكر على (أمية بن أبي الصلت) كثرة تكريره لما يذكره الرهبان عن بعثة نبي آخر الزمن (٣) - وتارة أخرى تنبعث تلك الأصدااء من الآطام التي سكنتها اليهود تنتظر : النبي العادل المنصور الوديع الذي يركب على (حمار بن أتان) (٤) - أصدااء كانت لها انطباعاتها في عقليّة المدنين وأثرها في تهيئة نفوسهم للتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وإعداد قلوبهم للائتناف حواه . فعندما بلغتهم دعوة الإسلام التي انطلقت من مكة قل بعضهم لبعض : [يا قوم ! تعلموا : والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود . فلا تسبقنكم إليه] (٥) .

(١) سورة الصف (الآية ٦) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢٠/١ وما بعدها .

(٣) حياة محمد ص ١٠٣ .

(٤) عبقرية المسيح ص ١٢ .

(٥) سيرة ابن هشام ٤٢٩/١ .

فما إن تنفس الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة - حتى أصبحت المدينة أم العواصم ومشرق ذلك النور الذي اجتذب الأنظار فغاظ الذين يكتمون الحق فأثاروه جدلاً عنيفاً كله تضليل وعناد - قابله الإسلام بالحلم ورحابة الصدر ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾^(١) ، جدلاً فجرَّ حب المعرفة في قلوب المدنين ، وبعث فيهم الرغبة في معرفة حقيقة الأنبياء التي دار حولها الجدل - أولاً : جدل الوثنيين في مكة الذين قالوا : ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾^(٢) . وثانياً : اليهود في المدينة - الذين ملأت افتراءاتهم أجواء المدينة - فمن هذه الرغبة نشأ الحرص على تحقيق الأحداث التاريخية وإسنادها إلى مصادرها .

فلا غرو ! إن بدأ المسلمون تأريخهم بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وإن كانت المدينة المدرسة الأولى للثقافة الإسلامية ، والمهد الأول لعلم التاريخ الذي بدأ بعد الإسلام بالسيرة والمغازي .

أجل ! لقد كانت السيرة النبوية بما فيها من تشريع بناء ، وتخطيط هادف ، وجهاد في سبيل نصره الحق على الباطل والخير على الشر ، وحرية الجماهير على استعباد الفرد واستبداده - هي : نقطة البداية في تصنيف التاريخ الإسلامي ، فلقد اهتم أوائل الرواد في المدينة بجمع وتبويب الأحاديث النبوية والأخبار الماثورة الواردة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها ، والواردة في مغازيه وسراياه ، وفي أنصاره من قريش والأوس والخزرج أبطال (بدر) و (أحد) و (الخندق) ، وأخذوا يسألون الذين هاجروا إلى الحبشة . والذين عذبوا في مكة ، والذين بايعوا تحت الشجرة ، والذين شهدوا فتح مكة ، والذين سمعوا وفود العرب تؤمن على يد محمد صلى الله عليه وسلم - يسألونهم عن حقائق تلك المواقف والمشاهد ، مثلما يسألونهم عن نصوص التشريع وأحكامه وفيما كانت الجاهلية تنسبه إلى ملة إبراهيم الحنيف . ومن هنا بدأ التاريخ الإسلامي .

ولم يكن اهتمام ذلك الرعيل بتفسير القرآن - وفهم أحكامه ومعرفة قصصه وأنبائه ، متأخراً عن اهتمامهم بالحديث ، فلقد جد أوائل الرواد في حفظ القرآن

(١) سورة العنكبوت (الآية ٤٦) .

(٢) سورة المؤمنون (الآية ٨٣) .

وفي فهم ما فيه من أحكام وإرشاد وموعظة ، فقد أخذوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن : (ناقة صالح) و (أهل الكهف) و (أصحاب الأخدود) ، مثلما كانوا يسألونه عن الصلاة والصوم والحج - وأخذوا يبحثون في لغات العرب وأشعارهم عن الغريب من ألفاظ القرآن . ويسألون أهل الكتاب عما في أسفارهم عن بني إسرائيل ، وجبارة الشام مما جاء مجملاً في القرآن - ومن هنا بدأ تأليف التاريخ العام وأخذ يسير مع التفسير من بداية الطريق .

وتذهب بعض الظنون إلى أن اهتمام الرعيل الأول من الرواد - بالحديث وجمعه سبق اهتمامهم بالتفسير . وإلى أن الحديث يشمل التشريع ويشمل التاريخ^(١) - وإخال : أن البادئين بهذه الظنون - هم : المستشرقون ، فلقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية - أن (كارا دي فو) يرى : [أن التفسير فرع هام من علم الحديث يعلم في المدارس والجامعات]^(٢) .

وهذه الظنون تعتمد - كما يبدو - على ما جاء في تراجم أعلام رواة الحديث وجامعيه الذين شمل جهدهم : التفسير والتشريع والتاريخ . والذي يستلفت النظر في هذه الظنون : ما جاء فيها عن انصراف جهد الأوائل إلى الحديث أولاً - ثم إلى التفسير ثانياً - في حين توجد نصوص تؤكد : أن جهد الرعيل الأول من الرواد شمل التفسير والحديث - في وقت واحد . فلقد قال (أبو عبد الرحمن) : [حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - أنهم كانوا يستقرئون من النبي - عليه السلام - فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخالفوها حتى يعلموا ما فيها] . وقال (عبد الله ابن مسعود) : [كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن]^(٣) . وقال (أبو مليكة) : [رأيت (مجاهداً) يسأل (ابن عباس) عن التفسير ومعه الواحد^(٤) فيقول له ابن عباس اكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله]^(٥) . ويقول (ابن النديم) : [إن كتاب ابن عباس في التفسير يروى

(١) ضحى الإسلام ٢ / ١٣٧ و ١٣٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٥ / ٣٤٩ وما بعدها .

(٣) تفسير ابن جرير ١ / ٢٧ و ٢٨ .

(٤) كذلك في الأصل (الواحد) ولعله قال : الواحده لما جاء في بنية الحديث .

(٥) تفسير ابن جرير ١ / ٢٨ و ٣١ .

(مجاهد) ؛ وإن (عكرمة) روى كتاب ابن عباس في نزول القرآن ، وإن (ابن الكلبي) روى كتاب ابن عباس في أحكام القرآن [(١)] .

فهذه النصوص : تثبت : أن الرعيل الأول بدأ في فهم القرآن وتأليف التفسير من عهد النبي عليه السلام ، فابن مسعود صحابي توفي سنة ٣٢ هـ ، وابن مسعود كان من الحريصين على فهم معاني القرآن ؛ وابن عباس صحابي توفي سنة ٦٨ هـ وعن ابن عباس دون تفسير القرآن وأحكامه ونزوله .

٥ - وما يستلقت النظر في تلك الظنون : ما جاء فيها - بناء على ما روى عن (عائشة) : [لم يكن النبي عليه السلام يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات علمهن إياه (جبريل)] وبناء على أن ما روى عن رسول الله عليه السلام - قليل - قال بعضهم : [إنه لما جاء الصحابة يفسرون آيات من القرآن وبخاصة (علي بن أبي طالب) و (عبد الله بن عباس) و (عبد الله بن مسعود) و (أبي بن كعب) كان تفسيرهم إما اجتهاداً منهم أو سماعاً من رسول الله] (٢) - فالذي يلاحظ على ما جاء في هذه الظنون : أن النبي عليه السلام لم يرو عنه في التفسير إلا القليل مما علمهن إياه جبريل . فما روى عن عائشة في تحقيق (ابن جرير) لا يجوز الاحتجاج به [هذا مع ما في الخبر الذي روى عن عائشة من العلة في إسناده التي لا يجوز معها الاحتجاج به] فابن جرير يؤكد بأدلته : [محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله : اعتبر بما لا يفهم له به ولا معرفة] (٣) .

إن ما يؤكد ابن جرير : وإن كان لا يثبت : أن النبي عليه السلام قد فسر القرآن جميعه ولا ينفي : أن هناك آيات فسرهما للنبي عليه السلام (جبريل) - هو حقيقة لا ريب فيها . فالسابقون الأولون لم يحفظوا القرآن على غير فهم ، بل كانوا يسألون عن كل حكم من أحكامه ، ونبأ من أنبائه - فيجابون بقدر ما يفيدهم وتهضمه عقولهم . ومما لا شك فيه : أن في القرآن آيات لم يكن يفسرها النبي عليه السلام إلا بوحى من الله - مثل : الروح ﴿ ويسألونك عن الروح - قل : الروح من أمر ربي

(١) الفهرست ص ٥٠ و ص ٥٧ .

(٢) ضحى الإسلام ٢ / ١٣٨ .

(٣) تفسير ابن جرير ١ / ٢٨ و ٣٠ .

وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً^(١) . ومثل : الأهله يسألونك عن الأهله - قل : هي مواقيت للناس والحج^(٢) . وإن في القرآن آيات متشابهات - مثل : فواتح السور ﴿الم﴾ و ﴿كهيعص﴾ و ﴿حم عسق﴾ فقد جاء في كلام ابن عباس عنها : [أن (أبا ياسر بن أخطب) مر برسول الله عليه السلام وهو يتلو سورة البقرة ﴿الم﴾ ذلك الكتاب ﴿فوقف عنده واجتمع إليه أخوه (حي بن أخطب) في رجال من يهود . وأخذوا يسألون النبي عليه السلام عن فواتح السور . وجاء في تفسير ابن جرير عندما ذكر خبر ابن عباس : أن لفواتح السور معاني لم تحصر إجابة النبي عليه السلام تفسيرها في معنى واحد . ولو أراد جل ثناؤه بذلك أو بشيء منه : الدلالة على معنى واحد لأبان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن اجتماع (أبي ياسر بن أخطب) وجماعته مع النبي عليه السلام - انتهى بقول اليهود اشتبه عليه أمرك^(٣)] فأنزل الله تعالى : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾^(٤) . ففي تفسير الآيات المتشابهات جهاد المفسرون . وقد يؤول يجهدون في تفسيرها وتفسير ما حددت تفسيره معارف تلك الأجيال - ولقد سبق الكلام عن القصص القرآني وقصته وأمثاله . أما في غير هاتئ متشابهات فالتقرآن لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم إلا هدى وهو عظة ونوراً .

فهذه كلها أداة تثبت : أن التفسير لم يتأخر عن الحديث . وأن مدرسة التفسير لم تقدم الحديث على التفسير . ولقد كان النبي عليه السلام يجلس للناس عده يجيبهم عما كانوا يسألون عنه ثم جاء في القرآن وقد هم في حجة إلى معرفته . فيلتف الناس حواه حلقات بعد حلقات . فيتجه إلى جانب بعد آخر يحدثه ويعده . وفي البخاري عن (أبي واقد الليثي) أنه قال : [بينما رسول الله عليه السلام جالس في

(١) سورة الإسراء (آية ٨٥) .

(٢) سورة البقرة (آية ١١٩) .

(٣) تفسير ابن جرير ١٣٠ .

(٤) تفسير النيسابوري المنهش عن تفسير ابن جرير ١٢٢٠ .

وما بعدها .

(٥) الأعدى ١١ ، ٤٢ .

المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر - فأقبل اثنان إلى رسول الله عليه السلام فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوجد أحدهما : فرجة في الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفه] .
ولقد كانت حلقات النبي عليه السلام ومجلسه في المسجد النبوي : مثلاً اتخذها كبار الصحابة ومن بعدهم التابعون . وما زالت الحلقات تتجمع في المسجد النبوي إلى يومنا هذا - ومما قبل عن (جعفر الصادق) : إنه اتخذ من الحرم النبوي : مدرسة بلغ عدد تلامذتها أربعة آلاف تلميذ . جاءوا إليها من مختلف البلاد الإسلامية - ثم عادوا أئمة ومؤسسين لمذاهب إسلامية - منهم : شعراء ورياضيون ، ولقد بلغ عدد الذين ألفوا كتباً من تلامذة - الصادق - أربعمئة مؤلف - منهم : (أبان بن تغلب) مؤلف كتاب (معاني القرآن) و(المفضل بن عمر) مؤلف كتاب (التوحيد) و(جابر بن حيان) مؤلف كتاب (الكيمياء) (١) .

وإني إخال : أن الذين يظنون : أن عدد تلامذة (جعفر الصادق) بلغ هذا الرقم - يقصدون كل رجل مر بحلقة الصادق في المسجد النبوي وروى عنه - فالتاريخ كما قلت : لم يسلم في عصر من العصور من المبالغة . والمبالغات بما فيها المبالغات التي تتجاوز حدود المنطق قل أن تخلو من أصل : فجعفر الصادق كغيره من الأعلام كانت له حلقة في المسجد النبوي مثل ربيعة الرأي وكثيرين - وجعفر الصادق جسع إلى العلوم الدينية . علم الكيمياء - كان يشتغل بالزجر والفأل (٢) - وجعفر الصادق من الأعلام الذين أحيطوا بهالة من المبالغات .

على أن الذي لا مبالغة فيه : النشاط الثقافي الذي عم المدينة في صدر الإسلام ، فقد كانت جميعها مدرسة عامة لحفظ القرآن وتفسيره وجمع الحديث وتبويبه ، وتعلم اللغات غير العربية قراءة وكتابة إلى جانب اللغة العربية حتى أسواقها وميادينها - كان الغلمان يلتقون فيها ويختلفون في قراءة القرآن . وإن مدرسة المدينة لفتت الأنظار في الماضي والحاضر . فحلقت في سمائها الآراء والتخمينات .

٧ - وعندما بحث (أحمد أمين) في العلوم الدينية وكيف كانت تدرس في المساجد : قال : [ولم أر ما يدل على أن المسلمين أنشأوا في هذا العصر مدارس

(١) مجلة العربي الكويتية عدد ١٣٤ يناير سنة ١٩٧٠ .

(٢) فجر الإسلام ص ١٦٤ .

خاصة للعلم إلا ما نقل (المقریزی) أن (عبد الله بن أم كلثوم) قدم مهاجراً إلى المدينة مع (مصعب بن عمير) ، وقيل : قدم بعد بدر بتقليل فنزل (دار القراء) - ولم نعلم كثيراً عن دار القراء هذه - وهل هي خصصت للدراسة أو لا ؟ [(١)] . وخبر الواقدي هذا ذكره (ابن عبد البر) في (الاستيعاب) والخبر الذي جاء في الاستيعاب [أن (عبد الله بن أم كلثوم) عندما قدم مهاجراً إلى المدينة مع (مصعب بن عمير) بعد يوم بدر بتقليل نزل دار القراء] (٢) .

و (دار القراء) ذكرها (السمهودي) في كتابه (وفاء الوفاء) ثلاث مرات : ذكرها عندما تحدث عن زيادة (الوليد بن عبد الملك) في المسجد النبوي . وذكرها عندما تحدث عن زيادة (المهدي) . وذكرها عندما تحدث عن الدور المطيفة بالمسجد . وقال : إنها تدعى - دار القراء . وقال : إنه يستبعد : أن تبقى منها بقية في الدور المطيفة بالمسجد . بيد أن (السمهودي) لم يتعرض لسبب تسمية هذه الدار : (دار القراء) وعن حقيقة هذا الاسم : فكل ما قاله عنها : إنها دار (عبد الله بن مسعود) (٣) .

فهذا النص الذي ذكره الواقدي وابن عبد البر - لم يعن ناقلوه بتحقيقه لمعرفة ما تلزم الباحث معرفته إذا ما اعتقد : أن هذه الدار أنشئت مدرسة لتدريس والمدارس فنص كهذا - يتخذ - دليلاً على نشأة المدارس في الإسلام - جدير بالتحقيق . والتحقيق في هذا النص - يثبت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الدور - فخط لبني زهرة في ناحية مؤخره بالمسجد وجعل (عبد الله بن مسعود) وأخيه عتبة بن مسعود) هذه الخطة عند المسجد (٤) . ويثبت : أن (عبد الله بن مسعود) أول من أفشى القرآن بمكة . وأنه كان يخطب في المدينة كل يوم خميس فيتكلم طويلاً ثم يسكت فيتسنى السامعون : ألا يسكت . وإن (عمرو بن الخطيب) كتب لأهل (الكوفة) عن عبد الله بن مسعود [والله الذي لا إله إلا هو]

(١) فجر الإسلام ص ١٦٥ .

(٢) الاستيعاب ٢ - ٢٥٠ .

(٣) وفاء الوفاء ٢ - ٥١١ ، ٥٣٩ ، ١٢١١ .

(٤) الطبقات لابن سعد ٣ - ١٥٢ .

به على نفسى فخذوا منه [(١) . فأخذوا منه . وانتشرت قراءته في العراق . وعن (عبد الله بن مسعود) قال النبي عليه السلام : [من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد] (٢) . وقال (عبد الله بن مسعود) عن نفسه [والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت] (٣) ويقول (ابن سعد) عن (عبد الله) : [كان يعرض القرآن في كل رمضان مرة إلى سنة وفاته . ففي تلك السنة عرض عليه القرآن مرتين - وقد كانت وفاته بالمدينة سنة ٣٢ هـ] (٤) وينقل (الزركلي) (٥) عن مصادره : [أن لعبد الله بن مسعود في الصحيحين ثمانمائة وأربعين حديثاً . وأنه ولى بيت مال الكوفة ثم قدم المدينة في خلافة عثمان وتوفى فيها عن نحو ستين عاماً] (٦) .

فلا عجب إن فهم الدين نقلوا نص الواقدي وابن عبد البر : أن دار القراء - هي مدرسة أنشئت في صدر الإسلام لحفظ القرآن وتفسيره والتفقه في أحكامه - يؤمها القراء وطلبة التفسير والحديث . فعبد الله بن مسعود - هو : وحده مدرسة كما تؤكد الصفات التي وصف بها ابن مسعود . فليس غريباً : أن تكون داره مدرسة للمدارسة والتدريس .

بيد أن كل هذه الشواهد لا تثبت لنا : أن (دار القراء) - هي : مدرسة لتدريس القرآن وحفظه وتفسيره لا في عهد النبي عليه السلام وصحابته ولا في عهد التابعين . وأن كل شاهد من هذه الشواهد يقوم بجانبه دليل يشير إلى غير ما ذهب إليه ذلك الظن - فكل دار من دور المدينة كانت في ذلك العصر داراً للقرآن وقرائه . فلقد حفلت المدينة بأعلام الصحابة الحفظة العلماء . وقد كان في المدينة كثيرون من المعلمين . فلقد قال (أبو قلابة) : [لما كان في خلافة (عثمان بن عفان) جعل المعلم يعلم قراءة الرجل . والمعلم يعلم قراءة الرجل . فجعل الغلمان يلتقون

(١) الطبقات ٣ / ١٥٧ و ٥١٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ طبع بيروت ١٤ / ١ والطبقات ٢ / ٣٤٢ .

(٣) تفسير ابن جرير ١ / ٢٧ والطبقات ٢ / ٣٤٢ .

(٤) الطبقات ٢ / ٣٤٢ .

(٥) المعارف ص ٢٤٩ .

(٦) الإعلام ٤ / ٢٨٠ .

فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين . قال حتى كفر بعضهم بقراءة بعض -
فبلغ ذلك عثمان - فقام خطيباً - فقال : أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون - فمن
نأى عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشدّ لحناً . اجتمعوا يا أصحاب محمد
فاكتبوا للناس إماماً [(١)] .

وعندما وافق (أبو بكر الصديق) على رأى (عمر بن الخطاب) على جمع
القرآن انتدب (زيد بن ثابت) لجمعه (٢) - فكان أول من أمر بجمع القرآن
(أبو بكر) . وأول من جمعه (زيد بن ثابت) غير أنه لم يجمع الناس على قراءته
فكان الناس يقرءونه بقراءات مختلفة إلى وقت عثمان - فكان عثمان : أول من جمع
الناس على مصحف واحد . وقد كلف عثمان بدوره : (زيد بن ثابت) بهذه
المهمة إلا أنه أشرك معه (أبان بن سعيد بن العاص) (٣) - ويروى عن عبد الله بن
مسعود - أنه كره - أن يولى (زيد بن ثابت) نسخ المصاحف - فقال : [يا معشر
المسلمين : أعزل عن نسخ كتاب الله ويولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه في
صلب رجل كافر] يعنى زيدا (٤) .

فكل من تحدث عن قراءة القرآن وتعليمه وجمعه ونسخه وحياة عبد الله بن
مسعود - لم يذكر : أن داره كانت مدرسة لقرآن دون سواها - أو كانت تسمى :
(دار القراء) - جمع قارئ - أو (دار القرآن) . وعندما ذكر (ابن سعد) في
(طبقاته) وصية (عبد الله بن مسعود) لم يذكر داراً لعبد الله بن مسعود كانت تسمى
دار القراء أو دار القرآن (٥) - وابن سعد - هو تلميذ الواقدي - فلو أن الواقدي
قصد : أن الدار التي نزلها (عبد الله بن أم كلثوم) هي مدرسة كما فهم ذلك
(أحمد أمين) لأشار إليها . ولو كانت هناك دار لمدرسة القرآن من قبل يوم
(بدر) لذكرت فيما ذكر عن أسباب جمع القرآن ونسخه - وعبد الله بن مسعود

(١) تفسير ابن جرير ١ / ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ١ / ٢٠ .

(٣) تفسير ابن جرير ١ / ٢١ .

(٤) تفسير النيسابوري المهشم على ابن جرير ١ / ٢٤ والطبقات ٢ / ٣٤٤ .

(٥) الطبقات ٣ / ١٥٩ .

رجل إلى (حمص) وبعثه (عمر بن الخطاب) إلى أهل القادسية بالكوفة^(١) فلو كانت له دار اتخذت مدرسة للقرآن - لما أهمل ذكرها ، فهذه المناسبات جميعها جديرة بذكر هذه الدار التي وردت في النص المتقدم باسم (دار القراء) - لو كانت هذه الدار مدرسة للقرآن - سواء كانت دار ابن مسعود أو دار غيره . ولقد ذكر المؤرخون : وصية عبد الله بن مسعود - فلم يأت فيها شيء عن دار القراء هذه كما تقدم .

إذن من أين جاءت هذه التسمية ؟ - إن هناك أدلة ترجح إلى حد بعيد . أن الواقدي وابن عبد البر - يقصدان معنى آخر غير ما فهمته العامة من هذا الاسم ، فلعلهما كانا يقصدان : (دار القراء) بفتح القاف - صيغة مبالغة لقارئ - أو أن تصحيفاً وقع في كتابة (دار القراء) - فلقد جاء في (سيرة ابن هشام) - قال (ابن إسحاق) : وعبد الله بن مسعود بن الحارث - من (القارة) قال ابن هشام : القارة لقب لهم^(٢) - وقال (الفيروزبادي) : (القارة) قبيلة وهم حلفاء بني زهرة . وقال : منهم رجال من رواة الحديث كان يقال لهم (القاري) - مثل : (عبد الرحمن بن عبد القاري) و (إبراهيم بن عبد القاري) و (يعقوب)^(٣) - وجاء في كلام (النويري) عن القارة : (وفلان بن عبد القاري منسوب إلى القارة وعبد منون لا يضاف)^(٤) - وقال النويري أيضاً : [وقارة - قبيلة - وهم : عضل و (الدبش) أبناء (الهون) بن (خزيمة) من (كنانة) - والنسبة إليهم قاري]^(٥) - وفي الحديث النبوي : [لو كنت مؤمراً أحداً دون شوري لأمرت : ابن أم عبد - يعني : عبد الله بن مسعود]^(٦) - و (أم) عبد الله بن مسعود هي : (أم عبد) بنت (عبد ود) من أحفاد (صاهلة بن كاهل)^(٧) - وجاء في الطبقات [لما قدم

(١) الطبقات ٢ / ٣٤٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٦٨١ ، ومعجم البلدان ٧ / ١١ .

(٣) تاج العروس ٣ / ٥١٠ .

(٤) لسان العرب ٥ / ١٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ٥ / ١٢٣ .

(٦) الطبقات ٣ / ١٥٤ .

(٧) الطبقات ٣ / ١٥٠ .

رسول الله عليه السلام: المدينة - أقطع الدور - فقال حتى من بنى زهرة - يقال لهم: (بنو عبد بن زهرة) نكتبُ عننا (ابن أم عبد) يتصدون: ابن مسعود . فقال رسول الله عليه السلام: (أبيعثنى الله إذاً . إن الله لا يقدر قوماً لا يعطى الضعيف منهم حقه) فخط لبنى زهرة في ناحية مؤخر المسجد - فجعل لعبد الله وعتبة ابني مسعود هذه الحطة عند المسجد [(١)] .

ففي هذه النصوص - ما يؤكد: أن ابني مسعود - عبد الله وعتبة من حلفاء (بنى زهرة) (٢) وأنهما من القاريين - الذين يقال لهم: ابن عبد - وأن بنى زهرة هم: من بنى عبد - وبنو عبد يقال لهم: (القارة) . والنسبة إلى القارة: قارى - كما في لسان العرب وتاج العروس . وأن النبي صلى الله عليه وسلم خط لابني مسعود: عبد الله وعتبة مع بنى زهرة .

وعندما تكلم (ابن سعد) عن دار (عبد الرحمن بن عوف الزهري) قال: [كان رسول الله في خط الدور بالمدينة - فخط لبنى زهرة في ناحية مؤخر المسجد . فكان لعبد الرحمن بن عوف (الحثي) والحثي نخل صغار لا يسقى] (٣) . وعندما تكلم (السهوي) عن (دار عبد الرحمن بن عوف) التي تسمى: دار الضيفان قال: [وفي شامى المسجد اليوم ما يلي المشرق - دار تعرف بدار (المضيف)] . وشك السهوي في أن تكون هذه الدار هي: دار عبد الرحمن بن عوف التي تسمى دار الضيفان: فقال [فلعل تسميتها بدار المضيف كونها في موضع (دار الضيفان) ولكن ذكر الدار الآتية بعدها قبل جهة المشرق . وبعد ذلك . فكان الجانب الغربي من دار المضيف وما حواه في المغرب عن السيف وبعض رباط الظاهرية في موضع الدار المذكورة] . وعندما تكلم « السهوي » عن (دار القراء) قال: [وموضع ما وصفوه اليوم (دار القراء) هو ما يلي المشرق من الدار المعروفة بدار المضيف - واستبعد السهوي أن تأتي من (دار القراء) بعد زيادة الوليد . وزيادة المهدي التي بلغت مائة دار وعرض رحبة أي في

(١) الطبقات ٣ / ١٥٣ .

(٢) المعارف ص ٢٥٩ .

(٣) الطبقات ٣ / ١٢٦ .

شامى المسجد - فقال : [وأى دار يكون طولها هذا المقدار فضلا عن أن يبقى منها بقية]^(١) .

فما جاء فى كلام (ابن سعد) و (السمهودى) عن دار (عبد الرحمن بن عوف) التى يقال لها (دار القراء) يظهر : أن الدارين تقعان فى دور بنى زهرة الذين يقال لهم : القارة . وفيما جاء فى ملحوظة السمهودى عن دار (عبد الله ابن مسعود) : [أن من غير المعقول أن تبقى منها بقية بين الدور المطيفة بالمسجد] ، يظهر : أن المكان الذى وصفوه على أنه (دار عبد الله بن مسعود) - التى تسمى (دار القراء) وعلى أنه من الدور المطيفة بالمسجد - خارج عن (دار عبد الله ابن مسعود) .

فالذى يبدو مما جاء فى هذه الأقوال والملحوظات التى حرصنا على أن نحيط القارئ بها علماً ليستنتج معنا : أن (دار القراء) ليست - هى : مدرسة لتدريس القرآن - وليست : هى : دار عبد الله بن مسعود وحده - وأن اسم (دار القراء) جمع قارئ - صحف - وأن التصحيف : إما أن يكون وقع فى اسم (القارة) الذى كان يطلق على (ابن عبد) ومنهم الزهريون - فقد يكون اسم (دار القراء) فى الأصل (دار القارة) - فالدار فى اللغة - (المحل) الذى يجمع البناء و (العرصة) والدار : المحلة^(٢) . و (القارة) فى الخطوط القديمة - تكتب بدون الألف (القررة) . ثم أخذ الكتاب يشيرون إلى الألف بألف صغيرة - مثل (البيئات - البيئت) و (خلقناه - خلقنه) . وكتابة (القارة) بدون ألف تجعلها قريبة من (القررة) والقررة بضم القاف عند العامة تعنى : جمع (قارئ) . وعلى ذلك تكون (دور بنى زهرة) ودار (عبد الله وعتبة) ابني مسعود - سميت جميعها بدار القارة - ثم صحفت فأصبحت تعرف بدار القراء ونسبت جميعها إلى (عبد الله بن مسعود) - ما عدا الدور التى اشتهرت بأسماء خاصة بها كدار (عبد الرحمن بن عوف الزهرى) - فعلى ذلك بقيت من دار القارة بقية بعد زيادة الوليد والمهدى فى الرحبة - بين الدور المطيفة بالمسجد . وإما أن يكون التصحيف وقع فى قراءة كلمة -

(١) وفاة الوفاء ٢ / ٧٢٨ وما بعدها ، الطبعة الثانية .

(٢) لسان العرب ٤ / ٢٩٨ .

(القراء) بفتح القاف صيغة مبالغة لقارئ^(١) فقد تكون دار عبد الله بن مسعود - سميت: (دار القراء) - فعبد الله بن مسعود قراء من أشهر القرائين - ولا فرق في كتابة الكلمتين (القراء) بفتح القاف صيغة المبالغة - يقال: رجل قراء حسن القراءة - وبين (القراء) بضم القاف وفتحها - جمع قارئ - يقال: رجل قارئ من قوم قراء وقرائين - وقد تكون دور القاريين - نسبت جميعها إلى (عبد الله بن مسعود) بدافع شهرة (عبد الله بن مسعود) في العالم الإسلامي وبالذات في المجتمع المدني - فلقد ظل اسم (ابن أم عبد) تردده الأجيال الإسلامية .

فعلى هذين الاستنتاجين - لا يستبعد: أن يكون اسم (دار القارة) أو (دار القراء) صيغة المبالغة - أطلق على (دار - محلة) بنى عبد بن زهرة وحليفها: عبد الله وعتبة ابني مسعود . ولا يستبعد أن تبقى من هذه الدار - المحلة: بقرية بعد زيادتي: الوليد الأموي والمهدي العباسي - وبعد عرض الرحبة . ولا يستبعد أن يكون (عبد الله بن أم مكتوم الزهري)^(٢) قد نزل في دار القارة من بنى زهرة أبناء عمومته - فكان من ضيوف (عبد الرحمن بن عوف الزهري) أو يكون (ابن أم مكتوم) الأعمى الذي عبس في وجهه النبي عليه السلام عندما جاء يسأله في الآونة التي كانت صنديد قريش تستمع إليه قد حل ضيفاً على عبد الله ابن مسعود سادس السابقين إلى الإسلام وأول الذين أفضوا القرآن في مكة فهناك بواعث كثيرة توحى بوجود صلات بين (ابن أم عبد) وبين (ابن أم مكتوم) على أنه سواء كان نزول (ابن أم مكتوم) في دار ابن مسعود أو في دار ابن عوف فالداران لم تخرجا عن محلة الزهريين الذين كان يقال لهم: القارة . وبناء على كل هذا: إن من المستبعد أن تكون الدار التي نزلها ابن أم مكتوم مدرسة لتدريس القرآن . ولا تذكر إلا بمناسبة هجرة (عبد الله بن أم مكتوم) ولا يذكرها مؤرخو المدينة الأعلون أنها دار عبد الله بن مسعود .

فالنص الذي ذكره (الواقدي) و (ابن عبد البر) لا يكفي وحده لأن يكون دليلاً على أن (دار القراء) كانت في عهد النبي عليه السلام وخلفائه الراشدين مدرسة

(١) لسان العرب ١ / ١٢٩ .

(٢) تفسير النيسابوري الممش على ابن جرير ٣٠ - ٢٥ .

للتدريس والمدارسة كما فهم ذلك بعض المتأخرين . ما لم نجد نصاً يؤكد لنا هذا الفهم - لا غموض فيه . وهذا ما لم أجده في كل المراجع التي اطلعت عليها .

٨- وعلى كل حال فإن هذا النص - على ما يغشاه من غموض لا يمكن أن يزول جميعه بالاستنتاج - نهبنا إلى النشاط الثقافي الذي بدأ مبكراً في المدينة - فلقد كان الحرم المدني وكل دار في المدينة مدرسة للقرآن وتفسيره . وإذا كان هذا النص يغشاه غموض لا نجد دليلاً يزيل ما علق به من لبس واشتباه ، فإن نصوصاً كثيرة لا غموض فيها - وردت تؤكد : حماس المدنيين - مهاجرين وأنصاراً ، شيباً وشباناً لتعلم القراءة والكتابة والتفقه في التشريع الإسلامي . وتؤكد : ازدهار المدينة بحدوات كان يعقدها الأعلام من الرجال والشهيرات من السيدات - تتدفق فيها المعارف والآراء في الأدب وفنونه والتاريخ ومسالكه - وتؤكد : أن نفرأ من المدنيين تحمس لتعلم اللغات غير العربية - مثل : السريانية ، والرومية ، والعبرية - فمن الحقائق الثابتة : أن النبي عليه السلام أمر بعض الصحابة بتعلم اللغات الأجنبية ليدون بها رسائله . وأن النبي عليه السلام وافق على أن تكون فدية بعض الأسرى تعليم عدد من أبناء المسلمين القراءة والكتابة^(١) .

ومما لا غموض فيه أن أستاذ المدينة الأكبر - هو : (زيد بن ثابت الأنصاري) وأن زيد بن ثابت تعلم إلى جانب العربية : السريانية ، والعبرانية ، والفارسية ، والرومية ، والقبطية ، والحبشية - كما نقل ذلك (ناصر الدين الأسد) عن مصادره^(٢) - وأن تلامذة زيد بن ثابت - هم : بناء النهضة الثقافية وبأذرو نواة التاريخ - فمن تلامذة زيد بن ثابت : (عبد الله بن عباس) و (عروة بن الزبير) وعن هذين العلمين أخذ (ابن شهاب الزهري) وغيره من أساتذة الثقافة الإسلامية وطلبة كتاب السيرة والمغازي .

ومما يؤكد الباحثون في نشأة الثقافة الإسلامية في البلاد العربية : أن مؤسسي مدارس الحواضر الإسلامية - تخرجوا في مدرسة المدينة - فأستاذ مدرسة (مكة المكرمة)

(١) الطبقات ٢ / ٢٢ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٥ (نقلا عن فتوح البلدان ، وكتاب المصاحف ، والتنبيه والإشراف ، وتقييد العلوم) .

(عبد الله بن عباس) ، وأستاذ مدرسة (الكوفة) - (عبد الله بن مسعود) . وأستاذ مدرسة (البصرة) - (أبو موسى الأشعري)^(۱) وأساتذة مدارس (سورية) - (معاذ بن جبل)^(۲) و (عويمر بن مالك - أبو الدرداء) و (عبادة بن الصامت) . وأستاذ مدرسة (مصر) - (عبد الله بن عمرو بن العاص) الذي قال عنه (ابن حجر) في الإصابة : إنه كان كثير العناية بكتب أهل الكتاب^(۳) . وقال عنه (ابن سعد) في الطبقات : إنه يعرف السريانية^(۴) - وقال عنه (الذهبي) في تذكرة الحفاظ : وكان أصاب جملة من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى عجائب^(۵) - وقالوا عنه : إنه من أوائل الذين دونوا عن النبي مباشرة . وإنه صاحب الصحيفة المسماة (الصادقة) .

ولئلا يظن أحد : أن هناك خلطاً في الأسماء عندما يذكر اسم مع المدينين تارة - ومع المكيين تارة أخرى ومرة ثالثة مع الكوفيين - مثل : (سعيد بن جبیر) فقد ذكره الباحثون مع تلامذة (عبد الله بن عباس) في مكة . وذكره مع تلامذة

(۱) جاء في الطبقات ۱ / ۱۰۹ : أن عمر بن الخطاب بعث أبا موسى إلى البصرة .
 (۲) جاء في فجر الإسلام ص ۱۸۸ : [أن يزيد بن أبي سفيان - كتب إلى عمر : قد احتج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن - فأرسل إليه معاذاً - وعبادة . وأب الدرداء] - وم جاء في فجر الإسلام نقل عن البخاري - ونحن إذا قبلنا ما جاء في رواية البخاري بما جاء في الطبقات عن (معاذ ابن جبل) وخروجه إلى الشام - نجد : تناقضاً كبيراً - في الطبقات - بعد عمر بن الخطاب يمنع في خروج معاذ إلى الشام . وأن (أبو بكر) أمر على خروجه مجداً - فما جاء في الطبقات عن عمر بن الخطاب : [لقد كلمت أبا بكر يحبه حاجة الناس إليه فبقي عن - وقال : رجل أرد وجهاً يريد الشهادة - فلا أحبه] . وقد استخلف (أبو سعيد) معاذاً عنده مرض طاعون . ثم أصيب معاذ بنفس المرض في أول طاعون في الإسلام - ومات شاباً في سورته ببحر الأردن (الطبقات ۲ / ۲۵۸ و ۲ / ۵۸۳) . ومهما يكن من أمر خروج معاذ - فقد خرج إلى سورية . وبعد النبي صلى الله عليه وآله في حياة النبي عليه السلام والذي خلفه الرسول عليه السلام في (مكة) بعد نسيه في حجة الوداع . وهو الذي سأل الناس حوله في مسجد (دمشق) وفي مسجد (حمص) يسأله ويصرون من رأيه - (الطبقات ۳ / ۵۸۳) وما جاء في (فجر الإسلام) جاء في (الإسلام والحضارة) مؤلفه (عبد الله بن عبد الحميد بن عبد العزيز) للبخاري - (الإسلام والحضارة ۱ / ۱۸۰) .

(۳) فتح الباري ۱ / ۱۸۵ .

(۴) الطبقات ۱ / ۲۶۶ .

(۵) تذكرة الحفاظ .

(عبد الله بن مسعود) في الكوفة - فإن على البحث هنا أن يشير إلى حقيقة قد نحتاج إليها في تراجم بعض الرواد الآتية في هذا الجزء - ألا وهي : أن الرعيل الأول من أساتذة المدارس الإسلامية لم ينحصر نشاطهم في بلد دون آخر ، فهذا (ابن عباس) كان أستاذاً في مدرسة (المدينة) وكان أستاذاً في مدرسة (مكة) وكان أستاذاً في مدرسة (البصرة) . وذلك (معاذ بن جبل) من أعلام مدرسة المدينة ومكة واليمن وسورية - وكذلك كان تلامذة هذا الرعيل لم تشتم مشاق الانتقال من بلد إلى آخر في سبيل الحصول على حديث نبوي أو حكم فقهى أو نص تاريخي - فإلى (ابن مسعود) و (ابن عباس) وغيرهما كان (سعيد بن جبير) وكثيرون مثله - يشدون الرحال .

٩ - ولا يذهب الظن بالتقارير إلى الاعتقاد بأن المدارس المسجدية أول ما بدأت كانت على مثل الطراز الذي عرفته العصور الأخيرة . فالدراسة المسجدية في أول أمرها - إن كانت كما هي عليه اليوم حلقات تحيط بالمدرس . فإن حلقات التدريس اليوم تمتاز بالتخصص . فهذا أستاذ يدرس الحديث . وآخر يدرس القواعد . وثالث يدرس الفقه . أما في عهدنا الأول فإن موضوع الدراسة يتنوع حسب السؤال الذي يطرح على المدرس - ومن حلقات التدريس في بادئ ظهورها : حلقات كانت تضم المثقفين . فهي أشبه ما تكون بالندوات العلمية - فاقد ذكر (ابن خلكان) : أن (ربيعة الرأي) كان يجلس في مسجد الرسول عليه السلام في المدينة . ويجلس في حلقة (مالك بن أنس) و (الحسن) وأشرف المدينة يحدقون به ^(١) - وأول من خصص للتدريس حصصاً (عبد الله بن عباس) فعين يوماً للفقه . ويوماً للتفسير . ويوماً للمغازي . ويوماً للشعر . ويوماً لأيام العرب ^(٢) . ومع الزمن تطورت هذه الحلقات في (الكوفة) وفي (البصرة) - وبانتشار المؤلفات - أصبح موضوع الحلقة مقيداً بعلم يحمل كل طالب نسخة من المؤلف الذي يدرس في تلك الحلقة . ويلتف حولهم المستمعون .

١٠ - ولقد بدأ تدريس الأطفال في العصر الأموي - ومن أقدم الذين أسسوا

(١) ابن خلكان ١ / ٢٥٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٥ .

(الكتاب) (علقمة بن أبي علقمة) مولى عائشة . وقد روى عنه مالك . وكان يعلم في كتابه : العربية . والنحو . والعروض . ومن معلمى الأطفال : (الحجاج بن يوسف) فقد كان يعلم بالطائف - واسمه : (كليب) . ومنهم : (الكمنت بن زيد) الشاعر - ومن معلمى الأطفال من كان لا يتقاضى أجراً مثل : (الضحاک بن مزاحم) و (عبد الله بن الحارث)^(١) .

ومن بداية القرن الثالث الهجرى أخذت الدراسة تدخل مرحلة جديدة واسعة . فقد أخذ بعض المبرزين من الأغنياء الأفاضل ينشئون دوراً للعلم . فقد أنشأ (أبو القاسم جعفر بن محمد الموصلى) المتوفى سنة ٣٢٣ هـ داراً للعلم في الموصل - و (أبو على بن سوار الكاتب) من حاشية المعتضد المتوفى سنة ٣٧٢ هـ أنشأ دارين - إحداهما في مدينة (رام هرمز) والأخرى في (الموصل) . كما أنشأ (العزيز بالله) الخليفة الفاطمى سنة ٣٧٨ هـ في مصر : داراً للعلم إلى جانب (الأزهر) . ولعل (المدرسة البيهتية - مدرسة أهل نيسابور) هي : أول مدرسة وصلت إلى هذه المرحلة الواسعة . فلقد كانت (نيسابور) مهد هذه المعاهد التي طورت الدراسة في أواخر القرن الرابع الهجرى^(٢) - وتظهر : أن هذه المنطق أمت مثل هذه المعاهد التي شجع عليها الفتح الإسلامى - فلقد نقل (كرد على) عن كتاب (بيزانطية) لمؤلفه (لدبيل) : أن (أنطاكية) و (الرهد) و (نصيبين) و (حران) كانت حافلة بإبان الفتح الإسلامى بمدارس عامرة تشبع أساتذتها بالثقافة اليونانية^(٣) .

ففي القرن الرابع ومن بعده أخذت فكرة نشر الثقافة تثير حماس الأغنياء . فتسابقوا يوقفون الدور على الطلبة يسكنونها . ويتعلمون على أساتذة حجاز وأهم عقاراً ينفق دخله عليهم . بيد أن المدارس والأربطة التي حجرت هذه العروض لم تلبث أن أمست دوراً للعجزة لا أقل من ذلك ولا أكثر .

والبحث في تاريخ النشاط العلمى في المدينة يظهر - - - - -
النشاط العلمى الذى بدأ في المدينة مبكراً - أفريقيا - - - - -
مدينتي والمدريين

(١) المعارف ص ٥٥١ وبه بعدد .

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع لآدم مئذ ١ - ص ٢٥٤ .

(٣) الإسلام والحضارة العربية ١١ / ١٧٣ .

(يوم الحرة) . واستشهاد الأعلام في ميادين الجهاد . وانتقال مقر الخلافة من الحجاز إلى سورية أولاً ، ثم إلى العراق ثانياً . وحرص (دمشق) و (بغداد) على جعل الحجاز في عزلة عن كل ما يبعث في أبنائه التطلع إلى السيادة والسياسة ، فكان لكل ذلك أثر كبير فيما أصاب النشاط العلمي في المدينة من فتور آخر الأمر . وأن كل ذلك من العوامل التي أتاحت لبغداد والبصرة والكوفة الظهور في المجال الثقافي .

فمع ظهور الإسلام في المدينة أشرقت شمس الثقافة الإسلامية العربية من وراء (أحد) فأضاءت أقطار البلاد العربية . وعلى ضوء الثقافة الإسلامية العربية أخذت - الدراسات التاريخية تسير في طريق التطور . وكانت المدينة المنورة - هي : بداية الطريق - فالبحث في نشأة التاريخ يثبت : أن مؤسس التاريخ العربي الإسلامي - الأولين - هم : مدنيون . فرجال الطليعة في علم التاريخ وواضعو نواته : مدنيو المنشأ والثقافة - فأبان بن عثمان . وعروة بن الزبير . وشرحبيل بن سعد . ومحمد بن شهاب الزهري . وعبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن قتادة . وموسى بن عقبة . ومحمد بن إسحاق - والواقدي وغيرهم ممن ستأتي تراجمهم - مدنيو المنشأ والدراسة - يفخرون بمدنيتهم وبتلقي علومهم في مدرسة أم العواصم .

-١٣-

واقدم أجمع المحققون على أن جمع أحاديث السيرة والمغازي وتبويبها - هو : بداية التأليف التاريخي في العصر الإسلامي . وأن السيرة والمغازي - هي : بداية التاريخ الإسلامي - وأجمعوا على أن تأليف السيرة والمغازي اختصت به المدينة . وتخصص فيه المدنيون . وعلى أن المدينة كانت موطن هذه الدراسة ومعهداها . دون سواها . وأجمعوا على أن (ابن إسحاق) - هو : أول من مهد الكلام عن السيرة بأخبار ما قبل الإسلام . فيعد كتابه أول تاريخ عربي عام - وقالوا : إن (سيرة ابن هشام) تعد مختصراً لمؤلف ابن إسحاق .

وترى دائرة المعارف الإسلامية : أن الدقة التي تتسم بها أخبار التاريخ الواردة في الحديث : دليل على وجود وثائق مخطوطة في المدينة - وأرى : أن التدوين المبكر ليس هو وحده دليل الدقة . فلم يكن كل من يدون دقيقاً فيما يدونه ، وكذلك الدقة ليست هي الدليل الوحيد على نشأة التدوين المبكر في المدينة ، فلم يكن كل من

يدقق يدون ما يدققه -- وأرى : أن التدوين والدقة تسابقا إلى النصوص المدنية -- فلقد سبق التدوين إلى بعض النصوص فضبطها مثل : كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار واليهود . ومثل : معاهدة (الحديبية) (١) إلى غير ذلك من العهود والرسائل التي بعثها رسول الله عليه السلام إلى ملوك ذلك العصر . وأمراء الجزيرة وزعمائها وقبائلها مما تجده مفصلا في كتب السيرة . ومثل : مدونات خلفائه الراشدين وما سجلوه من أحكام الإسلام . وما أصدره من أوامر سياسية وإدارية . ومثل : ما دونه (عبد الله بن عمرو بن العاص) و (أبو هريرة) وغيرهما عن رسول الله عليه السلام -- ولسوف يأتي في هذا الجزء بحث خاص بالتدوين في صدر الإسلام ولقد قام بعض المحققين بتدقيق النصوص والتثبت من صحة سندها قبل تدوينها مثل (عروة بن الزبير) الذي دون بجانب الوثائق التي وصلت إليه . ما حققه من أحاديث المغازي وهجرة الحبشة وغيرها . ومثل (ابن شهاب الزهري) الذي دون الكثير مما تحققت عنده صحته -- وأرى : أن الدقة والتدوين كثيراً ما يتعاونان لضبط النصوص من التحريف وحفظها من النسيان . وأن الدقة والتدوين صاحبها النصوص المدنية من البداية -- فكما أثبت التحقيق : أن (عروة بن الزبير) عني بالوثائق المكتوبة -- أثبت : أنه عني بتحقيق الرواية الشفهية -- ولسوف نرى في ترجمة ابن عباس في هذا الجزء : الصعاب التي تكبدتها في جمع حديثه والتثبت من روايته . ولسوف نرى في ترجمة الشعبي : مقدار اعتزازه بحفظه [ما كتبت سواداً في بيضه . وسمعت من رجل حينئذ أردت أن يعيده علي] .

ومن المؤكد : أن خلفاء بني أمية كانوا معنيين بالوثائق التاريخية وأخبار المغازي وقادة الجهاد . وأن خلفاء بني أمية فريرو رجال الحديث . لا سيما بمكانين بتاريخ . فجمع لهم عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري . وما هم إلا من أخبار السيرة والمغازي فكانت جمعة الأصول : نوافل من أخبارهم وكانت أقوال المدنيين من أصحاب الأخبار التي جمعها هؤلاء من أخبار الباحثين ضيع الكثير مما جمعه الأصوليون . ولما كانت أخبار كتب الأصول بأحمدان من مدونات الزهري وعروة وغيرهما .

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٥٠١ و ٢ / ٢١١ .

ومن المؤكد : أن ما جمعه عروة والزهرى وغيرهما من واضعى أسس التاريخ العربى فى العصر الإسلامى لم يصل إلى مرتبة التأليف بمعناه الكامل إلا فى آخر العصر العباسى - حيث جمع (مالك) موطأه . وألف (ابن إسحاق) سيرته .

١٥- ومن أوائل الذين دُوِّنَ عنهم أو دَوَّنُوا هم بأنفسهم - من المدنيين : (عبد الله بن عباس) فقد نسب إليه بعض الرواة : مدونات - رجح بعض المحققين : أن أكثرها دونه عنه تلامذته الذين كانوا يحضرون مجالسه العلمية ، فلقد نُقل عن (موسى بن عقبة) قوله : وضع عندى (كريب) حمل بعير من كتب ابن عباس^(١) . ومنهم (أبان بن عثمان) فقد قال (ابن سعد) عن (المغيرة بن عبد الرحمن) : [وكان - المغيرة - ثقة قليل الحديث إلا مغازى رسول الله عليه السلام أخذها من أبان بن عثمان - فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها]^(٢) ومنهم : (عروة بن الزبير) الذى تحدث المؤرخون عن رسائله لعبد الملك بن مروان . وما ورد فيها عن هجرة الحبشة وغزوة بدر وفتح مكة^(٣) . ومنهم الزهرى (محمد بن شهاب) - فمن أبرز ما اشتهر به الزهرى : تدوين الأحاديث والعناية بتصحيحها لاسيما ما ورد فى المغازى^(٤) : إلى غير هؤلاء ممن سنبحث فى تراجمهم .

١٦- وأول ما بدأ القصص التاريخى - بدأ فى المدينة ، وأول من قص فيها (تميم الدارى) فقد أذن له (عمر بن الخطاب) : أن يقص فى المسجد فيذكر الناس فى يوم الجمعة - ثم استأذن تميم (عثمان بن عفان) فأذن له أن يذكر الناس يومين فى الجمعة^(٥) . و تميم الدارى - من نصارى اليمن أسلم وحسن إسلامه - قص على النبى عليه السلام قصة الجساسة والدجال^(٦) - ويقول (ناصر الدين الأسد) : [إن أول من قص (الأسود بن سريع التميمى) وكان من الصحابة ، وإن المفسرين

(١) راجع ترجمة ابن عباس فى هذا الجزء .

(٢) الطبقات ٥ / ٢١٠ وترجمة أبان بن عثمان فى هذا الجزء .

(٣) راجع ترجمة عروة بن الزبير فى هذا الجزء .

(٤) راجع ترجمة الزهرى فى هذا الجزء .

(٥) فجر الإسلام ص ١٥٨ و ١٥٩ .

(٦) الإصابة ١ / ١٨٦ .

كانوا يستطردون في تفسيرهم إلى ذكر أخبار العرب في الجاهلية . وأخبار سائر الأمم في قصص وأحاديث . فقد كان (أبو علي الأسواري) يقص في البصرة في مسجد (موسى بن سيار الأسواري) ستاً وثلاثين سنة فابتدأ لهم بتفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات [(١)] - ويقول (أحمد أمين) : [إن أول من عين قصاصاً (سليمان بن عيتر التعجبي) عين في مصر سنة ٣٨ هـ قاضياً وقصاصاً ثم عزل عن القضاء وأفرد بالقصاص] (٢) - ويقول (كرد علي) : [إن (عمر بن عبد العزيز) أمر (عاصم بن عمر الأنصاري) أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ، وقال له : إن بني مروان كانوا يكرهون هذا وينهون عنه . فاجلس وحدث الناس] (٣) .

ولو قال (ابن منظور) : إن القاص ينتظر : النقد - لكان أفضل في رأي من قوله عندما فسر معنى (القاص) : [والقاص ينتظر : المقت . لما يعرض في قصصه من الزيادة والنقصان] (٤) فالملت أشد الكره . ولعل ابن منظور قصد : أن (القاص) يعظ ويرشد والوعظ غير حبيب للنفوس المائعة المستهترة .

على أن مقالة ابن منظور تلمت النظر إلى أن القصاصين لم يكونوا جميعهم موثوقاً بهم . كما لم يكونوا جميعهم مجردين من أمانة القصص وصحة الرواية - فالقصص لم يكن جميعه نوادر وأخباراً : بل كان منه : إرشاد . وكانت منه : مواعظ - فالغرض الأول الذي سمح الخلفاء من أجله للقصاصين أن يذكروا الناس في المساجد - هو : إيقاظ الوعي ونشر الثقافة والاستفادة من العظات التاريخية . فالقصة أو الخبر التاريخي يأتيان في الوعظ : أمثلة لما حدث للأمم الماضية . ولكن هذا الغرض لم يلبث أن انحرف به القصاصون - فصار القصص نوادر خيالية يجمعها القاصيون مما سمعوه من عامة الشعوب التي امتزج قصصها بالقصاص الجاهلي عن عوالم الماضي القديم - ويؤلفون مثلها قصصاً عن (المهامل) و (عنبرة) و (سيف زياد) وغيرهم

(١) مصدر الشعر الجاهلي ص ٢٥٦ .

(٢) فجر الإسلام ص ١٦٠ وتعجبي ص ١١٣ .

(٣) إسلام والحضارة لكردي علي ص ١١٢ .

(٤) لسان العرب ١ / ١٥ و ١٥٠ .

من الذين تحدث عنهم التاريخ . إلى جانب ما كانوا يتحدثون به عن أساطير الأمم البعيدة العهد - مثل عاد ، وثمود ، وبنى إسرائيل ، وفراعنة مصر - ويُقسم (الليث بن سعد) : القصص إلى نوعين - الأول : قصص العامة - وهو : الذي تجتمع فيه العامة حول القصص بعضهم ويذكرهم - وفي رأى الليث بن سعد : أن هذا النوع من القصص مكروه - والثاني : قصص الخاصة - وهو : الذي جعله (معاوية) فقد ولي رجلاً على القصص (١) .

بيد أن القصص التاريخي انتقل من المساجد إلى قصور الخلفاء من عهد (عثمان بن عفان) فمن أوائل القصاصين في مجالس الخلفاء (حرمة بن منذر الطائي) الشاعر النصراني العليم بسير ملوك فارس - فقد كان مقرباً من عثمان يدنيه ويسمع منه (٢) - ويقال : إن معاوية بن أبي سفيان رغب في الاطلاع على سير الماضين - فاستقدم لذلك من حضرموت : رجلاً معمرًا يسمى - (أمد بن أمد الحضرمي) - كما وفد إليه (عبید بن شریة) و (كعب الأحبار) و (سعيد ابن عريض بن عاديا بن أخى السموع) من يهود الحجاز الشعراء (٣) - ولقد استمرت مجالس الخلفاء ترحب بالقصاصين إلى العهد العباسي : فقد كان (أبو بكر الهذلي) يحدث (السفاح) عن (أنوشروان) ومحروب فارس .

والقصص بنوعيه : العلمي القيم . والخيالي التافه - مستمد من الكتب المقدسة وما جاء فيها من أمثال واعظة . ومستمد من تراث القدامى وما فيه عن الأمم الماضية . ومستمد من أخبار الجاهلية وأيامها وأشعارها . ومن أخبار المغازي والفتوحات الإسلامية - ومن القصاصين : رجال علم واسعوا الإطلاع يأتون في قصصهم بالمفيد الهام - ومنهم : سطحيون عبثت أخيلتهم بحقائق التاريخ .

ويعدّ بعض المتأخرين : أكثر رواة التاريخ قصصيين ، وينعهم - بالإخباريين ، والإخباريون في نظر هؤلاء المتأخرين موضع الشك والتهم - ومن شكوك المتأخرين وتهمهم : ما لا يمكن رفضه - ومنها : ما هو محل نظر . فليس

(١) خطط المقرئزي ٢٥٣/٢ ، نقلا عن فجر الإسلام ص ١٥٩ .

(٢) الإسلام والحضارة ١٧١/١ عن تاريخ دمشق لابن عساكر .

(٣) المصدر نفسه ١٧٢/١ .

كل القصص التاريخي محض خيال ، ففي قصص القدامى - يونانيين وإسرائيليين وعرباً : أنباء أثبتت صحتها النصوص الأثرية^(١) - وليس كل مؤرخ قاصاً ، وليس كل قاص غير ثقة - فقد كان (عطاء بن يسار) قاصاً^(٢) . وكان عطاء بن يسار محدثاً ثقة غير مطعون فيه^(٣) - وقد كان (الحسن البصرى) قاصاً - والحسن البصرى لا يطعن فيه أحد^(٤) . وليس كل ما يقوله الإخباريون افتراء على التاريخ . فالتهم التي وجهت إلى (ابن الكلبي) لم تحجب فضله على الدراسات التاريخية - فما جاء في تحقيقات (بروكلمان) عن (ابن الكلبي) أنه : [وصمه آخرون بأسوأ التهم - من مجافاة النقد الصحيح والخبر الوثيق . بل ووصوه بالكذب . ولكن البحث الحديث قد أكد كثيراً من أقواله التي وجه إليها معاصروه التشكك المريب . والنقد اللاذع]^(٥) . وليس كل ما تحدث به (كعب الأخبار) و(ابن منبه) لا ظل له من الحقيقة . فما روى عنهما : نصوص أقرها التحقيق^(٦) . وإنما المشكلة تكمن فيما ينسب إلى الأسفار . فليس كل ما قاله أهل الكتاب - نقل بأمانة من الأسفار دون تأويل وتحريف . ومن غير زيادة فرضها الذين يروون عن التوراة . ومن غير نقص حتمه اعتقادهم بأن الحذف خير من الإثبات . ثم ثقة بعض المشتغلين بالتاريخ من العرب بأهل الكتاب التي لا حدود لها . فسن التخصيص التي توضح لنا تلك الثقة . قصة (أبان بن تغلب) الذي قال : [إن رجلاً آواه المبيت إلى وادي (برهوت) باليمن فسمع طول الليل أصواتاً تنادي : يا دومة يا دومة . قال فذكرت ذلك لرجل من أهل الكتاب - فقال : إن الملك الذي على أرواح الكفار يقال له دومة]^(٧) - فما أكثر الذين يسألون : أهل الكتاب ! ! وما أكثر أهل الكتاب الذين يرتجأون الجواب ! ! وما أكثر الرواة الذين لا يضمنون

(١) التاريخ العربي القديم ص ٤٧ وتاريخ بابل وآشور .

(٢) المعارف ص ٤٤١ .

(٣) الطبقات ٥ / ١٧٤ .

(٤) فجر الإسلام ص ١٦١ .

(٥) تاريخ الأدب العربي ٣ / ٣١ . وراجع ترجمة محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام في

هذا الجزء .

(٦) التاريخ العربي القديم ص ٣٠ .

(٧) معجم ياقوت ٢ / ١٥٨ .

لأساطيرهم الانتشار ما لم تسند إلى (كعب الأحبار) و (ابن الكلابي) وغيرهما من علماء الأسفار والتاريخ القديم .

- ١٧

وللمرأة المسلمة دورها في مدرسة المدينة وفي غير مدرسة المدينة ، فعن المرأة المسلمة روى الكثيرون أحاديث وآراء منها : ما هو من صلب التشريع ، ومنها ما هو من صلب السيرة والمغازي والأدب والأشعار ، فلقد كانت المرأة تشارك الرجل في رواية الحديث والآثار وحفظ الأنساب ورواية الشعر ونظمه ، وفي طليعة النساء المسلمات اللاتي شاركن في بناء الثقافة العربية الإسلامية : أم المؤمنين (عائشة بنت أبي بكر الصديق) وغيرها من أمهات المسلمين اللاتي كن أسوة حسنة لكثيرات من السيدات المسلمات العفيفات الصالحات اللاتي كن يروين الحديث ويعقدن مجالس عامة يسمعن فيها من الرجال ويسمع الرجال منهن - فهذا (عبد الله بن أبي بكر بن حزم) يروي عن خالته (عمرة بنت عبد الرحمن) وعن زوجته (فاطمة) وعن (أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين) ، وهذا (البخاري) يروي عن (زينب بنت أبي سلمة) ^(١) ولقد جاء في طبقات الشافعية : [أن من شيوخ (الحافظ بن عساكر - المتوفى سنة ٥٧١ هـ) بضعا وثمانين من النساء] .

ولقد كانت المرأة في صدر الإسلام في مستوى من الثقافة الأدبية بحيث كان يحتكم عندها فحول الشعراء - ولقد تحدث الكثيرون عن (جرير) و (الفرزدق) و (كثير) و (جميل) و (نصيب) - وأنهم كانوا يقدون إلى مجلس (سكينة بنت الحسين) ويعرضون عليها أشعارهم ويصدرون بحكمها عليهم - فجلسها كان ندوة لأعلام الأدب والفن . وفي هذه الندوة كان الشعراء والرواة والمغنون يتبارون - كما كان ل (عمرة الجمحية) مجلس يجتمع فيه الشعراء والرواة وغيرهم ^(٢) .

- ١٨

فالكلمة الأخيرة التي يمكن أن نقولها اعتماداً على الأدلة التي تقدمت : أن التاريخ العربي منذ ارتبط بالتاريخ الإسلامي - أخذ يسير في طريق البحث العلمي . وأن البحث العلمي بدأ في المدينة المنورة ثم انتشر منها في الأقطار الإسلامية

(١) إرشاد الساري ص ١٨٧ و ١٨٨ .

(٢) الأغاني ١٤ / ١٥٠ .

فما جمع من أخبار فجر التاريخ الإسلامى العربى . وما فسر من أخبار قبل الإسلام
تمثله النصوص التى حققها مدرسة المدينة ، والنصوص التى حققها مدرسة المدينة
لم تسلم من التشويش الذى نجم من أفهام المؤرخين الذين اختلفت بيئاتهم وسبلهم ،
وتفاوتت عقولهم ومعارفهم . والذين خضعت آراء أكثريتهم لأخياة الكتابيين
وقصصهم . ومبالغات الفرس وأساطيرهم . وتصورات اليونانيين وفلسفتهم -
وللمزاعم الحزبية التى شجع عليها المتصارعون على الخلافة : العلويون والأمويون
والعباسيون .

فلقد لمعت لنا الأسباب التى أهلت المدنيين لنصرة الإسلام . وهياتهم لتركيز
ثقافته وتدوين تاريخه . ولقد ألمحت لنا أدلة عن بداية التاريخ الإسلامى فى
المدينة بالسيرة والمغازى . وكيف نبت التاريخ العربى العام فى حقل التفسير . فلم
يلبث أن أورد وزدهر - فكان مؤلف (ابن إسحاق) : البداية لتصنيف التاريخ
العام . مثلما كانت محاولات (ابن شهاب الزهري) من قباه : البداية فى تصنيف
السيرة والمغازى .

ولقد سمعنا ما قاله المحققون عن تخصص المدنيين فى تدوين السيرة والمغازى
وعن صحة النصوص المدنية . وسمعنا ما قالوه عن نشاط مدرسة المدينة الثقافى
المبكر . وعن خريجها الذين نشروا الثقافة فى ربوع البلاد الإسلامية . فكانوا أساتذة
المدارس الإسلامية الأولين فى مكة . والكوفة . والبصرة . ودمشق . وبغداد .
وسورية . واليمن . وسمعنا ما قالوه عن التخصص التاريخى : متى بدأ ؟ وأين
بدأ ؟ والعوامل التى انخرقت به عن أهدفه .

أما يحق لنا بعد هذه الأدلة التى تقدم بعضها إجمالاً وبعضها تفصيلاً -
أن نقول : من المدينة بدأ التاريخ وتدوينه فى العصر الإسلامى ؟
فى المدينة كتبت السطور الأولى فى تاريخ الدولة الإسلامية . وفى المدينة
ولدت الثقافة الإسلامية . ونشأ علم التاريخ عند العرب وبدأت تتسلسل تحقيقات
القضايا ويدونون الأحداث .

الفصل السادس

التدوين والمدونات في صدر الإسلام

من صحيفة ١٩٩ إلى ٢٢٨

الموضوعات :

من صحيفة ٢٠١ إلى ٢١٤

١ - التأليف في التاريخ وكراهية التدوين .

من صحيفة ٢١٥ إلى ٢٢٨

٢ - المسلمون لم يشعلوا النار في تراث القدامى .

التأليف في التاريخ وكراهية التذوين في صدر الإسلام

من صحيفة ٢٠١ إلى صحيفة ٢١٤

موضوعات البحث :

- ١ - الأسباب التي نشأ عنها - في بعض الظنون - تأخر التذوين في التاريخ .
- ٢ - لم يستعر المسلمون كراهية ما كرهوا تدوينه من اليهود .
- ٣ - حقيقة موقف المسلمين في صدر الإسلام من التذوين .
- ٤ - نصوص النهي عن التذوين ونصوص الحث عليه .
- ٥ - ليس هناك تعارض في النصوص .
- ٦ - لم يصل الخوف على القرآن بالمسامين إلى تحريم التذوين .
- ٧ - إطلاق العنان لنشر المدونات لا تقهره أي سلطة في كل زمان ومكان .
- ٨ - السبب الحقيقي لتأخر التأليف في العصر الإسلامي .

التأليف في التاريخ وكراهية التذوين في صدر الإسلام

١ - يظن بعض الباحثين في الثقافة الإسلامية : أن المسلمين في صدر الإسلام - كانوا يكرهون التذوين أيًا كان . وبينون هذا الظن على ما ورد من أحاديث نبوية وأقوال مأثورة صرحت بكراهة التذوين ، وعلى ما فعله بعض الصحابة بالمدونات التي وصلت إليهم ، أو التي سبق أن دونوها - فعن هذه الأقوال انطلق هذا الظن يؤكد : أن هذه الكراهية كانت سبباً لتأخر التأليف في التاريخ عن غيره في بناء الثقافة العربية الإسلامية - وما يؤكد هذا الظن لا يتفق مع الواقع - فلا التذوين بوجه عام كان مكروهاً في صدر الإسلام . ولا التأليف في التاريخ - تخلف في المجال الثقافي ، فقد استأذن بعض الصحابة من النبي عليه السلام أن يدونوا عنه فأذن لهم . وقد بدأت محاولات التأليف في التاريخ من عهد (عمرو بن الزبير) وقد نضج التأليف في التاريخ مع التأليف في الحديث - فقد ألف (ابن إسحاق) تاريخه في الوقت الذي ألف (مالك بن أنس) موطأه .

٢ - وهذا الظن على ما يبدو - بدأت به تحقيقات المستشرقين مثل : (مارغوليوث) الذي قال : إن العرب استعاروا كراهة التذوين من اليهود . وإن إحصام اليهود عن التذوين كان السبب في عدم إنتاجهم أدباً مكتوباً قرونًا طويلة غير العهد القديم^(١) - وتحقيقات المستشرقين هذه أخطأت الحقيقة . فالمسلمون لم يحجبوا عن التذوين وإنما كرهوا تذوين ما يخافون منه . والمسلمون لم يستعبروا كراهية ما كرهوا تذوينه من اليهود . بل إنهم خافوا أن يحدث القرآن ما حدث للتوراة فتجنبوا تذوين الحديث بالصورة التي جسع بها القرآن ودونوا . ولقد سبق في بحث الأسفار الفرق بين النصوص الإسلامية وبين النصوص اليهودية والمسيحية . والسبب في عدم إنتاج أدب يهودي قرونًا طويلة (وضحه) غريبتاف (لوبون) عندما تحدث عن الفكر اليهودي فقال : (بقي يهود إسرائيل حتى عهد

(١) دراسات عن المؤرخين العرب ص ٥٦ .

ملوكهم بدويين أفاقين مغيرين سفاكين مولعين بقطعانهم مندفعين في الخصاص الوحشي . فإذا بلغ منهم الجهد ركنوا إلى خيال رخيص تائهة أبصارهم في الفضاء كسالى خاملين من الفكر كأنعامهم التي يحرسونها - وعندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا في فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل [(١)] - فاللغة العبرية لم تصل إلى المستوى الأدبي إلا بعد أن اختلط اليهود بالعرب واليونانيين - فتاريخ اللغة العبرية حديث بالنسبة للغات السامية (٢) - فعندما حاول (ولفنستون) أن يجعل اللغة العبرية صنواً للكنعانية لم يجد الدليل المقنع (٣) - والفكر اليهودي لم يتخلص من خياله الرخيص إلا بعد أن احتك بالعقول العريقة في الحضارة والتمدن (٤) - وأكثر الذين نبغوا من اليهود القدامى نبغوا في لغة غير العبرية ، وفي مجتمع غير المجتمع اليهودي - فمن اليهود الذين نبغوا في الأدب : أولئك الذين تعربوا وبرزوا في الأدب الجاهلي ، وأولئك الذين أسلموا ونبغوا في المعارف الإسلامية .

٣ - على أن هذه الأخطاء التي تعثرت بها هذه الظنون - لا تحول بيننا وبين حقائق التاريخ - فمن حقائق التاريخ : أن التاريخ الإسلامي سجل أحاديث نبوية وأقوالاً ماثورة نهت عن التدوين . وسجل إعدام بعض المدونات في صدر الإسلام وفيما بعده ، ولكن الذين بحثوا في هذه الأقوال والأفعال - بينوا وجه الكراهية وأسباب إعدام بعض المدونات - فالنهى عن التدوين خاص بجمع الحديث وتدوينه على مثل ما جمع القرآن ودون خوفًا على عقلية العامة من المسلمين التي لم تنضج بعد - من أن تتورط فيما وقع فيه الإسرائيليون الذين لم يفرقوا بين نص التوراة وتفسير الأحبار وتأويلهم فاختلطت أسفار الرسل بتفسير الأحبار والرهبان ، ومن هنا دخل عليها التحريف والتأويل إلى غير ذلك بما سبق الكلام عنه في بحث الأسفار .

فما لا شك فيه أن أحاديث نبوية وأقوالاً ماثورة نهت عن التدوين - فلقد

(١) اليهود في تاريخ الحضارات ص ٢٠ و ٣٠ .

(٢) راجع بحث العبرية والجزرية في الجزء الأول من هذا الكتاب ١٩٥/١ .

(٣) (١) ١٩٩/١ في الجزء الأول من هذا المؤلف الذي صدر باسم : التاريخ العربي وبدايته .

(٤) راجع كتاب اليهود في تاريخ الحضارات .

تحدث (خالد بن عرفطة) بما فعله (عمر بن الخطاب) بالقيسي الذي نسخ كتاب (دانيال) وكيف محا الكتاب بالحميم والصفوف الأبيض^(١) وتحدث (مرة) بما فعله (عبد الله بن مسعود) بالكتاب الذي جاء به (ابن قرة) من الشام - وكيف أنه دعا بطست فيه ماء فثابه ثم محاه - قائلًا : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتابهم^(٢) - ومما لا شك فيه أيضا : أن كبار الصحابة دونوا الأحاديث النبوية من عهد النبي عليه السلام - منهم : (أبو هريرة) و (أنس بن مالك) و (عبد الله بن عباس) و (عبد الله بن عمرو بن العاص) صاحب (الصحيفة الصادقة) التي أخذ عنها (أحمد بن حنبل) في مسنده . وأن جمع أحاديث السيرة . والمغازي - وتدوينها - بدأ به كبار التابعين مثل : (عروة بن الزبير) و (أبان بن عثمان) و (محمد بن شهاب الزهري) وغيرهم . وأن كبار الصحابة أمروا بتدوين الشعر العربي - فلقد تواترت في مؤلفات تاريخ الأدب العربي الرواية التي تقول : إن (عمر بن الخطاب) قال : عليكم بديوانكم لا تضلوا - قالوا : وما ديواننا ؟ - قال : شعر الجاهلية - وإن (عمر بن الخطاب) قال : كنت نهيتكم أن تذكروا ما كان بين المسلمين والمشركين فأما إذ أبوا فاكتبوه واحتفظوا به^(٣) - وإن (ابن عباس) قال : إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر - (ديوان العرب)^(٤) .

فاختلاف النصوص التي وردت مرة تشجع على التدوين ومرة تنهى عنه استرعى انتباه الباحثين في الثقافة الإسلامية في الماضي والحاضر . فكتبوا في ذلك بحوثا وألغوا كتبًا - ويعده كتاب (جامع بيان العلم وفضله) مؤلفه (ابن عبد البر القرطبي) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ - وكتاب (تقييد العلم) مؤلفه (أحمد بن علي المعروف - بالخطيب البغدادي) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ من أوسع المؤلفات التي عنيت بموضوع التدوين - فلقد جمع كل من (ابن عبد البر) و (الخطيب البغدادي) : النصوص التي وردت في كراهية التدوين . والنصوص التي وردت

(١) تقييد العلم ص ٥١ و ٥٢ .

(٢) تقييد العلم ص ٥١ و ٥٢ .

(٣) الأغاني ٤ : ١٤٠ .

(٤) الماهر ٢ / ٣٠٢ .

تشجع على التدوين . وبعد أن تفصّل (ابن عبد البر) النصوص التي وردت في التدوين على اختلافها - روى عن (أبي عمر) قوله : [من كره كتابة العلم : إنما كرهه لوجهين - أحدهما : ألا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به . والثاني : لئلا يتكل الكاتب على ما كتب فلا يحفظ فيقل الحفظ] (١) .

ونحن إذا ما رجعنا إلى آراء القائلين بكراهية التدوين - نجدها : تعتمد على نصوص تضيق الخناق على التدوين والمدونين في القرن الأول الهجري . ونحن إذا ما رجعنا إلى آراء الجازمين بأن المسلمين لم يكرهوا التدوين نجدها تعتمد على نصوص أطلقت العنان للتدوين والمدونين في صدر الإسلام على نحو ما انطلق عنانهم فيما بعد .

ونحن إذا ما رجعنا إلى النصوص التي وردت في التدوين . وقابلنا بين نص النفي ونص الإثبات - يبدو لنا إذا ما أخذنا بحرفية تلك النصوص وظاهرها : أن هناك اختلافاً في الحكم على التدوين - فمن نصوص إثبات الكراهية : الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه : [لا تكتبوا عني غير القرآن . ومن كتب عني غير القرآن - فليمحه] (٢) - وحديث (عمر بن الخطاب) : [قال عمر بن الخطاب للنبي عليه السلام : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا . أفترى أن نكتبها ؟ فقال : أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟] (٣) - ونجد من نصوص نفي هذه الكراهية : الخبر الذي جاء في مسند (أحمد) - أن (عبد الله بن عمرو بن العاص) سأل النبي : هل يكتب كل ما سمع منه ؟ فقال محمد عليه السلام له : [اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج مني غير الحق] (٤) - وحديث (أنس بن مالك) قال : [قال رسول الله عليه السلام : قيدوا العلم بالكتاب] وحديث (أبي هريرة)

(١) جامع بيان العلم ٦٨/١ .

(٢) صحيح مسلم طبعة الحلبي ٢٢٩٨/٤ ، وقد أورد الحديث ابن عبد البر في جامع بيان العلم

٦٣/١ .

(٣) الفائق ٣ / ٢١٨ عن مصادر الشعر الجاهلي ص ٦٣ .

(٤) وجاء في جامع بيان العلم - عن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي عليه السلام مثل هذا الحديث

٧١/١ و ٧٠/١ .

عن اليمنى الذى استكتب خطبة النبي عليه السلام يوم فتح مكة فأمر النبي عليه السلام أن تكتب له (١) .

ونسَمِعَ عن (أبي بكر الصديق) : أنه قضى ليلاً طويلاً - وهو يفكر فيما يصنع بخمسمائة حديث كان يحتفظ بها مدونة - فعند الصباح - أمر السيدة عائشة بإحضارها فلما أحضرتها أحرقها بالنار (٢) . ونسَمِعَ عنه : أنه كان يحتفظ بأحكام الزكاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها .

ويحدثنا (الزهري) عن (عروة) : أن (عمر بن الخطاب) قال : [إني كنت أريد أن أكتب السنن . إني ذكرت قومًا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله . وإني والله لأشوب كتاب الله بشيء أبداً] (٣) - ويحدثنا (يحيى بن جعدة) بأن عمر بن الخطاب بعد أن عدل عن كتابة السنن - كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليسحه (٤) - ويحدثنا (القاسم بن محمد) : أن عمر بن الخطاب - نادى في الناس بأن يأتوه بما ظهر في أيديهم من الكتب ليرى فيها ما يجب حتى إذا جاءوا بها أحرقها (٥) في حين نسَمِعَ عن (عمر بن الخطاب) نفسه : أنه كان يدون ويحتفظ بما دونه . فقد أتلف - وهو على فراش الموت - ما كتبه على كتف كان يحتفظ به - ويحدثنا (محمد بن عبد الرحمن الأنصاري) : أن آل عمر ورثوا من عمر كتاب الصدقات (٦) - ويحدثنا (النيسابوري) : أن عمر نادى في الناس [أيها الناس : عليكم بديوانكم . قالوا : وما ديواننا ؟ قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم] (٧) - ويحدثنا (عبد الملك بن سفيان) عن عمه : أنه سمع عمر بن الخطاب - يقول : قيدوا العلم بالكتابة (٨) .

ونسَمِعَ عن (ابن عباس) أنه نهى عن كتابة العلم وقال : إنما ضل من كان

(١) جامع بيان العلم ١ / ٧٢ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ٥ .

(٣) جامع بيان العلم ١ / ٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٦٥ .

(٥) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٥١ و ٥٢ .

(٦) الأموال لأبي عبيد القاسم ص ٣٥٨ .

(٧) تفسير النيسابوري المهشم على ابن جرير طبع الأميرية ١ : ١١٠ .

(٨) جامع بيان العلم ١ / ٧٢ .

قبلكم بالكتب ، ونسمع عنه أيضاً : أنه قال : قيّدوا العلم بالكتاب^(١) - ونسمع عن (زيد بن ثابت) أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان عندما أراد أن يكتب عنه : إن رسول الله عليه السلام أمرنا ألا نكتب شيئاً من حديثه ، ونسمع عنه : أنه كان مع الذين كانوا يكتبون عن (مروان) وهو لا يدري^(٢) - ويحدثنا (ابن سعد) في طبقاته عن زيد بن ثابت أنه دخل على النبي عليه السلام وهو يمل على بعض حوائجه - فقال : ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمحل^(٣) . ونسمع عن (عبد الملك) الخليفة الأموي : أنه حرق مغازي النبي عليه السلام مدوّنة على صورة كتاب وجده عند ابن له يقرؤه . وأمر الصبي بقراءة القرآن^(٤) - ونسمع عن عبد الملك نفسه : أنه كان يستكتب (عروة بن الزبير) ما لديه عن غزوة (بدر) و (هجرة الحبشة) وفتح مكة^(٥) .

ويروى عن (أبي سعيد الخدري) أنه قال عندما سأله (أبو النضر) - ألا نكتب ما نسمع عنك ؟ : أتريدون أن تجعلوها مصاحف - إن نبيكم عليه السلام كان يحدثنا فنحفظ . فاحفظوا كما كنا نحفظ^(٦) ، ويقال عن (أنس بن مالك) إنه كان إذا حدث فكثير عليه الناس جاء بمجال^(٧) من كتب فألقاها - ثم قال : هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه^(٨) .

هذه النصوص - كما تراها - يدل ظاهرها على تردد في الحكم على التدوين . وتدل حرفيتها على تقلب موقف الرعيل الأول من التدوين ، تارة ينهون عنه وتارة ينصحون به - الأمر الذي يحتم على البحث : استجلاء الحقيقة ، فهل هناك تناقض في الرأي واختلاف في الحكم ؟
إنني لا أرى تعارضاً في هذه النصوص ! فلكل نص من نصوص الترغيب عن

(١) جامع بيان العلم ٦٤/١ و ٦٥ و ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ٦٣ / ١ و ٦٥ .

(٣) الطبقات ٢ / ٣٥٩ .

(٤) دراسات عن المؤرخين الرب ص ٥٥ .

(٥) مصادر الشعر الجاهلي عن تاريخ الطبري .

(٦) جامع بيان العلم ١ / ٦٤ .

(٧) المجال جمع مجلة والمجلة هي : الرسالة أو الكتاب .

(٨) تقييد العلم ص ٩٥ .

التدوين : سبب خاص لم يبلغ بالنهي عنه مرتبة التعميم ، ولكل نص من نصوص الترغيب في التدوين : سبب خاص لم يبلغ بالحث عليه مرتبة التعميم - فأكثر هذه النصوص تدور حول تدوين الأحاديث النبوية ، وإطلاق عنان التدوين للجميع - في الوقت الذي لم يجمع فيه القرآن . وفي الزمن الذي كان الناس يدونون في الصحيفة الواحدة إلى جانب الآيات القرآنية قصصاً^(١) - فإطلاقه يترتب عليه مخاوف لا يأمنها المسلمون على القرآن ، وبعد أن جمع ووحدت قراءته في مصحف واحد - كره الصحابة أن يجمع الحديث في كتاب على نحو ما جمع به القرآن - فيضاهي به . وأكثر الأعلام كانوا يخافون على عقلية العامة ممن مثله كمثل حاطب ليل . فحاطب ليل كما يقول (أبو عمر) : ربما ضم أفعى إلى خطبه فنهشته^(٢) .

ونحن إذا ما رجعنا إلى النصوص التي تقدمت - نجد لكل نص هدفاً لا ينقض غيره ولا يختلف معه . فالحديث الذي أثبتته (مسلم) في صحيحه - نهى : العامة عن تدوين الأحاديث خشية أن تخلط (العامة) الحديث بالقرآن . والحديث الذي أورده (أحمد) في مسنده - حديث أذن فيه النبي عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن العاص أن يدون الحديث لأنه ليس ممن يخشى منه أن يخاطب الحديث بالقرآن ؛ ولو لم يرض النبي عليه السلام عن تدوين مادونه أبو هريرة وأبو ابن مالك وغيرهما من أعلام الصحابة الذين لا خوف عليهم ولا خوف منهم على القرآن - لما أقدم أولئك الأعلام على التدوين - والنبي عليه السلام لم يخف على عمر بن الخطاب من التدوين وإنما خاف عليه أن يتهورك كما تهورك اليهود والنصارى . ولقد قال (ابن الأثير)^(٣) : [وجه الجمع بين الحديث (لا تكتبوا عنى عن القرآن) وبين إذنه في كتابة الحديث عند : أن الإذن في الكتابة ناسخ لمسئع منها بالحديث الثابت . وقيل إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة - والأول أوجه] .

و (أبو بكر الصديق) عندما حرق الأحاديث التي دونها بين السبب في

(١) تنبيذ العلم ص ٥٥ .

(٢) جامع بيان العلم / ١ / ٧٥ .

(٣) لسان العرب مادة كتب ١ / ٦٩٩ .

حرقها : [خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت فيه . ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك] (١) . وأبو بكر محق فيما فعله . فالذي يثبت : أن أبا بكر احتفظ به - هو : فوق الشبهات - فالحديث لم يكن له كتاب يدونونه أولاً فأولاً وحرفاً حرفاً - كما كان للوحي كتاب يدونونه كما نزل . ولذلك قال (وائلة بن الأسقع) عن الحديث : [عسى ألا يكون سمعناه غير مرة واحدة ، حسبكم : أن أحدثكم بالحديث على المعنى] (٢) - ولذلك نحن نجد أكثر الأحاديث التي وردت في موضوع واحد - يزيد بعضها على بعض ويختلف لفظ بعضها عن لفظ غيره . وإخال : أن هذا هو السبب الذي من أجله رفض (أبو سعيد الخدري) أن يكتب عنه ما يحدث به وقال : أردتم أن تجعلوها قرآناً؟ لا لا . ولكن خذوا كما أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) .

وعمر بن الخطاب عندما رجع عن تدوين السنن - لم يرجع كرهاً في التدوين - فلقد دون عمر . ولقد ترك عمر لآله من بعده كتاب الصدقات ، وإنما خشي عمر : أن يدون السنن على غرار ما دون به القرآن فيلتبس الأمر على عامة المسلمين الذين لم تنضج عقولهم - وعمر بن الخطاب لم يحرق ما أحرقه من المدونات التي جمعها من أيدي الناس ليرى رأيه فيها - إلا خوفاً على عقلية الجماهير ، فليس كل من عرف الكتابة حريصاً وأميناً . وعمر بن الخطاب لم يحرق فيما أحرقه - مدونات أعلام الصحابة مثل : أنس بن مالك . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وجابر بن عبد الله (٤) وغيرهم ممن دونوا الحديث وغيره . فلقد كان جابر - يروى الحديث في المسجد النبوي وكان أعلام التابعين يكتبون عنه .

وكذلك بقية النصوص التي وردت تنهى عن التدوين وتأمراً بإعدام مدونات تجدها إذا ما بحثت عن حقيقتها : لا تقصد التدوين بذاته ، ولا تقصد : إعدام كل ما هو غير إسلامي من التراث العلمي القديم . فلكل نص كما رأيت أسباب بعيدة عن الظنون التي تعلقت بظاهر النص وحرفيته .

(١) تذكرة الحفاظ ٥/١ .

(٢) جامع بيان العلم ٧٩/١ .

(٣) المصدر نفسه ٦٤/١ .

(٤) المصدر نفسه ٧٢/١ .

۶- وإذا كان الخوف على القرآن - هو : الباعث على عدم إطلاق العنان لكل من أراد أن يدون الحديث ، وهو سبب التردد في جمع الحديث في صدر الإسلام على مثل ما جمعت المسانيد والصحاح . فإن الخوف أشد على مبادئ العقيدة من تدوين ما له صلة بالعقيدة . مثل : كتاب (دانيال) فدانيال عرف بنبوءاته ، والإسلام يحارب التنبؤات . وليس كل ما ترويه اليهود يؤمن على عقلية حديثة عهد بالإسلام - فالنبي عليه السلام حينما غضب من عمر ابن الخطاب عندما قال له : يا رسول الله [هذا كتاب نسخته لنزداد به علماً إني علمنا]^(۱) لم يغضب لأن عمر دون . وإنما غضب لأن عمر يريد أن يزداد علماً إلى علمه بغير ما انبنت عليه العقيدة الإسلامية . فلو كان غضب رسول الله عليه السلام من تدوين ما ليس له صلة بالعقيدة مثل الأخبار التاريخية التي أخذها كبار المفسرين من الكتابيين - لما جسر صحابي مثل (عبد الله بن عباس) وغيره : أن يدون أو يدون عنه - الأخبار التي رواها لهم الكتابيون .

فما رواه - (سفيان بن عيينة) عن (ابن عباس) : أنه أتى بكتاب فيه قضاء على فحاه إلا قدر ذراع من الدرج المستطيل - وأن ابن عباس محاذ الكذب وأبقى على الصحيح^(۲) - يتضح : أن أعلام المسؤولين عن العقيدة الإسلامية في صدر الإسلام - لم يشنوا حرباً على التراث الإسلامي وإنما كانوا حرباً على كل ما يبلبل الأفكار ويضلها .

۷- فإطلاق العنان لحرية التدوين ونشر المدونات بدون رقابة معتدلة تميز السليم النافع من المشبوه الضار خطر على المبادئ والأخلاق في كل زمان ومكان . فالمدونات . . . لا تزال لدى العامة إلى اليوم فوق الاعتراض مديها . فقد يهين الكثيرون على ما أظن نسمع اليوم بعض العده . . . يقولون خمس وقتلج هذا الأمر موجود في الكتب . . . أي لا محل للتمش فيه إلا في فمن الخطر المتوقع من بعض المدونات فعل بها . . . فعلة الزود لأهل ولقد سمعت من أستاذي (محمد الطيب الأنصاري الشافعي) : أن رجلاً

(۱) تقييد العم ۵۱ و ۵۲ .

(۲) صحيح مسلم ۱ / ۱۵ .

من زوار المدينة كان يقرأ القرآن في مسجدها . ويكثر اللحن ، وكان يجلس قريباً منه حافظ أخذ يصحح له أخطائه فلما كثر التصحيح على القارئ : ضاق ذرعاً فالتفت إلى الحافظ - قائلاً : كفى ! هل أنا غلظت في البخارى - يقصد صحيح البخارى ؟ !! - فمن أجل ذلك كره من كره من أعلام الصحابة ، تدوين الحديث على مثل مادون به القرآن وقالوا : أتريدون أن تجعلوها قرآناً ؟ .. فإذا كان في القرن الرابع عشر توجد عقليات فَجَّة تَضَع صحيح البخارى في الموضع الذى وضعه فيه ذلك القارئ - فكيف بعقلية العامة ولما يمض على إسلامها غير وقت قصير ؟ ولما يجمع القرآن ويحفظ على ما جمع عليه وحفظ ! !

فما ورد عن النبي عليه السلام وما ورد عن الصحابة والتابعين عن التدوين - وما فعله عمر بن الخطاب - وما فعله غير عمر بن الخطاب ببعض المدونات ، لم يكن حكماً على التدوين والمدونات عاماً ، وإنما كان في مسائل معينة ولأسباب معروفة . ولذلك لم يمتنع أعلام الصحابة والتابعين عن تدوين الحديث ولم يمتنعوا عن نقل ما يرويه الكتابيون عن الأسفار من أخبار الماضى القديم .

- ٨

فعلى ذلك أقول أخيراً : إننى لست أرى تناقضاً في النصوص التي اتخذها بعض الباحثين في الثقافة الإسلامية وفي نشأة علم التاريخ دليلاً - على أن المسلمين في بادئ أمرهم - كرهوا التدوين ، وأن المسلمين كانوا حرباً على التراث غير الإسلامى . وبين النصوص التي تمسك بها القائلون : إن المسلمين لم يكرهوا التدوين ولم يكونوا حرباً على التراث الثقافى في وقت من الأوقات .

وأقول : إن الذين لم يفرطوا في تدوين ما حققوه من أحاديث - بذلوا جهداً كبيراً في جمع وتبويب الأحاديث والأقوال المأثورة ، وإن التصحيح والجمع والتبويب استغرق وقتاً طويلاً إلى أن وصل إلى مرتبة الصحاح من حيث التأليف والتنسيق والاستيعاب . فلم يصل (مالك بن أنس) إلى تأليف كتابه الموطأ إلا بفضل الجهد الذى بذله (زيد بن ثابت) و (أبو سعيد الخدرى) و (أنس بن مالك) من محققى الحديث ورواته ، ولم يصل (ابن إسحاق) إلى تأليف تاريخه إلا بفضل المحاولات التي قام بها (عروة بن الزبير) و (أبان بن

عثمان) و (محمد بن شهاب) وغيرهم ممن عنى بجمع أحاديث السيرة والمغازي وتبويبها .

فالتأليف في التاريخ لم يتأخر بسبب كراهية التدوين - فالتدوين لم يكن مكروهاً في وقت من الأوقات كما قلت من قبل ، فلقد بدأ من عهد النبي عليه السلام ، ولقد شجع عليه النبي صلى الله عليه وسلم بجعل فدية من لم يكن له فداء من أسرى بدر ، تعليم عشرة غلمان من غلمان المدينة^(١) ، وإنما التأليف لم ينضج إلا بعد وقت طويل قضاه الرواد في محاولات الضبط والجمع والتبويب .

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ٢٢ .

المسلمون لم يشعلوا النار في تراث القدامى

من صحيفة ٢١٥ إلى صحيفة ٢٢٨

موضوعات البحث :

- ١ - الأسباب التي دعت إلى البحث .
- ٢ - الأدلة التي أقنعت (جرجي زيدان) بالعدول عن تكذيب الخبر القائل بأن العرب المسلمين أحرقوا كتب مكتبة الإسكندرية .
- ٣ - أساس الخبر الذي بنيت عليه أسطورة إحراق العرب كتب الإسكندرية .
- ٤ - الأدلة التي تكذب الخبر .
- ٥ - تفنيد الخييات التي بنى عليها التصديق بهذه الأسطورة .
- ٦ - التحقيقات لا تكون علمية إذا اعتمدت على منطق الخفق فحسب .

المسّامون لم يشعلوا النار في تراث القدامى

١- لم يكن هذا الجزء في حاجة إلى نقاش بعض الآراء التي تعلقت بظاهر تلك النصوص التي مرت بنا في البحث المتقدم (التأليف في التاريخ وكرامية التدوين)، ثم أخذت تبني عليها نتائج خاطئة - كما فعل (نبيه أمين فارس) . وكما فعل (جرجى زيدان)، لو لم يزعم أصحاب هذه الآراء: الاستقصاء والتعمق - ولو لم يكن لهم سمعة علمية لها أثرها على كثير من القراء نشأت عنها ثقة في كل ما يكتبون. وجعلت من أقوالهم وآرائهم مصادر لبعض الباحثين في الثقافة العربية الإسلامية ومصادرهما دون ما تأكد من أصالتها وثبتت من حقيقتها .

ولم يكن لي من حاجة إلى الوقوف طويلاً عندما جاء في كلام (جرجى زيدان) عن أسطورة حريق مكتبة الإسكندرية في عصر الفتح الإسلامي - لو لم يعد (جرجى زيدان) إلى هذه الأسطورة بأدلة لا بد للبحث في التاريخ العربي ومصادره - من الوقوف عندها .

٢- فلقد عاد جرجى زيدان - إلى أسطورة - بق مكتبة الإسكندرية بعد أن كان مقتنعاً بأنها خرافة تمخض عنها خيال ساذج [كنا ممن جارى الذين طعنوا في الرواية التي تقول : إن مكتبة الإسكندرية أحرقتها (عمرو بن العاص) بأمر (عمر بن الخطاب) في كتاب (تاريخ مصر الحديث) - ثم عرض لنا بمطالعتنا المتواصلة في تاريخ الإسلام والتسندن الإسلامي - ترجيح الرأي الأول - لأسباب نحن باسطوها] - والأسباب التي بسطها جرجى زيدان وقال عنها : إنها أقنعتنا بترجيح الرأي الأول - هي :

- ١- رغبة العرب في صدر الإسلام في محو كل كتاب غير القرآن استناداً إلى بعض الأحاديث النبوية وتصريحات مقدمي الصحابة .
- ٢- أن (أبا الفرج الملقب) نقل خبر حريق مكتبة الإسكندرية من (ابن القفطى) ، وابن القفطى المعروف بالقاضي - عالم باللغة والحديث وعلوم

القرآن - فإذا كان هناك من يشك في أبي الفرج الملطي - فإن القفطي بعيد عن الشك !!

٣- أن المؤرخين الإسلاميين - في ظن جرجي زيدان - ذكروا هذه الرواية ثم حذفوها بعد نضج التمدن الإسلامي - واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب - فاستبعدوا حدوث ذلك فحذفوه !!

٤- من رأى - جرجي زيدان - أن مما يؤكد أن العرب أحرقوا مكتبة الإسكندرية ما جاء في (كشف الظنون) عن علوم الأقدمين - فنقل عن كشف الظنون - [أن المسلمين لما فتحوا (بلاد فارس) وأصابوا من كتبهم - كتب (سعد بن أبي وقاص) إلى (عمر بن الخطاب) يستأذنه في شأنها وتنقيلتها للمسلمين فكتب له (عمر): أن اطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه - وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله تعالى - فطرحوها في الماء والنار . فذهبت علوم فارس] !! ويقول جرجي زيدان: لا بد من أصل نقل عنه صاحب كشف الظنون - ويستشهد بقول أسنده إلى (ابن خلدون) وهو : [أين علوم فارس التي أمر (عمر) بمحوها عند الفتح ؟] .

٥- من الأسباب التي اعتمد عليها جرجي زيدان في تحقيقه الأخير : أن حرق الكتب كان في تلك العصور تشفياً من عدو أو نكاية فيه - فكان أهل كل شيعة أو ملة يحرقون كتب غيرهم كما فعل (عبد الله بن طاهر) بكتب فارسية كانت لا تزال باقية إلى أيامه سنة ٢١٣ هـ من مؤلفات المجرس .

٦- ومنها : أن أصحاب الأديان في تلك العصور كانوا يعدون هدم المعابد القديمة وإحراق كتب أصحابها من قبيل السعي تأييداً للأديان الجديدة !!

٧- استشهد جرجي زيدان - بما جاء في تاريخ جماعة من الأئمة المسلمين عن إعدامهم مؤلفاتهم من تلقاء أنفسهم . مثل : (أحمد بن أبي الخوارى) الذي مح مؤلفاته - وهو يبكي ويقول: نعم الدليل كنت لي على ربي . فلما ظفرت بالمدلول فالاشتغال بالدليل محال^(١) .

٣- ونحن قبل أن نحقق في هذا التحقيق ونصحح هذا التصحيح - علينا : أولاً

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٤٤/٣ إلى ٤١ .

أن نعرف حقيقة خبر حرق مكتبة الإسكندرية - من قاله ؟ ومتى قيل ؟ ومن هو المصدر ؟ ونتعرف على ناقل هذا الخبر .

إن الخبر كما جاء في رواية الدين تناقلوه - ومنهم : جرجى زيدان - ورد على هذا النحو : تكلم (يحيى النحوى) عند (عمرو بن العاص) في شأن المكتبة التي أنشأها (بطولاموس ' فلادلفوس) وطلب منه الإفراج عن كتب الحكمة في الخزائن الملوكية للحاجة إليها . فاستأذن (عمرو بن العاص) الخليفة في شأنها فجاء - الأمر بإعدامها - فشرع (عمرو بن العاص) في تفريقها على حمامات الإسكندرية فاستغرق حرقها ستة شهور^(١) .

٤ - فهذا الخبر كما يبدو - أبعد ما يكون عن الحقيقة وأقرب ما يكون إلى الأساطير التي كانت مائدة في أطراف البلاد الإسلامية في القرن السابع الهجرى .

فأولاً - تدعى هذه الرواية أن : (يحيى النحوى) عاش إلى أن فتح عمرو ابن العاص مصر والإسكندرية - معتمداً على ما جاء في كلام (ابن النديم) في فهرسته عن يحيى النحوى وعصره وما جاء في كلام (ابن العبري) عن هذه الأسطورة : وعاش (يحيى القرامطى) إلى الفتح الإسلامى في حين أن تحقيقات المستشرق الإيطالى أثبتت : أن (يحيى النحوى) لم تكتحل عيناه بالفتح الإسلامى فقد أنغمضهما الموت قبل وصول (عمرو بن العاص) إلى مصر بأكثر من ربع قرن^(٢) .

ثانياً - إن الإجراءات التي اتخذت في حرق مكتبة الإسكندرية كما جاء في هذه الأسطورة - لا يمكن أن يتخذها رجل عاقل حازم مثل عمرو بن العاص . فهي إجراءات لا تؤمن الغرض الذي من أجله صدر أمر الخليفة بحرقها كما يزعم هذا الخبر - وهي إجراءات لا تصدر إلا من أحسق ساذج . فأى منطق يصدق : أن عمرو بن العاص الذي أمر بإعدام هذه الكتب خوفاً مما يترتب على انتشارها - وزع هذه الكتب على حمامات مصر التي بلغت كما يقول المؤرخون أربعة آلاف حمام . وأن حمامات مصر استمرت تحرق الكتب ستة شهور !! فمن الذي يضمن عدم تسلل الأيدي إلى حمامات مصر لتأخذ منها ما تريده ؟ ! فأين هذا

(١) تاريخ التمدن الإسلامى ٤٨٣

(٢) تاريخ عمرو بن العاص حسن إبراهيم ص ١٤٦ .

الإجراء من ذكاء عمرو بن العاص وحزمه ودهائه ؟

أما متى روى هذا الخبر ؟ فهذا الخبر قد سمع في القرن السابع الهجري - وأما مصدر هذا الخبر - فجهول - ولقد حاول جماعة من المؤرخين المتأخرين أن يرجعوه إلى (إسحاق الراهب) بيد أن (ابن النديم) تكلم عن إسحاق الراهب ونقل عنه خبر إنشاء مكتبة الإسكندرية في عهد (بطولاماوس) ولم ينقل عنه خبر حرقها^(١). ومن بين الذين لم يجدهم البحث عن هذا المصدر - جرجي زيدان نفسه - فلقد قال بكل صراحة : [بقي علينا البحث عن المصدر الذي نقل عنه (ابن القفطى) . والغالب أنه عين المصدر الذي نقل عنه (عبد اللطيف البغدادي) ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر في جملة ما ضاع من مؤلفات العرب] ^(٢).

إذن (ابن القفطى) الذي عاش بين سنة ٥٦٨ و سنة ٦٤٦^(٣) هـ و (عبد اللطيف البغدادي) الذي عاش فيما بين سنة ٥٥٧ و سنة ٦٢٩^(٤) هـ - هما أول من ذكر هذا الخبر . ويصر جرجي زيدان على أن (ابن القفطى) هو مصدر (ابن العبري) المتوفى سنة ٦٨٤ ليزيل الشبهة عن هذا الخبر حيث قال : [وإن حكاية إحراق مكتبة الإسكندرية لم يخلقها (أبو الفرج - ابن العبري) لتعصب ديني - بل هو نقلها عن ابن القفطى ، وهو قاضٍ من قضاة المسلمين] ، ويصر جرجي زيدان : على أن هذا الخبر الذي لم يرد في كتاب (مختصر الدول) في النسخة السريانية لم يدسه أحد في نسخة الكتاب العربية - حيث قال : [فإغفال هذا الخبر في النسخة السريانية - لا يدل على أنه دخيل في النسخة العربية أودسه فيها بعض المتأخرين كما توهم بعضهم] ^(٥).

(١) فهرست ابن النديم ص ٣٣٤ و ٣٥٦ - وفيما جاء في الفهرست اضطراب يظهر في قول ابن النديم في تفسير يحيى النحوى لكتاب السماع الطبيعي وتاريخه بالنسبة لعصر يحيى النحوى .

(٢) التمدن الإسلامى ٤٤/٣ وما بعدها .

(٣) راجع ترجمة ابن القفطى في هذا الجزء .

(٤) راجع ترجمة عبد اللطيف البغدادي في هذا الجزء .

(٥) التمدن الإسلامى ٤٩/٣ .

فجرجى زبدان - كما تراه : في تحقيقه هذا - يعتمد على سمعته العلمية ، فكلما ضاق ذرعاً بخلو يده من نص يؤكد رأيه . فرض ظنونه فرضاً - فهو يفرض : أن المؤرخين جسيعهم اتفقوا على نحو هذا الخبر . ويفرض : وجود مصدر لهذا الخبر ضاع مع ماضع من مؤلفات العرب . ويفرض : وجود نص غير مؤلف (كشف الظنون) عن إعدام كتب فارس . ويفرض : أن (ابن القفطى) هو مصدر (ابن العبرى) ويفرض أن : (ابن العبرى) أغفل هذا الخبر في نسخة كتابه (مختصر الدول) السريانية عمداً وأنه ذكره في النسخة العربية عمداً !!

على أنه سواء كان (ابن القفطى) هو : مصدر (ابن العبرى) أم كان (عبد اللطيف البغدادي) هو : المصدر فإن الرجلين متعاصران . وإن كلا الرجلين لم يذكر لنا مصدراً غير تلك الشائعات التي كانت تزداع ضد العرب في القرن السابع - وفي القرن السابع تضعف الموقف العربي واهتز إزاء حملات العناصر التي تألبت على العرب وسيطرت على مقدرات البلاد العربية .

هذا هو أساس تلك الأسطورة ومصدرها . أما مكتبة الإسكندرية وتاريخها والأحداث التي حاقت بها قبل الفتح الإسلامي - وهل كانت مصر البيزنطية مورد من موارد رواد الثقافة العربية والمؤلفين في التاريخ ؟ فلهاذا الموضوع بحث خاص يأتي في هذا الجزء .

وأما الحيشيات التي بنى عليها الاعتقاد بأن العرب المسلمين أحرقوا مكتبة الإسكندرية - فنقاشها ضروري للبحث لما في تلك الحيشيات من قضايا تاريخية ترتب على حقيقتها نتائج ذات شأن في بحث : التاريخ العربي ومصادره كما قلت من قبل . أولاً : لقد حرص جرجى زبدان وغيره من مروجي هذه الأسطورة على أن يقدموا لها حيشيات ذات سمات علمية تبعث على الثقة فيها . وإنما أرادوا بذلك الصفات التي كان يتمتع بها القاضي الأكرم جمال الدين المنطقي ويحرص على إبرازها في سياق كلامه عن حرق مكتبة الإسكندرية . ونرى أيضاً : أن هذه الصفات لا تكفي لأن تكون دليلاً لا ريب فيه يؤكد : صحة كل ما وصل إلى

(١) راجع ترجمة ابن العبرى في هذا الجزء .

مسامع (ابن القفطى) فسجله فيما سجله : فلا بد للمؤرخ الذى يكتب عن قضية من قضايا الماضى من نص يعتمد عليه لا سيما أن هذا الخبر لم يتحدث عنه مؤرخ من قبل مطلع القرن السابع من الهجرة . والقرن السابع ملىء بالفواجع - ففيه انتهت الخلافة العباسية على أيدي التتاريين . وفيه برزت العواقب الوخيمة للانقسام العنصرى والانفصال السياسى اللذين منيت بهما الإمبراطورية العربية ، واستسلم آخر معقل للخلافة العباسية - فلا يستبعد عن أحداث هذا القرن : أن تزداع فى عمرتها الشائعات عن الدولة العربية . وتؤلف ضدها الأساطير . وتنسب إليها مثالب هى منها براء . ولا يستبعد عن ابن القفطى - أنه سجل هذا الخبر ببراءة المؤرخين الذين كانوا حريصين على تسجيل كل ما يسمعوناه على علاقته - وما أكثر علات هذا الخبر !!

ولقد صدر جرجى زيدان حيثيات اعتقاده فى هذه الأسطورة - بالإشارة إلى ما سبق عن التدوين وتعلق الظنون بظاهر النصوص - وما سبق عن التدوين وضع الحقيقة تحت الشمس فليس فيما ورد عن التدوين ما يؤكد هذه الأسطورة ، فالمسلمون لم يحرقوا أسفار اليهود بل إنهم أخذوا عنها فيما يعود إلى التاريخ القديم . ثانياً : ولم يقدم جرجى زيدان - نصاً يعتمد عليه فى قوله : إن مؤرخى الفتح الإسلامى ذكروا خبر الحريق ثم حذفوه - وإنما قدم ظناً بدون دليل [وبعد معرفة المسلمين قدر الكتب استبعدوا حدوث ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه] - وهذا الظن لم يقنع جرجى زيدان نفسه حيث قال متحمساً متعصباً لظنه : [وعلى كل حال فقد ترجح عندنا صدق رواية أبى الفرج الملقب]^(١) !!

فمن هم المؤرخون الذين حذفوا هذا الخبر ؟ هل هم أولئك الذين ذكروا ما فعله (أبو بكر الصديق) بالأحاديث الحمسائة . وذكروا عدول (عمر بن الخطاب) عن تدوين السنن إلى غير ذلك مما تحدث به مؤرخو الثقافة الإسلامية؟! إن هؤلاء المؤرخين الذين قدموا لنا النصوص الواردة فى التدوين والمدونات لا يمكن أن توجه إليهم تهمة إخفاء حقيقة تاريخية كهذه . فالذين لم يخفوا غضب رسول الله عليه السلام من عمر بن الخطاب - عندما قال له : يا رسول الله : هذا كتاب انتسخته

(١) التمدن الإسلامى ٤٩/٣ .

لتزداد به علماً إلى علمنا - حرق بهم ألا يخفوا أمراً أصدره عمر بن الخطاب لعمر و ابن العاص .

وأى منطق يقنع بأن المؤرخين جميعهم تضامنوا طيلة هذه القرون الستة على حذف خبر بعيد عن السرية مثل حرق كتب في حمامات الإسكندرية دام ستة أشهر ؟ ! والمؤرخون كما عرفناهم من تراجمهم - منهم : المسلم . واليهودي . والمسيحي . ومنهم العربي والعجمي والسني . والشيعي والأموي والعباسي . والعدناني . والقحطاني . ومنهم : من عاش في أقصى الشرق الإسلامي ومنهم من عاش في أقصى الغرب الإسلامي .

ثم ما هو السبب في «صهيئة» المؤرخين المسيحيين - مثل البطريق (أوتيوخوس) مؤرخ الإسكندرية - و (يوحنا أسقف نقيوس) المؤرخ الذي كتب عن فتح مصر في القرن السابع من الميلاد ؟ فهل كانا من المؤرخين المسيحيين الذين يفرض جرجي زيدان تضامنهم مع المؤرخين المسلمين في حذف هذا الخبر تسيراً على التاريخ الإسلامي ؟

ثالثاً : ولما لم يجد جرجي زيدان : نصاً يؤكد ما قاله (حاجي خليفة) المتوفى سنة ١١٤٠ هـ عن كتب فارس : قال : لا بد لهذا الخبر من أصل نقل عنه صاحب (كشف الظنون) [ثم استشهد بقول نسبه إلى (ابن خلدون) : [فإين علوم الفرس التي أمر عمر بن الخطاب بمحوها] - وعزاه إلى صحيفة (اثنتين وثلاثين) من الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون - ولقد رجعت إلى النسخة التي في مكتبي والتي علق عليها الأمير (شكيب أرسلان) طبع مطبعة النهضة - فلم أجد في الصحيفة التي تحمل هذا الرقم في الجزء الأول وفي الجزء الثاني ولا في الصفحات التي قبلها ولا التي بعدها في الجزأين أثراً لهذا القول ! ! بيد أنني وجدت في تاريخ (عمرو بن العاص) نقلاً عن مقال في مجلة (الهلال) كتبه (شبلي أفندي عسك) جاء في كلامه عن حرق مكتبة الإسكندرية : [حتى قال بعضهم : إن ابن خلدون ذكر هذا أيضاً - يعني حريق مكتبة الإسكندرية - أما ابن خلدون فتاريخه

(١) راجع ترجمة حاجي خليفة في هذا الجزء .

متداول بيننا وكل من اطلع عليه يعلم : ألا ذكر لهذه الحادثة على الإطلاق [(۱)] .
ولسوف يأتي بحث خاص بكتب فارس .

فما أكثر ما تنسب التحقيقات السطحية إلى مصادرنا ما ليس فيها - اعتماداً على نظرة خاطفة لم تصل إلى حقيقة الموضوع . وما أكثر حاجة الباحث إلى الثبوت - أما القارئ العادي في ذمة المؤلفين (۲) !!

رابعاً : ولقد اتخذ جرجي زيدان مما يقال عن أن (عبد الله بن طاهر)
أعدم مؤلفات مجوسية كانت لا تزال باقية إلى أيامه سنة ۲۱۳ هـ ، ثم أصدر أمراً
إلى الأطراف يقضى بإعدام كل ما وجد من كتب المجوس : دليلاً على أن حرق
الكتب كان شائعاً في تلك العصور تشفياً من عدو أو نكابة فيه .

وهذا الدليل - كما تراه - لا يؤكد خبر حرق مكتبة الإسكندرية - بل هو
ينفيه - فلو أن (عمر بن الخطاب) أمر (عمرو بن العاص) أولاً ، و (سعد بن
أبي وقاص) ثانياً : بإعدام كتب البطالسة في مصر وكتب الفرس في العراق - لاتخذ
المسلمون هذا الأمر قاعدة عامة ، ولما بقيت كتب المجوس إلى سنة ۲۱۳ هـ . فأفعال
(عمر بن الخطاب) وأوامره ما زالت حتى اليوم تشريعاً تسير عليه أحكام القضاة
وتتقيد به الإدارة الإسلامية .

ثم إننا إذا ما سايرنا منطق هذا التحقيق الذي يفترض أن المسلمين حذفوا خبر
حريق مكتبة الإسكندرية عندما نضجت العقلية الإسلامية - ثم أخذنا بهذا الدليل
- فمعنى ذلك - أن العقلية الإسلامية لم تنضج إلى سنة ۲۱۳ هـ حيث إن المسلمين ما زالوا
يعدمون التراث القديم . وإن حذف خبر مكتبة الإسكندرية حدث بعد هذا التاريخ
الذي أتلف فيه عبد الله بن طاهر كتب المجوس - فأين هذا من حقائق التاريخ؟!
خامساً : ويقول جرجي زيدان : إن سياسة تلك العصور الدينية كانت
تعدّ هدم المعابد ، وإحراق كتب أصحابها تأييداً للدين الجديد ، فبدافع هذه
السياسة أعدم المسلمون كتب المسيحية والمجوسية في فارس ومصر . . وإن هذه

(۱) تاريخ عمرو بن العاص لمؤلفه حسن إبراهيم حسن ص ۱۴۳ .

(۲) الإسلام والحضارة الإسلامية ۲۰/۱ وما بعدها ، فقد جمع كرد على أقوال كثير من المستشرقين
الذين أثبتوا كذب هذا الخبر .

السياسة سار عليها خلفاء المسلمين الذين كانوا إذا أرادوا اضطهاد المعتزلة وأهل الفلسفة أحرقوا كتبهم ، وإن من أشهر الحوادث من هذا القبيل ؛ ما فعله السلطان (محمود الغزنوي) سنة ٥٤٢٠ هـ ، فإنه قتل الباطنية ونفى المعتزلة وأحرق كتب الفلسفة والنجامة – وما يقوله جرجي زيدان – لا تفره الحقائق التاريخية – فليس من سياسة الإسلام هدم المعابد ، فهذه وصية (أبي بكر الصديق) لقائد أول جيش يجهزه أول خليفة : جيش (أسامة بن زيد) – [لاتخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلّوا ولا تحتلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له] ، وهذا عهد (عمر بن الخطاب) ثاني الخلفاء الراشدين ، الذي تدور حوله أسطورة حرق مكتبة الإسكندرية . لأهل (إيلياء) : [أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئتها وسائر ملتها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم] – هذا هو عهد (عمر بن الخطاب) الذي لم يرض : أن يؤدي الصلاة في كنيسة القدس خوفاً من أن يتخذ المسلمون مصلاه مسجداً ويتخذون من صلاته في الكنيسة قاعدة ، فلا يجد الذميون في البلاد الإسلامية كنيسة يتعبدون فيها .

وهذه عهود قادة جيوش الفتوحات الإسلامية : (حذيفة اليماني) و (سويد بن مقرن) و (عتيبة بن فرقد) و (بكير بن عبد الله) وغيرهم في فارس وفي غير فارس ضمنت جميعها المحافظة على الأتفس والأموال والعقائد والمعابد .

وهذا عهد (عمرو بن العاص) لأهل (مصر) : [هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وكنائسهم وصلبانهم وبرهم وبخبرهم لا يدخل عليهم بشيء من ذلك ولا ينتقص] . وابتد كان من شروط تسليم الإسكندرية منح البيزنطيين – عشرة شهور ليهجروا بكل ما يملكون في غضون هذا الأجل . ففي هذا الشرط فرصة لم يهمل – البيزنطيون – اغتنامها أو يهملوا تراثهم العلمي كما رجح ذلك بعض المستشرقين الذين تأتي أقوالهم في البحث القادم .

وليس من سياسة الإسلام : تأييد مبادئه بحرق التراث العلمي . وليس ما فعله

أمراء المقاطعات وسلاطين الدول الإسلامية مع الباطنية والمعتزلة والشيعة - هو :
 انتقام دين من دين . فكتب هذه الفرق ليست كتب دين آخر تدين به جالية تعيش
 في حماية الدولة الإسلامية ، بإعدام المضلل من هذه الكتب ، وردع المنحرف من
 أبناء هذه الفرق لا يعد انتصاراً للإسلام على غيره - وإنما كان إعدام هذه الكتب
 لأنها تنشر آراء هدامة حررتها أقلام مسلمة . وإنما كان ردع المنحرفين من
 المسلمين لخروجهم على المجتمع وعقائده ، ومبادئه - وهذا هو مصير الآراء الهدامة
 ودعاتها في الدول الإسلامية . وفي غير الدول الإسلامية في الماضي وفي الحاضر .
 فحرية الرأي والقول والعمل : شرطها في كل زمان وفي كل مكان ، ألا تكون منحرفة
 ضارة تنحرف بالمجتمع وتضله ، وألا تتعارض مع مبادئ الدولة وشعارها . وألا تسبب
 الانشقاق على الدولة والانقسام في المجتمع ، فالدستور الإسلامي الذي يحكم بإعدام
 المرتد يحافظ على حياة الدمى وحرية .

فما فعله السلطان (محمود الغزنوي) وما فعله (عبد الله بن طاهر) - تفعله دول
 العصر الحاضر مع كل من يحاول بلبلة العقائد وتضليل الجماهير والخروج على
 الدستور ، بمبادئ تدعو للانفصال العقائدي ، وتفعله أجهزة الإعلام والإرشاد
 القومي . أما الجاليات غير المسلمة فقد اشترط لها المسلمون على أنفسهم كامل
 الحرية في أداء طقوسها التعبدية ودراسة علومها الدينية ، ولم يثبت على المسلمين
 أنهم نكثوا عهداً ألزموا به أنفسهم .

سادساً : ومن الأسباب التي أقنعت (جرجي زيدان) بصحة الخبر :
 [أن في تاريخ الإسلام جماعة من الأئمة المسلمين أحرقوا كتبهم من تلقاء أنفسهم .
 ومنهم (أحمد بن أبي الحواري) الذي محا مدونات - وهو يبكي ويقول : نعم
 الدليل كنت لي على ربي فلما ظفرت بالمدلول فالاشتغال بالدليل محال] .

إن (ابن الحواري) ليس هو أول من أحرق مدونات خوفاً من مسئولية
 ما يترتب على بقائها ، فلقد سبق إلى ذلك (أبو بكر الصديق) حيث أحرق
 الأحاديث التي دونها خوفاً من مسئوليتها^(١) - وإن النص الذي أورده جرجي

(١) راجع البحث المتقدم : التأليف في التاريخ وكراهية التدوين ، تاريخ التمدن الإسلامي

زيدان نفسه - يشهد على أن ما فعله (ابن الحواري) شيء وإحراق الثقافات شيء آخر - فهو يدل صراحة على أن مدونات ابن الحواري كانت بحوثاً شائكة في حقيقة الله - والبحث في حقيقة الله خطر على عقيدة من لا يملك من المعرفة ما يملكه ابن الحواري - فلذلك لما ظفر ابن الحواري بالمدلول بادر بمحو الدليل الذي لا لزوم له ولا يؤمن خطره على غيره .

٦ - هذه هي الأسباب التي أقنعت جرجي زيدان بالرجوع عن عدم التصديق بأسطورة إحراق مكتبة الإسكندرية - إلى التصديق بها . وما كنت أؤثر : أن أشغل هذا الحيز من هذا الجزء بتفنيد هذه الأسباب لو لم يكن فيها تشويه لحقائق التاريخ وإثارة الظنون حول مصادره . ولو لم يكن جرجي زيدان - الأستاذ في التاريخ العربي - هو صاحب هذا التحقيق . فلجرجي زيدان مكانته العلمية . وله آثار قيمة في التاريخ العربي قبل الإسلام . ما زالت مرجعاً يرجع إليها الباحثون في التاريخ .

فإذا كنا نجد جرجي زيدان المؤرخ الواسع الاطلاع . يحقق موضوعاً يمثل هذه السطحية لسبب من الأسباب - فما حال تحقیقات الذين دون مستوى جرجي زيدان العلي ؟ ! وما هي حقيقة تحقیقات التي هي أقل قيمة من هذا الموضوع الذي تترتب على نتيجة التحقيق فيه مسائل لها قيمتها في التاريخ العربي الإسلامي ؟ لذلك تراني أكرر القول بأن التحقيق لا يكون عامياً - ما لم يكن بعيداً عن الخيال وأعمق من الظنون . وما لم يكن متواضعاً لا يعتمد على الشهرة الأدبية ولا يغالي في الثقة بالنفس والاعتماد على منطقته فيفرضه فرضاً كما فرض جرجي زيدان آراءه وظنونه في هذا التحقيق فرضاً - فلا بد للنفي أو الإثبات : أن يعتمد على نص يؤكد : الشك أو اليقين .

وما كان بعيداً على جرجي زيدان - لو أنه تعمق في البحث : للوصول إلى حقائق تاريخ مكتبة الإسكندرية ومن اعتدى عليها قبل الإسلام بالحرق ونهب ؟ وماذا وجد العرب المسلمون فيها بعد أن نزع عن الإسكندرية الروم حاملين كل ما هو ثمين يعتزون به - في غضون عشرة أشهر بحسب شروط التسليم ؟ .. إلى غير ذلك مما سنتكلم عنه في البحث الآتي - هل كانت مصر البيزنطية - مورداً لرواد الثقافة العربية ؟

مناهل رواد الثقافة

من صحيفة ٢٢٩ إلى صحيفة ٢٦٦

الموضوعات :

- ١ - لم تكن مصر في فجر الإسلام مورداً لرواد الثقافة العربية .
من صحيفة ٢٣١ إلى ٢٣٨
- ٢ - ماذا وجد رواد الثقافة في العراق وبلاد فارس ؟
من صحيفة ٢٣٩ إلى ٢٥٠
- ٣ - القسطنطينية لم تبخل بإخائها .
من صحيفة ٢٥١ إلى ٢٢٨
- ٤ - السريانية والسريانيون .
من صحيفة ٢٥٩ إلى ٢٦٦

لم تكن مصر بعد الفتح الإسلامي مورداً للرواد والثقافة العربية

من صحيفة ٢٣١ إلى صحيفة ٢٣٨

من موضوعات البحث :

- ١ - السؤال الذي فرضه البحث المتقدم يأتي جوابه خاتمة لهذا البحث .
- ٢ - تاريخ مكتبة الإسكندرية .
- ٣ - نوع الثقافة التي جمعتها المكتبة الملكية ومكتبة السيزينيود .
- ٤ - الاعتناء على مكتبة الإسكندرية كان قبل الفتح الإسلامي .
- ٥ - تحقيقات المستشرقين فيما أصاب مكتبة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي .
- ٦ - البيزنطيون لم يغفلوا عن مكتبة الإسكندرية بل إن الفتح الإسلامي وقبضه .
- ٧ - الجواب عن السؤال .

لم تكن مصر بعد الفتح الإسلامي مورداً للثقافة العربية

١ - إن حقيقة ما قيل عن مكتبة الإسكندرية وإن (عمرو بن العاص) أحرق كتبها بأمر (عمر بن الخطاب) قد ظهرت في البحث المتقدم واضحة لا غبار عليها - وإن تلك الحقيقة التي ظهرت في البحث المتقدم تفرض علينا في هذا البحث : أن نجيب عن هذا السؤال : هل كانت مصر بعد الفتح الإسلامي مورداً نهلاً منه رواد الثقافة العربية الإسلامية ؟

والجواب عن هذا السؤال - يلزمنا بالرجوع إلى تاريخ مكتبة الإسكندرية : متى أسست ؟ وما نوع الثقافة التي جمعت فيها ؟ - وما نوع النكبات التي منيت بها ؟

٢ - إن تاريخ مكتبة الإسكندرية مرتبط بتاريخ الإسكندرية . ومدينة الإسكندرية ليست من المدن الغارقة في القدم . وإن كان الإسكندر قد شيدها على أطلال عمران قديم نسبه (المسعودي) و (الطبري) إلى العماليق^(١) . فمدينة الإسكندرية المعروفة هي : من آثار الإسكندر المقدوني . والإسكندر المقدوني اعتلى عرش أبيه سنة ٣٣٦ ق.م .

٣ - وإن مما تستبعده الظنون : أن تكون مدينة الإسكندرية قد حوت مع ما حوته - الثقافة الفرعونية . فأكثر ما عرفه الباحثون عن الثقافة الفرعونية عرفوه من الآثار التي اكتشفت في العصور الأخيرة . ولقد جاء عن ثقافة الفراعنة في كتاب قصة الحضارة : [ويرجح : أن لغتهم جاءت من آسية وشاهد ذلك أن أقدم نماذج من بينها وبين اللغات السامية شبه كبير] ^(٢) - ولقد كان قدامى المصريين يستعملون الخط (الميروغليفي) وكان الكهننة هم : أول من نسخ الكتابة الميروغليفيه بما

(١) الجزء الأول من هذا المؤلف ١/٣٠٤ .

(٢) قصة الحضارة ٢/١٠٧ .

أسماء اليونانيون بالكتابة (الهيراطية) المقدسة^(١) - فمعظم ما بقي من آداب مصر القديمة مدونة بالكتابة الهيراطية^(٢) - فبفضل الكشوف الأثرية عرف الباحثون في الحضارات : أن قدامى المصريين كانت لهم دور كتب وخزنة عليها . فقد كتب على قبر موظف كبير في الأسرة الرابعة : أنه كاتب (دار الكتب) كما عرفوا مكاتبات يرجع تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد - وجدت مدونة علي (برديات) ومحفوطة في (جرار) معنونة ومصنوفة علي رفوف^(٣) .

فهذا الذي عرفه الباحثون اليوم بفضل الآثار التي اكتشفت أخيراً - لم يعرف عنه الرواد اليونانيون - غير قليل فيه كثير من الغموض - وما عرفه القدامى اليونانيون وغيرهم لم يصمد أمام الزحف الثقافي اليوناني ، ومن بعده البيزنطي في ميدان الصراع الذي فرضه ناموس التطور الحضارى منذ الأزل - ذلك الصراع الذي كانت (مصر) من فجر تاريخها مجالاً له ، فالصراع العسكرى على وادى النيل الذى استمر من قبل حكم العماليق إلى ما بعد عصر الإسكندر - أفسح المجال للصراع الحضارى - ومن الحقائق المسلم بها : أن الحضارات تتأثر بنتائج الصراع السياسى ، فلا مفر للمغلوبين على أمرهم من إفساح المجال للجديده الوافد عليهم مع المنتصرين - ولا عاصم للغالين من انطباعات تغير شيئاً من طباعهم وتفكيرهم . وطرق معالجتهم للقضايا والمشكلات . وإنما يتفاوت الأخذ والإعطاء بين الغالب والمغلوب بفتاوت التقدم الحضارى . ومن هذا الاختلاط يحدث التطور فى كل جانب من جوانب الحياة .

فالحضارة الفرعونية التي تبلورت من مجموعة عناصر : سامية - عربية وفدت عليها من الجزيرة العربية ، وأوربية وفدت عليها من البحر المتوسط ، وبربرية أتت من غربى وادى النيل ، ونوبية جاءت من الجنوب - لم يعصمها قدمها من الزحف الثقافى فى عصر البطالسة . ولو لم تحتفظ مقابر الفراعنة بتلك النماذج

(١) قصة الحضارة ٢ / ١٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ٢ / ١١٠ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ١١٠ .

التي تمثل الأدب الفرعوني - لما وضحت نوعية ثقافة العصور القديمة في مصر .
فمن هذا يتضح : أن مكتبة الإسكندرية لم تحتو على ثقافة فرعونية مادة ولغة
وأسلوباً - وأن ما وجد منها تلون بلون الأدب الإغريقي والبيزنطي ، فأكثر ما حوته
هو : من إنتاج الفكر اليوناني والبيزنطي ، وإذا صح ما رواه (ابن النديم) في
الفهرست : أن الإسكندر المقدوني نقل علوم فارس إلى اللسان الرومي والقبطي وبعث
بها إلى مصر ^(١) . فإن النواة الأولى في مكتبة الإسكندرية - هي : المدونات التي
جمعها الإسكندر من الأقطار التي غزاها . وأودعها مصر .

٤ - وفي تاريخ مكتبة الإسكندرية مآس - تحدث عنها المؤرخون آسفين لما
أصاب ذخائرها من تدمير - فاقدم تحدث المؤرخون عن الحريق الذي اشتعل
في هذه المكتبة - أولاً : في عهد (يوليوس قيصر) سنة ٣٧ ق.م وثانياً في حكم
(طيودوس) بأمر الأسقف - (تيوفيل) سنة ٣٩١ ميلادية ^(٢) . ولقد تحدث مؤلف
(تاريخ الروم وصلاتهم بالعرب) عن أزمة المعلمين في مطلع القرن الثالث من
الميلاد فقال : [ولا يخفى أن أساتذة المتحف الإسكندري العظيم قد حدها
انحصات اللازمة منذ أوائل عهد (كركلا) سنة ٢١١ م . وأن هذا الإمبراطور
الغاشم كان قد طرد من الإسكندرية : العلماء الغرباء عنها] . وتحدث عن جنود
(زينب - الزباء) وما فعلوه بالمتحف الإسكندري العظيم : [ولا يخفى أن جنود
زينب عندما دخلوا الإسكندرية ظافرين سنة ٢٧٠ م نهبوا وحرقوا المباني العمودية
التي كانت تحيط بقبر الإسكندر واتسع التخريب حتى لم ينج منه المتحف العظيم] ^(٣) .
وجاء في (دائرة المعارف الفرنسية) : [أن مجرمة المؤامرات التي كانت في
(السيرايبوم) ^(٤) قد أحرقتها النصارى في القرن الرابع الميلادي .

٥ - هذا ما أصاب مكتبة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي . وما أصابها
بعد الفتح فهناك تحقيقات المستشرقين التي أشرف عليها في البحث بالمتحف
يشعل العرب المسلمون الذر في التراث القديم . وما جاء في تحقيقات المستشرقين

(١) راجع الفصل الآتي في هذا الجزء تحت عنوان : ماذا وجد وماذا أضاع في الإسكندرية .
(٢) تاريخ عمرو بن العاص لحسن إبراهيم من ١٣٧ - ١٤٩ .
(٣) تاريخ الروم وصلاتهم بالعرب ١٤٢/١ .
(٤) تاريخ عمرو بن العاص من ١٤١ .

ما نقله (غوستاف لوبون) عن (لودفيك) عندما ناقش رواية (عبد اللطيف البغدادي) - عن أسطورة إحراق كتب مكتبة الإسكندرية بأمر (عمر بن الخطاب) [فلا نرى حاجة إلى العودة إليها لتكذيبها . ولا أسهل من الاستشهاد على ذلك بإيراد أقوال كثيرة جلية تثبت : أن المسيحيين كانوا أعدموا الكتب الوثنية التي بالإسكندرية قبل العرب بزمن طويل وكسروا كل التماثيل] ^(١) . وعندما تحدثت (دائرة المعارف الفرنسية) عن هذه الأسطورة قالت : [أما الكتب التي بقيت في مكتبة (السيرابيوم) بعد الذي أعدمه النصارى في القرن الرابع الميلادي - فقد أهملت وعبثت بها أيدي الترك حينما جاءوا الإسكندرية سنة ٨٣٨ ، فحربوا كل الآثار ، وتناولت أيديهم إلى ما كان بالمتحف من الكتب المهجورة المهملة] - ولقد علق على ماجاء في دائرة المعارف الفرنسية (حسن إبراهيم) بقوله : [وهو كلام لم يتم عليه دليل ، ولا يؤيده نقل - ولعل المقصودين في هذا الخبر هم القائمون بأمر (الدولة الطولونية)] ^(٢) - ومن الواضح : أن الترك أو الطولونيين ليسوا من جنود عمرو بن العاص وليسوا من دول صدر الإسلام .

وعلق (لكلك) في المجلة العلمية الفرنسية على رأى (سيديو) في موضوع مكتبة الإسكندرية بقوله : [نأسف إذا خالفنا مسيو (سيديو) إذ من المحقق : أن هذه المكتبة لم تكن موجودة في وقت الفتح الإسلامي] ^(٣) وجاء في كلام (بطر) : [إذا كانت هناك مؤلفات ذات قيمة علمية يقدرها مثل : (يوحنا) فمن المرجح : أن تكون قد حملت إلى (القسطنطينية)] . وقد أيد (بطر) رأيه بما ذكره (أورايزوس) : [أنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب في سنة ٤١٤ م . وذلك لأن المسيحيين كانوا أتلفوها في نهاية القرن الرابع من الميلاد] ^(٤) . ويقول (جييون) بعد تكذيبه هذا الخبر : [إذا كانت هناك مؤلفات قد ضاعت أو أحرقت . فإنها مؤلفات وضعت في جدل تافه شغلت به مدرسة الإسكندرية دار بين (الآريوسيين) وبين أصحاب الطبيعة الواحدة (الخلقونية)

(١) تاريخ عمرو بن العاص ١٣٩ و ١٤٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٤١ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٧ و ١٣٨ .

فإحراق هذه المؤلفات خدمة بشرية تسر كل عاقل [(١)] .

وجاء في (دائرة المعارف الإسلامية) : [لما سلمت الإسكندرية للعرب سنة ٦٤٢ م) استفاد عدد كبير من اليونانيين من شروط التسليم وغادروا ديارهم فيها . ولم يضايق العرب سكان هذه المدينة عند استيلائهم عليها - كما أننا لا نستطيع : أن نسلم بصحة القصة المشهورة التي تزعم أن مكتبتها العظمى قد أحرقت بأمر الخليفة (عمر بن الخطاب) في ذلك العهد [(٢)] .

وقال (أرفانيتاكي) : [وحريق مكتبة الإسكندرية - مختلف فيه الآن ، فقد قرر الكثيرون : أن المكتبة الملكية ومكتبة السيرايوم كليهما - ما كانتا تنتظران غزو العرب لقصد إفنائهما . وفرض هؤلاء : أن عدداً كبيراً من الكتب المنسوخة بنحط اليد كان قد نقل إلى بيزنطية حين حاصر عمرو الإسكندرية [(٣)] . ولقد ذكر (كرد علي) (٤) إجماع : (أرنست رنان) و (آلبرسيم) و (فوت) و (أهلويلر) و (مسبرك) و (إستيفونس) و (غريغيني) و (بونه موري) - على أن العرب ليسوا هم الذين أحرقوا مكتبة الإسكندرية .

فهذه التحقيقات التي قام بها المستشرقون - تجتمع على أن الاعتداء على المكتبة الملكية ، ومكتبة السيرايوم تكرر قبل الفتح الإسلامي . وتجتمع على أن أسطورة إحراق مكتبة الإسكندرية في ولاية عمرو بن العاص - لم يقل بها المؤرخون الإسلاميون وغير الإسلاميين في داخل الدواة الإسلامية وفي خارجها قبل القرن السابع من الهجرة . وأن الذين رووا هذه الأسطورة - وهم : البغدادي والقنطلي وابن العبري ومن جاء بعدهم لم تعتمد روايتهم على نص يؤكدها - وقد أوضحنا في البحث المتقدم حقيقة هذه الأسطورة . وما نحن أولاء نجد بحوث المستشرقين تكاد تجتمع على أن (عمرو بن العاص) لم يمس مكتبة الإسكندرية ومبانيها - بسوء . فعندما قال (سيديو) : ولم يكن في الإسكندرية من هذه الدار إلا حوائط لم يمس عمرو بنهدمها إلا على أثر هياج السكان لم يستغ قواه (لكارك) معن عليه :

(١) تاريخ عمرو بن العاص .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٣٧/٢ مادة الإسكندرية .

(٣) تاريخ عمرو بن العاص ص ١٤١ .

(٤) الإسلام والحضارة ١٩/١ .

[نأسف إذا خالفنا مسيو (سيديو) إذ من المحقق أن هذه المكتبة لم تكن موجودة في وقت الفتح] (١) .

وتذهب دائرة المعارف الفرنسية - إلى أن ما بقي من الكتب التي نجت من اعتداء ما قبل الفتح الإسلامي - بقيت مهملة إلى أن عبثت بها أيدي الترك سنة ٨٣٨ م (٢) . وما ذهبت إليه دائرة المعارف الفرنسية على ما فيه من أخطاء أشار إليها (حسن إبراهيم حسن) - يؤكد : أن عمرو بن العاص لم يحرق كتب مكتبة الإسكندرية وأن ما أبقاه البيزنطيون من كتب تافهة بقي مهملًا إلى سنة ٨٣٨ م / سنة ٢٢٤ هـ .

فما جاء في هذه التحقيقات عن استفادة البيزنطيين من شروط التسليم في نقل ذخائرهم من الإسكندرية - تعززه أدلة كثيرة ، فالروم المعتزون بالقسطنطينية لم يغفلوا التراث العلمي الموجود في مكتبة الإسكندرية بعد تلك النكبات التي منيت بها مكتبة الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي : فهم ولا شك قد أدركوا ما سوف يؤول إليه سلطانهم في مصر بعد زوال سلطانهم من سورية . فلم يتأخروا عن نقل نفائس متحف الإسكندرية ومكتبتها إلى عاصمتهم - قبل الفتح الإسلامي وفي أثنائه - فلم يتركوا فيها غير الخثالة من بحوث مذهبية تافهة لم يأسف (جيبون) لضياعها .

على أنه سواء صدقنا بتلك الأسطورة التي كذبتها الحقائق التاريخية - أم لم نصدق - فإن ما أجمعت عليه الأقوال - هو : أن مكتبة الإسكندرية في عهد الفتح الإسلامي خلت رفوفها من التراث الثقافي القديم لتملأها الثقافة الإسلامية العربية .

فعلی ذلك : أن الجواب عن السؤال الذي طرحناه في بداية هذا البحث : هل كانت مصر بعد الفتح الإسلامي مورداً نهلاً منه رواد الثقافة العربية الإسلامية ؟ لا يمكن أن يأتي بغير النفي - لم تكن مصر مورداً من الموارد التي نهل منها مؤسسو الثقافة الإسلامية وواضعون نواة التاريخ !

(١) تاريخ عمرو بن العاص ص ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٤١ .

ماذا وجد رواد الثقافات في العراق وبلاد فارس

من صحيفة ٢٣٩ إلى صحيفة ٢٥٠

من موضوعات البحث :

- ١ - لأسطورة مكتبة الإسكندرية أخت - موضوعها : كتب فارس .
- ٢ - البحث عن الحقيقة فيما جاء في المصادر عن كتب فارس .
- ٣ - من المستبعد أن يكون الإسكندر المقدوني أحرق مدونات فارس .
- ٤ - دولة فارس الأولى .
- ٥ - الفهلوية الساسانية أرغمت على الخضوع للغة السريانية ونحتها .
- ٦ - حصون التراث الفارسي .
- ٧ - التراث العلمي الذي وصل إلى أيدي الرواد أقل مما كانوا يأملون .
- ٨ - المؤرخون العرب لا يُعترفون القارى بمن ينقلون عنه .
- ٩ - أين ظهر التراث الفارسي في إيران ؟
- ١٠ - الخوف على المدونات العلمية استدر إلى ما بعد الإسلام .
- ١١ - لقد تدارك الساسانيون ما يمكن تداركه من معارف الفرس القديمة .
- ١٢ - حران . والحيرة . والرهما . وأنطاكية . وجندسابور هي المقام التي بحث فيها الرواد العرب عن التراث العلمي .
- ١٣ - من أتمن ما نقل إلى العربية (خدای نامه) .
- ١٤ - الجواب عن السؤال الذي عنون به هذا البحث .

ماذا وجد رواد الثقافة في العراق وبلاد فارس

١ - جدير بنا قبل أن نجيب عن هذا السؤال : ماذا وجد رواد الثقافة في العراق وبلاد فارس؟! : أن نتحدث عن حقيقة الرواية التي اعتمد عليها أنصار الرأي القائل بأن العرب المسلمين كانوا حرباً على الثقافات غير الإسلامية . فإن لأسطورة إحراق العرب المسلمين مكتبة الإسكندرية : أختاً - موضوعها مكتبات فارس - وقد أخرجنا الكلام عن مكتبات فارس إلى هذا البحث .

في هذه الأسطورة - رواية تقول : إن (سعد بن أبي وقاص) كتب إلى (عمر بن الخطاب) في شأن كتب فارس - بمثل ما كتب له (عمرو بن العاص) في شأن كتب مصر . وأن (عمر بن الخطاب) أمر (سعداً) - بمثل ما أمر به (عمر) - [اطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله تعالى] - فطرحها المسلمون في الماء والنار فذهبت علوم فارس!! (١) .

وهذه الرواية انتهى سندها إلى (حاجي خليفة) فحاجي خليفة هو : ناقل هذه الرواية ومصدرها - واتقد سبق في بحث (المسلمون لم يشعروا النار في تراث القدامى) - أن بينا حقيقة هذه الرواية وقيمتها - كما وضعنا حقيقة أسطورة مكتبة الإسكندرية .

٢ - بيد أن البحث في مصير كتب فارس يختلف عن البحث فيما آلت إليه مكتبة الإسكندرية - فالجواب عن السؤال عن كتب فارس يختلف عن الجواب عن السؤال عن كتب الإسكندرية . وإن كان هذا السؤال يحتم علينا الرجوع إلى التاريخ الثقافي في العراق وفارس . والمصادر التي ذكرت مكتبات الفارسية . كما حتم علينا السؤال عن مكتبة الإسكندرية : الرجوع إلى تدرجتها .

أولاً : المصادر العربية - من المصادر التي تعرضت لتاريخ الثقافة الفارسية

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ٤٩ .

وتراثها : (فهرست ابن النديم) فلقد نقل ابن النديم خبراً جاء فيه : [فقد ذكروا : أن (الإسكندر الأكبر) لما فتح (إصطخر) عاصمة الفرس - خرب أبنيتها وأتلف ما كان في صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشاً مكتوباً في صخور ذلك ونحشبه . ونسخ ما كان مجموعاً من ذلك في الدواوين - والحزائن بمدينة (إصطخر) وقابه إلى اللسان الرومي والقبطي - ثم أحرق بعد فراغه من نسخ حاجته منها . ما كان مكتوباً بالفارسية ، وكتاباً يقال له : (الكشتج) ، وأخذ ما كان يحتاج إليه من علم النجم . والطب . والطبائع - فبعث بتلك الكتب وسائر ما أصاب من العلوم والأموال والحزائن والعلماء إلى بلاد مصر] (١) .

- ٣

وفيما جاء في الفهرست - ثغرات . فمنه ما لا يتفق مع ما عرف عن (الإسكندر) تلميذ (أرسطو) وعن تقديره المعارف وحبها لها - تقديراً وحباً جعله يصطحب معه رجال العلم والفكر . فرجل على مثل ذلك المستوى العلمي - لا يقدم على مثل هذا الانتقام الأهمج . ولو صح : أنه هم بذلك ، فمسئولية السكوت على إحراق أصول تراث علمي لا يجهلها العلماء الذين كانوا في معية الإسكندر - ولو فرض : أن العلماء سكتوا . أو أرغموا على السكوت . ولم يفلحوا في إنقاذ تراث فارس العلمي . وقبلنا خبر نقل تلك العلوم إلى اللغتين : اليونانية والقبطية - فعلينا : أن نقدر الزمن الذي يحتاج إليه نقل علومها ومصطلحاتها من لغة إلى لغة - إذا كان الغرض من نقلها إلى اللسانين القبطي واليوناني - هو : الاحتفاظ بجوهرها والاستفادة منها ؛ ! ونحن مهما اختصرنا في الزمن الذي يحتاج إليه النقل ، فإنه على كل حال أطول مما جاء في ذلك الخبر عن إحراق مدينة - (إصطخر) (٢) .

ثانياً : أن خبر الكارثة التي أنزلها الإسكندر بمدينة (برسيوس) التي أطلق عليها العرب : اسم (إصطخر) متواتر . وخبر متواتر لا يمكن للبحث تجاهله - فقد جاء في كثير من المصادر - غير العربية : أن الإسكندر أحرق المدينة - ويقول بعضها : إنه أحرقها - انتقاماً لمدينة (أثينا) التي أحرقها الملك الفارسي (أكزركسيس) - وإن الإسكندر أحرق مدينة (إصطخر) بعد سلب الأموال

(١) الفهرست ص ٣٣٣ .

(٢) تاريخ الإسكندر للخانجي ص ٤٠ و ١١٣ .

التي جمعها ملوك فارس والتي تعادل قيمتها : ثمانية وعشرين مليون جنيه إنكليزي ذهبياً - كما يقدر المؤرخون !!

وتقول مصادر أخرى : إن الحريق لم يكن انتقاماً من الإسكندرية وإنما اشتعل عن غير عمد من شعاعة وضعتها راقصة يونانية حسناء تدعى : (تاييس) في ليلة من ليالي سمر الإسكندر - كانت السبب في حريق المتصر ثم المدينة (١).
فجميع هذه الروايات تؤكد : أن مدينة (إسكندر) دمرها حريق اشتبه في أمره . فاتهم بعضهم به الإسكندر لأنه أباح عدداً من البدن التي امتعصت عليه . وسواء على البحث أكان الإسكندر نقل عاود فارس إلى اليونانية والقبضية ثم أحرق أصولها ؟ أم نقلها مع أصولها إلى الإسكندرية أو إلى مقدونيا فإن النتيجة التي تقف أمام البحث تقرر حتمية وحتمية هي : أن اليونانيين استوعبوا عاود الفرس التي ألقت باللغة (الفهلوية الإثباتية) وتقدموا إلى لغتهم - ولقد كانت الفرس التي أسسها الإسكندر الأكبر وبنائه في (إيران) مختلفاً تماماً الإغريقية في الأطراف النائية عدة قرون (٢).

٤ - ومن المؤكد في تحقيقات المؤرخين : أن لإسكانيين هم : الثورة برسبي حضارة فارس المجاورة لبابل - فالتد كانت المدوة (الأكينية) مستوراً للمدوة (الآشورية) و (البابلية) و (العيلامية) ولقد كانت أساليب ملوك (الأكينية) ومظاهرهم شبيهة بأساليب الملوك (البابليين) و (الميديين) ومظاهرهم مع فارق الإصلاح الذي أدخله على المدوة (الأكينية) عبقرية (كورش) و (دارا) الأول .

٥ - وعندما اعتلى (الساسانيون) مسرح السياسة - ظهرت (الفهلوية الساسانية) لغة الحاكمين - ولكن هذه لم تلبث حتى اعترفت باللغة (السريانية) التي أمرت لغة العلم والأدب وأصبح خطها الخط المشترك الذي تدون به لغة العلم وبناء على ذلك ذهبت الضنون إلى أن جزءاً كبيراً من تراث قدمى الفرس العالمين

- (١) تاريخ الإسكندر لمخالجي حاشية ص ١١٣ .
- (٢) كتاب إيران في عهد الساسانيين ص ١٦ .
- (٣) اسم قبيلة أطلق على أقدم دولة فارسية .
- (٤) راجع بحث الخطوط : التدمري والنبطي وأيران في الجزء الأول من هذا المجلد ص ٢٠٣ .

والتاريخي وصل إلى العرب عن طريق اليونانيين والسريانيين الذين نقلوا الكثير إلى لغاتهم من مدونات الفرس وطبعوه بطابعهم ، فالتراث الفارسي الذي وصل إلى رواد المعارف العرب - هو : الذي لم تصل إليه يد الفناء من علوم فارس مما دون باليونانية ، والسريانية ، والفهلوية الساسانية . - ومن الطبيعي : أن ذلك التراث - وإن كان جميعه فارسي البيئه وبعضه فارسي اللغة - قد تأثر بالفكر اليوناني والسرياني إلى حد بعيد .

٦ - وفي رأي البعض : أن كثيراً مما بقي من علوم فارس - لم يجد أكثره في ذلك الزمن : حصناً يضمن له البقاء أفضل من (القسطنطينية) عندما كانت العاصمة الكبرى لآسيا الصغرى : سياسياً وعلمياً - وقد تكون (أثينا) الملجأ الأقصى لتلك المؤلفات - فالمدينتان كانتا عاصمتين علميتين كما كانتا عاصمتين سياسيتين .

تحرص دولهما على التراث العلي حرصهما على التفوق السياسي - فكل ما لم يخترنه الملوك والأفراد في خزاناتهم من تلك العلوم ويحفظ في الكنائس والمعابد - وجد الطريق - سهلاً إلى مكتبات اليونانيين والبيزنطيين . وفي فهرست ابن النديم حكايات عن كنوز اليونانيين العلمية في بلاد الروم ^(١) :

٧ - أما في فارس الوثيقة الصلة بتاريخ العالم العربي من أقدم العصور - فالذي وجدته الرواد العرب من المصادر الفارسية : أقل مما كانوا يتوقعون ، وما وصل إلى أيدي الرواد العرب أكثره : مؤلفات أدبية فهلوية متأخرة - قال عنها مؤلفو كتاب (قصة الأدب في العالم) : [والآداب الفهلوية الباقية أوسع موضوعاً وأكثر أنواعاً وأقرب إلى التاريخ من الآداب القديمة . وقد ألقت بهذه اللغة كتب كثيرة أدبية وتاريخية - كانت في متناول المسلمين في القرن الأول للهجرة - نقلوا منها كثيراً - كما فعل (الطبري) في تاريخه للفرس في كتابه الكبير (تاريخ الأمم) ، وكما فعل (المسعودي) في كتابه (مروج الذهب) . وكذلك نقلوا كثيراً من حكمها وآدابها في كتب الأدب العربي : مثل (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، وكتاب (التاج) المنسوب للجاحظ . وكتب الثعالبي - وقد ضاعت بعض الكتب الفهلوية

(١) الفهرست ص ٣٤٠ .

التي نقل عنها العرب ، وبقى إلى وقتنا بعض الكتب [١] .

ومع الأسف : أن المؤرخين العرب عندما ينقلون عن غيرهم لا يعنون بتعريف الكثيرين ممن نقلوا عنهم - التعريف الكافي - فنحن نقرأ في تاريخ (ابن خلدون) أخباراً عن الفرس ذات علاقة بتاريخ العرب يسندها (ابن خلدون) إلى المؤرخ (داهر) دون أن يعرفنا بداهر الذي نقل عنه - فكما وقف مختاراً المهتمش على تاريخ (ابن خلدون) في الطبعة التي علق عليها (الأمير شكيب أرسلان) وقال بصراحة : [إنه وقف مكتوف اليدين أمام ما رواه (ابن خلدون) عن (هيروشيوشى - هيرودتس) لأن كتاب (هيرودتس) ليس في متناواه اليوم] [٢] يقف الباحث أمام كثير من رجال الثقافة والتاريخ الذين يذكورهم الرواد - مختاراً لا يجسر أن يقول شيئاً عنهم .

ومثلما كان من العسير معرفة الكثير من الكتب التي نقل عنها المؤرخ العربي ومعرفة مؤلفيها - كذلك من المتعب معرفة الأمكنة التي وجدت فيها بعض المؤلفات الفارسية . فمما جاء عن تلك الأمكنة - ما نقله (ابن النديم) عن (أبي معشر) : [أن ملوك فارس اختاروا موضع مدينة (جى) حصناً لمؤلفاتهم - فجاءوا إلى (قهنذر) [٣] في داخل مدينة (جى) فأودعوا عاودهم . وقد بقي إلى زماننا هنا وهو يسمى (سارويه) ومن جهة هذه البنية درى الناس من كان باليهما . وذلك أنه لما كان قبل زماننا هذا بسنين كثيرة تهدمت من هذه المضغة ناحية - فظهروا فيها على (أزج) [٤] . ويعتقد من طين الشقيق فوجدوا فيه كتباً كثيرة من كتب الأوائل مكتوبة كلها في سماء (التوز) [٥] مودعة أصناف علوم الأوائل المكتوبة الفارسية القديمة . فوقع بعض تلك الكتب إلى من عني به فقرأه فوجد فيه كتباً لبعض ملوك الفرس المتقدمين يذكر فيه : أن (مهنسورث) الملك الخب اعادوه وأهلها إلخ] - ويقول ابن النديم إنه في سنة ٣٥٠ هـ انهار (أزج) فحرق ما عرف

(١) قصة الأدب ١ / ٧٧ و ٧٨ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١ / ٢٢٨ وما بعدها و ٢٨١ .

(٣) لعله صفة مكان بالفارسية واعلمه قوراني كتيب .

(٤) الأزج بيت يبنى طولاً - لسان العرب مادة أزج .

(٥) شجريسى : (التوز) .

مكانه لأنه قدر في سطحه أنه مصمت إلى أن انهار وانكشف عن هذه الكتب الكثيرة التي لا يهتدى أحد إلى قراءتها - وإن (أبا الفضل بن العميد) أنفذ في سنة نيف وأربعين^(١) : كتباً أصيبت في سور مدينة (أصفهان) مدونة باليونانية . فاستخرجها أهل الشام مثل : (يوحنا) وغيره - منها في هذا الوقت شيء عند شيخنا - أبي سليمان [٢] .

ويقول (طيفور) : [فكانت كتب فارس سقطت مع (يزدجرد) في (مرو) . فهي قائمة إلى الساعة يرجع إليها وينقل عنها]^(٣) . وعن طيفور نقل (آدم متر) - ويقال : [إن خزانة الكتب بمرو - كانت تحوى كتب (يزدجرد) لأنه حملها إليها وتركها]^(٤) .

فكل من طيفور وابن النديم يؤكد : روايته بما رآه بعينه - فقد قال طيفور عن كتب (يزدجرد) : إنها قائمة إلى الساعة يرجع إليها وينقل عنها . وقال ابن النديم : ومنها في هذا الوقت شيء عند شيخنا أبي سليمان .

ومثلما قال الباحثون عن مدونات الفرس - قالوا عن مدونات اللاحمين في (الحيرة) - فلقد جاء في (لسان العرب) وفي (تاج العروس) عن (حماد الراوية) أنه قال : [أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في (الطنوج) - يعني : (كراريس) . فكتبت له ثم دفنها في قصره الأبيض فلما كان (المختار) قيل له : إن تحت القصر كنزاً - فاحتفره فأخرج تلك الأشعار - فن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة]^(٥) .

والذين ترجموا (ابن الكلبي) قالوا عن مصادره : إنها الوثائق المحفوظة في كنائس (الحيرة) ، والأسانيد الفارسية^(٦) .

(١) لعله يتصد نيف وأربعين بعد الثلاثمائة - حيث إن أبا الفضل من رجال القرن الرابع من معاصري ابن النديم .

(٢) الفهرست ص ٣٣٥ و ٣٣٦ .

(٣) تاريخ بغداد ص ١٥٧ .

(٤) الحضارة الإسلامية ١ / ١٣٤ .

(٥) لسان العرب ٢ / ٣١٧ طبع بيروت وتاج العروس ٢ / ٧٠ الطبعة الأولى .

(٦) راجع ترجمة (ابن الكلبي) في هذا الجزء .

والذي يستشف من هذه الروايات : أن الإيرانيين والعراقيين - كانوا شديدي الحرص على تراثهم العلمي - فمنهم : من كان يبني عليه الجدر . ومنهم : من كان يدفنه في باطن الأرض ! ! وأن بعضاً من ذلك التراث عثر عليه ووصل إلى أيدي الذين نقلوا عنه ، وأن كثيراً منه فرّ به أصحابه من العدم إلى العدم .

١٠ - والخوف على الآثار العلمية استمر إلى ما بعد الإسلام . فالقد قال ابن النديم : كان بمدينة (الحديثة) رجل يقال له : (محمد بن الحسن) يعرف بابن أبي بكرة - جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة - لقيته فأنس بي - وكان نهوراً ضئيلاً بما عنده خائفاً من (بنى حمدان) - فأخرج لي (قمطراً)^(١) كبيراً - كان رجل من أهل الكوفة خصه به - فرأيت عجباً من الآثار أخذ الزمان يتناول عليها - فكان على كل جزء أو ورقة توقيع بخطوط العلماء واحداً إثر واحد شهد على صحتها بعض العلماء - فرأيت منها : أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) وغيره من كتاب الوحي إلخ . ثم لما مات فقدنا القمطر وما كان فيه [٢].

١١ - وإذا صح بعض مما جاء في رواية (ابن النديم) عن التراث الفارسي القديم : [وقد بقيت أشياء بناحية الهند والصين كان ملوك فارس نسختها وأحرزتها هناك خوفاً مما سيحل بهم من غزو الإسكندر الذي تنبأ به نبينهم (زرادشت) وعلمهم (جاما ساب) - إلى أن استرجعها (أردشير بن بابك) الساساني^(٣) يمكن القول بأن الساسانيين تداركوا شيئاً من معارف فارس القديمة . وأضافوا إليه ما جدد على الثقافة الفارسية .

وقد هم بعض الباحثين - فضنوا : أن (سابور بن أردشير) الذي أنشأ في (الكرخ) مكتبة حافلة بألف ألف المخطوطات^(٤) هو : أحد ملوك الساسانيين . وأن الكتب التي حوتها مكتبته - هي : عين الكتب التي جمعها الساسانيون . والحقيقة : أن سابور بن أردشير - مؤسس تلك المكتبة - هو : (سابور بن بويه)

(١) القمطر - هو : ما يصفى فيه الكتاب .

(٢) النهروست ص ٦١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ .

(٤) تاريخ بغداد للأعظمي ص ١٥ ، وفيه من العروبة وما جرى فيها من ١٢٢٢ .

أسس مكتبة الكرخ سنة ٣٨٣ هـ^(١) .

- ١٢ - وليست مكتبة (سابور بن أردشير) هي الوحيدة التي وجد العرب فيها بعد الإسلام ذخائر من التراث القديم ، ونصوصاً عنه - فمما يؤكد المحققون - القدامى منهم والمعاصرون : أن مدارس (حران) و (الرها) و (أنطاكية) و (جندسابور) وكنائس (الحيرة) كانت مناهل لرواد الثقافة والباحثين عن التاريخ القديم . وأن مما نقل من (السريانية) إلى (العربية) منه ما هو : امتداد للثقافة الفارسية وتاريخ بلاد ما بين النهرين وإيران - ومنه ما هو : امتداد للثقافة اليونانية وتاريخ سورية وبلاد آسية الصغرى .
- ١٣ - ويرى (نولدكه) : أن كتاب (سير الملوك) لابن المقفع - هو : صورة عربية لمؤلف فارسي - رجح : أنه ألف في عهد (يزدجرد الثالث) - أن هذا الكتاب كان مصدراً أصيلاً لأقدم الكتب العربية والفارسية التي تناولت تاريخ (إيران) قبل الإسلام^(٢) .

ويرى (محمد التونجي) : أن أقدم أثر ثقافي فارسي يتمثل في الأجزاء التي بقيت من كتاب (زرادشت) المسمي (أفستا)^(٣) - ويؤكد الكثيرون : أن أشهر كتاب أفاد المؤرخين - هو : كتاب (محداي نامه) ، وأن (خدای نامه) الذي قام بنقله إلى العربية (ابن المقفع) قد اندثر أصله الفارسي مع الأصل العربي الذي وضعه ابن المقفع فلم يبق منه غير ما نراه منشوراً في مؤلفات ما بعد الإسلام^(٤) .

- ١٤ - وبعد ! لا إخالنا في حاجة بعد الذي تقدم - إلى جواب عن السؤال الذي عنونت به هذا البحث : ماذا وجد رواد الثقافة في العراق وبلاد فارس ؟ وإذا كان - (ابن خلدون) حقاً يتساءل كما قال (جرجي زيدان) : فأين علوم الفرس ؟ فإننا نجيب عن هذا السؤال : قد وجد العرب ما كان منها باللغة الفارسية

(١) الحضارة الإسلامية لآدم متز ١ / ٢٤٩ .

(٢) إيران في عهد الساسانيين ص ٤٦ و ٤٩٥ .

(٣) كتاب قطوف من الأدب الفارسي ص ١٣ وما بعدها ، وكتاب إيران في عهد الساسانيين

ص ٢٣ و ٤٩٥ .

(٤) إيران في عهد الساسانيين ص ٤٦ .

فی مدینة (مرو) و فی أسوار مدینة (أصفهان) و فی (قهندز) مدینة (جی) -
 وما كان بغير اللغة الفارسية وجدده العرب فی معاقل اليونانيين والسريانيين العلمية .
 أما ماضع منها فقد ضيعته الأحداث التي ضيعت الكثير من ثقافة العصور
 الإسلامية الأولى - ولا يعلم غير الله ما هو مصير المكتبات التي تفخر بها بعض
 البلدان اليوم - فما أكثر الكتب التي كانت تزهى بها المكتبات العامة والخاصة .
 فشتتها الأحداث ومزقتها أيدي الغوغاء من الغزاة فی بغداد و فی غير بغداد .

القِسْطَنطِينِيَّةُ لَمْ تَبْجَلْ بِذَخَائِرِهَا

من صحيفة ٢٥١ إلى ٢٥٨

من موضوعات البحث :

- ١ - ولدت المعارف اللاتينية بعد أن شابت المعارف اليونانية .
- ٢ - الصراع بين اليونانية واللاتينية .
- ٣ - في القسطنطينية تلاقت الثقافات الشرقية والغربية .
- ٤ - الفتوحات الإسلامية زادت في النشاط البيزنطي العلمي .
- ٥ - نوبات الفتور التي أصابت القسطنطينية .
- ٦ - النهضة العلمية العربية استفادت من كنوز القسطنطينية .

القِسْطَنْطِينِيَّةُ لَمْ تَبْخُلْ بِذَخَائِرِهَا

١ - من الحقائق التاريخية الواضحة : أن المعارف نبتت وأثمرت على ضفاف النهرين : الفرات والنيل ، وعلى شواطئ الخليج الإسلامي ، وموانئ البحر المتوسط ، وفي رومة وبلاد اليونان قبل أن تشرق الشمس على القصور التي شادها (قسطنطين الأول) على أطلال (بيزنطية)^(١) واتخذ منها عاصمة ثانية نظراً لبعدها (رومة) عما كان يهدد الإمبراطورية الرومانية من تطلع الفرس إلى ولايات رومة الشرقية .

ولم تلبث (القسطنطينية) : أن أصبحت عاصمة الإمبراطورية الشرقية بعد أن قسم الإمبراطور (تيودتيوس) في سنة ٣٩٥ م إمبراطورية الروم العظيمة بين ولديه - فكانت (رومة) عاصمة القسم (الأوربي) . وكانت القسطنطينية عاصمة القسم (الآسيوي) وكان أول من استقل بها (رقادوريوس) وكان إمبراطورها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (هرقل) .

ومن الواضح : أن تاريخ الثقافة (اللاتينية) البيزنطية متأخر بالنسبة لتاريخ الثقافات القديمة . وأن حصيلة المعارف اللاتينية في القسطنطينية تجمعت من تراث الذين سبقوا عهد (البطالسة) . وأن عهد البطالسة بدأ بعد قسطنطين الأول الذي ولد في (نيش) من أعمال (يوغسلافيا) سنة ٢٨٠ م^(٢) .

ولقد سبق : أن أشرنا إلى الصراع الثقافي الذي عقب الصراع العسكري بين الفرس واليونانيين . وأشرنا إلى الثقافة اليونانية التي انتشرت في فارس وبلاد ما بين النهرين بعد أن صهرت علوم فارس في بوتقتها . وأشرنا إلى الخفاء (الفهلوية الساسانية) أمام (السريانية الإرمية) واعتراف اليونانية المتعددة بثقافة الخط السرياني ولغته^(٣) . وكذلك تقدم الكلام عن مصير الثقافة الفرعونية ومعارف

(١) بيزنطية : اسم المدينة التي قامت على أنقاض مدينة القسطنطينية . وكانت بيزنطية مستعمرة يونانية قديمة أسسها أبناء (ميفاره) سنة ٦٥٢ ق . م .

(٢) الروم وصلاتهم بالعرب ٥١/١ .

(٣) راجع ماجاه عن الخط السرياني في الجزء الأول من هذا المؤلف ١ - ٢٠٣ .

البطالسة في مصر ، وتقدمت الظنون التي ترجع : أن كثيراً من التراث الفارسي والسريرياني تجمع في (القسطنطينية) بفعل الأحداث السياسية .

٢ - فبناء على هذه النتائج - نحن لا نستغرب : إن رأينا التنافس ينشب بين اللاتينية الرومانية وبين اليونانية الأتيكية^(١) فلقد بدأ التنافس من قبل الأحداث السياسية - وما تبعها من ظهور (القسطنطينية) في عالم الحضارات . فلقد استطاع (ليثي) أن يقدم للرومانيين ملحمة نثرية ممتثلة في مؤلفه التاريخي - كما استطاع (فرجيل) أن يؤلف لهم ملحمة شعرية^(٢) . وبقيام دولة البطالسة واستقرار نفوذهم في مصر - تجددت العناية بمدرسة (الإسكندرية) ولكن الخطوب التي أحاطت بمصر والكوارث التي حلت بها والتي لم تسلم منها الثروة العلمية في الإسكندرية - جعلت البطالسة يفكرون في دعم مدرسة (القسطنطينية) التي قامت في منتصف الطريق بين أرض الحضارات في الشرق والغرب - بعيدة عن خطر الهزات الحربية .

٣ - ففي سنة ٣٣٠م احتفل (قسطنطين الأول) بمدينته الفخمة ، ولم يأل جهداً في إغراء رجال المال والفن والعلم على الهجرة إليها والإقامة فيها ، ولم يدخر مجهوداً في جعل مدينته عاصمة منيعة جديرة بحفظ التراث الحضاري والثقافي . ومن سنة ٣٣٠م أخذت القسطنطينية تستقبل الثقافات وترحب بالكفايات التي وفدت عليها من شبه جزيرة البلقان في أوروبا . ومن شبه الجزيرة العربية في آسيا . فبذلك كان ارتباط القسطنطينية الثقافي بالشرق مثل : ارتباطها الثقافي بالغرب ، ثم بتوشج الصلات السياسية والاجتماعية بينها وبين الأقطار الشرقية - أخذت الثقافة البيزنطية - تبدو عليها الانطباعات الشرقية ، وأخذت عقلية البيزنطيين ومفاهيمهم تتمشى - فكرياً وعقائدياً ، وأخذت المسائل الكنسية تتأثر بالمنطق الشرقي وعقلية الشرقيين - وهذا هو التطور الذي قلنا عنه من قبل : إنه النتيجة الحتمية للتوسع السياسي والاختلاط العنصري والحضاري .

فنحن إذا ما بحثنا في تاريخ الثقافة الرومانية عامة والبيزنطية خاصة نجد الكثيرين من أعلام الثقافة اللاتينية : شرقيين من أبناء (حمص) و (حماة)

(١) الأتيكية لغة مقاطعة (أثينا) - قصة الأدب ١ / ٢١٩ .

(٢) قصة الأدب ١ / ٢٦٤ .

و (فلسطين) أحفاد العمالقة ، وبيروتيين من سلالة الكنعانيين — فمن رجال الثقافة اللاتينيين النوابغ : (نومانيوس) فيلسوف (آبامية) الواقعة بين (المعرة) (وحماة) الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني من الميلاد و (يورفير يوس) الحوراني الذي نبغ فيما بين سنة ٢٣٣ وسنة ٣٠٥ م و (يوسليوبوس) أسقف قيصرية الفلسطينية الأصل الذي أرخ للكلدانيين . والآشوريين . والعبرانيين . والمصريين : والذي اشتهر بمؤلفه (تاريخ الكنيسة من ظهور المسيح إلى عهد قسطنطين) . ولقد كانت (بيروت) — كما يقولون — مستودعاً هاماً للقوانين الرومانية . ومركزاً خطيراً لدرستها وتدريسها — ولقد نبغ فيها أساتذة كبار — منهم : (بابنيانوس) الحمصي الأصل — وأكثر من هذا قد اعتلى عرش القياصرة أباطرة من العرب منهم الإمبراطور (سويروس — ألكسندروس) و (فيليب)^(١) .

فلا غرو ! إن تشرقت العقائد والمعارف . ولا غرو ! إن تأثرت الثقافة البيزنطية بالفكر الشرقي وتأثر الفن البيزنطي وتلوّن باللون الشرقي .

ونحن لا نستغرب : إن رأينا النشاط ينتقل من أطراف الشام إلى مدنها متنادياً ميادين السفك والتدمير — كما فعل اليونانيون عندما أسسوا مدارسهم في أطراف النائية من إيران والعراق . وكما فعل (أفرام السرياني) الذي نزع من (نصيبين) سنة ٣٦٣ م بعد أن احتلها الفرس — إلى (البرها) — هو وأساتذة مدرسته واستقر فيها^(٢) — وإن رأيناه أخيراً يتمركز في (القسطنطينية) بعد الفتوحات الإسلامية — فلقد فرضت هزائم البيزنطيين في سورية أمام الجيوش العربية الإسلامية التي أخذت على عاتقها إعادة الهلال الخصيب المغتصب إلى قلب الجزيرة العربية الأم . وإعادة مصر العمليقية إلى الدولة العربية — لقد فرضت هذه الهزائم على البيزنطيين أن ينقلوا مدارسهم وتراثهم من (حمص) و (حماة) و (دمشق) و (القدس) و (الإسكندرية) و (بيروت) مع قواعدهم العسكرية إلى آسيا البيزنطية وإلى عاصمتها (القسطنطينية) — وينتقل مع ذلك التراث أساتذته الذين لم تتجمل لهم أهداف الفتح الإسلامي . ولم يعرفوا شيئاً عن نبوذة الحياة الإسلامية وحريتها وعدالتها.

(١) الروم وصلاتهم بالعرب ١٤/١ .

(٢) الروم وصلاتهم بالعرب ١٦٢/١ .

٤ - فمن الحقائق التاريخية : أن القسطنطينية بعد الفتح الإسلامي الذي امتد إلى حدودها وشمل بلاداً فارس وتجاوز وادي النيل إلى (ليبيا) و (تونس) و (الجزائر) و (المغرب) - أصبحت زعيمة الثقافات الإغريقية والرومانية ، وأصبح بطريركها زعيم الكنيسة الأوحده في الشرق .

ويؤكد مؤرخو القسطنطينية : أن البطالسة الذين اهتموا بمدرسة الإسكندرية ضاعفوا جهودهم في بعث النشاط الثقافي في عاصمتهم التي تكتلت فيها الكفايات بفعل مركز القسطنطينية بعد الفتوحات الإسلامية .

٥ - ويؤكدون : أن القسطنطينية لم تسلم من نوبات الفتور العلمي - فعندما يتحدث - المهتمون بالتطورات العلمية يشيرون إلى فترات ركود انتابت الحركة الثقافية في المملكة البيزنطية - ولكن فترات الركود العام الذي أصيب به النشاط العلمي - لم يسد أبواب النبوغ جميعها ، فلقد برز في مختلف الأحوال العلمية حتى في حالات الفتور - في القسطنطينية ، وفي غير القسطنطينية - مؤرخون وشعراء أخذت أسماؤهم مكانها في سجل الخالدين .

ويؤكدون كذلك : أن الحصومات السياسية وما ينشأ عنها من معارك حربية قل أن تؤثر على الصلات الثقافية ، فعندما وقعت (دمشق) و (بغداد) معتزتين بحضارتهما الإسلامية - أمام (القسطنطينية) المعتزة بحضارتها المسيحية - لم تقطع الحصومة السياسية التي ما فتئت مستعرة بين الدولتين : العربية والبيزنطية : الصلات الثقافية . فلقد كانت هذه الصلات الثقافية تبرز على أثر كل هدنة تعقد بين الفريقين . فلقد استقدم (الوليد) : الفنين من الروم لزخرفة (الجامع الأموي) في دمشق . ولقد طلب (أبو جعفر المنصور) من ملك الروم : كتباً يونانية فأجابه إلى طلبه . ولقد رحب (لاوون) بالبعثة العلمية التي أوفدها (المأمون) لتنقل له بعض المصنفات اليونانية . ولم يعترض (ميخائيل) الثالث على إرسال البعثة العلمية التي انتدبها (الواثق بالله) لاستقصاء قصة (أهل الكهف) - هذا إلى جانب المؤلفات اليونانية التي عثر عليها (هارون الرشيد) في (أنقرة) و (عمورية) والتي نقلت في عهده إلى اللغة العربية (١) .

(١) محاضرات الحضري ٣ / ٢١٩ الطبعة التاسعة .

وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى أن ما وجدته العرب في القسطنطينية لم يكن هو كل ما جمعه البيزنطيون في عاصمتهم من تراث علمي ، فالقصد أصيبت حصيلتهم العلمية بما أصيب به غيرها فتعرضت لعبث العابثين عندما قامت الانقسامات الدينية بسبب (الأيقونات - الصور والتماثيل) - التي يقدسها بعض المسيحيين ويكره بعضهم الآخر بقاءها في الكنائس - مع أن هذه الانقسامات المذهبية لم تكن على غرار الانقسامات السياسية التي منيت بها دول الفراعنة في مصر ، والبابليين في العراق فاكتملت الأوضاع وأباحت مختلف الثروات .

وكذلك لا بد لنا من أن نشير إلى أن القسطنطينية - وإن كانت مورداً معيناً من الموارد التي أروت ظمأ الثقافة العربية لم تكن المورد الأول أو الوحيد للرواد .

فالنهضة الثقافية العربية التي اتسعت آفاقها وتعددت مجالاتها قد فرضت على الرواد : البحث عن مصادر تنير لهم طرق المعرفة . ونصوص تساعد على امتداد بحوثهم التاريخية إلى أعماق الماضي - فهم لم يغفلوا عن أسفار بني إسرائيل وتراث الإغريق ومدونات السريانيين والفرس ولم يعقهم . كما تقدم . النزاع السياسي عن الحصول على ما هم في حاجة إليه مما كانت القسطنطينية تحتفظ به .

فلقد تحدث (لكرك) العالم المستشرق : مكبراً نهضة العرب العلمية - فقال : [كان كل ما في أيدي العرب من العلوم في آخر القرن الثامن للسلالة : ترجمة مؤلف للطب وبضعه كتب في علوم الكيمياء - وما كاد القرن التاسع ينصرم حتى كان العرب قد امتلكوا ناصية جميع علوم اليونان وثقافة الأقدمين] . وتحدث غيره من المستشرقين عن الكثير من رجال التاريخ الإسلامي وبناء الثقافة العربية . عن (الوليد بن يزيد) حفيد معاوية بن أبي سفيان . وعن (عمر بن عبد العزيز) خليفة الأموي العادل . وعن (المنصور) و (الرشيد) و (المهدي) و (هارون الرشيد) الخلفاء العباسيين الذين كان لهم أثر في نقل بعض العلوم إلى لغة العرب . حدث عن (أولاد موسى بن شاكر) الذين بذلوا على تعريب المعرف ما لا تعدد دولة من الدول الصغيرة تبذله اليوم في هذا السبيل (١) .

(١) راجع التعريب والمعربون في هذا الجزء وتاريخ العرب العام ٣٩١ .

وأخيراً - إن النهضة الثقافية العربية الإسلامية - إن كانت لم تعتمد على مورد واحد - وإن كانت ذخائر البيزنطيين لم تبلغ ما بلغت ذخائر أسلافهم المقدونيين ، فالقسطنطينية كانت ولا شك مورداً زاخراً لرواد الثقافة العربية أمدهم من معارف القدامى بما أفاد دراساتهم العلمية وبحوثهم التاريخية .

البحث الرابع :

السرّيانية والسرّيانيون

من صحيفة ٢٥٩ إلى ٢٦٦

من موضوعات البحث :

- ١ - أرومة السريانيين .
- ٢ - إلى متى استمرت اللغة السريانية في مجال الأدب والتأليف ؟
- ٣ - أسئلة عن السريانية في الحجاز تنتظر الجواب عنها .
- ٤ - أين كان مركز الثقافة السريانية ؟
- ٥ - أطوار الثقافة السريانية .
- ٦ - قيّمة المواد التي دُوِّنت باللغة السريانية .
- ٧ - لم يصل التراث السرياني جسيمة إلى أيدي الرواد .
- ٨ - التراث السرياني الذي بقي أفاد التاريخ والمؤرخين .

السريانية والسريانيون

- ١ - الذى يظهر من بحث ابن خلدون فى تاريخ (بابل) : أن المصادر التى كانت بين أيدي المؤرخين الإسلاميين - مثل : (ابن سعيد)^(١) و (الطبرى) وغيرهما : تؤكد : أن السريانيين هم أول من أنشأ الدولة بعد الطوفان وهم أول من أنشأ الخط واللغة واخترع كل قديم من الأشياء - ولقد علق (ابن خلدون) على ما قاله (ابن سعيد) فى هذا الشأن : [أنها مزاعم بعيدة عن الصحة - وإنما وجهه : أن السريانيين لما كانوا أقدم فى الخليقة نسب إليهم كل قديم من الأشياء] ويرجع ابن خلدون نسب السريانيين إلى (سريان بن نبيط بن ماش بن إرم)^(٢) .
- ٢ - وتؤكد روايات عديدة : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بعض أصحابه : أن يتعلم اللغة السريانية - حيث كانت السريانية عند ظهور الإسلام من اللغات الحية^(٣) وما فتئت السريانية محتفظة بوجودها فى عالم الأدب والعلم إلى ما بعد القرن السابع من الهجرة حيث نجد (ابن العبرى) المتوفى سنة ٦٨٤ هـ يؤلف كتابه (مختصر الدول) أولاً بالسريانية ثم يعيد تأليفه باللغة العربية - وما زالت اللغة السريانية حية إلى القرن الرابع عشر للميلاد - التاسع الهجرى . فى هذا القرن لاقت السريانية مصرعها فى غبار المعارك التتيرية^(٤) .
- ٣ - وما تشيره الروايات التى تؤكد : أن بعض الصحابة مثل : (زيد بن ثابت) و (عبد الله بن عمرو بن العاص) قد تعلموا السريانية فى وقت مبكر من صبح الإسلام : أسئلة لا يجد الباحث خصوصاً يستند إليها فى الإجابة عنها . فمن هذه الأسئلة : من الذى علم (زيد بن ثابت) وغيره اللغة السريانية ؟ فهل كان الأساتذة الذين تعلم منهم زيد بن ثابت وغيره حججاً زينة . يجادلون اللغة

(١) راجع ترجمته فى هذا الجزء .

(٢) تاريخ ابن خلدون ١٠٧/١ - ١٠٨ .

(٣) فجر الإسلام ١٦٦/١ .

(٤) تاريخ اللغات السامية ص ١٥٧ .

السريانية قراءة وكتابة ؟ أو هم سريان يون هاجروا إلى الحجاز ؟ وهل كان أساتذة زيد بن ثابت يدونون شيئاً باللغة السريانية عن مكة وحرمة وعن المدينة وإسلامها تستفيد منه المدارس السريانية ؟ وهل كانوا يحتفظون بمدونات كما كان اليهود يحتفظون بمدوناتهم اطلع عليها الذين تعلموا السريانية كما اطلع على الأسفار الذين تعلموا لغتها ؟

كل هذه أسئلة قد يجد من يتخصص في بحث تاريخ السريانية والسريانيين ، ويتفرغ له : الجواب عنها . أما بحث - التاريخ العربي ومصادره - فليس فيه متسع لجولة طويلة تخرج به عن موضوعه - فعليه تكفيننا الإشارة إلى هذه الأسئلة ولفت النظر إليها .

٤ - ولم يذهب (جرجي زيدان) بعيداً عن رأى (ابن خلدون) عندما قال عن السريانيين : [السريان بقايا الكلدان أو البابليين القدماء الذبت أنشأوا تمدناً ، ووضعوا علوماً هامة ، ورصدوا الكواكب . ووضعوا أسس الطب قبل الميلاد بقرون ، ثم دالت دولتهم . واستولى الفرس على بلادهم ، فذهبت معارفهم . وفتت نشاطهم الثقافي إلى ظهور النصرانية التي بعثت في السريان : النشاط من جديد . فكان لهم تأثير وشأن في تاريخ النصرانية . فلقد أنشأ السريان فيما بين النهرين نحواً من خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية ، وأشهرها مدرسة (الرها) ، وفي أوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة (قنسرين) على الفرات بتعليم فلسفة اليونانيين باللغة اليونانية] ^(١) - فجرجي زيدان يجعل تاريخ السريان ومعارفهم امتداداً لتاريخ البابليين أو الكلدان . والبابليون والكلدان - هم : إرميون نسبة إلى (إرم) بن (سام) في رأى النساين - وهم من الآرميين نسبة للآرام أى الجبال والصحارى كما في تحقيق المستشرقين ^(٢) .

وفي بحث (ولفنستون) عن اللهجات الآرامية الشرقية قال عن السريانية : كان مركزها مدينة (الرها) واسم الرها يرجع إلى أصل سرياني - هو : (أورهي) ، وقد أطلق اليونانيون عليها اسم (أدسا) . ثم أرجع العرب اسمها إلى أصله بهذا التعديل

(١) التمدن الإسلامى ٣ / ١٤٩ و ١٥٠ .

(٢) راجع بحث الشعوب العربية في جزئها الخاص الذى يأتى في كتاب العرب في أحقاب التاريخ -

الجزء الرابع .

— الرها — وحرف الاسم أخيراً إلى (أورفا) ولا تزال المدينة تعرف بهذا الاسم (أورفا) إلى هذا العصر — ويفسر (ولفنستون) كلمة (سرياني) بأنها كلمة اصطلاح عليها — عوضاً عن لفظة (آرامي) وذلك لأن المنتصرين من الآراميين لم يرضوا لأنفسهم اسم (آرامي) إذ كان هذا اللفظ في (التوراة) يمثل جماهير الآراميين الوثنيين^(١) ادعوا : أنهم سريان أي آراميون تنصروا — على أن التسمية جاءت إلى الآراميين من اليونانيين^(٢) بعد اتصالهم بهم في (سورية)^(٣) .

— ٥ — والذي يظهر من بحث ولفنستون : للآراميين — السريان — ثلاثة أطوار : الطور الأول — ويرجع تاريخه إلى ما قبل انتشار المسيحية . ويبدأ نشاطه في ناحية (الرها) ويمثل السريانيون في هذا الطور — كبار الباحثين من الوثنيين الآراميين الذين عنوا بالفلسفة اليونانية والأسفار الإسرائيلية . وقد عدّ : المستشرقون : هذا الطور قنطرة تصل الأدب السرياني بالأدب الآرامي القديم — الطور الثاني : يشمل معارف السريان من عهد انتشار المسيحية في (الرها) إلى أن فتح المسلمون العراق — الطور الثالث يبدأ من نهاية الطور الثاني إلى الغزو المغولي في القرن الرابع عشر للميلاد^(٤) .

— ٦ — ومن المؤلفات السريانية ما هو قيم نظراً للمستوى الذي بلغته اللغة السريانية — على أن علماء السريان لم ينحصر تدوينهم في اللغة السريانية . بل دونوا كذلك بالعبرية والآرامية^(٥) . ومن مؤلفات السريانيين : تراجم وتفسير في كتب التوراة والإنجيل . ومنها : بحوث في الخلاف بين (النسطورية) و (اليعقوبية) الذي بعثته الأغراض السياسية فكان البحث فيه له قيمته في ذلك الزمن . ومنها : مؤلفات في تاريخ الكنيسة السريانية — ومنها مؤلفات في الجغرافية . ولقد علمنا مما تقدم : أن بعض رجال التاريخ مثل : (ابن العبري) ألف باللغة السريانية في القرون الوسطى من العصر الإسلامي .

(١) لعل السبب في عدم الرضا بهذا الاسم : أن آرمي عند سكان الجبال يعني الجبل وسكان الجبال .

(٢) لعله يقصد أن اسم سرياني من أصل يوناني أصلته المسيحيون الآراميون عن أنفسهم .

(٣) تاريخ اللغات السامية ص ١٤٥ .

(٤) تاريخ اللغات السامية ص ١٤٧ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٧ .

ومن هذه المعلومات يظهر لنا : أن السريانيين أسهموا في مختلف المعارف ، فهم شاركوا في الفلسفة اليونانية ، وشاركوا في تفسير التوراة والإنجيل - وهم حلقوا في آفاق الثقافة العربية الإسلامية مع المحققين ، ولذلك كان التراث السرياني غنياً بالكثير مما يهم المؤرخين الذين بحثوا في حياة الماضين العلمية والاجتماعية والسياسية . فظنوا قدامى المؤرخين وظنوا المتأخرين تجمع على قدم السريانيين - وإن كانت تختلف في حقيقة - اسم (سرياني) مثلما اختلفت في مدلول اسم (إرمي) - وتجمع على أن المعارف السريانية - هي : امتداد للمعارف الإرمية وأن السريانيين لم ينزروا عن ميادين الأدب والتأليف ، فلقد كانت لهم عشرات المدارس التي انتشرت في وادي الفرات .

فاللغة (الآرامية)^(١) تمركزت في منطقة (حران) ونمت هناك من أقدم حقب التاريخ . ومن اللغة (الآرامية) انبعثت (السريانية) ولم تلبث أن فاقت أمها في خدمة المعارف علمياً وأدبياً وتاريخياً . فالصلات الرشيخة التي ربطت بين البحوث السريانية واليونانية والعبرية والفارسية بالإضافة إلى انتشار الخط الإرمي السرياني خارج العراق وفارس إلى بلاد الصين في آسيا - كل ذلك زاد في شأن السريانية وزاد في قيمة مدارسها وتراثها .

ولم يجهل الرواد في العصور الإسلامية قيمة التراث السرياني ، ولم يقصروا في الاستفادة منه ، فلقد نقلوا الكثير منه إلى اللغة العربية التي عمت الإمبراطورية العربية فلم تقو على الوقوف أمامها اللغة السريانية وغير السريانية من اللغات السامية في الشرق العربي .

٧ - والتراث السرياني كغيره عبث به القدم وصروفه ، والتطور وتجديده - فباد أكثره وضاع واختفى - فما أكثر ما يطغى الحديث على القديم !! وما أكثر ما يطوى الجديد القديم بفهومه ومقاييسه - فيطغى المنطق الفتي وأحكامه على منطق الذين أكل الدهر عليهم وشرب !! فهذه سنة التطور فأقل من القليل الذي يفلت من التفريط به والإهمال !

(١) الإرمية والآرامية كلمتان تؤديان معنى واحداً .

والتراث السرياني كغيره - قد فرّ بأكثره الحريصون عليه من العدم إلى العدم، فانطبق عليه المثل: فرّ من القتل وفي الموت وقع !! فالحرص على المدونات دفع أصحابها إلى حفظها في أماكن كانت مقابر لها كما رأينا في البحث عن علوم الفرس، فمن مؤلفات السريانيين: مؤلفات في تاريخ الكنيسة السريانية وفي غير ذلك لا تزال مدفونة في أرض الأديرة والصوامع لم تقع عليها عين الباحثين^(١).

٨- وأخيراً يمكننا أن نقول: إن مدارس (الرها) وما حولها أمدت المعارف العربية في علوم: الفلسفة والطب والطبيعة. والفلك والحساب والكيمياء والجغرافية، وقدمت لنا صوراً تاريخية لعقلية أجيال الماضي ومعارفهم - بالإضافة إلى ما وجدته الرواد في العصور الإسلامية من المؤلفات التي نقلت من اللغة السريانية إلى العربية، وما وجدته المؤرخ في تلك المؤلفات. وفي المؤلفات السريانية التأليف واللغة، والمؤلفات اليونانية التأليف السريانية اللغة - من مواد تاريخية ونصوص كان لها نفعها في معرفة ما تفيد معرفته عن دنيا السريانيين ومراحل حياة تلك الأجيال.

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٤٩.

الفصل الثامن

المؤرخون العرب ورواياتهم

من صحيفة ٢٦٧ إلى صحيفة ٢٨٨

الموضوعات :

من صحيفة ٢٦٩ إلى ٢٧٦

١ - الرواية العربية وموقف المحققين منها

من صحيفة ٢٧٧ إلى ٢٨٨

٢ - من الرواد موال وشعوبيون .

أولا : الولاء والمواي .

ثانيا : الشعبوية والشعوبيون .

الرواية العربية وموقف التحقيق منها

من صحيفة ٢٦٩ إلى ٢٧٦

من موضوعات البحث :

- ١ - صعوبة التحقيق في تراث الرواد العرب .
- ٢ - من التحقيقات المعاصرة ما يحتاج إلى تحقيق !
- ٣ - الرواية العربية بين الخققين مثل كرة القدم بين اللاعبين .
- ٤ - المختبرات الحديثة للرواية العربية .
- ٥ - فضل الرواد على محقق التاريخ .
- ٦ - كما حازت المدونات غير العربية : ثقة المؤرخين في الماضي حازت النصوص الأثرية وآراء المستشرقين : ثقة المؤرخين المعاصرين .
- ٧ - الرواية العربية غير مبرأة مما يثير الشكوك .
- ٨ - ما عذر الذين تجاهلوا المصادر العربية ؟
- ٩ - نقد الرواية العربية ليس بالجديد على الدراسات التاريخية .
- ١٠ - المصادر العربية لم يخل أكثرها من الخفائق التاريخية .

الزوايا العربية وموقف التحقيق منها

١ - ليس من السهل : دراسة التراث الذي خلفه المتقدمون من المؤرخين العرب ، ومعرفة المصادر التي نقلوا عنها والنصوص التي رجعوا إليها في الكتابة عن التاريخ العربي وعن تطوره مع الأحداث التي مرت بالبلاد العربية ، وتبعاً لما ينبجم من التلاحم العنصرى والثقافى والحضارى ، وتعانق المصالح ، وارتباط المصير مما كان له الأثر الكبير فى قضايا الشرق الأوسط وفى تلوين حياة شعوبه قبل الإسلام وبعده .

وليس من السهل : تمييز الخطأ من الصواب والأصيل من الدخيل فيما وصل إلينا من نصوص كانت وما زالت الشغل الشاغل لكثير من الباحثين . فكثرة تخمينات الذين عنوا بالنصوص التاريخية ووقفوا الثمين من وقتهم أملاً فى إزالة رواسب الزمن عن الماضى . وتخليص الحقائق من خيوط الخيال . ومزاعم التعصب . وأخطاء الظنون . وكثرة الذين تعثروا عندما هبوا لنبجدة الحقائق من هذات القدامى وكثرة التأليف التجارى الذى تطفو به الرغبة فى موالاة الإنتاج . إلى غير ذلك مما يجعل الدراسات التاريخية اليوم من الصعوبة بحيث يجد الباحث نفسه فى دوامة تدور به مع غدايد من الآراء كثير منها متناقض ومتعارض الاتجاه .

وليس من السهل : تطبيق النص القديم على النقش الأثرى الذى كشف عنه التنقيب حديثاً فاكشفنا فيه صوراً عن الماضى أكدت شكوكاً فى بعض روایات قدامى المؤرخين . ونفت عن بعضها شكوكاً أخرى . وقدمت معاديات كان يجهلها المؤرخون فى القرون الوسطى .

٢ - أجل ! ليس من السهل على من يتصدى اليوم لدراسة التاريخ : معرفة حقائقه الحقيقية لاغبار عليها . فليست البحوث جميعها التي وضعت من مؤرخين وبعثاءهم : صحيحة موفقة غير عاطفية . وليست جميعها : متعمقة مستقصية فى حكمها ضد المسئولين عن القضايا التاريخية . أو فى حكمها لمصالحاتهم . فأنت إذا ما اطلعت على بعض البحوث التي تغريك عناوينها بقراءتها وجدت منها : السطحي المتسرع -

ومنها : العاطفي المتحيز ومنها الكشكول الذي يجمع الغث والسمين - ووجدت من الباحثين من لم يستطع مع مقتضيات التحقيق صبراً ، وتجهد : المتعجرفين الذين يعتمدون على منطقهم فيما أثبتوه ، وفيما نفوه : أكثر عدداً من المتواضعين الذين لا يفرضون منطقهم على أحداث التاريخ وقضاياها فرضاً .

٣ - والدرية التي انهالت عليها الشكوك هي : الرواية العربية التي أصبحت اليوم بين المحققين ككرة القدم بين اللاعبين . فكما يتقاذف الكرة القوى والضعيف ، والماهر الذي يخطط للهدف . والأهوج الذي يخطبها خبط عشواء - كذلك الرواية العربية ، فقد تناولها المتزن القوى والمترنح الضعيف ، ولا أراني مجحفاً إن قلت : كثيرة التحقيقات التي تحتاج إلى تحقيق والتصحيحات التي تحتاج إلى تصحيح - فلقد مر بنا تحقيق (جرجى زيدان) في حريق مكتبة الإسكندرية وكيف عاد به من الصواب إلى الخطأ .

٤ - والمحك الذي تعتمد عليه كثرة الباحثين اليوم هو : النص الأثرى ، والمنظار الذي ترى به - هو : رأى المستشرقين ، ولا إخالني مبالغاً إن قلت : إن النصوص الأثرية التي اكتشفت في العصور الأخيرة ليست جميعها نزيهة من الدعاية سالمة من الغموض . وإن النقوش التي ظهرت على الأنصاب وجدر المعابد وصخور الجبال ليست جميعها فوق الشبهات . وليست جميعها لا تذكر إلا حقائق واضحة وضوحاً لا يجعل للظنون مجالاً ، وليست جميعها خالية من المؤثرات القومية والعقائدية والسياسية ، فمن الذين ينتمشون على الصخور : عنصريون متحزبون وعابثون ومشعوزون (١) . ولا أراني مبالغاً إن قلت إن آراء المستشرقين ليست جميعها من الأصالة بمكان يعصمها من الخطأ والتطرف والغرض . ولسوف يأتي بحث خاص بالآثار والمستشرقين في هذا الجزء .

ولقد سبق أن تكلمت في الجزء الأول عن حلقات التاريخ المفقودة التي كانت وما زالت مجالاً للظنون . واقدم قلت عن الخطوط القديمة : [إن الذين قرءوا هذه الخطوط ليسوا من أولئك الذين عاشوا في مدافن هذه الآثار قبل أربعة آلاف سنة - فإذا كان بعض الأسماء والكلمات العربية القريبة العهد منا ، قد حرفها المستشرقون

(١) راجع بحث : المستشرقون والآثار وعلم الجيولوجية ، في هذا الجزء .

فكيف بالأسماء والكلمات المتداوأة في العصور القديمة . . . [. وأشارت إلى العناصر التي ناصبت العرب العداء قبل الإسلام مثلما ناصبتهم العداء بعد الإسلام . فإذا كنا نحن اليوم بعد أن قدم لنا المؤرخون القدامى ما جمعه من روايات ونقلوه من نصوص ، وعلى ما تقدمه اليوم الصحف والمجلات . وما تنشره المطابع من مصنفات ما زلنا نقف من بعض أحداث الماضي لا البعيد منها فحسب بل القريب منها والمعاصر أيضاً تتأرجح بنا الظنون . وما زالت أمامنا غوامض لم نطعن إلى ما قبل عنها . فكيف بموقف الذين لم يملكو ما يملكه من وسائل النشر . وآلات التدوين - ووسائل السفر وآلات التنقيب . أمام نصوص مختلفة اللغة والمنطق ؟ وروايات نقلها جيل عن جيل تحدثت عن عصور أسدل الزمن عاينها ستاره وأفنى القدم معالم أحداثها ؟ . . .

٥ - وإذا كنا نحن اليوم - مع فخرنا بالدراسة المنظمة . والمتخصص المركز والتحقيق العلمي - نشعر بعجزنا عن الوصول إلى بعض الحقائق . فإن ما قدمه إلينا المؤرخون القدامى بدراساتهم الفردية وطرقتهم البدائية بالنسبة لتأليف في التاريخ الذي جد على العرب في عصور ما بعد الإسلام . وبالنسبة لاختلاف رواية الخبر الذي يقرءون عنه في المصادر . وخبر الذي يسمعون عنه من العامة والخاصة - حدير بالإكبار والتقدير . فلا واثمك الذين أنشأوا المدارس العربية الإسلامية . ووضعوا نواة مكاتبها . وأنمو في مختلف قناتون - يرحم الفضل في جمع شتات نصوص وحنظ عديد الروايات . وفي تصنيف وجمعه من روايات تحملوا المشاق في تحقيق أسانيدهما . ومن مدونات تكيدو لأمرين في سبيل الوصول إليها - في بلاد فارس وفي أرض الروم - وفي كشمس (الخيرة) ووع (عين تمر) وفي مدارس (السريانيين) وآطام الإسرائيليين ومخالفين الخميريين . ومن السنة معاصري الأحداث والمعنيين بالأخبار .

٦ - وإذا كنا نرى من المؤرخين القدامى : جماعة منحت منه في الأندلس والفارسية واليونانية والسريانية ثقة عظيمة . وثقت لأخبار التي دهمها معجدها ونجرها . فمن الباحثين اليوم : جماعة منحت آراء المستشرقين : ثقة عظيمة . ونقلت عن الصحف : الأخبار والتعاريفات بصوابها وأخطأها . وإذا نحن نحقق عن بواعث الثقة نجدها : واحدة - فثاماً أكبر بعض المؤرخين العرب في الماضي : سبق تاريخ العرب

غيرهم إلى التدوين وخلقوا بالتأليف المنظم ، وأحسنوا الظن برواة الأخبار - قدر العرب في الحاضر : سبق المستشرقين في ميدان التحقيق ، وخلقوا بالمقاييس التي اعتمد عليها نقدهم ، وأحسنوا الظن بالصحف والإذاعات - ومن هنا انبعثت الثقة في الماضي بالتراث القديم ، وفي الحاضر ببحوث المستشرقين ونظرياتهم وآرائهم . ومن هنا انبعث الشك في الأخبار التاريخية التي لا تركز إلى غير الرواية .

٧ - أنا لا أبرئ الروايات والنصوص التي جمعها (ابن جرير) و (الدينوري) و (اليعقوبي) و (المسعودي) وغيرهم من كل ما يريب - فهي مستمدة من مصادر غير مبرأة من الخيال والمبالغة . واكنى مع اعترافي بما في المصادر القديمة من خيال ومبالغة - أعتقد : أن كثيراً مما نظنه مبالغت أدخلها الكلدانيون والإسرائيليون واليونان - على التاريخ : حقائق ضيع الزمن الطويل أدلتها - كما ضيع الزمن التمسير أداة مواقف إسلامية بطولية . فأصبحت في نظر الخققين موضع شك وريبة - فالرواد العرب نقلوا لنا أخباراً من مصادر لا يمكن أن نشك في كل ما جاء فيها . فنحن إذا ما قابلنا ما نقل إلينا من المصادر القديمة بالنصوص الأثرية التي اكتشفت حديثاً - نجد : مما ظهر على الآثار المكتشفة حديثاً ما يؤكد النص المدون قديماً - وهذا الذي جعل بعض المستشرقين يدرك كنه ما جاء في المصادر الكلاسيكية كما قال (ديتلف نيلسون) و (غوستاف لوبون) (١) وغيرهما . وهذا الذي جعل الباحثين اليوم لا ينظرون إلى الماضي الجاهلي بالمنظار الذي كان ينظر منه الباحثون الذين عاشوا في العصور الإسلامية المتوسطة - حيث كان الرأي السائد في تلك العصور يجزم بأن ماضي العرب جديعه ماض مظلم لم يفضئه أي قبس من المعرفة ، فهم لذلك يستكثرون ما يتحدث به القدامى عن عاد وثمود والعمالة وغيرهم من سكان وادي القرى والخليج الإسلامي - العربي - ويعدون ما قيل عن دول الجزيرة العربية وعمما كان لها من سلطان في الشرق الأوسط : ضرباً من الخيال ونوعاً من الأساطير . وحيث كان المطلعون على حقائق الأحداث أقل من القليل - كما ستأتي الإشارة إلى ذلك في بحث (أعلام المؤلفين) في التاريخ) من هذا الجزء .

(١) التاريخ العربي القديم ص ٣٠ . وحضارة بابل وآشور .

ولقد أشرت في الجزء الأول إلى الذين ظنوا : أن كل تمجيد للحياة العربية في ماضيها الجاهلي - يعدّ تصغيراً لشأن الإسلام وفضله على العرب، وإلى أن هذا الاعتقاد صرفهم عن تحقيق حقب من التاريخ العربي كان من واجب المؤرخ : ألا « يصهين » عنها - كما أشرت إلى الشعوبيين الذين استغلوا هذا الاعتقاد واتخذوه وسيلة للخط من تاريخ العرب وإسدال الستار على أمجادهم .

٨ - وإني بعد الذي سبق في الجزء الأول عن حضارة الماضي العربي وثرواته - لا أرى مندوحة للبحث في إعادة الكلام عن حضارة العرب قبل الميلاد، وإنما السؤال الذي يرد هنا - هو : إذا كان لأوائلك الذين سبقوا الكشف الأثرية : العذر في شكوكهم - فما عذر هؤلاء الذين يكتبون اليوم... فنحن إن وجدنا عذراً لسلبية بعض القدامى وشكوكهم في رواية واضعي نواة التاريخ العربي في العصر الإسلامي . فإني عذر نفترضه لمقاطعة المتأخرين لرواية العربية وعدّها غشاء لا يستحق الذكر في الدراسات التاريخية . كما فعل (فيليب حتى) في مؤلفاته (تاريخ العرب العاد) و (تاريخ سورية) و (لبنان في التاريخ) وفعل غيره من الذين لا يعتمدون على غير المستشرقين وضمونهم واستنتاجاتهم ومصادرهم !

إن المستشرقين أنفسهم الذين تعرضوا لدراسة لتاريخ العربي لم يستغفروا عن المصادر العربية ولم تكن الكثيرين منهم متعصباً للبحث في تحقيق الرواية العربية . ولم تصرفهم مرارة الصبر عن الاستيعاب لتصحيح حسي الفرقاء وتطهير التحقيق . ولم يمتدوا شجعانهم عندهم اعترافاً بقميئة الرواية العربية .

٩ - حتماً ! إن نقاد الروايات التي جمعها أرغيل تكول من مؤرخين ليس جميعهم من مستحدثات الدراسات التاريخية في العصور الأخيرة . فتمتد نقدهم (بل نقدهم) في تاريخه (البداية والنهاية) بمنطقه وأساويه . ونقدهم (ابن خلدون) في تاريخه وفي مقدمته بموازينته وشكوكه . كما كان أوائل الأعلام أنفسهم يمتدحون بعضهم بعضاً فيظفرون الغلط ويبيرون الصدوب . وإنما بخبرنا في حقب عصر حمزة : التمسك بآراء المستشرقين والتعاقب بالنصوص لأكثر من رواية عربية في أكثر من قرونات المعاصرة لا قيمة لها ما دامت عقول المستشرقين لا تهضمها . أو كان هناك نقاش أثري لا يتفق معها . ولقد فات هاته التحقيقات : أن عقول المستشرقين وضمونهم

تخطئ وتصيب ، وفاتها : أن ليس كل نقش قديم صدر عن بحاثه صادق عليم -
فما أدرانا : أن الذين نقشوا النصوص : هم جميعهم من الذين لا ينقشون إلا بعد
تحقيق وتدقيق . ولا يأخذون الخبر إلا من ثقة فہم ونقاد عليم .

١٠ - لقد فات الذين تجاهلوا المصادر العربية : أن لهذه المصادر الصدارة
في تاريخ (اليمن) و (تہامة) و (الحجاز) و (نجد) و (العروض) من شمالي
(الكويت) إلى (عمان) - وأن ما جاء في المصادر العربية - وإن كان منه الغارق في
الخيال والمبالغة - لم يخل جميعه من الحقائق التاريخية . فلقد جاءت آثار اليمن ووادي
القرى وبلاد ثمود وشواطئ الخليج (الإسلامى - العربى) مؤكدة حقائق كانت في
اعتقاد المؤرخ إلى وقت قريب ضرباً من الأساطير التي لا تستحق الدرس والتحقيق .

من الرواد، موال وشعوبيون

من صحيفة ٢٧٧ إلى ٢٨١

من موضوعات البحث :

- ١ - المشوشون هم الذين يرون : أن الثقافة العربية الإسلامية سالت معنى موهوب .
- ٢ - نوبغ المولى - تنقود العلم على أنه لغة عرب .
- ٣ - الثقافة العربية فوق تنصيرية وعنصرية .
- ٤ - الثقافة العربية لم تخرج عن قلبها وتصلتها الإسلامية .

(أ) أولاً : نولاء والمولى :

- ١ - المولى كلمة عربية تخصيبية .
- ٢ - من العرب مولى .
- ٣ - المسلمون مواليهم .

(ب) ثانياً : شعوبية وشعوبيون :

- ١ - ما هي الشعوبية ؟
- ٢ - يرتبط تاريخ الشعوبية بتاريخ العناصر غير عربية في خلال الخصيب .
- ٣ - الشعوبية صنو القبالية .
- ٤ - لم يمح الإسلام العنصرية إلا فترة قصيرة ثم عدت .
- ٥ - كان التاريخ والأدب يغذيان التنافس العنصري .
- ٦ - التنافس القبلي الشعوبي جزء من التاريخ العربي .

من الزواد : موال وشعوبيون

١- يتقون المشوشون على المثل الإسلامية : إن الإسلام هو : نتيجة حتمية
 يقطعة الوعي العربي قبيل الإسلام - كأنهم لا يعلمون شيئاً عما لاقاه المسلمون من عنق
 الجاهلية وخصوصيتها . ويقفون المشوشون على النهضة الثقافية الإسلامية العربية :
 إن أكثر عباقرة المدونين والمؤلفين - موال وشعوبيون سواء أكان المدونين والتأليف
 في الفقه الإسلامي - أم في اللغة العربية - أم في تاريخ الشرق الأوسط - كأنهم لا يعلمون :
 أن أساتذة المولى والشعوبيين - هم عرب : وأن العناصر غير العربية لم تخرج الثقافة
 العربية من عروبته وإثما الثقافة العربية هي التي أخرجت العناصر غير العربية
 من أعجسيتها .

٢- لقد كبر على هؤلاء أن يعترفوا : بأن لإسلام منذ بزغت شمس لم يكن دينا
 عنصرياً طقسياً يتم الفواصل بين العرب وغيرهم . وأن الإسلام أتاح فرص لكل من
 أظلمته الراية الإسلامية - سواء أكان عربياً أم أعجمياً . سيداً أم مولى . مسلماً أم ذمياً .
 وكبر على هؤلاء - أن يعترفوا : بأن الذين تبعوا من الفرس والروم والعربيين في
 الثقافة العربية - هم : تلاميذ تلقوا معرفتهم من الأساتذة الذين أخرجتهم مدرسة
 المدينة العربية ، فائزاً الأول في مدرسة الكوفة التي أقيمت (أبو حنيفة) هو :
 (عبدالله بن مسعود القرظي) وأستاذ (سيويه) هو (خليل بن أحمد الأزدى) .

٣- كبر على هؤلاء - أن يعترفوا : بأن الثقافة العربية الإسلامية لم تحسب حدود
 القطرية . ولم تخضع للمعركة العنصرية : بل كانت وهـ ، زالت ثمادة عامة أسسها
 الكنديات على اختلاف عناصرها وعقائدها . وعلى ثقوت أرواحها .
 فكانت وهـ ، زالت مثلاً لكل ثقافة اجنابية وتحتل أكن .
 المذاهب العنصرية والمبادئ السوسية والهدوء التي جرى في العروق .
 قائم على السواسية لا يفرق بين الشرق والغرب . ولا بين المسلم والمسيحي . ولا بين
 العربي والأعجسي . ولا بين التثبير والغنى . ولقد حرص الإسلام على هذه التماسية

— ففتح الذميين الذين عاشوا بين جماهير الدواة الإسلامية : حقوقهم الاجتماعية كاملة — فلهم ما للمسلمين من حماية وحرية وفرص للتعليم — وحرص دستور الإسلام على المساواة بين المسلمين : لافضل لعربي على أعجمي إلا بالإسلام والعمل الصالح .
كبر على هؤلاء : أن يعترفوا : بأن الدواة العربية الإسلامية سبقت دول القرن الرابع عشر من الهجرة إلى تحرير الثقافة من قيود العنصرية . فإذا كنا اليوم — نجد : بعض الدول تميز أبناءها بشيء من العناية في مدارسها — فيحق لنا أن نفخر بأن المدارس الإسلامية لم تميز العربي المسلم من غيره ولم تمنحه حقاً تمنعه سواه . وإذا كنا نشاهد اليوم في بعض اجتمعات المتحضرة التمييز العنصري بأشع صورته ، فيحق لنا أن نفخر باجتماع الإسلامى الذى لا يميز العربي من الأعجمى ولا الأبيض من الأسود ولا الفقير من الغنى فكلهم في الحقوق في مرتبة واحدة .

٤ - فلا عجب ! إن نبغت في اجتمع الإسلامى الكفايات العلمية على اختلاف عناصرها ومذاهبها . ولا غرو ! إن وجدنا بين فطاحل المبرزين في جميع ميادين الثقافة ومساكنها : العربى والأعجمى والمون والسيد فى سعيد واحد . فكما يؤخذ عن (ابن عباس) يؤخذ عن (بلال) . واتقد كان (عكرمة) مولى العباس مع الطليعة التى رجعت إلى أقوالها المفسرون والمشرعون والمؤرخون .

فإذا كان رجال من غير العرب بدأوا جهداً فى إنماء المعارف العربية فليس فى هذا ما يقلل اجتهود العربى أو ينقص من قيمته . وإذا كانت المعارف غير العربية امتزجت بالثقافة الإسلامية العربية فليس فى هذا ما يقلل من فضل الثقافة العربية — أو ينقص من سؤدها . فالثقافة الإسلامية العربية — لم تخرج عن قاعدتها ولم تتلون بغير لونها . فالمسلمون وغير المسلمين من العناصر غير العربية إن أسهموا فى بناء الثقافة العربية الإسلامية ، فما أسهموا به لم يخرج عن اغتها العربية ومنطقها الإسلامى .
وإنه لخلق بنا : أن نقف قليلاً عند الموالى والشعوبيين — فالبحث فى الولاء والموالى — والشعوبية والشعوبيين ضرورى — لمصادر التاريخ ، فلقد جلس رجال من الموالى ورجال من الشعوبيين فى مصاف أوائل الرواد الذين أصبحت أقوالهم نصوصاً تاريخية اعتمد عليها المؤلفون فى التفسير والتاريخ مثل (ابن جرير الطبرى) و(ابن كثير) و(ابن الأثير) و(ابن خلدون) وغيرهم ممن حفلت المكتبة العربية بمؤلفاتهم .

أولاً : الولاء والموالى

١ - ما أكثر الباحثين في الولاء والموالى - وما أكثر الآراء التي جاءت حول هذا الموضوع ذات اليمين وذات الشمال . فشرق بعضها وغرب البعض - فمنها : آراء تسامت عن الغرض والانحراف - ومنها : آراء انحدرت عن مستوى التحقيق العلمى المزيه .

فعايننا قبل كل شيء : أن نعرف - والمولى كلمة (مولى) . وذلك هي كما فهمتها بعض المتأخرين من المصطلحات الإسلامية - تبادل على كل مسلم غير عربى - فبنى بناء على ذلك تعنى : لأعجيبى المسلم : أو أنها كلمة جديدة اختصرت بمعالجتها ثم اقتصر مدلولها فيما بعد على غير العرب ممن ينتسب إلى قبيلة من قبائل العربية لسبب من الأسباب : بعد أن كان قبل الإسلام يشهد العربى ولأعجيبى على نفسه ؟ لاشك في أن كلمة (مولى) قد سبقت الإسلام . في العرب كانوا يسمون من غير الفرد أو الجساعة : وائياً - ويسمون الفرد الذى عدت ولايته إلى أسرة أو إلى قبيلة : مولى : سواء كان عربياً أم أعجيبياً . ففي لسان العرب يقول (أبو خيثم) : مولى على ستة أوجه : (١) المولى : بن العم والأخ ولابن وعمت (٢) مولى : مولى إلى عبدك أمرك (٣) المولى : مولى المولاة - وهو الذى يسم على يدك (٤) مولى : المعتق الذى أنعم على عبده بعنته (٥) مولى : المعتق لأنه كان منقلاً ابن عم . (٦) المولى : الناصر - وجاء في لسان العرب : وكلمتك بخبر عذبة . ونشريك وحذيف - مولى . والمولى : هو : المولى . في الحديث : [أين أمية تكلمت بعير بن مولاها فنكاحها باطل] فكل من ولى أمراً فهو مولاة . وقد يختلف مدلول هذه الأسماء .

فالولاية بالفتح : في النسب والنصرة والعق . والولاية بالكسر : في الولاية . إذن : ليس المولى في لغة العرب - هو : لأعجيبى الذى يسم على يدك صاحب . ونحن إذا ما بحثنا في تراجم أعلام الرواد - نجد : أعلاماً من العرب قال عنهم الكتابون : إنهم موال - ونجد : الذين كتبوا عن الرواد لم يقتصدوا بالمولى : العنصر

(١) لسان العرب مادة ولى ١٥ ، ١٠٨ وما بعدها .

غير العربية فالذين ألفوا في التراجم لم يقصروا صفة الموالى على الأعجميين بل هم أطلقوها على كل من انطبقت عليه صفة المولى .

-٢

قد ترى : أن البحث في الولاء والموالى : قد أقحم هنا دون كبير حاجة إليه . وهذا صحيح - لولا ذلك الاتباس الذى خالط تاريخ بعض رجالات الدولة الإسلامية وبنائة ثقافتها فلقد جاء فى كتاب (حياة محمد) لمؤلفه (محمد حسين هيكل) عندما بحث المؤلف فى قضية (زيد بن حارثة) وزواجه من (زينب بنت جحش) [فأبى أخوها (عبد الله بن جحش) أن تكون أخته وهى قرشية هاشمية - وهى فوق ذلك ابنة عمه رسول الله تحت عبد رق اشترته (خديجة) ثم أعتقه محمد]^(١) . هكذا أورد (هيكل) الخبر بدون زيادة توضيح أصل زيد بن حارثة . الذى جاء نسبه فى سيره (ابن هشام) عندما تحدث عن زيد مولى رسول الله عليه السلام (زيد بن حارثة) بن شراحبيل بن كعب بن (عبد العزى) بن (امرئ القيس) بن (عامر) ابن (النعمان) بن (عامر) بن (عبد ود) بن (عوف) بن (كنانة) بن (بكر) ابن (عوف) بن (عذرة) بن (زيد اللات) بن (رفيد) بن (ثور) بن (كليب) بن (وبرة) ، وجاء فى سيرة (ابن هشام) عن قصة زيد : [أن زيد بن حارثة كان مع أمه (سعدة) (بنت ثعلبة) من بنى (معن بن طي) عندما أصابها خيل وهى فى طريقها لزيارة أهلها]^(٢) .

فزيد بن حارثة المولى هو : عربى أباً وأماً كما رأيت . وكذلك (محمد بن إسحاق) مولى آل مخزومة - الذى سوف تأتى ترجمته فى هذا الجزء مع الطليعة من رواد التاريخ هو : مثل (زيد بن حارثة) عربى - فهو (ابن إسحاق) حفيد (يسار) و (يسار) هو : أحد الرهن الذين وجدوا فى كنيسة (عين تمر)^(٣) يدرس الإنجيل . والرهبان - هى : خمسمائة رجل من قبائل العرب يقيمون على باب ملك الحيرة من اللخمين سنة ثم تجيء بدخهم ، خمسمائة أخرى رهائن^(٤) - و (عين تمر) بلدة قريبة من

(١) حياة محمد ص ٣١٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٤٧ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ١/٨٨ .

(٤) بلوغ الأرب ٢/١٧٦ .

(الأنبار) افتتحها المسلمون في أيام (أبي بكر) على يد (خالد بن الوليد) سنة ١٢هـ^(١) - ومن (عين تمر) نقل يسار إلى المدينة وأصبح مولى (عبدالله بن قيس)^(٢).

فصفة المولى - كما ترى - لا تقتصر على كل أعجمي أسلم على يد عربي - وانجال العلمي في المجتمع الإسلامي لا يختص به العربي دون الأعجمي أو السيد دون المولى والمسلم دون الذمي - فلكل فرد تحميه الدولة الإسلامية: حق في العلم والتعليم. فلكل كان لشعراء الثلاثة : (انفرزدق) و(جرير) و(الأخطل) مكانتهم في عالم الشعر. فلم تبخس النصرانية شعر الأخطل . وكانته الأدبية .

أما المسلمون - فاناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي - إنما الفضل بالتقوى . فليس هناك ما يمنع (أبا بكر الصديق) أن ينادم (صهيباً الرومي) يصل بالمهاجرين والأنصار . وليس هناك ما يمنع (عمر بن الخطاب) أن يضع (بالأ) الحبشي في مرتبة السيادة التي وضع فيها أبو بكر الصديق : [أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا] وليس هناك ما يخشاه (سلمان الفارسي) عندهما قال : [أنا ابن لإسلام]^(٣).

لقد رحبت الدولة الإسلامية بالكثير من مهمات كان عنصرهم . ولقد فتحت الثقافة الإسلامية أبوابها لكل المؤهلات على اختلاف مذاهبها . ولا خير على من عرف العربية الإسلامية إن برز في مجلاتها غير العربي . ولا خير على التاريخ العربي إن ألف فيه غير المسلمين . فالمعارف العربية لم تكن في يوم من الأيام عنصرية أو قومية . والراث العلمي العربي الإسلامي الذي أسهم فيه جميع الذين عاشوا تحت الربة الإسلامية - لم يستعجم في يوم من الأيام . وإنما الأعاجم من أبناء الدول الإسلامية - هم : الذين استعربوا وكل من يفخر بعروبة التراث العلمي يضع اليوم يد على قلبه خشية أن تتأمرك أو تتبلشف معارف الأجيال القادمة . ويتناوب على الدولة العربية أن تتدارك المعارف العربية ونعمتها بما يضمن عمرها بها .

(١) معجم البلدان ٦ / ٢٥٣ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٨١١ .

(٣) راجع المحاضرة التي ألقيتها في رابطة علماء الإسلام في ١٠ / ١١ / ١٩٨٥ .

طبعها رابطة العلم الإسلامي مع تحفيزات دم ١٣٨٥ هـ .

ثانياً : الشعوبية والشعوبيون

١- أنا عندما تكلمت عن الموالي أولاً : تكلمت عنهم بناء على ما لهم من نشاط علمي وفكري كانت له قيمته في الثقافة العربية الإسلامية. وأنا عندما أتكلم ثانياً : عن الشعبويين : أتكلم عنهم نظراً لما لهم من نشاط مفيد في التاريخ العربي . ولما لشعوبية من رد فعل عند العرب وضحت آثاره على الجهود التي واجه به العرب حملات الشعبويين في الجاهلية والإسلام .

وأنا عندما أتكلم عن الشعوبية لا بد لي من البحث عن معنى هذا الاسم : (الشعوبية) . وأنا عندما أبحث عن مدلول اسم الشعوبية - أجد : الشعوبية كما يقال عنها : فرقة من الناس ذهبوا إلى تصغير شأن العرب . فلقد قال بعض المفسرين - إن المعنيين بالمقبائل هم : العرب وإن المعنيين بالشعوب هم : الأعاجم . في قواه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ۚ لِتَعْرِفُوا ۚ ﴾ (١) . فالشعوبية اصطلاح مشتق من الشعوب - أخذ المؤلفون في العصر الإسلامي يصفون به خصوم العرب من الأعاجم فيقولون عنهم : شعوبية - فلقد جاء في الأغاني [ثم نشأ (غيلان) الشعوبي - وكان يروى عنه في عوراته بالشعب والعصبية] (٢) - ويقول (أحمد أمين) (٣) في ضحى الإسلام : [وأقدم ما وصل إلينا من الكتب التي استعملت لفظ (شعوبية) - كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ المتوفى حوالي سنة ٥٢٥هـ] .

٢- والذي يرجع إلى التاريخ العربي القديم يجد : الشعوبية في البلاد العربية قديمة قدم العناصر غير العربية في الهلال الخصيب . فالشعوبية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي كان لها شبه من عهد (آشور) . فدولة (نينوى) الآشورية تغلبت عليها العناصر التي ساعدت على قيامها مثلما تغلبت على دولة (بغداد) العباسية العناصر التي ساعدت على قيامها . فكما منى العرب في العهد الآشوري بحقد بالغت فيه العناصر التي لم يرضها النفوذ السامي (العربي) كذلك منى العرب

(١) بلوغ الأرب ١/١٦٠ .

(٢) الأغاني ٢٠/٢٢ .

(٣) كتاب ضحى الإسلام ١/٥٩ .

في العصر العباسي بحقد العناصر التي لم يرضها النفوذ العباسي العربي .
 فالشعوبية في التاريخ العربي لم تكن نتيجة للسياسة العربية - إنما هي سلبية
 الحصومات التي قامت بين العرب وبين العناصر التي تحاول الاستيلاء على مقدراتهم .
 والشعوبية لم تهدأ ثائرتها في جيل من الأجيال . فقد كانت وما زالت قوة العرب
 تخفيها . وضعفهم يظهرها . فما قصة (النعمان بن المنذر) مع كسرى عندما افتخر
 النعمان بالعرب - إلا لون من ألوان الشعوبية . والشعوبية في الحاضر العربي أنكى
 وأخبث منها في أي وقت مضى : فلقد أخذت تسندها وتخطط لها قوى هدامة
 استغلت مآزق العرب ومشكلاتهم في قلب أوضاعهم وتحطيم مبادئهم وإقصائهم عن
 عروبتهم ومقدساتهم .

والشعوبية في تحقيق المتأخرين لم تكن عقيدة محدودة التعاليم يمكن تحديدها
 وجوه الخلاف بينها وبين العروبة . فشعوبية فارس شعوبية صبغت صبغة وطنية
 تدعو إلى الاستقلال . وشعوبية القبط ظهرت في شكل عصبية للأرض وزراعتها .
 وكثيراً ما دفعت الشعوبية إلى الزندقة (١) .

٣- ونحن لا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا : إن الشعوبية عندما ظهرت في العصر
 الإسلامي ظهرت بسمات القبلية وصفاتها . فثالثاً نجد في كل صفحة من صفحات
 التاريخ الأموي والعباسي : أخبار التنافس القبلي بين المضرين واليمانيين نجد أيضاً :
 أخبار التنافس الشعوبي بين الأعاجم والعرب لاسيما في الحول العلوي ولأدب فام
 يسلم مجتمع من المجتمعات من هذا التنافس الذي رأته المدينة المنورة أخيراً لولاً من
 ألوانه عندما ظهر التنافس بين الجاورين وأهل المدينة القدامى إبان حكم التركي
 العثماني . فلقد أخذ الجاورون ينتقون عن مثالب المدائين ويأسرونهم في أسرىهم .

ولا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا : إن التنافس القبلي بين الشعوب في العصر
 بالتضايبا العربية . وشغل العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم بجماعات هم في معنى
 عنها . كان لها فعلها في فوضى العصر الجاهلي . وكان لها فعلها في تصدع التضامن
 العربي في عصور ما بعد الإسلام . وإن التنافس العنصري بين العرب والفرس أضرباً بينهما

(١) نصحى الإسلام ١/٦٠ .

معاً في المجال السياسي . ففي ما آلت إليه حال الفرس والعرب على السواء في العصر العباسي : مثل واضح لنتائج ذلك التنافس .

٤ - ففي طليعة نعرات الجاهلية التي لم يمحها الإسلام إلا فترة قصيرة ثم انتكست على أشدها : 'خيلاء العنصرية والتحزب لها . وفي مقدمة أبواق الحزبية العنصرية وطبؤها - الشعر العربي الذي يتصدره الحماس لقبيلة والفخر بالأنساب والأجداد . فلا غرو ! إن اتخذت العناصر غير العربية : الأدب العربي وسيلة لذكر ماضيها ولا غرو ! إن نشأت خصومات عنصرية بين القبائل والشعوب .

٥ - فلقد نشبت في العصر الإسلامي - معارك بين الشعوبيين المهزمين سياسياً وعسكرياً وبين العرب المنتصرين في ميادين السياسة والحروب . ولقد كان السلاح في هذه المعارك : المهجاء والمديح والافتخار بالآباء وأنسائها . والدول وأجدادها ؛ فالشعوبيين تاريخ حافل بكل ما حفلت به أرض الأنهار من خصب وثروة ورفاهية ... وللعرب تاريخ حافل بكل ما حفلت به الصحراء من انطلاق وعزة وصلابة ؛ فأخذ الشعوبيون يفتخرون بما كان لهم من سلطان غني مترف ونفوذ واسع عظيم - وينددون بما كانت عليه غالبية العرب من فقر وضعف ، وحياة مجدبة ومريرة . وأخذ العرب يفتخرون بانتصار الفقير على الغني . والجذب على الخصب . والضعف على القوة ، والحياة القاسية المنطلقة على الحياة الناعمة المقيدة .

ولقد ضمن الدستور الإسلامي للفريقين حرية الفكر والقول ما لم يكن في القول قذف . ولقد أفسحت البحوث التاريخية والأدبية المجال للمتنافسين . فتاريخ الشرق العربي حافل بما يثير حماس العنصرية ويشعل نارها . فذكريات الماضي التي تسلطت على الشعوبيين - بعثت ردود فعل عند العرب وفتحت آفاقاً جديدة في الأدب العربي وفي البحوث الاجتماعية والتاريخية . وإن امتداد البحوث التاريخية والأدبية إلى تلك الآفاق كان كسباً للمعارف العربية إلى جانب ما كسبته الثقافة العربية من احتكاكها بالثقافات اليونانية واللاتينية والفارسية ، فمن المعارك التي قامت بين العرب والشعوبيين جمعت مادة تاريخية أفادت جامعي التاريخ والمحققين في أطواره ومسالكه ، فالتنافس العنصري قبلياً وشعوبياً على مساوئته السياسية أظهر ألواناً من حياة الأمم في أرض الجزيرة ، وأفاد في معرفة الكثير من أخبار الأعاجم في ماضيهم الذهبي ومن

أخبار العرب في جاهليتهم الصلبة ، وفي إسلامهم المضيء -- وألقى أضواءً على جوانب كثيرة من حياة شعوب البلاد العربية وصلات العرب بأمم هذا الشرق .

٦- وأخيراً لست أخطئ من يقول : إن التنافس القبلي والشعوبي هو جزء من التاريخ العربي !!

۴

الفصل التاسع

مسالك زواد الناريخ وَمناهجهم

من صحيفة ٢٨٩ إلى ٣٣٨

من صحيفة ٢٩١ إلى ٢٩٨

من صحيفة ٢٩٩ إلى ٣٠٦

من صحيفة ٣٠٧ إلى ٣٢٠

من صحيفة ٣٢١ إلى ٣٢٦

من صحيفة ٣٢٧ إلى ٣٣٨

١ - المواد التاريخية .

٢ - الأنساب مادة تاريخية .

٣ - الجغرافيون العرب ورحالتهم .

٤ - الترجمة .

٥ - التعريب أو الترجمة .

المواد التاريخية

من صحيفة ٢٩١ إلى ٢٩٨

من موضوعات البحث :

- ١ - أرومة مصادر التاريخ الديني .
- ٢ - معرفة المسالك ضروري للباحث في نشأة التاريخ عند العرب .
- ٣ - من أين جمع الرواد نصوص التاريخ ؟
- ٤ - الطريق الذي سلكته مسيرة الرواد .
- ٥ - عثرات الرواد لم تمت محققى التاريخ .
- ٦ - مصادر التاريخ العربى ما زالت قيد التحقيق العلى .

المواد التاريخية

١- مثلما ألزمني البحث فيما تقدم من هذا الجزء . أن أعرف من أين وصل إلى الإسرائيليين أخبار الإنسان الأول الذي استعمر الأرض وأقام عليها حضارته قبل الطوفان . وأعرف من أين جاءوا بتفسيرهم ما نوهت به أسفار أنبيائهم عن (آدم) و (إدريس) و (نوح) و (إبراهيم) إلى غير ذلك من القصص الذي أسميتها : (التاريخ الديني) هل هو مجرد خيال ؟ - فالخيال لا بد له من قيس ينسج على ضوئه قصصه - فالإنسان لم يصل خياله إلى عالم الأفلاك فيؤلف قصصه عن عالم (المريخ) و (الزهرة) إلا بعد أن وصلت معارفه إلى شيء من حقيقة عوالم الفضاء .

ولقد وصل البحث في التاريخ الديني إلى أنه مستمد من الموعظ التي بشرت بها الأنبياء والرسل من بعد (آدم) فتناقلتها الأمم . وآخر ما وصلت إليه معارف الختقين هو : القصص السوموري الذي وصل إلى الآشوريين والكلدانيين . ومن هؤلاء وصل إلى الإسرائيليين والفرس واليونانيين والسريانيين . ومن هؤلاء أخذ الرواد من المفسرين والمؤرخين الإسلاميين ما فسروا به قصص القرآن الكريم وما جاء فيه عن أصل الخليقة وعلم (إدريس) وطوفان (نوح) كما أخذوا من قصص الخرافة أخبار (عاد) و (ثمود) و (جرهم) و (العذاريق) .

وكذلك مثلما ألزمني البحث كل ذلك - ألزمني ما زماماً بأن أسير في مسالك التاريخ العربي على وعورتها . وأن أقدم لتقاربي أوائل الرواد وأعلام المصنفين في التاريخ ليتبين معي - هاتيك المسالك ويعرف من هم أولئك الرواد الذين وثق بأقوالهم في التاريخ الذين قدموا لنا الموسوعات التي أصبحت مرجعاً لكل من يبحث في التاريخ العربي .

٢- فمعرفة المسالك التي سار فيها الرواد - ولمرحل التي قطعها مؤلفون في التاريخ حتى وصل علم التاريخ إلى هذه المرحلة من التخصص المذكر القائم على الدراسة الفنية - تلزم الباحث بأكثر من الإشارة العابرة عندما يتحدث عن نشأة علم التاريخ

عند العرب وكيف بدى بتدوينه بعد الإسلام، ومناهج المؤرخين وموضوعات مؤلفاتهم وبلغ نقاشهم وتحقیقهم - فالنصوص التاريخية التي بين أيدينا على ما لوحظ على بعضها فيما سبق - هي: ثمرة جهد جبار، ونهاية مرحلة في طريق مازال طويلاً أمام الباحثين، قطع الرواد بدايته الوعرة مستهائين الصعب مقتحمين العقبات في سبيل خبر يحققون سنده، أو بلد يصنفون مجتمعه ويتقصون أخباره.

فما لاشك فيه: أن التاريخ العربي بكل صورته الجاهلية وبكل ما كتب عنه اليونانيون والروم والفرس - لم يكن تاريخاً قائماً بذاته وعلمياً يُجمع ويدون إلا بعد الإسلام، ففي العصر الإسلامي بدأ العرب يسرون بتدوين التاريخ في الطريق الذي وصل إلينا منه.

فلقد بدأ تدوين التاريخ العربي العام مع تفسير القرآن - مثلما بدأ تدوين التاريخ الإسلامي مع رواية الحديث وتحقیق سنده، فجمع الأحاديث الواردة في سيرة النبي عليه السلام ومغازيه، وأقوال الصحابة الذين عاصروا الإسلام من بدايته - هو: المهمة الأولى التي اضطلع بها الرعيل الأول من رواد التاريخ وهو: أولى الخطوات في تأليف التاريخ الإسلامي، كما كانت أولى الخطوات في تدوين التاريخ العربي العام - هي: البحث في تراث القدامى عما جاء في القرآن الكريم من أنباء الماضين - فكان على ذلك الرعيل من الرواد - أن يسأل عن كل آية ذكرت في القرآن، ويبحث في أسفار أهل الكتاب وذخائر اليونانيين ومدونات اليمنيين وأشعار الجاهليين، ومن هنا بدأ التاريخ العربي العام، ومن هنا بدأ القصص التاريخي ودخل خيال القدامى إلى التاريخ العربي.

٣ - فن الرواة: من أخذ يبحث في الكنائس والصوامع ومدارس اليونانيين والسريانيين وقصور التبايعة اليمنيين - يجمع أخبار دول الهلال الخصيب واليمن السعيد - ومنهم: من أخذ يرتاد الأسواق العربية في المدن الإسلامية ويتنقل بين أحياء العرب يجمع أخبار الجاهلية وأشعارها ولغاتها وأنسابها.

ولقد كان بناء التاريخ يجمعون من تراث الذين سبقوهم إلى التدوين في التاريخ: أخبار الماضي القديم - كما كانوا يجمعون أخبار الجاهلية من عرب الجزيرة الذين يتوافدون على (مربد) البصرة و (عكاظ) - ولقد زاد في حرص عرب الجزيرة على

الحضور إلى سوق البصرة مزوّدین بما یحفظونه من شعر وقصص وأنساب : إقبال علماء التاريخ والأدب والأنساب واللغة عليهم بتهافت لفت نظر أذكيائهم فأخذوا يزاحمونهم في مجال الرواية والتأليف .

ومن بداية الدراسات التاريخية اهتم روادها بأنساب العرب وأنساب الأمم التي اختلط تاريخها بالتاريخ العربي ، فالأنساب مادة مهمة للمؤرخ الذي يكتب عن الشرق العربي .

ومن بداية التدوين في التاريخ العربي - ساعدت الأسماء التي عرفت بها مدن الجزيرة وقراها وأوديتها وجبالها وحرارها وسباخها - في إيضاح ما يحتاج المؤرخ إلى إيضاحه فيما كتبه عن القبائل العربية ومنازلها وطرق القوافل التجارية ومحطاتها . والمغازي وميادينها . فحاجة المؤرخ إلى معرفة جغرافية الأرض التي يكتب عن تاريخها - هي : الباعث الأول لنشوء الصلة بين التاريخ والجغرافية . فمن منتصف القرن الثالث من الهجرة ألزم كثير من المؤرخين أنفسهم بالمادة الجغرافية . فعلى نحو ما كتب مؤرخو السيرة والمغازي عن منازل الوحي في مكة . أو طريق الهجرة إلى المدينة ، وميادين المغازي والسرايا - كتب مؤرخو الفتوحات عن الأقطار التي أضتها الراية الإسلامية - ومن أوائل الذين توسعوا في الجانب الجغرافي من التاريخ : (اليعقوبي) و (المسعودي) .

ولم يغفل الرواد عما في حياة أعلام الدولة الإسلامية وزوايغها من تاريخهم في حاجة إلى الاستضاءة به فيما يكتبونه عن السياسة وإدارة في الفتوحات الإسلامية . وعن نشأة العاوم وتطورها ، وعن الأدب وفنونه . فتفرغ الكثيرون لتأليف في ترجم الأعلام .

ولم يقتصر الجهد العربي على نقل النصوص العلمية والأدبية إلى لغة العرب . بل تجاوز ذلك إلى نقل الملفات بكاملها من لغات اليونانيين والفرس والسريين والإسرائيليين إلى اللغة العربية - فامتألت مكتبات العصر الذهبي للدولة العباسية بكل ما هو ثمين ومفيد من التراث العلمي الذي ما زال نعالم بأسف لضياح أكثره في غمار الكوارث التي مرت بهذا الشرق الدامي .

هكذا تفرقت برواد التاريخ مسالك البحث . وعلى هذا النحو أخذ الرواد

يجمعون مواد التاريخ من هنا وهناك - يسرون خطوة خطوة مع الزحف الإسلامي محاولين تعويض ما فات الأمة العربية في فترة الجمود والانزواء التي سبقت الإسلام ، والتي فقدت فيها الحلقات التي تربط بين العصور المظلمة التي سبقت الإسلام وبين أمجاد العصور القديمة .

٤ - أجل ! لقد قلب الزمن للعرب ظهر المحن . فإذا بالظلام يخيم على أرض الجزيرة التي أفقر أكثرها بعد عمران . وأجذب بعد خصب . وسكن بعد حركة وضجيج وعجيج . وإذا بالعراق يصبح فارسياً وبسورية ومصر تصبحان بيزنطيتين ، وإذا باليمن يصبح فريسة لمطامع الإمبراطوريتين الحبشية والفارسية . وإذا بظلام الوثنية يلف ملة إبراهيم . وإذا بغالبية الشعوب العربية تنوء بالجهل والفقر لا تعرف شيئاً عن الماضي الذي لفظها والمستقبل الذي ينتظرها .

وهذا ما جعل مهمة الرواد الأوائل من الصعوبة بمكان . فلو لم يكن جهدهم على ما كان عليه صلابة وثباتاً وإخلاصاً لما استطاع المؤرخون فيما بعد أن يقوموا بما قاموا به من دراسات تاريخية لا تزال تتبوأ مكانتها في الثقافة العربية .

فالدراسات التاريخية في العصر الإسلامي بدأت سيرها في طريق مجهول بالنسبة للرواد الذين تقدموا المسيرة - فجاهل الطريق فرضت عليهم الاهتمام بجمع المعلومات من أي نوع كانت ومن أي مصدر جاءت . ثم العمل على التحقيق في سندها - لاسيما فيما يعود للسيرة والمغازي . والدراسات التاريخية في بداية مسيرتها وجهتها مناهج مدرسة المدينة المنورة التي عرفت بالدقة والتعمق . ثم لم تلبث أن اتسعت أمام الباحثين الآفاق وتعددت المناهج وتعددت الأهداف .

فدراسات الذين انطلقوا من نقطة البداية مثل (عروة بن الزبير) و (أبان ابن عثمان) و (محمد بن شهاب الزهري) - وإن كانت السيرة والمغازي قد استحوذت عليها هي بدون شك قد مهدت الطريق للذين قادوا القافلة بعدهم من مضايق الجوع والتبويب إلى صعيد التأليف في مختلف الموضوعات التاريخية .

٥ - ولرواد الدراسات التاريخية على ما بذلوه من حرص : عثرات لم تفت المحققين فسلطوا الأضواء عليها . وعلى الذين اندسوا بين الرواد من الذين لا يميزون الغث من السمين . وعلى الذين أغرموا بالوضع والمبالغة والخيال . فكل من أشاد بالرواد القدامى

اعترافاً بجهدهم وإعجاباً بتراثهم - يعترف في الوقت نفسه بقيمة التحقيق الذي قام به المتأخرون، وبفوائد النتائج التي وصلوا إليها، فكثرة روايات الماضين، والتناقض الذي يبدو على بعضها، وتدخّل الحزبية في نقل الأخبار، وجرأة المتحزبين على الوضع والارتجال: ورط الكثيرين من رواد الماضي في أخطاء ما زال الباحثون مشغولين بإظهارها.

٦ - فمصادر التاريخ جميعها ما زالت قيد النقد الفني والتحقيق العلمي في مكاتب المختصين في علم التاريخ الذين أخذ كل واحد منهم ينقد ويحقق ما هو في حيز اختصاصه. فالعوامل التي نشأ عنها تنوع التأليف في التاريخ - هي: من نوع العوامل التي فرضت الاختصاص في الدراسات التاريخية في وقتنا الحاضر.

وتفرق المسالك برواد التاريخ الذي نشأ عنه تفرغ بعضهم للتاريخ - السياسي، وبعضهم للتاريخ الأدبي، وبعضهم للأنساب، وبعضهم للتراجم، وبعضهم لانتقل إلى العربية - هو الذي فرض استقصاء الكلام عن مناهج الرواد، وموضوعات مؤلفاتهم - كما ألزمتنا الجهود الكبير الذي بذله نوابغ المؤلفين في تصنيف موسوعات عامة شملت جوانب التاريخ: أن نلقى نظرة عامة على مصادر التاريخ العام.

الأنسابُ مادةٌ تاريخيةٌ

من صحيفة ٢٩٩ إلى ٣٠٦

من موضوعات البحث :

- ١ - حفظ العرب أنسابهم كما حفظوا أشعارهم .
- ٢ - كل عربي ينتمي إلى قبيلة .
- ٣ - آباء القبائل .
- ٤ - الأرومات وتفرعاتها .
- ٥ - ديوان الجند في العصر الإسلامي ساعد على التأليف في الأنساب .
- ٦ - أول كتاب ألف في المثالب .
- ٧ - الشكوك حول الأنساب .
- ٨ - تلاشي الشعوب ليس دليلاً على عدم وجودها كلياً .
- ٩ - الأنساب في حاجة إلى مزيد من التحقيق لأنها من صلب التاريخ .
- ١٠ - مصادر الأنساب .

الأنساب مادة تاريخية

١- من الموضوعات التي تكرر الكلام عنها في كتب التاريخ والأدب : حرص العرب على أنسابهم - فلقد ضرب الكثيرون الأمثال على اعتزاز العرب بأنسابهم وحفظهم إياها ، فاعتزاز القبيلة بوجود شاعر بينها ينافح عنها ويتحدث بمفاخرها - لا يزيد على اعتزازها بوجود نسابة فيها يحفظ نسبها ويدافع عنه .

٢- فالأنساب في المجتمع الجاهلي : مسألة ذات شأن . فلا بد لكل عربي من الانتماء إلى قبيلة . والانتماء إما أن يعتمد على الاشتراك في الأرومة . وإما أن يأتي عن طريق الولاء الذي تقدم الكلام عنه في بحثه الخاص . ومن المألوف عند العرب : أن ينضم الرجل إلى غير قبيلته التي يشاركها في نسبها . ففي هذه الحالة ينسب إلى القبيلتين - إلى القبيلة التي انحدر من أرومتها وإلى القبيلة التي انضم إليها . أو ينسب إلى إحداهما .

٣- ولا بد لكل قبيلة من جد تنتسب إليه - وقد تطابق على بعض القبائل أسماء أمكنة مناسبات قام عليها تاريخ القبيلة مثل : (الغسانيين) فقد نسبوا إلى الماء الذي نزلوا عليه عندما هاجروا من اليمن . أو سموا حدث ارتبط به تاريخها . مثل : خزاعة فقد سموها : خزاعة لأنهم تخزعوا عن قوتهم في مكة وتابع الآخرون سيرهم من (مأرب) إلى اليمن إلى (يثرب) فاستوطنها منهم : (لأوس والخزرج) وسار الباقيون إلى (غسان) في الشمال - وهذا الذي يشوش على الباحثين في أنساب الدول والشعوب . فبعضهم يصر على أن كل شعب سمي باسم حده الأول فعمل (سبأ) و (حضرموت) و (آشور) و (خيبر) : آباء نسبيين وخصميين والآشوريين والخيبريين !!!

٤- فتتصى الأنساب في بحوث التداين بتحصير أكثر من إحداهما في حده وقد تفرعت الشعوب . ومن (الشعب) تفرعت القبائل ومن (القبيلة) تفرعت العداة ومن (العداة) تفرعت البطون ومن (البطون) تفرعت القحود ومن (القحود) تفرعت (النخلة) .

فالشعب : يشير إلى النسب الأبعد - مثل (عدنان) و (قحطان) . والقبيلة هي : فروع الشعب - مثل : (ربیعة) و (مضر) . والعمارة هي : فروع القبيلة - مثل : (قریش) و (کنانة) . والبطن هي : فروع العمارة - مثل : (بنی عبد مناف) و (بنی مخزوم) . والفخذ هو : فروع البطن - مثل : (بنی هاشم) و (بنی أمیة) . والفصيلة هي : فروع الفخذ - مثل : (العلویین) و (العباسیین) إلى غیر ذلك مما يقع فی اعتبارهم أشياء مرادفة لما تقدم مثل : (حی) و (بیت) و (عقيلة) و (أرومة) و (جرثومة) و (رهط) - وفي تحقیق (محمد بن أسعد الحرانی) جاءت علی هذا النحو : (جذام) ثم (جمهور) ثم (شعب) ثم (قبيلة) ثم (عمارة) ثم (بطن) ثم (فخذ) ثم (عشيرة) ثم (فصيلة) ثم (رهط) ثم (أسرة) ثم (عترة) ثم (ذرية) - وزاد غیره فی أثنائها ثلاثة وهي (بیت) و (حی) و (جماع) .

علی أن أكثر ما تتداوله العرب هو : الطبقات الست المتقدمة التي تبتدی من الشعب وتنتهی بالفصيلة - وقل أن تذكر العمارة والفخذ والفصيلة . وربما عبر عن كل واحد من الطبقات الست بالحی^(١) - ولقد تقدم فی بحث (الشعوبية والشعوبيون) أن المراد بالشعوب : الأعاجم وبالقبائل : العرب .

وإذا تباعدت الأنساب - صارت القبائل شعوباً ، والعمائر قبائل إلى غیر ذلك مما جاء مفصلاً فی مؤلفات الأنساب وفي البحوث التي وضعت فیها مما ساق الباحثین إلى معرفة الكثير من تاریخ الشعوب وحياة القبائل ، ومنازلها وهجراتها وأسباب انقسامها ودواعی تسميتها بالأسماء التي عرفت بها .

٥ - ولقد كان العرب فی جاهليتهم يتوارثون أنسابهم - فيحفظها الابن عن أبيه والأب عن جده ، ويحفظون معها مفاخر القبيلة والأحداث التي مرت بها ، فلما جاء الإسلام وتفرقت قبائل العرب فی طول البلاد الإسلامية وعرضها : جنوداً يحافظون علی الأمن والعدالة ويحمون الثغور من اعتداءات الموتورين ومطامع الطامحين - أنشئت (دواوين الجند) ، ويرى البعض : أن دواوين الجند التي أنشئت فی الحواضر الإسلامية - كانت نواة التأليف فی الأنساب .

(١) بلوغ الأرب ٣ / ١٨٨ وما بعدها . لقد حرصت علی ذكر هذه المصطلحات نظراً لكثرة

ورودها فی مؤلفات التاريخ مثل بنو فلان وحی فلان وعشيرة فلان وعترته إلخ .

وأول من أسس ديوان الجند - عمر بن الخطاب ، فصنّف المسلمون في ذلك
الديوان بحسب أنسابهم . وأول عالم في الأنساب في العصر الإسلامي : (أبو بكر
الصديق) ، ومن اشتهر بمعرفة الأنساب : (لسان الحمرة) و (سعيد بن المسيب)
و (النسابة البكري) و (محمد بن السائب الكلبي) وابنه (هشام) و (دغفل النسابة)
و (زيد بن الكيس النمري) و (النخار بن أوس القطاعي) و (صعصعة بن صوحان)
و (عبد الله بن عبد الحجر بن عبد مدان) .

وأول من كتب في الأنساب (أبويقظان) المتوفى سنة ١٩٠ هـ . ولم يصل من آثاره
إلا مقتطفات تناقلها المؤلفون من بعده^(١) - ولا يستبعد أن يكون (معاوية بن
أبي سفيان) دونت له مع ما دون من أخبار ابن شربة وغيره : الأنساب التي كان
(دغفل النسابة) يتحدث عنها في مجلسه . فلقد كان معاوية ولياً بأخبار العرب
وأشعارها وأنسابها - فكثيراً ما كان يسأل النسابيين مثل (صعصعة) وغيره من نسابة
العرب .

٦ - ومن القضايا التي شغلت بها المجتمعات العربية : قضية (زيد بن أبيه)
الذي أنكره (أبوسفيان) بناً له . ثم اعترف به (معاوية) أخاً له . فتمت ترقية
زبيعة الأقويل في الأوساط العربية على إثر ذلك لاعترف - تلك الأقويل التي
أقضت زياداً في بدء حياته - فراح ينقب عن مثالب لأسر معتزة بالنسب في دواوين
الجند في الكوفة . فتمد كان زياد كاتباً لعسائها - وأقضته في أواخر أيامه وبعد أن
اعترف به معاوية - فسلم أبناءه مادونه من المثالب ليدفعوا عن أنفسهم : التشنيع
بهم - فأول من ألف في المثالب (زياد ابن أبيه) ثم جاء من بعده (الشعبي) وبعض
الشعوبيين فزادوا على مادونه زياد وغالوا في التشنيع وبالغوا في التهم^(٢) .

٧ - ولقد وجدت الشكوك : الطريق واسعاً إلى ما جاء في رواية النسابيين . والشكوك
الأنساب عرضة للشكوك هي : سلسلة الأنساب التي ترتفع إلى ما قبل مولاد . فبدأ
جاء في كلام (ابن خلدون) عن الأنساب : أن النبي عليه السلام قال عندما بلغ نسبه

(١) علم التاريخ عند العرب من ٤٠ .

(٢) نشرت في مجلة المهل الغراء من قبل بعنوان : زيد ابن أبيه أو ابن أبي سفيان ؟ - أوضحت

فيه مصادر زياد وبواعث تأليفه ومصير كتابه والأدلة التي تثبت : أن زياداً أول من ألف في المثالب .

إلى (عدنان) : [من هنا كذب النسابون]^(١) - فعلى ما جاء في بحث ابن خلدون يمكن أن يقال : إن الأنساب قبل (عدنان) مشكوك في صحتها لا يمكن الاعتماد عليها. ولكن يمكن الاستئناس بها ، وإن الأنساب بعد عدنان على الرغم من سحب الشكوك التي تغطيها - يمكن الاستئناس بها لرؤية بعض الزوايا المظلمة في التاريخ العربي .

ولاشك في أن ضبط الأنساب إلى ما بعد (عدنان) أمر يستحيل تصديقه - مهما كانت حافظة العرب قوية ، ومهما كان حرصهم على حفظ الأنساب شديداً . زد على ذلك : أن شعوب ما قبل الميلاد بادت دولها وتحطم كياناتها وانصهرت بقاياها في الشعوب التي ورثت الأرض من بعدها . كما ذاب كيان القبائل العربية التي سجل لها تاريخ الإسلام مواقفها بجانب الإسلام أو ضده - فأين هم الأوس والخزرج؟ وأين هم الغسانيون؟ .. لقد ضاع اسمهم كما تلاشى وجودهم في خضم الزمن فلا أثر لكيانهم ولا عين .

٨ - على أن تلاشى الشعوب والدول - وإن يكن مع مرور الزمن : شاملاً - لا ينبغي عليه الشك في وجود الشعوب والقبائل كلياً - فلقد ظهرت على الآثار التي اكتشفت حديثاً : أسماء قبائل ذكرها النسابون قديماً - كما ظهرت أسماء قبائل وملوك وأمراء وشيوخ لم يذكرها النسابون . أو لعلهم ذكروها بأسماء غير التي جاءت على النصوص ، أو أن الذين قرءوها على النصوص حرفوها . وجميع الأسماء التي وصلت إلى الباحثين في الآثار - والتي ذكرها المؤرخون والتي لم يذكرها . والتي حرفها المترجمون والتي لم يحرفوها - لا ظل لكيانها على الأرض العربية .

٩ - وعلى ما بذله علماء الأنساب في الماضي - وما يقوم به الباحثون في تاريخ الشعوب العربية وأنسائها اليوم - ما زال التحقيق في الأنساب في حاجة إلى المزيد من التقصي والتحقيق . وما قدمه علماء الأنساب في الماضي ويقدمه الباحثون في الحاضر - هو : من صلب التاريخ - فما لا شك فيه : أن الأنساب والبحث فيها أنار جوانب هامة من جوانب التاريخ . وأن النتائج التي وصل إليها التحقيق في الأنساب - استفاد منها

(١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٣ .

كبار المؤرخين مثل (ابن جرير الطبرى) و (ابن خلدون الكندى) وما زالت قيمتها لدى المؤرخين اليوم على ما هي عليه بالأمس .

١٠ - ومصادر رواد الأنساب لا تختلف عن مصادر رواد الشعر الجاهلى وأيام العرب ، فقد حفظ العرب أنسابهم مثلما حفظوا أشعارهم . ولقد دون اللخميون شيئاً منها كما دون الحميريون ، ووجد بعضها فى أسفار بنى إسرائيل وفى مدونات اليونانيين والروم والسريانيين والفرس - ولقد أصبحت الآثار مصدراً جديداً فى العصر الراهن . وللمؤرخين فى العصر الإسلامى مصادر عديدة أخذوا عنها أنساب الفرس واليهود وغيرهم من الشعوب التى تداخل تاريخها مع التاريخ العربى .

۴

جغرافيا العرب ورحالتهم

من صحيفة ٣٠٧ إلى ٣٢٠

من موضوعات البحث :

- ١ - من مدارس العالم القديم أخذ اليونانيون علم الجغرافية . ومنهم أخذه العرب .
- ٢ - تقويم البلدان في العصر الجاهلي .
- ٣ - لم يأخذ العرب كل ما وصلهم من اليونانيين على عاهااته .
- ٤ - للعرب فضل في تطوير علم الجغرافية والرياضيات .
- ٥ - حسن العرب المعارف التي تلتصقها وزادوا عليها .
- ٦ - لم يتلقَّ العرب كل معارفهم الجغرافية من اليونانيين .
- ٧ - أوائل عربية في علم الجغرافية .
- ٨ - الجغرافيون العرب : جغرافيون وهؤرخون ورحالون .
- ٩ - البحث في تقويم البلدان مكمل لبحث في التاريخ .

جغرافيو العرب ورحالتهم

١ - يبدو على النتائج التي تؤكدتها أدلة لا يستهان بها : أن البابايين الذين عنوا بالظواهر الفلكية واستفادوا منها في توقيت الزمن : أعوماً . وأشهرراً . وأسابيع . وأياماً . وساعات^(١) - لم يسيروا جيوشهم عبر بادية الشام إلى شواطئ البحر المتوسط رجماً بالغيب . وأن الإمبراطورية الآشورية لم تصل إلى فلسطين ومصر على غير علم بما وراء أرض الرافدين من شعوب ودول . وأن السفن الفينيقية التي جابت جوانب البحر المتوسط لم تمخر عبابه وتتوغل في ضلالتة إلى أوروبا وإفريقية بأول خطى تعتمد عليها .

لذلك لم يستغرب الباحثون مما يقال عن اليونانيين الذين بذلوا جهداً خديماً المعارف الجغرافية : إنهم أخذوا مدلتهم من مدارس القديم في العراق وسورية ومصر . ولم يكن غريباً على الباحثين : أن رأوا معلومات اليونانيين عن الهلال الخصيب وعن مصر وسيناء وما وراء الصحراء الغربية المصرية - أكثر صحة ودقة من معلوماتهم عن الخليج الإسلامي - العربي . ونجد . وخراسان . و اليمن . فضائفة معلوماتهم عن قلب الجزيرة العربية - هي التي جعلتهم يطلقون : سم (اليمن السعيد) على الأراضي الممتدة جنوب الهلال الخصيب - ويطلقون : سم (إثيوبيا) على الحبشة واليمن إلى شواطيء (عمان) .

٢ - والمعلومات الجغرافية التي افترضها الباحثون في تاريخ بابل وآشور - افترض مثلها الباحثون في تاريخ دول قلب الجزيرة وجنوبها التي كانت تشيد في كل ربع آية وتنحت من الجبال بيوتاً . والتي امتد نفوذها إلى العراق وسورية ومصر - فسمت لها دول في تلك البلاد عرفت باسم (الإرميين) في العراق . و (خريرد) في نهم . و (العماليق) أو (الشاسو) أو (الحكسوس) في مصر . و (التبايعة) في اليمن .

(١) بابل وآشور ص ٥٢ .

(٢) راجع الجزء الخامس بجغرافية الجزيرة الذي يأتي ترتيبه الثالث من هذا المؤلف .

وكانت لهم طرق تجارية ممتدة من شمالي شبه الجزيرة العربية إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها. وكانت لهم صلات تجارية بالهند عن طريق الخليج الإسلامي ، وصلات بإفريقيه عن طريق (باب المندب) وصلات بسكان شواطئ البحر المتوسط عن طريق الإسكندرية .

ومن الذي يجزم به الباحثون في التاريخ العربي : أن العرب الجاهليين كانوا على علم واسع بجبالهم وأوديتهم ورمالهم ، وأن تقسيمهم قلب الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام : نجد ، والعروض ، والحجاز ، وتهامة ، واليمن ، وتعيينهم حدوداً جغرافية لكل قبيلة من القبائل العربية - مثل : أرض (غطفان) وبلاد (عبس) - يدل كل ذلك على معارف جغرافية دقيقة . وإن ماجاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني وغيره يوضح لنا : أن العرب كانوا يعرفون بلادهم حق المعرفة .

وأسماء أقسام الجزيرة الخمسة التي ذكرها ياقوت في معجمه (١) : نجد ، والحجاز ، والعروض ، وتهامة ، واليمن - تدل في معاجم اللغة العربية على الصفات الطبيعية لهذه الأقسام - فنجد الأرض المرتفعة ، وتهامة الأرض المنخفضة ، والحجاز - ما حجز بين تهامة ونجد ، والعروض الطريق في عرض الجبل (٢) - فالعرب كانوا يسمون منازل طسم وجديس : العروض - لأنها معترضة في بلاد اليمن ما بين تخوم فارس إلى أقصى اليمن (٣) .

بيد أن علم العرب بصفة جزيرتهم لم يشمل كل ما يشمله علم (الجغرافية) ، وبناء على ذلك - يرى المستشرقون : أن اليونانيين هم أساتذة المدرسة العربية الإسلامية في علم الجغرافية والرياضيات - ولكنهم يقولون : إن العرب لم يأخذوا كل ما وصل إليهم من اليونانيين على عاهاته ، فعندما تحدث (سيديو) عن علم الجغرافيا عند العرب - قال : [ويعني العرب في عهد الخلفاء العباسيين الأولين بدراسة العلوم الصحيحة . ويعولون على كتب اليونانيين في معارفهم الرياضية

(١) معجم البلدان مادة الجزيرة ٣ / ١٠٠ .

(٢) لسان العرب مادة عرض ٧ / ١٧٥ .

(٣) معجم ياقوت مادة الجزيرة - في الجزء الثالث الخاص بجغرافية الجزيرة إيضاح كامل لحدود

هذه الأقسام وأقوال العرب والمستشرقين التي وردت فيها .

والجغرافية ، ويبدو (بطليموس) دليلاً لهم ، ولا يرتضون مبادئه من غير تمحيص .
 ويأمر (المأمون) بالقيام بأرصاد جديدة في (بغداد) . وتؤدي (الأزياج) المصححة
 إلى إصلاح (المجسطي) . وما يجب الاعتراف به : أن فلكي المأمون الذين قاسوا
 درجة من دائرة نصف النهار في صحارى (سنجار) أعانوا على تصحيح (أزياج)
 بطليموس تصحيحاً - جزئياً - وقال عندما تكلم عن علم المثلثات : [وعلم
 المثلثات من العلوم الرياضية التي عنى العرب بها كثيراً لما كان من تطبيقاتها على
 علم الفلك . وعلم المثلثات مدين للعرب بما أدخلوه إليه من التحسينات الكثيرة .
 فاكسب بذلك شكلاً جديداً - فجعلوه صالحاً لبعض التطبيقات صالحاً لم
 يقدر اليونان عليه إلا بشق الأنفس]^(١) .

ويقول (جوتيه) : [إن (الشريف الإدريسي - الجغرافي) كان أستاذ
 الجغرافية الذي علم أوربة هذا العلم - لا بطليموس]^(٢) - والشريف الإدريسي
 الذي يعنيه - جوتيه - هو : (محمد بن محمد الحسني الطالبي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ)^(٣) .

٤ - فالعرب في رأى هذا البعض من المستشرقين لم يتيقنوا بمعارف اليونانيين ولم
 ينفوا عند حدودها . ورأى هذا البعض من المستشرقين لم يتجاوز الواقع - فس
 لا مرأ فيه : أن اليونانيين سبقوا العرب في هذا المضمار . فالمدارس اليونانية قدمت
 من قبل (الإسكندر الأكبر) . وأن معارف المدارس اليونانية زادها اتساعاً العلماء
 الذين رافقوا حملة الإسكندر على الشرق الأوسط . فلقد قاموا بمحاولات اكتشافية
 نجح بعضها . وبعضها أخفق . ولقد كانت تلك المحاولات بنجاحها وإخفاقها
 تجارب مفيدة للدراسات الجغرافية .

ومما لا مرأ فيه : أن للعرب - وإن سبقتهم اليونانيون إلى العالم القديم -
 والجغرافية - الفضل في تطوير المعارف اليونانية وتقدمها . فهذا علم (الجغرافيا)
 عنده (سيديو) : [وكانت لعلم الجبر عند العرب تطبيقات مفيدة . والعرب هم

(١) تاريخ العرب لعالم من ١١ : ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ .

(٢) الإسلام والخفة الجديد من ١ : ٢٢٢ .

(٣) الأعلام لمؤرخي ١ : ٢٥٠ .

الذين أطلقوا عليه هذا الاسم (الجبر) فقالوا : علم الجبر والمقابلة - ولم يثبت حتى الآن : أن أصل هذا العلم هندي [(۱)] .

۵ - وليس المحهود العربي الذي بذل لتقدم العلوم الرياضية بأقل من مجهودهم في سبيل التقدم بعلم الفلك والهندسة ، ولكن تقدمهم بعلم الجغرافية لم يكن واسع الخطى إلا في زمن متأخر ، أما خطط الجزيرة - فقد كانت عناية العرب بها من عصور الجاهلية ، ولقد زادت عنايتهم من بداية توسعهم العلمي ، وامتدت مع امتداد دولتهم ، فامتداد الدولة العربية ، واتساع مدار الفكر العربي كانا في طليعة البواعث على المبادرة بالتخطيط الجغرافي وإرسائه على قواعد علمية ، فالذكاء العربي زادته نبوغاً - علوم تعبت في الوصول إليها مدارس اليونانيين واللاتينيين والفرس ، والدولة العربية امتدت غرباً إلى المحيط الأطلسي ، وامتدت شرقاً إلى الصين ، وامتدت شمالاً إلى أبواب القسطنطينية . وامتدت جنوباً إلى بحر العرب ، وامتدت بامتدادها الطرق التجارية برّاً وبحراً وتناثرت المدن في أنحاءها - فكان لزاماً على العرب أن يعرفوا البلاد التي أظلمها الراية الإسلامية ، وكان لزاماً عليهم أن يدرسوا ما وصل إلى أيديهم من تراث ثقافي .

فالجهد العربي الذي بذل في عمل مصور جغرافي عام للمأمون : جهد لا يمكن نكرانه - فلقد اجتمعت على صنع هذا المصور - صفوة من علماء ذلك العصر ، فكان على قول (المسعودي) صورة عامة للعالم : أفلاكه ونجومه ، وبره وبحره ، وعامره ، وغامره . ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك ، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية (بطليموس) وجغرافية (مارينيوس) وغيرها - ويقول المسعودي : [إن حساب بغداد مثل : (محمد بن موسى الخوارزمي) و (يحيى بن أبي منصور) و (سند بن علي) و (أبي مقسر) وغيرهم - وجدوا : طول بغداد من المشرق (مائة درجة وعشر درجات) ووجد (بطليموس) على ما عبر عنه (تاون الإسكندراني) طول الإسكندرية من المشرق (مائة وتسع عشرة درجة ونصفاً)] (۲) .

ونقل (كرد علي) عن (بيكوردين) قوله : [نشأ توسع علم الفلك عند

(۱) تاريخ العرب العام ص ۴۱۷ وما بعدها .

(۲) التنبيه والإشراف ص ۳۰ و ۴۱ .

العرب من توسع الرياضيين منهم في الحساب لأنهم اخترعوا أساس حساب المثلثات .
 وحققوا طول محيط الأرض ، وحققوا طول (البحر الأبيض) الذي قدره (بطليموس)
 بـ (١٢ درجة) فأرجعوه إلى (٥٤) درجة أولاً - ثم إلى (٤٢) أي إلى الصحيح
 من مقداره تقريباً [(١)] .

٦- ويرى (جرجى زيدان) : [أن المسلمين بادعوا بوضع الجغرافية قبل اطلاعهم
 على كتاب بطليموس - لثلاثة أسباب - غير السببين اللذين دعوا اليونانيين أو غيرهم
 إلى وضعها . لأن العرب من أكثر الأمم فتحاً وغزواً . وقد تفرقوا بعد الإسلام في أربعة
 أقطار المسكونة . وهم - وخصوصاً في الحجاز - كانوا تجاراً من زمن الجاهلية .
 ثم اتسعت تجارتهم في الإسلام باتساع مملكتهم . أما الأسباب الثلاثة التي يمتاز بها
 العرب على سواهم - فأولها : (الحج) . والتقدم إلى مكة من مختلف البلاد الإسلامية
 يستلزم : معرفة الطرق والمنازل . وثانيها : الرحلة في طلب العلم إلى سائر الأمصار
 الإسلامية - والرحلة تستلزم : معرفة الأماكن والمناطق . والثالث : أن العرب فتحوا
 العالم . وختلفوا في طرق الفتح باختلاف البلاد . فبعضها فتح عنوة وبعضها فتح
 صلحاً . ولكل من ذلك حكمه في قسمة النىء وأخذ الجزية وتناول الخرج
 ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالتاريخ والجغرافية [(٢)] .

ومن رأيي : ألا نبالغ في كلامنا عن المعارف العربية تحزباً لعروبتنا . فمصادر
 الجغرافية - منها : ما هو عربي . وهو ما يخص صفة الجزيرة العربية . وأهم مصادر
 هذا القسم : الشعر الجاهلي . وأخبار العرب - ومنها : ما هو غير عربي - وهو ما
 يخص القواعد التي انبنت عليها النظريات الجغرافية وحسابات الفلكيين . وأهم
 مصادر العرب في هذه الناحية - هي : تراث اليونانيين ورثة معارف بابل وفينيقية .
 ٧- وأول من كتب عن الأقاليم (الكندي) حوالي سنة ٢٠٠ هـ . ويقول (آده متر) :
 [وكان (الكندي) من رؤساء حملة العلم اليوناني] (٣) - ويقول (بن النديم) في
 كلامه عن كتاب (المجسطي) لبطليموس : و [نقله الكندي نقلاً ديد] (٤) .

(١) الإسلام والحضارة ١ / ٢٢٤ .

(٢) تاريخ تمدن الإسلامى ٣ / ١١٢ وما بعدها .

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٢ / ١ .

(٤) الفهرست ص ٣٧٥ .

وأول من عني بتفسير وإخراج كتاب (المجسطى) إلى العربية (يحيى بن خالد ابن برمك) فقد ندب لهذه المهمة (أبا حسن) و(سليماً) صاحب (بيت الحكمة) (١) فأتقناه واجتهداً في تصحيحه . وتوجد نسخة سريانية (٢) منه .

وأول من دون الجغرافية من العرب على نحو ما عند اليونان (أبوزيد البلخي - أحمد بن سهل) فقد ألف في أول القرن الرابع كتاباً في الجغرافية سماه (صور الأقاليم) وقد سبق علماء الجغرافية في العصر الإسلامي إلى رسم الأرض (٣) - ثم جاء بعد البلخي (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخرى - المعروف بالكرخي - المتوفى سنة ٣٤٦ هـ) والذي قال عنه (الزركلي) (٤): إن الإصطخرى استعان بكتاب البلخي (صور الأقاليم) وإنه ألف كتابين الأول (صور الأقاليم) وقد سماه على كتاب البلخي ، والثاني كتاب (المسالك والممالك) وكل من الكتابين مطبوع (٥) . - والمسالك والممالك : اسم مشاع اتخذه غير واحد من المؤلفين في

(١) دارالكتب التي أسسها هارون الرشيد .

(٢) الفهرست ص ٣٧٤ .

(٣) التمدن الإسلامي ١١٣/٣ والأعلام ٣٤٣/٤ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع ١/٩ .

(٤) الأعلام ٥٨/١ .

٤

(٥) جاء في مقدمة كتاب (المسالك والممالك) للإصطخرى ضلع مصر سنة ١٣٨١ هـ التي حررها (محمد جابر الحسيني) : [أن الإصطخرى يختلف في بعض المسائل مع البلخي . وأن النسخ هم الذين وضعوا اسم (صور الأقاليم) إلى جانب عنوان الكتاب الأصلي الأمر الذي أشكل على دائرة المعارف الإسلامية فنسبت - كتاب الإصطخرى للبلخي ، وجعلته معولاً عليه ، والواضح من قول (ابن حوقل) : أن للإصطخرى كتاباً وأن ابن حوقل أصلحه كما يزعم ابن حوقل] .

ومما جاء في هذه المقدمة يظهر : أن الإصطخرى ألف كتاباً واحداً وأن النسخ أطلقوا عليه اسمين : صور الأقاليم ، والمسالك والممالك وهذا يتعارض مع ما جاء في كتاب الزركلي .

ولقد اطلعت على كتاب أخذت صورته الخطية نسب للإصطخرى بهذا العنوان (الأقاليم) فقط - تبتدى أول صفحة منه بما هذا نصه : [جرى يعون الله ذكر حدود المسالك ، وصفة الأقاليم ومدنها ونجارها وأنهارها مفصلاً] ثم كتب هذا العنوان (حدود المسالك ومسافاتها) وبتقابلته هذا الكتاب (الأقاليم) بكتاب (المسالك والممالك) ظهر : أن الكتابين متفقان من حيث الفصول وموضوعاتها وترتيبها - فالاختلاف الذي بينهما يدل على أن (كتاب المسالك والممالك) هو الصورة الأخيرة لكتاب الأقاليم ، فكتاب المسالك والممالك يبتدى بمقدمة منقولة تفصل ما جاء مجملًا في بداية كتاب الأقاليم - أما في غير الزيادات التي في كتاب المسالك والممالك وفي غير التنسيق - فإن كتاب (الأقاليم) لا يزيد على كونه مسودة أولية لكتاب المسالك والممالك ، وكذلك المصورات الجغرافية .

الجغرافية عنواناً لمؤلفه - مثل : (عبد الله بن أحمد بن خرداذبة المتوفى سنة ۲۸۰ هـ)
وقد قيل عن مؤلفه (المسالك والممالك) إنه يعتمد على المصادر اليونانية - ومثل :
(أبي عبيد البكري الأندلسي) - الرحالة الذي زار كثيراً من مدن الشرق والغرب
وغيرهما .

وأول من استعمل هذا الاسم (الجغرافية) للدلالة على علم (تقويم البلدان) -
هو : (المسعودي) المتوفى سنة ۳۴۵ هـ في كتابه (التنبيه والإشراف) . فقد قال :
[وأحسن ما رأيت من ذلك كتاب جغرافية لما رينوس] . وتفسير جغرافية :
قطع الأرض^(۱) . فمن منتصف القرن الرابع الهجري - أصبح يعرف علم (تقويم
البلدان) بهذا الاسم (جغرافية) أما قبل ذلك فقد كان لفظ جغرافية مقصوراً على
جغرافية (بطليموس)^(۲) .

ويقول (عبد الوهاب محمد وهيبية) : [وقد كان (فيدل دلابلاش) هو :
أول من عرف (الجغرافية) بأما علم المكان الذي سكنه الإنسان]^(۳) .

وبعد (الكندي) أخذت تظهر مؤلفات في عالم الجغرافية في القرن الثالث
الهجري ظهر كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة المتوفى سنة ۲۸۰ هـ . وكتاب
(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) لمؤلفه (محمد بن أبي بكر المقدسي - أو البشاري
المتوفى سنة ۳۸۰ هـ)^(۴) - وكتاب (المسالك والممالك) مؤلفه (محمد بن حوقل
البغدادي المتوفى سنة ۳۶۷ هـ)^(۵) . وعلى ابن حوقل والمقدسي - عتدك (آدم مترز)

= وأن لا أعلم - من هذا هو كتاب (صور الأقاليم) الذي تأليفه ابن حوقل .
الاسم (صور الأقاليم) أي بزيادة (صور) لا أو كذا . كما لا يخفى على من تصفح كتابه .
الأقاليم . وصور الأقاليم . وتسمى بـ (صور الأقاليم) على ما ذكره ابن حوقل (التنبيه والإشراف)
الحسيني) في نسخة كتاب (المسالك والممالك) [ابن حوقل] . وذكر في نسخة (مسالك)
ذكرت في نسخة (مسالك) من قراءته . وذكر في نسخة (مسالك) [ابن حوقل] . وذكر في نسخة (مسالك)
بصور الأقاليم . ولعلها هي هذه نسخة من نسخة ابن حوقل .

(۱) التنبيه والإشراف من ۳۰ طبع دار المسعودي سنة ۱۳۵ .

(۲) دمشق التمام للإسلامي حسين ميسر ۳ ۱۱۵ .

(۳) دراسات في جغرافية مصر القديمة يحيى من ۲ .

(۴) الأعلام مبرز من ۲۶ ۲۰۳ .

(۵) تفسير المسالك ۳۵۵ .

فی کلامه عن المؤلفات الجغرافية^(۱).

وقبل المقدسی - ظهرت تذكرة (أبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي المتوفى سنة ۵۳۳۷هـ)^(۲) أو سنة ۳۱۰ كما يقول آدم متر . وقد ذكر له (ابن النديم) اثني عشر مؤلفاً منها : [كتاب (الخراج) - ثمانى منازل وأضاف إليه تاسعة]^(۳) . وحوالى القرن الثالث الهجرى^(۴) - ظهر كتاب (البلدان) لمؤلفه (أحمد بن محمد الهمداني) . وقال (ابن النديم) عن الهمداني : له من الكتب كتاب (البلدان) نحو ألف ورقة أخذه من كتب الناس^(۵) - والهمداني هذا ليس المؤرخ الجغرافى (أبا محمد الحسن الهمداني المتوفى سنة ۳۳۴هـ) مؤلف كتابى : (صفة الجزيرة) و (الإكليل) . وحوالى أواخر القرن الثالث الهجرى - ظهر (ابن الفقيه) .

۸ - والجغرافيون العرب لم يقتصروا على التأليف فى تقويم البلدان . بل هم جمعوا بين التاريخ والجغرافية - مثل : (اليعموبى) و (المسعودى) . والجغرافيون العرب لم يقتصروا عند الحدود التى وصل إليها اليونانيون . ولم يكتفوا بالسماع من التجار المتجولين . بل قاموا برحلات علمية استكشافية . فلقد أخذ (اليعموبى) منذ أواخر القرن الثالث الهجرى يطوف فى الأرض يجمع المعلومات الجغرافية والتاريخية ، وكذلك فعل (المسعودى) و (المقدسى) و (أبن خرداذبة) و (قدامة بن جعفر) و (البلخى) و (ابن حوقل) - ولقد كتبوا عما شاهدوه كتابة أفادت فى الحقلين الجغرافى والتاريخى .

فنحن إذا ما رجعنا إلى كتاب (المسالك والممالك) للإصطخرى - نجد : هذا الرحالة عنى بكل ما يهم الجغرافى والمؤرخ عناية المدقق الذى لا تفوته الفرص . فلقد نقل لنا عن رجل كان يخطب فى مدينة (بلغار) : أن الليل يقصر فى الصيف بحيث لا يتهيأ للإنسان أن يسير فيه أكثر من فرسخ ، وأن النهار يقصر

(۱) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع ۲/۲ .

(۲) الأعلام ۳۱/۶ .

(۳) الفهرست ص ۱۸۸ .

(۴) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ۲/۲ .

(۵) الفهرست ۲۱۹ .

فی الشتاء بقدر ما يقصر لیل الصيف^(۱). ونجده : لم یأل جهداً فی معرفة تاریخ البلدان الی زارها وفی معرفة مجتمعا .

وفی تحقیق (آدم متز) : أن (ابن فضلان) قام برحلة إلى بلاد البلقان حوالی سنة ۳۰۹ هـ ، وأن (أبا دلف) رحل إلى بلاد آسیا حوالی سنة ۳۳۳ هـ . وجاء فی مقدمة (مهذب رحلة ابن بطوطة) المتضمنة ترجمة (ابن بطوطة) : أن أبا دلف بن مهلهل الشاعر - هو : من أقدم جوالی العرب وسياحهم رحل إلى بلاد : الهند . وكشمیر ، وأفغانستان^(۲) - ثم ألف كتابه (عجائب البلدان) - وأبو دلف هذا - ليس هو (أبا دلف العجلی) مؤلف كتاب (سياسة الملوك)^(۳) الذي ذكره (ابن الندیم) و (الزركلی) .

ولقد نوه (كرد علی) فی كتابه (القديم والحديث) بابن جبیر الكناني الأندلسي^(۴) - وابن جبیر رحالة كثير الأسفار جاب بلاد الشرق مرتین . ومؤلف يمثل أسلوب بيثته - فهو يهتم بالعبارة فی كلامه . ويتكلف السجع فی أسلوبه . ويتحرى الصدق فی الوصف . والدقة فی الرواية - أكثر مما كان فی مقدور (ابن بطوطة) أن يفعله فی تأليفه رحلاته . علی أن (ابن بطوطة) أكبر شهرة منه ورحلاته أوسع مجالاً وأكثر انتشاراً فی أيدي الناس^(۵) .

ونقل (آدم متز) عن كتاب (الفوائد فی أصول البحر) تأليف (شهاب أحمد بن ماجد السعدي) : أن (المعلم خواشیر بن یوسف بن صلاح الأركلی) سافر حوالی سنة ۴۰۰ هـ فی مركب هندي وطاف بسواحل إفريقية الجنوبية . ووضع أصول المصورات البحرية - وكانت تسمى : (الرهائيات)^(۶) .

واستأنفت (كرد علی) النظر إلى (ابن بركات النجدي) المتوفی سنة ۵۸۹۵ - علی أن الذي اشتهر فی الأوساط الأوروبية - (شهاب أحمد بن ماجد النجدي)

(۱) المسالك والمعالي للإصطخري ص ۱۳۳ طبع مصر سنة ۱۳۹۱ .

(۲) الحضارة الإسلامية فی القرن الرابع ۹/۲ .

(۳) الفهرست ص ۱۶۹ .

(۴) كتاب القديم والحديث ص ۹۶ .

(۵) مقدمة مهذب رحلة ابن بطوطة .

(۶) الحضارة الإسلامية فی القرن الرابع ۱۰/۲ .

السعدى) المتوفى سنة ٩٠٦ هـ . فلقد كان أحمد ماجد النجدى - ملاحاً جغرافياً .
 وجغرافياً مكتشفاً . ومكتشفاً مؤلفاً . ومؤلفاً شاعراً - ألف نحواً من أربعين كتاباً لم
 يضمها إلا ما جرب من النظريات ، ولقد كانت لمؤلفات أحمد بن ماجد الصدارة في
 بحوث الأوربيين - ولقد رسم في أحد مؤلفاته : مصوراً جغرافياً بين الطرق البحرية
 في المحيط الهندي تلك الطرق التي كانت تشغل بال ملاحى العالم في عصر ابن ماجد^(١) .
 وما أكثر الرحلات التي ألفها الرحالون والمؤرخون الذين زاروا الحجاز حاجين
 فكتبوا عن المدن الحجازية . ومجتمعاتها . وما أثرها وساروا في طرق الحاج على ما
 كانت عليه من وعورة . وما كان يكمن فيها من أخطار . ومن أشهر مؤلفات
 هؤلاء (الرحلة الحجازية) لمؤلفها (محمد لبيب البتنونى المتوفى سنة ١٣٥٧ هـ) و (مرآة الحرمين)
 لمؤلفه (إبراهيم رفعت) وما أكثر الفوائد التاريخية التي حصل عليها من هذه الرحلات
 المؤرخ الذي يكتب عن ماضى الحجاز وحاضره - على ما فيها من روايات خاطئة
 سمعها أولئك الرحالة من أفواه الذين اتصلوا بهم ولم يجدوا وقتاً لتحقيقها - مثل
 الرواية التي سمعها مؤلف كتاب مرآة الحرمين - من الذين رافقوه في تجواله بأجزاء
 المدينة المنورة عن الفندق الذى بناه والدى (عبد الله مدنى) في المدينة بباب
 الحبيدى في العصر العثمانى - والذى ابتاعته من الحكومة السعودية لجعله داراً للعجزة -
 ثم هدمته لتبنى على أرضه مدرسة عامة للبنات . فلقد روى لمؤلف مرآة الحرمين
 (إبراهيم رفعت) : أن عدد غرف هذا الفندق تبلغ ثلاثمائة وخمسة وخمسين
 غرفة على عدد أيام السنة الهجرية - والواقع : أن عدد غرف هذا الفندق لا تزيد
 على المائة والثمانين غرفة^(٢) .

فما لاشك فيه : أن كل رحلة من الرحلات التي وصلت إلى عصرنا لم تخل من
 المادة التاريخية والجغرافية - منها : نصوص علمية نادرة الوجود . ومنها : قصص
 شعبية كثيرة الانتشار . وأكثر هذه المواد التاريخية التي نجدتها في الرحلات :
 العلمية منها والشعبية مفيدة للبحث التاريخى تزيد قيمتها كلما تقادم عهدها . وأن
 فى كل معجم من معاجم البلدان التي بين أيدينا : وصفاً يصور المدن ومجتمعاتها ،

(١) مجلة العرب لصاحبها حمد الجاسر - الجزء الأول ، السنة الثالثة ، رجب سنة ١٣٨٨ ، ويقول

آدم منزله كتاب (الفوائد) مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس ، الحضارة الإسلامية ١٠/٢ .

(٢) مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت باشا ، مطبعة دار الكتب المصرية ٤٠٨/١ .

ومن هذه المعاجم : الدقيق الواضح - ومنها : السطحي المشوش . وأكثر هذه الصور التي نراها في المعاجم : دقيقة أو سطحية - هي : مرآة لحضارات الماضي ونشاطات مجتمعاته في تنظيم الحياة المدنية . وإقامة الأسواق التجارية . وبناء المتاحف . وإنشاء المكتبات التي لم يهمل مؤلفو المعاجم والرحلات - ذكرها والحديث عما حفلت به من نفائس التراث العلمي .

وأعمّ وأهمّ المعاجم التي وصلت إلينا : (معجم البلدان) لياقوت الحموي ، فقد كان هذا المعجم وما زال من أهم المصادر التي يرجع إليها المؤرخون . ومن أكثرها شمولاً للمدن وتاريخها . فلقد جمع بين الوصف الذي يصور مشاهد الماضي وبين النص الذي يتحدث عن تاريخه - وأكثر الرحلات انتشاراً بين الناس : رحلة ابن بطوطة . فرحلة ابن بطوطة على ما في أساطيرها من عامية . وما في وصفها من سطحية - كانت وما زالت ذات قيمة تاريخية بالنسبة للأوضاع والنظم الاجتماعية في عصر ابن بطوطة .

فالبحت في تقويم البلدان وصفها . وحدود المسالك ومسالكها . وحية الأمم أخلاقياً وحضارياً وفكرياً - هو : جزء مكمل لتاريخ . وتقد نشأت الصلة بين التاريخ والجغرافية منذ بدأ علماء التاريخ والجغرافية عند العرب . فقد جمع أوائل المؤلفين في السيرة والمغازي بين النص التاريخي والوصف الجغرافي عندما تحدثوا عن الوحي ونزوله في غار حراء . وعندما تحدثوا عن هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة والطريق التي سلكها إليها والطريق التي سلكها من المدينة إلى (بدر) إلى غير ذلك مما جاء في السير والمغازي . فلم يكن رواد التاريخ ومؤرخين فحسب بل كانوا جغرافيين أيضاً . ولم يكن رواد جغرافية جغرافيين فحسب بل كانوا مؤرخين أيضاً . وهذه الصلة التي نشأت بين التاريخ والجغرافية حافظ عليها المؤلفون في تاريخ إلى العصر العثماني - أو بالأصح إلى أن نشأ التخصص في الدراسات الجغرافية على اختلافها .

التراجم

من صحيفة ٣٢١ إلى صحيفة ٣٢٦

من موضوعات البحث :

- ١ - نشاط مشر - المؤلفات في التراجم .
- ٢ - قيمة التراجم .
- ٣ - مزج التاريخ بالتراجم والتراجم بالتاريخ .
- ٤ - مدى تحقيق المؤلفين في التراجم .
- ٥ - التراجم عمل أفاد الدراسات التاريخية .
- ٦ - مصادر المؤلفين في التراجم .

۴

التراجم

١- لم يكن جهد الذين عنوا بالتراجم بأقل من جهد الذين عنوا بالأنساب . ولا أقل من جهد الذين عنوا بالجغرافية . فالصعوبات التي واجهت هؤلاء في طريقهم ليست بأقل من الصعوبات التي واجهت أولئك . ولم تكن قيمة المادة التاريخية في التراجم بأقل من قيمة المادة التاريخية في الأنساب والجغرافية . فالأخبار التاريخية التي جاء بها البحث في أنساب الشعوب والقبائل ومنازلها وهجرتها . وفي مواقع المدن وطرقاتها ومجتمعاتها - ليست بأكثر من الأخبار التي جاء بها البحث في حياة رجال الحديث وقادة الفتح . وأعلام الأدب والتاريخ .

فلقد بذل مؤلفو التراجم جهداً كبيراً في معرفة ما استطاعوا معرفته من حياة الصحابة والتابعين من رجال التفسير والحديث وأبطال الفتوحات الإسلامية وقادة الجيوش . ومن حياة الولاة والقضاة ورجال الإدارة الإسلامية . ومن تاريخ رجال الفقه وأعلام الحفاظ ونوابغ الشعراء وعباقره النثر العربي .

٢- فالمؤرخ الذي لا يهسه التحقيق . والباحث الذي يتعبه الاستقصاء - هما : اللذان لا يقدران قيمة المؤلفات التي وضعت في التراجم - مثل : (الاستيعاب) و (الإصابة) و (أسد الغابة) و (مرآة الجنان) و (الدرر الكمينة) و (تذكرة الحفاظ) و (الشعر والشعراء) و (الطبقات) و (معجم الأدباء) وغير هذه من المؤلفات التي تحدث مؤلفوها عن حياة بناة تاريخنا السياسي والعلمي والأدبي فكثير من التراجم مملوء بالأحداث التاريخية . وكثير من المؤلفات في التراجم على طراز المؤلفات في التاريخ - كما جاءت بعض المؤلفات في التاريخ بأسلوب التراجم . فأكثر الكتب التي وضعت في التراجم تؤرخ الحوادث . وتورد أهم ما يكتنف حياة المترجم له مما يراه المؤلف مهماً لموضوع مؤلفه . ولقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية : [امتزج التاريخ بالتراجم في عهد متقدم . وشاهد ذلك : تلك التواريخ التي تقوم على السير . وكان هذا الأسلوب في التأليف ملائماً كل

الملاءمة لأولئك الذين كتبوا تواريخ الوزراء مثل : (محمد بن عبدوس الجهشياري المتوفى سنة ٢٣١) (١).

٣ - إن مزج التراجم بالتاريخ . والتاريخ بالتراجم - أمر لا مفر منه لا للذين يكتبون في التاريخ ولا للذين يكتبون في التراجم . فكل إنسان في هذه الحياة له دوره في صنع التاريخ ، ومن الطبيعي أن تتفاوت أهمية الأدوار ، فالجندی في ساحة الوغى . والعامل بين جدران المصنع ، والفلاح في حقله ، والتاجر في خانوته ، والفقيه بين كتبه ، والكاتب بين طروسه ، والمخترع بين تجاربه ، والفنان بين آلات فنه . إلى غير هؤلاء ممن يقومون بأدوارهم في مختلف مجالات الحياة - لكل واحد منهم : نصيب في صنع تاريخ جيله . فكيف بالأعلام الذين كانت حياتهم جزءاً من التاريخ حافلاً بالأحداث ! ! فما أكثر الذين سجلوا على صفحات التاريخ سطوراً خالدة لم يمحوها القدم .

وليست المادة التاريخية في التراجم من نوع واحد - بل هي تتلون بلون الناحية التي تفرغ لها المترجم له ، والمسئولية التي قام بأعبائها . وليست المادة التاريخية في التراجم في مستوى واحد - بل هي ترتفع وتنخفض ، وتتسط وتتعقد . وتتنز وتطرف ، حسب معارف المؤلف ومعلوماته وأمانته واعتداله وأسلوبه وقدرته على استجلاء الحقائق والتخلص من المبالغة والحزبية .

٤ - وقليل ما هم أولئك الذين ينكرون جهد الأمانة في التراجم مثل - (ابن سعد) و (ابن عبد البر) و (ابن الأثير) وغيرهم ممن بذل مجهوداً موفقاً في تحقيق حياة الأعلام - تحقيقاً مستفيضاً واسعاً اشتملت عليه موسوعات وضعت في معرفة الصحابة والقادة والقضاة والحفاظ والمؤرخين والأعيان والشعراء وغيرهم من رجال الثقافة والسياسة والفنون - فنحن إذا ما علمنا : أن (ابن عبد البر) حقق في كتابه (الاستيعاب) تراجم ثلاثة آلاف وخمسمائة صحابي ، وأن عدد الذين ترجم لهم (ابن الأثير) بلغ : سبعة آلاف وخمسمائة وخمسين صحابياً - نعرف مدى سعة المؤلفات في التراجم . والحدود التي بلغها جهد الباحثين ، ومدى النشاط الذي

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٤٧

يحتاج إليه جمع المعلومات عن هذه الآلاف . وتدوينها في مؤلفات أضاعت للباحثين مجاهل وكشفت أسراراً !!

ونحن إذا ما سمعنا : أن (ابن حجر) يقول عن (عز الدين بن الأثير) وعن كتابه (أسد الغابة) : [إلا أنه تبع من قبله فخلط من ليس صحابياً بهم . وأغفل كثيراً من التنبيه على كثير من الأوهام الواقعة في كتب من سبقوه] - ونحن إذا ما سمعنا : أن على كتاب (الاستيعاب) استدرجات وضحتها الذين درسوا (الاستيعاب) وناقشوا ما ورد فيه ونقدوه . وأن (أبو موسى المديني) استدرج على (ابن منده) فأضاف إلى مؤلفه ملاحظاً^(١) - تتجلى لنا : دقة النقد وسعة التحقيق ومدى ما تعرضت له المؤلفات العربية من تمحيص وغرابة وتصفية .

٥- ونحن إذا ما رجعنا إلى التراجم سواء العام منها والخاص . نجد لها : عملاً أوفاد الدراسات التاريخية . ونجدها رافقت التاريخ من بداية الطريق تحمل المشاغل للباحثين في التاريخ . فتراجم الذين عذبوا في مكة . والذين هاجروا إلى الحبشة . والذين حضروا بيعة العقبة . والذين شهدوا بدرًا وأحداً . والذين بيعوا تحت الشجرة . هي فصول من التاريخ الإسلامي مثلما كانت حياة أبطال المتوحدين الإسلامية ومؤسسي الثقافة هي أيضاً : جزءاً منه . فلا كثرية الذين تحدث عنهم : لوقى وابن سعد في طبقاتهما . وابن قتيبة في معارفه . وابن عبد البر في مستيعبه . ووقف لها أثرها في بناء التاريخ . مثلما كان المؤلفات التي عنيت بترجم الخلفاء والأمراء والقادة والشعراء والمؤسسين وغيرهم ممن أسهبوا في مختلف العهود والتمويل جمع كبير نالين بصورون حياة الماضي صورة وعظمة لينة مستغيبين من كل من الإخفاق والنجاح وعظمة . وفي كل جانب من جوانب الماضي مثل استقراء منه الذين لا يسخرون من التجارب .

٦- ومصادر المؤلفين في تراجم أعلام الإسلام ساهوا وختموا برونهم في تراجم جامعوها على حفظ أسانيدهم . أم، غيرهم فمصدرهم تراثنا العربي القديم إلى أيادي المؤلفين في الماضي والحاضر .

(١) الإصابتة في تمييز الصحابة ٣/١ وما بعدها .

۷

التعريب والترجمة

من صحيفة ٣٢٧ إلى ٣٣٨

من موضوعات البحث :

- ١ - التعريب أو الترجمة .
- ٢ - كيف استقبل العرب قافلة التطور الثقافى ؟
- ٣ - من أعلام المعربين .
- ٤ - عوامل الاهتمام بتعريب التراث الفارسى وانتشاره .
- ٥ - التعريب فى العصرين الأموى وعباسى .
- ٦ - أخطاء المعربين .
- ٧ - ترجمة ابن المقفع .
- ٨ - أثر ما نقل إلى العربية على العقلية التاريخية .

التعريب أو الترجمة

١- أكثر الناس لا يقول : هذا الكتاب معرب . أو يقول : فلان عرب ذلك الكتاب . فلقد اصطلح الكثير على أن يقول : هذا الكتاب - مترجم . وترجم فلان ذلك الكتاب - بناء على ما جاء في معاجم اللغة : (الترجمان) بفتح التاء وضمها - هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة . سواء كان النقل من العربية إلى الفارسية أو من الفارسية إلى العربية . أما التعريب فن معانيه : تعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوه به العرب على مناهجها - تقول : عربته العرب أو : (أعربته) ^(١) - مثل : (دمشق) و (إستبرق) ومثل : (تلفون) و (دركسون) .

فالذي يبدو : أن الكلمتين - التعريب والترجمة - لم توضعا في اللغة العربية لمعنى يخص : النقل من لغة أعجمية إلى اللغة العربية . فالترجمة - معناها عام لا يقتيد بالنقل إلى العربية . والتعريب خاص بتعريب حروف الكلمة لا معناها الأعجمي تمظاً ورسمياً - وترجمة كتاب من لغة ما إلى اللغة العربية - هو : نقل المعنى إلى العربية مع تعريب الكلمة التي لا توجد في اللغة العربية كلمة تقابلها أو التي لا يمكن نقل معناها مثل الأسماء .

غير أنني أرى : أنه لو عرفت كلمة (تعريب) فاستعملها على كل ما ينقل إلى العربية تمظاً ومعنى . فإنه لا يخرجها عن معناها . وإنما تحصلها تعريب معنى مع المنطق . فتعريب المعنى مع المنطق يزيد الكلمة تعريباً . وأرى : أن ترك كلمة (ترجمان) على عوديتها - وإنما ترائي : أفضل كلمة (معرب) على كلمة (مترجم) لكل ما ينقل من لغة إلى اللغة العربية . على أنني لا أخطئ من يتمسك بهذا (مترجم) .

٢- والشرق العربي - هو : أكثر بلاد الله ازدهاراً وعمراً ونحو . وبلدان والحضارات . فقبل الإسلام تلاقفت في شمال الجزيرة وجنوبها حضارتان من

(١) لسان العرب .

مختلف الجهات بمتنوع الأفكار ، واللغات ، والمعارف ، والعقائد ، والتقاليد ، والأساليب في معالجة مشكلات الحياة . فتمخض التلاقي عن متناقضات شملت كل صغيرة وكبيرة في الأخلاق الاجتماعية ، والاتجاهات السياسية ، والتقاليد العقائدية ، والمظاهر الحضارية - وتمخضت هذه المتناقضات عن متاعب واجهت الذين تحملوا مسئولية السير بالثقافة مع قافلة التطور .

واقدم وصلت القافلة إلى العرب في العصر الإسلامي - حاملة ما حصلت عليه من أفكار وتجارب الأجيال في آلاف السنين بكل ما فيه من أساطير وخيال القرون السحيقة . فأقبل رجال العلم ينقلون إلى العربية كل ثمين مفيد . وأقبل معهم أدعياء المعرفة ينقلون ما يتلاءم مع مداركهم من أساطير يلونونها بما تهواه أخيلتهم . وأقبل العلماء على ما نقل إليهم يوالون الدراسة والتجارب . وأقبل معهم النقاد يفتنون الغث من السمين والخيال من الحقيقة . واندس بين هؤلاء وهؤلاء الذين يحلو لهم الخيال والمبالغة في تفسير ما جاءهم من أنباء الماضي وقضاياها - وما زال الموقف يتكرر جيلاً بعد جيل إلى عصرنا الحاضر . فقوافل العلم ما زالت تسير وما زال الازدحام حول ما تحمله على أشده وما زال العلماء وأنصاف العلماء ومن لا يدري : أنه لا يدري ، ومن تسهويه المبالغة وتعجبه القشور - يملأون الأسواق الثقافية كل بما فتح الله عليه . ولو شاء الله لجعلهم في مستوى واحد .

وفي مواكب الثقافة التي تتابعت على حواضر العالم الإسلامي - احتفل الرواد بالتراث التاريخي احتفالهم بالعلوم الرياضية ، والجغرافية ، والطب ، والهندسة ، والكيمياء وغيرها . وفي طليعة المبرزين في مجال التعريب الذين قدموا للمكتبة العربية ذخائرها حوت نصوصاً لها قيمتها : الباحثون عن مصادر التاريخ .

۳ - فمن الذين قاموا بالتعريب فأسدوا للمعارف العربية خدمة ما زال الباحثون في التاريخ والأدب والفنون يقدرونها حق قدرها : (عبد الله بن المقفع) و (آل نوبخت) - ويعبد (نوبخت) كبير هذه الأسرة - ثم ابنه (الفضل) ومن آل نوبخت : يوسف وموسى أبناء (خالد) ، ومن المعربين (أبو الحسن علي بن زياد التميمي) و (الحسن بن سهل) و (البلاذري أحمد بن يحيى) و (جبلة بن سالم) - معرب كتاب رستم وإسفنندار و (إسحاق بن يزيد) و (محمد بن الجهم

البرمکی) معرب كتاب (تاریخ فارس) - و (هشام بن القاسم) معرب كتاب (تاریخ ملوك بني ساسان) و (موسی بن عیسی الكسروی) و (زادویه بن هاشویه الأصفهانی) معرب كتاب (سیر ملوك فارس) و (محمد بن بهرام الأصفهانی) معرب كتاب (سیر ملوك الفرس) و (بهرام بن مروان شاه) معرب و مهذب كتاب (تاریخ ملوك ساسان) و (عمر بن الفرخان) و (صطفی الإسكندرانی) و (یوحنا - یحیی بن البطریق) - و (عبد المحسن بن ناعمة الحمصی) و (حنین ابن إسحاق العبادی) و (إسحاق بن حنین) و (ثابت بن قرة) و (سنان بن ثابت بن قرة) و (الحجاج بن یوسف بن مطر الوراق الكوفی) و (قسطن بن یوقا البعلبکی) و (متی بن یونس) و (یحیی بن عدی) و (جورجیس بن جبرائیل) و (ابن زرعة) إلى غیر هؤلاء من النساطرة و الیعاقبة و غیرهم من الذین نقلوا كثيراً من الكتب الیونانیة إلى السریانیة ثم إلى العربیة .

۴ - و لقد لاحظ البعض على أسماء العربین التي تتردد . وعلى المؤلفات التي تذكر كلما أثير موضوع التعریب و العربین : أن أكبر العربین شهرة هم : الفرس . وأن أكثر التواریخ انتشاراً - هي : التواریخ الفارسیة - فلذلك أسباب منها : أن صلة التاریخ الفارسی بالتاریخ العربی عميقة و مستمرة منذ أقدم عصور التاریخ العربی إلى ما بعد الإسلام . وأن صلة التاریخ الفارسی بالتاریخ العربی ازداد عمقها بعد الإسلام - مع الفارق فی الوضع السیاسی - فعمق الصلات و استمرارها فرض على المؤرخین : العناية بتاریخ الفرس قديمة و حديثة . أما غیرهم من الأمم مثل الیونانیین و الرومائیین و الإسرائیلیین و الحبشیین - فهؤلاء لم یرتبط تاریخهم بالتاریخ العربی إلا فی فترات من الزمن ثم انفصلت تواریخهم فی العصر الإسلامی - فلم تبق لليهود قومیة . ولم یبق للروم و الیونان و الحبشین ذل فی البلاد العربیة . فالتقاء الاحتكاك بالروم بعد فتح القسطنطینیة فلم یبق لهم الصلات العلمیة التي تازم الباحث العربی أن يذكرهم إذا ما تحدث عن تاریخ عربی ومع ذلك فإن تلك الفترات التي تلاحت فیها تواریخ الیونانیین و الرومائیین و الإسرائیلیین و الحبشیین مع التاریخ العربی جعلت المؤرخین یلقون فی مؤسوساتهم العربیة كل ما له صلة بتاریخ هاتيك الأمم . فلم یغفلوا عن ذكر أسماهم و دولتهم

ومجتمعاتهم ومعارفهم - مثلما لم يغفل المؤرخون فيما بعد عن ذكر (الإسبانيين) الذين اختلط تاريخهم مع تاريخ العرب فترة من الزمن ، ومثلما يضطر المؤرخ اليوم إلى ذكر (الإنكليز) و (الفرنسيين) و (الإيطاليين) عندما يتحدث عن التاريخ العربي في القرن الرابع عشر من الهجرة .

أما السريانيون والكلدانيون وغيرهم ممن يرجعون إلى أصل عربي - فكما تجمعت عوامل كثيرة لقيام كيان سرياني وكلداني ذي طابع خاص . كذلك تجمعت عوامل كثيرة لإزالة الأصباغ والحواجز من الأقطار العربية التي اغتصبتها إمبراطوريات العهود القديمة - بعد عودتها إلى عروبته الكاملة في العصر الإسلامي .

ومن الأسباب التي جعلت للتراث الفارسي عناية خاصة : نفوذ الفرس في الدولة العباسية - على أن الجدير بالذكر : أن الشخصيات الفارسية في العصر العباسي ، لم يقتصر اهتمامها على التراث الفارسي - بل هي أولت المعارف غير الفارسية عناية كبيرة . فلقد مر بنا : أن (يحيى بن خالد بن برمك) قد أبدى اهتماماً بكتاب (المجسطى) لبطليدوس اليوناني . فكلف أقدر المعربين بنقله إلى العربية .

- 5

ومما ثبت في بحوث المحققين : إقبال البيتين - الأموي والعباسي - على نقل العلوم إلى اللغة العربية . ومما لم ينكره الباحثون : أثر ذلك الإقبال في نشاط حركة التعريب فأول المهتمين بالتعريب من الأمويين (خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان - المتوفى سنة ٥٨٥) وهو أول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة^(١) - ومن العباسيين (المنصور) و (الرشيد) ثم جاء (المأمون) الذي باغت في عصره النهضة العلمية مكانة ما زالت الأجيال تكبرها وتقدرها .

ولم يكن الاهتمام بالتعريب والإنفاق عليه مقصوداً على الخلفاء وأبنائهم - بل كان بعض الأثرياء - مثل : أولاد (موسى بن شاكر) و (محمد بن عبد الملك الزيات) وغيرهم ينفقون أموالاً طائلة على نقل الكتب إلى العربية - لا تكاد دولة من دول الغرب الصغرى تنفقه - كما يقول (كرد علي)^(٢) .

فلقد كانت نهضة الثقافة العربية نهضة شاملة أتاحت الفرص لكل من بذل

(١) الإسلام والحضارة ١/١٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ١/١٧٥ .

مجهوداً ونشاطاً كبيراً في تعريب العلوم وصفه (لكرك) بقوله : [كان كل ما في أيدي العرب من العلوم في آخر القرن الثامن من الميلاد - مؤلفاً في الطب وبضعة كتب في (الكيمياء) . وما كاد القرن التاسع ينصرم حتى كان العرب قد امتلكوا ناصية جميع علوم اليونان وثقافة الأقدمين] (٣) . واتقد أسهم في ذلك النشاط أساتذة مدرسة (الرها) و (نصيبين) و (حران) مع الذين بذلوا مجهوداً كبيراً في نقل المؤلفات اليونانية والبيزنطية إلى السريانية ثم إلى العربية . واتقد كان ما نقلوه محل اهتمام بناء الثقافة العربية . فالإيه يرجع الباحثون في الثقافة العربية ومصادرها - على أن هناك من يرى : أن النساورة واليعاقبة لم يكونوا أمناء فيما ينقلونه . وأن كثيراً من أخطاء الباحثين القدامى يرجع سببها إلى عدم أمانة المعرب أو ضعفه .

٦ - وأنا لا أستبعد وجود الخطأ فيما ينقل من لغة إلى لغة في الماضي والحاضر . ولكن الأخطاء مهما بلغت لا تشمل جميع ما ينقل - ولا أعتقد : أن الأخطاء التي ينسبها البعض إلى عدم الأمانة - وقعت جميعها عمداً لغرض ما . فقد يكون هناك خطأ في الترجمة من اليونانية إلى السريانية وفي النقل من السريانية إلى العربية . وقد يكون هناك اجتهاد في التفهم وفي التأويل والتفسير إلى غير ذلك مما لم تسلم منه أسفار بني إسرائيل في العهدين : القديم والجديد - فمن النادر : أن تجد نسختين مخطوطتين من مؤلف واحد سليمانين من تحريف الناسخ فكيف بالمؤلفات التي ترجمت من لغة إلى لغة وفي عصر بعد عصر . واتقد مر بنا كيف اختلفت رؤى فيما أتته (الإصطخري) فقال بعضهم : إنه لم يؤلف غير (المسانك والمسانك) وقال آخرون : إنه ألف (صور الأقاليم) ثم النسخة التي اطاعت عليها وتى عنونت بهذا العنوان (الأقاليم) .

على أنني لا أبرئ النساورة واليعاقبة من الأخطاء المتعمدة التي قد يقع إليها عقائدهم أو عنصريتهم . ولكن وجود هذه الأخطاء فيما ترجمت من رها ونصيبين وحران - لم يبلغ درجة عدم صلاحيتها لارجوع إليها . فقد أصابها أصاب أسفار بني إسرائيل . وأسفار بني إسرائيل - على ما أصبها - لا تزال مصدراً من مصادر التاريخ القديم .

وترى دائرة المعارف الإسلامية : أن الحماس انتقل المؤلفات اليونانية من اللغة السريانية إلى اللغة العربية شمل التراث اليهودي والمسيحي وانصرف إلى التراث الفارسي والسرياني أيضاً - : [قد انتعشت الدراسات اليونانية بفضل نقل المؤلفات اليونانية التي كتبت بهذه اللغة - السريانية وأثار هذا الانتعاش في الوقت نفسه اهتماماً بالتراث اليهودي والمسيحي واليوناني - ولم يجد هذا الاهتمام منصرفاً إلا بالرجوع إلى مصادر لم تكن أعلى شأنًا من (خدای نامہ) مثل المصنف السرياني المرسوم بمغارة الكنز] - وتري دائرة المعارف الإسلامية : أن [هذا الميل قد أذكاه طابع المصادر التي استمد منها المصنفون العرب موادهم لتدوين التاريخ القديم لفارس وغيرها من البلدان - بل إن (خدای نامہ) ذاتها كانت تشتمل في أقدم أجزائها على قصص تتناول أشخاصاً خيالية : « ميتاوجية » وعلى تأملات كهنوتية وخرافات أبستاقية - وذكريات عن قصة الإسكندر . وكثيراً ما كانت النزعة القصصية والبلاغية تطغى على الرواية الصحيحة في الحديث عن ملوك (آل ساسان)] .

ولما تراه دائرة المعارف الإسلامية مسوغاته - فلقد أخذت جماعة من الذين ينقلون التراث الفارسي إلى العربية - مثل : (موسى بن عيسى الكسروي) - تدخل فيما نقلته قصصاً بعضها : من الخيال البهلوي الخرافي الذي غلف التاريخ الفارسي المتداول - وبعضها : اخترعها ظنون تلك الجماعة - عندما وقفت أمام المصادر المتناقضة والأحداث الغامضة ، وليس هذا بالشئ الغريب . فخيال القصة الذي طغى على المصادر الفارسية لم تسلم منه مؤلفات القدامى . ويرى المستشرقون : أن التأملات (الكهنوتية) وجدت طريقها إلى أفكار اليونانيين كما مر بنا في بحث (التراث القديم ومصادره) وليس من الغرابة في شئ : إن وجدنا خيال القصة يطغى على كثير من مؤلفات المؤرخين العرب ، فالبحت التاريخي لم يتحرر أسلوبه من التمسك بكل ما في النص من خيال وحقيقة إلا في العصور المتأخرة وعند بعض المحققين الذين يملكون القدرة على النقد العلمي والدراسات التي تعتمد على اطلاع واسع وعلم غزير .

٧ - ولقد وضع (ابن النديم) بحثاً خاصاً بأسماء النقلة من اللغات غير العربية

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٩١ و ٤٩٢ .

إلى اللسان العربي^(١) ، وكذلك قام : (جرجى زيدان) ببحث ضاف عن النقل والنقلة إلى العربية في العصر العباسي في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي)^(٢) وكذلك بحث (أحمد أمين) في كتبه (فجر الإسلام وضحى الإسلام) و (كرد على) في كتبه (القديم والحديث) و (الإسلام والحضارة) عن نشأة التدوين والتعريب وروادهما في العصر الإسلامي . ويقول (جواد على) : [وقد وقف أهل (الحيرة) على مؤلفات فارسية وضعت في التاريخ وقد ترجم بعضها إلى العربية قبل الإسلام ونقل قسم منها إلى العربية بعد الإسلام]^(٣) - ولعل جواد على يقصد بما ترجم قبل الإسلام - ما نقله (النضر بن الحارث) من الحيرة وتحدث به في (مكة) .

وكل من بحث في التعريب ورواده - لا بد أن يذكر (ابن المقفع) وما قدمه للمكتبة العربية ، ولقد عرف بهذا الاسم : شخصان - أحدهما : (أبو البشر بن المقفع) كما كان يلقبه العرب وهو : قبطي نصب أسقفاً لمدينة الأشمونين - اسمه : (ساويرس) وضع تاريخاً عن أعلام الكنيسة الذين جلسوا على كرسي البطريركية بالإسكندرية إلى ما قبل وفاته سنة ١٩٧٩ . وإلى تاريخ ابن المقفع هذا رجع المستشرقون الذين كتبوا عن بطارقة الإسكندرية^(٤) .

والثاني : (عبد الله بن المقفع) الذي نحن بصدد الكلام عنه - وبن المقفع الذي نتكلم عنه : فارسي الأصل اسمه : (روزبه بن داؤويه) مزدكي العقيدة قبل إسلامه كان يكنى : أبا عمرو - ولما أسلم على يد (عيسى بن علي بن عبد الله العباسي) بعد أن التحق بخدمته اكنى بأبي محمد .

ويقول (ابن النديم) : [إن أباه (المبارك) كان من جباة الحراج وإنه احتجن شيئاً منه - فجلده (الحجاج بن يوسف) جلدأ مبرحاً فتتفتعت يده . فلقب بالمقفع ولقب ابنه - بابن المقفع] ، ويقول : إن (ابن المقفع) عمل شرط (عبد الله بن علي) عم (المنصور والسفاح) على المنصور وتصبب في احتياظه وأحفظ ذلك

(١) الفهرست ص ٢٤٠ .

(٢) التمدن الإسلامي ١٦١/٧ وما بعدها .

(٣) تاريخ العرب لجواد ٤٠/١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٢٨١/١ .

أبا جعفر المنصور . فارتاح (المنصور) لقتله ويقال : إنه أوعز بقتله إلى (سفيان بن معاوية) — ويصفه ابن النديم — [بأنه كان في نهاية الفصاحة والبلاغة — كاتباً شاعراً فصيحاً مضطرباً باللغتين العربية والفارسية]^(۱) .

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية : أن المنصور — هو الذي أمر (سفيان بن معاوية المهلبى) بقتل (ابن المقفع) انتقاماً منه . وأن إسلام ابن المقفع مشكوك فيه حيث أنهم بأنه كان يبطن المزدكية^(۲) .

واقدم كانت لابن المقفع مكانة في المجتمع الذي عاش فيه لقربه من (عبد الله ابن علي بن عيسى العباسى) . ولما ألفه ونقله إلى العربية من كتب فارسية غير (خدای نامه) قيمة أدبية وتاريخية عند الأدباء والمؤرخين الذين يقدرون ما في الكتب التي نقلها ابن المقفع إلى العربية والتي ألفها مثل : (كليله ودمنة) و (آيين نامه — الشرائع الفارسية)^(۳) و (مزدك) و (التاج) و (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير)^(۴) و (الدرّة اليتيمة في طاعة الملوك)^(۵) ، وتعدّ (خدای نامه) سيرة ملوك العجم : ذروة آثاره وأثمن ما نقله إلى العربية — في عالم المؤرخين .

على أن (ابن المقفع) لم يكن الوحيد للذى نقل (خدای نامه) إلى العربية بل هي : قد نقلت إلى العربية قبل (ابن المقفع)^(۶) وبعده . فقد نقلها (محمد بن الجهم البرمكى) و (زادويه الأصفهاني)^(۷) واتخذها آخرون مادة لمؤلفاتهم مثل (محمد بن مطيار الأصفهاني) و (هشام بن قاسم الأصفهاني) . ويقول (حمزة الأصفهاني) : إن الموبد بهرام راجع نيفاً وعشرين نسخة من (خدای نامه)^(۸) . ونحن إذا كنا نجد القليلين من العربيين — هم : الذين يجيدون اللغة العربية مع

- (۱) الفهرست ص ۱۷۲ .
- (۲) دائرة المعارف الإسلامية ۱ / ۲۸۲ .
- (۳) إيران في العهد الساساني ص ۴۷ .
- (۴) الفهرست ص ۱۷۲ .
- (۵) دائرة المعارف الإسلامية ۱ / ۲۸۳ .
- (۶) المصدر نفسه ۴ / ۴۹۱ .
- (۷) إيران في عهد الساسانيين ص ۴۷ .
- (۸) المصدر نفسه ص ۴۷ .

إجادتهم اللغة التي ينقلون منها . ونجد القليلين منهم - هم : الذين يحرصون على أمانة النقل وصحته - مثل : ابن المقفع . فإن الكثيرين منهم لم يبلغ هذا المستوى . وإذا كنا نجد القليلين من المؤرخين - هم : الذين ينقدون المراجع التي يأخذون عنها . ونجد القليلين منهم - هم : الذين يضمنون بمصنفاتهم أن تكون معرضاً للأساطير - مثل : ابن خلدون . فإن استعانة عادة المؤرخين بما في المؤلفات التي نقلت إلى العربية - لم تقف عند الاستفادة بما فيها من مواد تاريخية أو ذات صلة بالتاريخ - فلقد تأثرت غالبية المؤرخين بمنطق مدوّن التاريخ وأخيلتهم . فظنقت تملأ مصنفاتها بكل ما فيها من أساطير ومبالغات .

ولا أراني آتياً بشيء غريب عن الواقع - إن قلت : إن المدونات القديمة ليست هي وحدها التي ملأت المكتبات العلمية - بل كذلك الأفكار بخيالها القديم . هي أيضاً ملأت العقلية العربية فلم يعتصم منها إلا كل من كانت له مناعة علمية تزيدها أصالة الرأي ودقة التفكير : قوة على قوة :

الفصل العاشر

الأوائل من رواد التفسير والمغازي والأنساب
في القرنين الأول والثاني من الهجرة

- الموضوعات : من صحيفة ٣٣٩ إلى ٤٨٢
- ١ - من هم الأعلام الذين عُدَّت أقوالهم نصوصاً ؟ من ٣٤١ إلى ٣٤٦
 - ٢ - كعب الأحبار . من ٣٤٧ إلى ٣٥٢
 - ٣ - دغفل النسابة . من ٣٥٣ إلى ٣٥٦
 - ٤ - عبد الله بن عباس . من ٣٥٧ إلى ٣٧٠
 - ٥ - عبيد بن شريفة . من ٣٧١ إلى ٣٧٨
 - ٦ - عروة بن الزبير . من ٣٧٩ إلى ٣٨٤
 - ٧ - أبان بن عثمان . من ٣٨٥ إلى ٣٩٠
 - ٨ - الشعبي بن شراحيل . من ٣٩١ إلى ٣٩٦
 - ٩ - وهب بن منبه . من ٣٩٧ إلى ٤٠٤
 - ١٠ - عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان . من ٤٠٥ إلى ٤٠٦
 - ١١ - شرحبيل بن سعد مولى الأنصار . من ٤٠٧ إلى ٤١٠
 - ١٢ - الزهريون - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري . من ٤١١ إلى ٤٢٢
 - ١٣ - عبد الله بن أبي بكر بن حزم . من ٤٢٣ إلى ٤٢٨
 - ١٤ - موسى بن عقبة الأسدي . من ٤٢٩ إلى ٤٣٤
 - ١٥ - سليمان بن طرخان . من ٤٣٥ إلى ٤٤٢
 - ١٦ - آل السائب محمد الكلابي . من ٤٤٣ إلى ٤٤٦

- ۱۷ - عوانة بن الحكم الضرير . من ۴۴۷ إلى ۴۵۲
- ۱۸ - معمر بن راشد الأزدي . من ۴۵۳ إلى ۴۵۶
- ۱۹ - محمد بن إسحاق مولى آل مخزومة . من ۴۵۷ إلى ۴۷۲
- ۲۰ - أبو مخنف الأزدي . من ۴۷۳ إلى ۴۷۶
- ۲۱ - هشام بن محمد بن السائب الكلبي . من ۴۷۷ إلى ۴۸۲

البحث الأول :

من هم الاعلام الذين اعتبرت اقوالهم نصوصاً

من صحيفة ٣٤١ إلى ٣٤٦

من موضوعات البحث :

- ١ - أسباب البحث في تراجم الاعلام .
- ٢ - مخطط البحث في التراجم .
- ٣ - الرواد الذين جمعوا من أعماق الماضي شتات التاريخ .
- ٤ - صعود الثقافة العربية الإسلامية .
- ٥ - من أى باب دخل التاريخ إلى سوق الثقافة العربية ؟
- ٦ - هدف البحث في التراجم .
- ٧ - لم يشمل البحث جميع الرواد ولم يتعرض لغير حياتهم العلمية .

أعلام اعتبرت أقوالهم نصوصاً

١ - إنني لم أعن بالبحث في تراجم هؤلاء الأعلام الذين أمست أقوالهم في أمهات المؤلفات التاريخية : نصوصاً يعتمد عليها في رواية الخبر ، إلا بعد أن رأيت ثقة المؤلفين المطلقة في كل نبياً ينتهي سنده إليهم ، ففطاحل المؤرخين مثل : ابن جرير ، وابن كثير ، وابن خلدون ، واليعقوبي ، والبلاذري وغيرهم يحرصون كل الحرص على ذكر سند الرواية إلى أن يصل إلى (ابن عباس) أو (كعب الأحبار) أو (ابن الكلبي) أو إلى أي واحد ممن سنعرض شيئاً من حياته العلمية . فعلى قولهم يتوه اقتناع المؤرخ بصحة القصة دون أن يهتم واحد منهم بمعرفة المصدر الذي أخذ عنه ابن عباس أو غيره إلا فيما ندر !!

وإنني لم أبحث في تراجم بعض هؤلاء الأعلام إلا أملاً في الوصول إلى معرفة مصادر هؤلاء الأعلام : فمن الطبيعي أن (ابن الكلبي) وغيره لم يسرو ما رواه من جملة خياله . فالخبر الذي يرويه هؤلاء : إما أن يكون عن حديث أو أثر فيما يعود إلى السيرة والمغازي . وإما أن يكون عن أصحاب أهل الكتاب ومدونات القدامى من الأمم التي عاشت في البلاد العربية فسجلت معارفها في مدونات احتفظت بها البيوع والكنائس وقصور الملوك ومدارس المعلم في عصور الماضي .

٢ - والوصول إلى معرفة مصادر هؤلاء الأعلام يستدعي تقديم أدلة يطول الكلام عنها . ولولم تسبق في هذا الجزء البحوث التي أوضحت لنا الحقائق التاريخية التي أشار إليها القرآن الكريم والموضوعات التي بينت ما في الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة ، لم من أنباء تاريخية رجع إليها مؤلفو السيرة والمغازي . وما في الأنساب من مادة تاريخية لم يستغن عنها المؤرخ في العصر الإسلامي . فما سبق من تلك البحوث وقد عايننا الكثير مما كان يجب علينا الإمام به في هذا البحث . وفي كل ترجمة من تراجم أوائل رواد التفسير والسيرة والمغازي وأيام العرب وأشعارهم ولغتهم .

فالذي علينا أن نبيته بادي ذي بدء - هو : مخطط البحث في هذه الترجمة

التي سندكرها . فأولاً : قد اعتمد البحث في ترتيب هذه التراجم على تاريخ الوفاة - فقدم من تقدمت وفاته على غيره - ثانياً : لقد اخترت تاريخ الوفاة - لأن كثيراً من الأعلام لم يضبط تاريخ مولدهم بقدر ما ضبط تاريخ وفاتهم - على أن تاريخ وفيات بعضهم مختلف فيه . ولعل السبب في عناية المتقدمين بالوفاة أكثر من عنايتهم بالميلاد - يرجع إلى أن من هؤلاء الأعلام من لم يسترع الأنظار إليه إلا بعد أن برز في المجال العلمي . فمنهم : الخضرم الذي ولد في العصر الجاهلي المضطرب وتوفي في العصر الإسلامي . ومنهم : المولى الذي كان مملوكاً لبعض الأسر ، أو منسوباً لبعض القبائل . ومنهم من نشأ في أسرة مجهولة لا يُعرف عنها كثير ولا قليل إلا بعد أن نبغ فيها الرائد .

٣ - ومن العسير على هذا البحث : أن يجمع كل من أسهم في جمع شتات التاريخ من أعماق الماضي . وقدم لنا فصولاً رائعة من اللغة والشعر وأخبار العرب وانتصارات الإسلام . وأنباء قيمة عن العقائد والنحل والتجارة والملاحة والتعدين والنحت وفن البناء . ولقد تقدمت في الجزء الأول الشواهد الواضحة في دلالتها على قدم التاريخ العربي وعلى عراقية الحضارة العربية في مكة وقراها ، وفي المدينة وحرارها ، وفي منعرجات وادي القرى التي قامت عليها عواصم : ثمود وعاد الأولى ، وفي شواطئ الخليج الإسلامي - العربي . حيث مناجم النحاس والموانئ التي عرفت الملاحة من أقدم العصور ، وفي اليمامة حيث نزلت طسم وجديس - وقبائل تلك العصور ، وفي اليمن وحضرموت ، حيث قامت دول : معين وسبأ والحميريين ، وفي العراق مربع الحمورابيين والإرميين . وفي سورية مهجر الكنعانيين ، وفي دلتا النيل ووسطه الشرقية منازل العماليق .

وتقدمت الشواهد الواضحة في دلالتها على أن منابع لغة الساميين وحضارتهم وعقائدهم - كانت في مهد الساميين (شبه الجزيرة العربية) ، فلقد انتقل الساميون من مهدهم بلغاتهم وعقائدهم وحضارتهم وملاحتهم من مكان إلى آخر ، وما تلك الفوارق التي تلاحظ في اللغة والحضارة والعقائد إلا أثر من آثار احتكاك العرب بالعناصر التي عاشت معها في العراق ، وفي سورية ، وفي مصر ، وفي سواحل اليمن وحضرموت وعمان .

٤ - فما لا شك فيه : أن كل ثقافة من الثقافات التي سبقت الثقافة الإسلامية لم تنظم ولم تنتشر ولم تأخذ مكانها في مواكب الحضارات ولم يقدر لها البقاء والاستمرار مع الاحتفاظ بصيغتها - مثل ما نظمت الثقافة العربية الإسلامية - وانتشرت واحتلت المكانة العليا بين الثقافات العالمية . وقدر لها البقاء ما بقي الإسلام وقرآنه محتفظة بكل مقوماتها .

ومما لا شك فيه : أن التاريخ - بعد أن اتسع مدار الثقافة العربية وانتظم سيرها - أمسى علماً جديراً بالدراسة المنظمة كأى فن من الفنون القمينة بالانفراد والتخصص في دراسته ، ولا شك في أن الفضل في تكوين علم التاريخ في العصر الإسلامي يرجع إلى الرواد الأوائل الذين تجرّعوا الأمرين في سبيل ما خافوه لنا من تراث - هو : عمادنا في دراسات التاريخ . ولا شك في أن حياة أولئك الرواد : خائفة يبحث منصف معتدل غير متحيز ولا متحامل . ولا شك في أن مهمة البحث المنصف مهمة شاقة - فالتجرد من الغرض والتحيز . والتخلص من وسوسة الضنون والشكوك . والتحرر من مؤثرات البحوث التي تشبثت بكل قديم . ومن مؤثرات البحوث التي فرضت مقاييس الحاضر على قضايا الماضي - من الصعوبة بمكان :

٥ - وكما سبق في هذا الجزء : أن التاريخ دخل إلى مجال الثقافة العربية الإسلامية في ظلال التفسير والحديث . فالذين تحملوا مسؤولية التفسير وجسع الحديث وتبويبه هم : الذين رسموا معالم التاريخ بما جمعوه من نصوص ما زالت تحت مجهر التحقيق من بداية تدوينها إلى اليوم .

٦ - وإنني أصارح القارئ قبل أن أبدأ بتراجم الرعيل الأول : أنني عندما أرمعت على تعريفه برواد التاريخ لم أستهدف بداية تدوين التاريخ وتطور التأليف فيه فحسب . وإنما قصدت التعرف على الرواد الذين بدأوا نشاطاً في جمع التراث الثقافي وحفظه . فالتراث الثقافي مهما كان موضوعه . هو جزء من التاريخ . والرائد مهما كان أسلوبه : مجدداً أو محافظاً . هو من بناء ثقافتنا وتاريخنا . ففي كل جيل من الأجيال - وفي كل جانب من جوانب الثقافة نجد : رواداً ساروا في طريق من سبقهم فتقيدوا في بحوثهم بالمنطق القديم وأسلوبه . ونجد : رواداً مجددين يناقشون ويبدون رأيهم فيما يناقشونه . فهذه سنة التطور . فالتطور ليس قفزة رحل

واحد من حافة إلى حافة وإنما مثله كمثل القافلة التي خرجت طليعتها عن حدود مرحلة في حين لا تزال بقية القافلة نائمة في المرحلة التي أمست فيها .

۷ - وأصارحه أيضاً : أنى عندما أردت أن أكتب عن الرواد وجدت نفسي أمام جمع غفير لكل واحد منه فضل على ثقافتنا العلمية والتاريخية ، فمن منهم أذكره ؟ ومن منهم لا أذكره ؟ فهناك - عدا الذين سوف أتحدث عنهم - كثيرون من رجال التفسير والحديث والمغازي والأنساب والشعر ممن ترددت أسماءهم في مؤلفات التفسير والمغازي والأنساب والشعر واللغة ممن قد يأتي اسمه عرضاً ، ومن قد لا تأتي مناسبة للذكر اسمه .

وأصارحه أيضاً : بأننى لم أحاول استقراء حياة كل الذين سأحدث عنهم - فحياة البعض منهم صفحة طويلة من تاريخنا العربي ، فلو أننى حاولت استيعاب حياة كل واحد من هؤلاء الرواد ، واستقصاء ما جاء عنهم ، لأزمنى ذلك بالخروج بهذا الجزء عن موضوعه .

أما من أقدم ومن أؤخر ؟ - فلتمد تخلصت من هذه المشكلة كما قلت من قبل باعتبار تاريخ الوفاة ، وبناء على ذلك فإننى قد قدمت : (كعب الأحبار) الذى تقدمت وفاته على غيره ممن سأذكرهم من الرواد .

كعب الأحبار

توفي سنة ٤٢ هـ

من صحيفته ٣٤٧ إلى ٣٥٢

من موضوعات البحث :

- ١ - أقوال القدامى والمتأخرين عن كعب .
- ٢ - كثرة ما يروى عن كعب الأحبار .
- ٣ - الذين أنصفوا كعب الأحبار .
- ٤ - لا غرابة في وجود الخيال فيما يرويه كعب الأحبار .
- ٥ - كعب الأحبار من حضر مجالس معاوية بن أبي سفيان .

كعب الأحبار

١- قال (ابن قتيبة) عنه : [كعب بن ماتع ، ويكنى : أبا إسحاق - وهو : من (حمير) من آل (ذى رعين) كان على دين اليهود ونزل اليمن وأسلم هناك ثم قدم (المدينة) في خلافة (عمر بن الخطاب) ثم خرج إلى الشام فسكن (حمص) حتى توفي بها سنة ٣٢ هـ]^(١).

وفي مرآة الجنان يقول الياقعي : إنه توفي سنة ٣٤ هـ [وفي سنة أربع وثلاثين توفي أعلم أهل الكتاب به وبالأثار المشهورة (كعب الأحبار) - أسلم زمان (أبي بكر) وروى عن (عمر بن الخطاب)]^(٢).

وجاء في الأعلام للزركلي : [كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميري - أبو إسحاق) تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن (أبي بكر) - وقدم المدينة في دولة (عمر) فأخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ، وخرج إلى (الشام) فسكن (حمص) وتوفي بها سنة ٣٢ هـ عن مئة وأربعين سنة]^(٣).

ولم يذكر (فريد وجدى) في دائرة معارفه : المصدر الذي اعتمد عليه عندما قال : كعب الأحبار من [كبار أحبار^(٤) اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ يتردد عليه فقال إلى الإسلام ولكنه أرجأ إسلامه رسمياً حتى يتحقق من سائر العلامات التي كان يجدها في كتب قومه عن النبي العربي وأصحابه ، فلما انتهى أمر الخلافة إلى عثمان رأى : أن تلك البشارات قد تحققت فأعلن إسلامه]^(٥) - لعل (فريد وجدى) قصد بكلامه هذا : غير كعب الأحبار الذي نحن بصدد ترجمته ،

(١) المعارف ص ٤٣٠ طبع دار الكتب .

(٢) مرآة الجنان ١/٨٩ طبع حيدرآباد دكن .

(٣) الأعلام ٦/٨٥ .

(٤) الخبر : العالم .

(٥) دائرة معارف وجدى مادة كعب ٨/١٥٩ .

أولعله وجد رواية عن كعب بهذا المعنى ولم يتحقق من صحتها . فما أكثر ما قيل عن كعب الأحبار !!

٢- وما أكثر الروايات التي تنسب إلى كعب الأحبار - وما أكثر الخلاف فيها، ولقد سبق أن نقلنا عن قصص الأنبياء للثعالبي النيسابوري - دور كعب في قصة (إرم ذات العماد) التي ترددت في مؤلفات الأقدمين . مثلما يتردد ذكر مدن (الجرهائين) وقصور ملوك سبأ ومعابد المعينيين في مؤلفات المتأخرين^(١) - فإتقد جاء في رواية النيسابوري: أن كعب الأحبار قال لمعاوية بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين! في حين أن كعباً توفي في سنة ٣٢ أو سنة ٣٤ هـ وإلى سنة ٣٥ هـ كان معاوية والياً على الشام من قبل (عثمان بن عفان) - حيث قتل عثمان بن عفان في سنة ٣٥ هـ كما هو معروف .

فأنا مع اعتقادي في وجود أصل لهذا الخبر فليس ببعيد: أن تزيل الرياح رمال الأحقاف عن آثار (المعينيين) و (السبئيين) وتظهر مدينة من مدن دول الماضي المترفة . ولقد سبق البحث في (مدينة إرم ذات العماد) في الجزء الأول من هذا المؤلف - إنني مع اعتقادي هذا لا أشك في أن رواية الخبر صبغوه بألوان من الخيال مستترين خاف شخصية كعب الأحبار . فكعب الأحبار اشتهر بأنه عالم بما في الأسفار من أنباء عوالم الماضي . وكعب الأحبار كان من رواد مجالس معاوية .

فكثرة ما روى عن كعب وكثرة الرتوش التي يببالغ البعض فيها . وكثرة ما نقل عنه بدون تحقيق - هو الذي جعل الكثيرين من الذين كتبوا عن التاريخ العربي يشكون فيما ينسب إلى كعب ويصفون كعباً بأنه قصصى لا أكثر ولا أقل - ويتناولون: إنه دس في التناسير التي تحدثت عما جاء في القرآن من أنباء الماضي: الخيال الإسرائيلي . فلقد حمل عليه (جرجي زيدان) وقال عنه (أحمد أمين) في محو الإسلام: [وعلى الجحمة فقد دخل على المساميين - من هؤلاء: (وهيب بن منبه) و (كعب الأحبار) وأمثالهم في عقيدتهم وعلمهم ما كان له أثر غير صالح]^(٢)

(١) العرب في أحقاب التاريخ ٢٩٩/١ .

(٢) فجر الإسلام ص ١٦١ .

وقال عنه في ضحى الإسلام : [ملأ (كعب الأحبار) الشام وغيرها من البلدان برواياته]^(۱).

-۳

وفي تاريخ العرب قبل الإسلام : أنصف (جواد على) كعب الأحبار عندما تكلم عنه : [ولم ينسب أحد إلى كعب الأحبار مؤلفاً - فكل ما نسب إليه ورد بالمشافهة . وما ورد بالسماع يمكن أن يكون صدر عنه . ويمكن أن يكون وضع عليه - فيه ما هو إسرائيلي وارد في الأسفار . وفيه ما هو قصص إسرائيلي مسيحي ، وما هو محض تقول وخلط - وبالجملة : أن الذى نسب إلى كعب يصلح أن يكون موضوعاً لدراسة تظهر أصله وموارده والمنابع التى أخذت منه . وعندئذ يمكن الحكم عليه ، وهل هو صدر من كعب أو من غيره ؟ ومقدار علم كعب ووقفه على الإسرائيليات]^(۲).

حقاً . . إن الحكم على رجل مثل كعب الأحبار أخذ عنه (ابن عباس) و (أبو هريرة) وغيرهما من الصحابة والتابعين - يستدعى : حثيات تقوم على تحقيق متعمق وأدلة أكثر من مجرد رواية نسبت إلى كعب . فكعب كما يقول جواد على : لم يؤلف كتاباً يمكن الرجوع إليه للحكم له أو عليه . وإنما الذى نقل عنه روايات شفهية قد تكون صحيحة نسبتها إليه . أو تكون موضوعة - فابن عباس نفسه لم يسلم من الروايات الموضوعة باسمه - بل أكثر من هذا : أن الذين سولت لهم نفوسهم فوضعوا أحاديث نسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم - كثيرون .

-۴

بيد أن هذا لا يبرئ روايات كعب الأحبار من الخيال - فأكثر مصادر كعب إن لم تكن جميعها : الأسفار - والأسفار كما تقدم الكلام عنها في البحث الخاص بها في هذا الجزء - غارقة في خيال المفسرين والمؤولين - وكذلك لا ينفي ما يقال عن الخيال الإسرائيلي الذى حملته روايات الإخباريين التى اعتمد عليها بعض المفسرين وكثير من المؤرخين . على أنه مهما يكن فى الأخبار التى تنسب إلى كعب من خيال - كان بعضه بعيداً عن الحقائق والبعض الآخر يدور حولها - فإنها أخبار لم تخل من المادة التاريخية ، وإن الخيال الذى لابسها - وجد فيه المحققون فى

(۱) ضحى الإسلام ۹۷/۲ .

(۲) تاريخ العرب قبل الإسلام ۱۷۰/۶ وما بعدها .

التاريخ مرآة تنطبع عليها عقلية الإسرائيليين وعالم ذلك الماضي ومدى تصوراتهم .

٥ - ولقد أجمعت أكثرية المؤرخين على أن (كعب الأحبار) حضر مجالس (معاوية بن أبي سفيان) ولكن بُعِدَ كعب الأحبار عن (الأردن) التي كان معاوية والياً عليها عندما كان أخوه (يزيد بن أبي سفيان) والياً على الشام ، وبعده عن (دمشق) التي انتقل إليها معاوية بعد وفاة أخيه يزيد - يجعل : حضور كعب في مجالس معاوية نادراً . فلقد اتخذ كعب مدينة حمص سكناً له ، على أن (كرد على) يقول : إن كعباً جاء (الشام) مع (عمر بن الخطاب) في فتح (القدس) فجعله (معاوية) من مستشاريه لكثرة علمه - ولكن (كرد على) لم يذكر المصدر الذي نقل عنه : أن معاوية اتخذ كعباً مستشاراً له !!

ولقد انتشرت روايات كعب في طول البلاد الإسلامية وعرضها ، وانتشرت معها روايات كثيرة باسم كعب - لأن كعب الأحبار في رأى أبناء جيله علامة - فلقد قال عنه (أبو الدرداء) حكيم هذه الأمة : إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً . . .

۴

البحث الثالث :

دغفل النسابه

توفى سنة ٥٦٢

من صحيفة ٣٥٣ إلى ٣٥٦

من موضوعات البحث :

- ١ - ليس دغفل النسابه - هو : النسابه البكرى .
- ٢ - لم يؤلف دغفل كتاباً .
- ٣ - الإعجاب بدغفل لا ينقص من مكانة غيره من علماء الأنساب .
- ٤ - مثل الرعيل الأول من النسابين كمثل شعراء الرعيل الأول .

دغفل النسابة المتوفى سنة ٦٢ هـ

— ١

من هو (دغفل النسابة) ؟ هذا سؤال لم يكن البحث في حاجة إليه — لو لم يعرف (حسين نصار) — دغفلا بما يوهم : أن دغفلا — هو : (النسابة البكرى)! وربما نقل ذلك عن (التحفة البهية والطرف الشهية) — ولم يكن البحث في حاجة إلى الجواب عن سؤال آخر — وهو : هل ألف دغفل النسابة كتاباً ؟ لو لم تشر التحفة البهية إلى وجود كتاب قد يكون دغفل ألفه كما جاء في نشأة التدوين^(١) .

ولقد ذكر (ابن قتيبة) في (المعارف) دغفلا — فقال عنه : [هو دغفل ابن حنظلة أدرك النبي عليه السلام — ولم يسمع منه شيئاً] ثم ذكر بعد دغفل (عبيد ابن شرية) ثم ذكر بعد عبيد بن شرية : (النسابة البكرى)^(٢) .

وذكر (النويرى) في (لسان العرب) : دغفلا ولم يقل عنه : إنه النسابة البكرى^(٣) .

وترجم (ابن النديم) في الفهرست : دغفلا : فقال عنه : [هو الحجر بن الحارث الكنانى ، ودغفل لقب . وقيل : دغفل الدهلى — هو : دغفل بن حنظلة السدوسى أدرك النبي عليه السلام ولم يسمع منه . وفد على معاوية] ثم ذكر ابن النديم : (النسابة البكرى) وقال عنه : [وكان نصرانياً وروى عنه (رؤبة بن العجاج) — أن للعلم آفة وهجنة ونكداً]^(٤) .

وجاء في الأعلام : ودغفل النسابة الدهلى — يضرب به المثل في معرفة الأنساب توفى سنة ٦٥ هـ^(٥) .

هذا ما جاء في المصادر التي اطلعت عليها . فلم يأت في واحد من هذه المصادر :

(١) نشأة التدوين ص ١٣ .

(٢) المعارف ص ٥٣٤ .

(٣) لسان العرب مادة دغفل .

(٤) الفهرست ص ١٣١ و ١٣٢ .

(٥) الأعلام مادة دغفل .

أن دغفلا - هو : النسابة البكري ، ولم يقل واحد من الذين تحدثوا عن دغفل :
دغفل النسابة البكري - فمن أراد أن يساير صاحب التحفة فيسبغ على دغفل لقب -
البكري - لأن في أنساب العرب : أن (سدوساً) . هو ابن (شيبان) بن (ذهل)
وبنو ذهل يرجعون إلى (بكر بن وائل) . ولأن (ابن قتيبة) عندما أخذ يسلسل نسب
بكر بن وائل قال : ومن عمر بن شيبان (دغفل النسابة)^(١) - فعليه أن يقول :
دغفل النسابة الذهل البكري - لئلا يلتبس على من يقرأ ترجمة دغفل في نشأة
التدوين التاريخي - فيظن : أن دغفلا هو النسابة البكري .

٢- ولا أدري من أين نقل صاحب التحفة : أن دغفلا ألف كتاباً اسمه (التضايف
والتناصر) وأن هذا الكتاب هو مجالس دغفل^(٢) - فابن النديم صرح بأن دغفلا
لم يؤلف كتاباً ، فقد قال عنه : [وقتلت دغفلا الشراة ولا مصنف له] - وكذلك
النسابة البكري - لم يذكر ابن النديم ولا ابن قتيبة : أن له كتاباً في الأنساب .

على أن حسين نصار شك في وجود هذا الكتاب الذي نسبته التحفة البهية إلى
دغفل - بعد أن نقل فقرة منه فقال : [ولكن هذا الخجاس على كل حال يبين لنا :
أن كتاب (التضايف والتناصر) إن كان وجد على الإطلاق كان يعالج التاريخ
الأول] .

٣- قد يكون دغفل والنسابة البكري أكثر بروزاً من معاصريهما . ولكن شهادهما
بمعرفة أنساب العرب لا ينتقص من قدرة غيرهما مثل : (ابن الأشعر - المعروف بسنن
الحمرة) و (عبد الله بن ثعلبة) أستاذ ابن شهاب الزهري و (زيد بن الكيس)
و (صحاري العدوي) و (اختار العدوي) و (صبح الطائي) و (ميسون بن غيلان
الضبي) . وغيرهم من الذين قدموا للمسؤولين بحوثاً في الأنساب أفادتهم في جانب
مهم من جوانب التاريخ .

٤- وإن مثل الرعيل الأول من قدامى النسابين الذين لم يدونوا معارفهم ويزعمون
منها كتباً تحفظها من الضياع كمثل الشعراء القدامى وحفظة أيام العرب الذين تناقل
الرواة أشعارهم وقصصهم وتوارثوها إلى أن وصلت إلى الذين دونوها مثل : (عمرو

(١) المعارف ص ٩٩ .

(٢) نشأة التدوين ص ١٣ وما بعدها .

ابن العلاء) و(حماد الراوية) وغيرهما ممن أخذ عنهم مؤرخو الشعر الجاهلي وأيام العرب، فلقد تناقل الرواة الأنساب وتوارثوها إلى أن وصلت إلى الذين دونوها مثل (ابن شهاب الزهري) و(ابن السائب الكلبي) وغيرهما ممن أخذ عنهم المؤرخون ما يحتاجون إليه لمعرفة قبائل العرب وأرومات الدول، ومن أهم الذين دونت عنهم الأنساب: دغفل والنسابة البكري وذلك الرعيل.

البحث الرابع :

عبدالله بن عباس

توفي سنة ٦١ هـ

من صحيفة ٣٥٧ إلى ٣٧٠

من موضوعات البحث :

- ١ - كلمة موجزة عن ابن عباس .
- ٢ - رأى ابن عباس في الفقه .
- ٣ - ما استأنفت نظر الباحثين في تراث ابن عباس .
- ٤ - كثرة ما يروى عن ابن عباس .
- ٥ - أشهر الذين رووا عن ابن عباس .
- ٦ - التحزب السياسي سبب من أسباب إسناد أقوال ابن عباس لم يقلبه .
- ٧ - أسباب التناقض فيما يروى عن ابن عباس .
- ٨ - مصادر ابن عباس لما روى عنه في السيرة والمعاني .
- ٩ - مصادر ابن عباس في تفسير قصص القرآن .
- ١٠ - حقق ابن عباس فضائل التاريخ على ضوء معارفه ، فحقق بزم أو سلك على ضوء معارفهم .
- ١١ - تراث ابن عباس .
- ١٢ - ابن عباس لم يؤلف ولكنه دون .
- ١٣ - مجلس ابن عباس - مدرسة علمية منظمة البرمج .

عبد الله بن عباس

١- عبد الله بن عباس - هو : أخو خمسة غير (أم حبيب) جميعهم من صلب (العباس بن عبد المطلب) - وهم : ١- الفضل - ٢- عبيد الله - ٣- قثم - ٤- معبد - ٥- عبد الرحمن . وعبد الله بن عباس - هو : الذي يكنى (أبا العباس) من بين إخوته ^(١) . وعبد الله بن عباس - صحابي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتبه الله الحكمة ويعلمه التأويل ^(٢) - وعبد الله - هو : الذي استعمله (علي بن أبي طالب) على البصرة - فتأول في النية - وهو من الذين أشاروا على (علي بن أبي طالب) - أن يترك ولاية الأمصار في مناصبهم إلى أن يستتب له الأمر . فلم يأخذ علي بنصيحته - وهو : جد (محمد بن علي) أبي الخلفاء العباسيين ^(٣) .

وعبد الله بن عباس - هو : أحد القلائل الذين وضع (عمر بن الخطاب) ثقته فيهم . فإلما كان يدعوهم مع كبار الصحابة من البدرين إلى مجلس شورته - ويقبل عليه ويسمع منه . وكان يرجع إليه في المعضلات - ويقول له : عندك ، قد جاءتك معضلة ^(٤) .

وعبد الله بن عباس كان محطة أنظار المفسرين والمحدثين والمتفقيين - قال عنه (النضر) : نعم ترجمان القرآن ابن عباس - ويقول عنه (عطاء بن أبي رباح) : قال البحر وفعل البحر ، يعني ابن عباس - وإلى ابن عباس كان الناس يأتون للشعر . ويأتون للأنساب ويأتون لأيام العرب ووقائعها ولفقه والتفسير والحديث ^(٥) . وإلما عاش ابن عباس اثنين وسبعين عاماً حفل أكثرها بأعظم ما حفلت به

(١) المعارف لابن قتيبة ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ / ٣٦٥ .

(٣) المعارف ص ١٢٣ .

(٤) الطبقات ٢ / ٣٦٦ .

(٥) الطبقات ٢ / ٣٦٧ .

حياة عالم ، ولقد أمضى قسماً من هذه السنين في المدينة وقسماً في مكة ، وقسماً في البصرة ، والسنون الأخيرة من حياته قضاها في الطائف حيث مات هناك كنيافاً سنة ٦٨ هـ (١) .

٢- وأنا مع اعترافى بأن شخصية - ابن عباس : حبر هذه الأمة - شخصية لامعة ما زال يتردد ذكرها على ألسنة المسلمين طوال سنى التاريخ الإسلامى . وما زال يرجع إلى ما ثبت عنه - الفقهاء فيما يحكمون به . والمؤرخون فيما يحققون فيه عن تاريخ الأنبياء وأيام العرب وأشعار الجاهلية . ومع اقتناعى بأن الكلام عن ابن عباس - كلام معاد - فتاريخ ابن عباس . وعبقرية ابن عباس ، ومعارف ابن عباس : أشهر من نار على علم - إننى مع كل هذا - أرى أن من الضرورى البحث فى موضوع (النوى) عندما أتوه بتاريخ هذا الصحبى العبقرى وأجاده - فلقد تضاربت ظنون الباحثين المتأخرين حول موقف ابن عباس من تفسير قوله تعالى : ﴿ واعلموا : أنما غنمتم من شىء فإن لله خمسة وأرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ (٢) . فأخذ بعضهم ينتقد ابن عباس فى تصرفه بأموال الدولة فى البصرة عندما كان والياً عليها من قبل (على بن أبى طالب) ويشير بهذه المناسبة إلى ما يروى عن (عمر بن الخطاب) أنه قال لابن عباس : كدت أستعمك ولكن أخشى أن تستحل النوى على تأويل قوله تعالى : ﴿ واعلموا أنما غنمتم... إلخ ﴾ ويشير الباحثون إلى الخلاف الذى قام بين على بن أبى طالب وبين عبد الله بن عباس . على أثر تصرف الأخير فى أموال البصرة (٣) .

فمن الضرورى فى ترجمة ابن عباس - إيضاح موقفه من قضية النوى التى اختلف فيها المتأخرون من نقاد التاريخ . فابن عباس ثقة أمين رجح ويرجع إليه الباحثون فى قضايا التاريخ الإسلامى . فجدير بالبحث الرجوع إلى هذه القضية واستجلاء موقف ابن عباس منها .

واختلاف المتأخرين سبقه اختلاف المفسرين فى تفسير هذه الآية . فمن عباس كان مقتنعاً بأن ذوى القربى هم : آل بيت الرسول عليه السلام - فقد كتب له

(١) الأعلام ٤/ ٢٢٨ .

(٢) سورة الأنفال (الآية ٤١) .

(٣) المدن الإسلامى ٤٣/ ٤٧ .

(نجدة) يسأله : عن ذوى القربى . فأجابه ابن عباس : قد كنا نقول : إنا هم - فأبى علينا قومنا^(۱) ، وليس ابن عباس هو وحده الذى يقول هذا ، فلقد قال (المهال بن عمر) : [سألت : (عبد الله بن محمد بن علي) و (علي بن الحسن) عن الخمس - فقالا : لنا]^(۲) وجاء فى تفسير النيسابورى أنه روى عن علي عليه السلام - أنه قال عندما سئل عن اليتامى والمساكين : أيتامنا ومساكيننا^(۳) .

ولكن (علي بن أبي طالب) لم ينكر علي (أبي بكر الصديق) : رده نصيب القرابة فى المسلمين - لأن من رأيه : أن يعطى كل إنسان نصيبه من الخمس وبلى الإمام سهم الله ورسوله^(۴) - وإلى هذا ذهب (مالك بن أنس) فعنده : نصيب ذوى القربى : يفوض إلى اجتهاد الإمام وكذلك قال الشافعى .

فعلى ذلك : أن ابن عباس : فى تأويله (النىء) لم يكن هو : أول من تأول الآية وفسرها على النحو الذى اعتمد عليه فى تصرفه بالنىء ، وليس هو آخر من قال به - وإنما ابن عباس منح ولاية البصرة حق الاجتهاد والتصرف والاستقلال الإدارى ولذلك لم يقبل من (علي بن أبي طالب) أن يلزمه على تصرفه بأموال البصرة . فترك ولاية البصرة وذهب إلى مكة^(۵) وهو يرى : أن ما أخذه من بيت مال البصرة أقل مما يستحقه^(۶) . ومن الطبيعى أن تبالغ دعاية خصوم بنى هاشم فى مسألة النىء وموقف ابن عباس وتنسج حولها القصص .

وكذلك أرى من الضرورى للبحث : أن يستعرض ما يشغل بال المحققين فى تراث ابن عباس ، وأكثر ما يشغل بال المحققين - أولاً : كثرة ما يروى عن ابن عباس . ثانياً : تعارض الأقوال التى تروى عن ابن عباس . ثالثاً : مصادر ابن عباس التى اعتمد عليها فى تفسير القصص القرآنى ، وأخبار السيرة والمغازى ، وأيام العرب وأشعارهم .

(۱) تفسير ابن جرير ۵/۱۰ .

(۲) المصدر نفسه ۷/۱۰ .

(۳) تفسير النيسابورى المهش على ابن جرير ۵/۱۰ طبع الأميرية .

(۴) تفسير ابن جرير ۵/۱۰ وما بعدها .

(۵) محاضرات الحضرى ۷/۹۲ .

(۶) الفتنة الكبرى لطفه حسين ۱۴۱/۲ فلقد ذكر خطاب ابن عباس لعلي بن أبي طالب الذى

جاء فيه : أنه أخذ من المال ما هو أقل مما يستحقه .

٤ - أولاً : إن مما يستلفت النظر : كثرة ما يروى عن ابن عباس . فلا ابن عباس في الصحيحين - ألف وستمائة وستون حديثاً^(١) . ولا ابن عباس آثار كثيرة في غير الصحيحين . فلقد استرعت هذه الكثرة نظر الباحثين . وأثارت شكوكهم ، ولقد تشعب التحقيق بهم - فهناك من يضعف غالبية الذين رووا عنه بما فيهم مولاه (عكرمة) - فلقد جاء في المعارف لابن قتيبة : أن (سعيد بن المسيب) قال لمولاه (برد) : [إياك أن تكذب على كما يكذب عكرمة على ابن عباس] . وجاء في المعارف أيضاً : أن (عبد الله بن الحارث) زار (علي بن عبد الله بن العباس) فوجد (عكرمة) موثقاً على باب كنيف فقال له : [أتفعلون هذا بمولاكم؟] قال : يكذب على أبي [٢] - فهؤلاء يشكون في نزاهة أكثر الذين يروون عن ابن عباس لا سيما الخبر الذي يأتي عن طريق (معاوية بن صالح) عن (علي بن أبي طلحة) ويقولون : إن أضعف الأسانيد إلى ابن عباس - طريق (جويبر) عن (الضحاك) - وينقل صاحب (الإتقان) عن (الشافعي) : أنه لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث^(٣) .

٥ - ومن أكثر الذين استهدفهم نقد علماء الحديث من رواية الحديث عن ابن عباس : (عكرمة مولى العباس) أكثر الرواة اتصالاً بابن عباس^(٤) : وعكرمة مولى ابن عباس - هو : (أبو عبد الله عكرمة البربري المدعي ، كشمس البلاء ، المدعي الدراسة) وهو غير (عكرمة بن خالد بن سعد بن العاص خزومي) المدعي المشهور وغير (عكرمة بن عمار اليمامي) أحد صغار التابعين - الذين آتهمها البعض بالتدليس كما آتهم عكرمة مولى العباس بضعف الرواية - يريد أن الذين تجدهم ما جدهم في المعارف لابن قتيبة عن عكرمة كثير من منهم رجال يعرفون الضعيف من القوي . فعكرمة مولى ابن عباس لم تقتصر روايته على ما سنده من ابن عباس - فقد روى عن (عائشة) وعن (أبي هريرة) وعن (عقبة بن عامر) عن (سعد بن أبي وقاص) .

(١) الأعلام : ٢٢١ .

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٤٣٨ و ٤٤٥ و ٤٤٦ .

(٣) فجر الإسلام ص ٢٠٣ .

(٤) ومن موالى ابن عباس الذين أخذوا عنه : كريب بن مسلم أبو معاذ وشعبة ودونق وأبو عبيد الله .

ترجمهم ابن سعد في طبقاته في الجزء الخامس .

ابن أبي طالب) : ولعله - روى عن ابن عباس قبل أن يملكه ، فابن عباس لم يملك عكرمة إلا بعد أن ولي البصرة^(۱) - وعن عكرمة أخذ الكثيرون من رجال التفسير والسيرة والمغازي .

ولكن تجاهل الكثيرين ما حام حول عكرمة لا يجعل البحث يهمل ما قيل عن ضعف رواية عكرمة ، فقد يكون الرجل عندما تقدمت به السن تأثرت ذاكرته فاهتزت روايته فأصبح ضعيفاً عند (مالك بن أنس)^(۲) وغيره . ولقد ثبت : أن الضعف أصاب بعض الرواة بعد أن تقدمت بهم السن . وقد يكون خصوم عكرمة بالغوا في تقديمهم ، فلكل عالم أخطاء لاسيما إذا ما كثر الأخذ عنه - وتقدمت به السن . ولكل عالم خصوم لا يرون عليهم من حرج في قول ما يقتنعون به .

ومن أكثر من روى عن ابن عباس (مجاهد) و (عطاء بن أبي رباح) و (سعيد بن جبير) - و (علي بن أبي طلحة) فعن هؤلاء امتلأت كتب التفسير والسيرة والفقهاء ، وفي أقوال هؤلاء وجد الباحثون أقوالاً متناقضة .

والذي يخص البحث من تراث ابن عباس - هو : الذي له صلة بالتاريخ ، والذي له صلة بالتاريخ منه ما هو مرتجل وضعه بعض الرواة ونخلوه - أعلام الرواد لأسباب لم تخف على القدامى من التقليد المحققين ، وفي مقدمة الأسباب التي واجهت المحققين : التنافس التقليدي بين الهاشميين والأمويين - ذلك التنافس الذي لم يلبث أن تطور بعد الإسلام إلى خصومة دامية حمراء بين علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان - توارثها : العلويون والعباسيون من بني هاشم ، والسفيازيون والمروانيون من بني أمية ، ولقد وقف في صف الهاشميين شيعتهم التي أحببهم عن عقيدة ، ووقف بجانب الأمويين أنصار أخلصوا لهم عن أمل وإكبار . ولقد آذرت الدعاية السيف في جميع عصور النزاع بين الهاشميين والأمويين ، ولقد كانت أحاديث الرسول عليه السلام وأقوال صحابته ذات أثر كبير في نفوس ارتوت بالإيمان - فلم يحجم دعاة الحزبين : الأموي والهاشمي عن وضع الأحاديث والآثار في مصلحة الحزبين ، ولم تتأخر شيعة بني هاشم الذين تفوقوا في مجال الدعاية بقدر ما تفوق

(۱) تذكرة الحفاظ ۱/ ۹۵ .

(۲) نقل (الدارقطني) قول (الحافظ بن حجر) يلزم من جعل التسوية تدليلاً أن يعد مالك ابن أنس - مدلساً لأنه يستطع عكرمة ، وقال بعضهم : إن مالك بن أنس أسقط عكرمة لأنه غير حجة عنده .

خصوصوهم في المجال السياسي طيلة العصر الأموي ، ولم تتأخر الشيعة عن استغلال مكانة علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس في أوساط المتحزبين للعلويين والعباسيين فأسرفوا في الارتجال والوضع لا سيما في الموضوعات ذات العلاقة بحرمه بيت آل النبي عليه السلام . وذات العلاقة بمتاعب آل علي وبحقهم في الخلافة - وكذلك لم يقصر أنصار الأمويين في وضع أحاديث تنوه بمكانة أبي سفيان الذي كرمه النبي عليه السلام في فتح مكة فجعل داره مأمناً لكل من دخلها . وبصحبة معاوية أحد كتاب الوحي وأحد كبار قواد الفتوحات الإسلامية .

٧- ثانياً : التناقض فيما يروى عن ابن عباس في موضوع واحد . وأكثر المتناقضات فيما أسند إلى ابن عباس - يرجع سببها إلى عوامل تزيد في قيمة التراث العلمي الذي ورثته الأجيال الإسلامية عن ابن عباس - فمن تلك الأسباب فهم الخبر عن نحو . ثم معرفة صحته - ومنها : تحرى الصحة بالبحث عن حقيقة ما وصل إلى الرود من أخبار العالم القديم - ومن أدلة عدم مكابرة ابن عباس فيما أخص في فهمه : ما جاء في القصة التي ذكرها (ابن جرير) في تفسيره [وقف سائل على ابن عباس - وهو جالس في الحجر - وسأله عن العاديات ضبحاً ؟ فقال ابن عباس : انخيل حين تغير في سبيل الله . فائتملت أسائل وذهب إلى علي بن أبي طالب - وهو تحت سقاية زهزء - فسأله عن العاديات ضبحاً - فقال له علي : هل سألت أحداً قبلي ؟ قال سائل : سألت عنها ابن عباس - فقال : انخيل حين تغير في سبيل الله - فقال علي : اذهب فادعه - فلما حضر ابن عباس : قال له علي : أنتي الناس بما لا علم لك به ؟ والله نكانت أول غزوة للإسلام (بدر) - وما كان معنا إلا فرسان : فرس نازير وفرس نامقدد - فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى قال : ابن جرير : فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قاله علي بن أبي طالب [١] .

في هذه القصة على عداها - ما يوضح لنا سبباً من أسباب سقوط علي يروي عن ابن عباس . فابن عباس فسر الآية : (والعاديات ضبحاً) بأنها انخيل حين تُغير في سبيل الله . وعلى بن أبي طالب - فسرها بأنها انخيل حين تنفر من

(١) تفسير ابن جرير ٢٠ / ١٧٦ .

عرفات وتبكر إلى منى . فقتنع ابن عباس بالأدلة التي اعتمد عليها عليّ فنزع عن قوله إلى ما قاله عليّ - فلا يبعد أن يكون ابن عباس قد فسر هذه الآية لغير هذا السائل بأنها الخيل حين تغير في سبيل الله . ثم بعد أن قنع بأدلة علي بن أبي طالب فسرها بأنها الخيل حين تنفر من عرفة إلى المزدلفة ومنها إلى منى - فجمع المفسرون أمثال ابن جرير على طريقتهم كل ما ورد عن ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية .

وفي قصة الذبيح - ما يدل على أن ابن عباس كان حريصاً على تقصي الحقائق فقد قال - أولاً : إن الذبيح - هو : إسحاق بن إبراهيم . ثم قال - ثانياً : إنه إسماعيل وزعمت اليهود : أنه إسحاق وكذبت اليهود . ففيما رواه كعب الأحبار لأبي هريرة : أن الذبيح هو : إسحاق . فابن عباس أخذ بهذه الرواية إلى أن ثبت عنده : أن الذبيح هو : إسماعيل وأن اليهود فسروا ما جاء عنه بأنه أبوهم إسحاق .

فلتتناقض الأقوال التي لا مطعن في سندها - وإن عزاها إلى ابن عباس رواة ثقات : أسباب كالتى مرت . أما المشكوك في روايتها فلا غرابة إن جاءت متناقضة .

٨ - ثالثاً : مصادر (ابن عباس) - ومصادر ابن عباس : فيما يعود إلى المغازي والسيرة وأفعال الرسول عليه السلام وأعلام الصحابة - هي : الأحاديث التي سمعها من النبي عليه السلام مباشرة . أو أخذها عن صحابته الأولين . ويحدثنا ابن عباس عن المشاق التي تحملها في سبيل سماع الحديث من رواة الثقات - قال ابن عباس : [لما قبض رسول الله عليه السلام قلت لرجل من الأنصار : هلم فانسأل أصحاب رسول الله عليه السلام فإنهم اليوم كثيرون - قال : فقال لي : واعجبيا يا ابن عباس ! أتري الناس يفتقرون إليك - وفي الناس من أصحاب رسول الله من فيهم ؟! قال : فتركت ذلك الرجل . وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله عليه السلام عن الحديث ، فإنه كان ليبلغني الحديث عن رجل فأتى بابي - وهو قائل (١) - فأتوسد رداً على بابي تسفي الريح على التراب . فيخرج فيقول لي : يا ابن عم رسول الله عليه السلام - ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلى فأتيتك ؟ فأقول : لا ، أنا أحق أن أتيتك . فأسأل عن

(١) من القيلولة .

الحديث . فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألونني .
فيقول : هذا الفتى أعقل مني [(١)] .

وجاء في الطبقات عن (عبيد الله بن علي) عن جدته (سلمى) قالت :
رأيت ابن عباس معه ألواح يكتب عليها عن (أبي رافع) شيئاً من فعل الرسول
صلى الله عليه وسلم (٢) .

فما جاء في حديث ابن عباس عن متاعب جمع الحديث . والطريق التي
سلكها لأخذ الحديث من حفظته - تبدو لنا أسباب تكرار الرواية عن ابن عباس
مع الزيادة أو النقص ، فرواية تزيد في الحديث شيئاً لم يرد في ذلك الحديث في
رواية أخرى يختلف سندها وقد يتفق . أو تنقص شيئاً ورد في رواية أخرى حسبما
سمعه ابن عباس . وحسبما سمع عن ابن عباس . ولقد قال (وائله بن الأسقع)
عن رواية الحديث : [عسى ألا يكون سمعناها منه عليه السلام إلا مرة واحدة .
حسبكم إذا حدثتكم بالحديث على المعنى] (٣) . وروى الحاكم في علومه - :
أن (هشام بن عروة بن الزبير) قال في حديث رواه عن عائشة : (ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وما ضرب بيده شيئاً :
أنه سمع بعض الحديث من أبيه والباقي أخذه عن الزهري (٤) - فابن عباس
لم يأخذ الأحاديث التي رواها عن رجل واحد . وابن عباس لم يرو الأحاديث التي
حفظها لرجل واحد .

ومما روته (سلمى) - تبين : حرص ابن عباس على التحري - فهو قد أخذ
يكتب عن (أبي رافع) على ألواح . فالرجل كان يحفظ وكان يدون وكان يعيد الفكر
والنظر فيما سمعه وفيما دونه . ومن هذا وذاك - تظهر لنا مصادر ابن عباس فيما رواه
عن السيرة والمغازي وأفعال الرسول عليه السلام - وتظهر لنا المشاق التي تكبدتها
والعناية التي أبدتها في جمع النصوص وفي فهمها وفي روايتها .

(١) طبقات ابن سعد ٢/٣٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٧١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/٧٩ .

(٤) مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الثالث ، السنة الثانية ، عام ١٣٩٠ هـ ، ص ١٠٠ .

ولم ير ابن عباس كغيره من رواد التفسير : بأساً في الرجوع إلى تراث القدامى في تفسير الأنبياء التاريخية التي وردت في القرآن عظة وعبرة ، فأولئك الرواد قد رجعوا إلى ما يعرفه العرب عن (عاد) و (ثمود) و (جرهم) وغيرهم من الأمم البائدة التي اشتهرت في العالم العربي - مثلما رجعوا إلى لغات القبائل العربية وأشعارها في تفسير الغريب من ألفاظ القرآن - مثل : (فاطر) - و (التخوف) - وهم قد رجعوا إلى الأسفار والمدونات فيما يعود إلى أخبار العالم القديم وأمه الغابرة .

فعلى هذا النحو وصلت إلينا نصوص نقلها المؤرخون بثقة منعمة بالتقدير ، وإذا كان هناك من يقول : إن رجوع الرواد إلى الأسفار الإسرائيلية والمدونات السريانية والفارسية واليونانية - لم يكن في مصلحة التاريخ العربي لأنه أدخل فيه الأساطير والمبالغ ، فإن النتائج التي ظهرت في البحوث المتقدمة الواضحة - أثبتت : أن الأخبار التي كان يرويها الكتابيون والفرس واليونانيون لا تخلو من حقائق تاريخية - يضاف إلى ذلك : أن كل نص قديم - يصور لنا العقلية التاريخية في تلك العصور ، فمهما اختلط الخيال بخبر (يوسف) وإخوته - فإن القصة لا تخلو من الحقيقة التاريخية ، فيوسف هبط مصر وبيع في أسواقها ونال لدى عزيز مصر مكانة ذات نفوذ - أتاحت له السيادة على مصر - مثلما هبط إلى مصر في العصور الإسلامية ممالك بيعوا في أسواقها ثم هيأت لهم كفاياتهم السيطرة على مصر ، ولقد سام الفراعنة اليهود سوء العذاب مثلما سامهم النازيون في عهد (هتلر) - فالدس والطعن من الخلف والإجرام السياسي - كل ذلك سبب لهم سوء العذاب في كل عصر من عصورهم - وها هم أولاء اليوم يدفعون الولايات المتحدة الأمريكية إلى مواقف تثير عليها نقمة الشعوب وسخطها ، ولسوف يأتي المستقبل بأسوأ النتائج التي تترتب على انقيادها لمطامع اليهود ، ولا يبعد : أن تكون أمريكا نفسها فريسة لمطامع الصهيونيين ومخططاتهم . ففي موقف اليهود من (موسى) بعد أن أنقذهم من ظلم الفراعنة : عظة وعبرة .

وإنه لمن الخطأ ظن الذين يقولون : إن ذلك الرعيل من الرواد العرب أخذوا كل ما وصل إليهم على عاياته ، فلقد ظهر لنا في بحث الأسفار ورأى ذلك الرعيل في التبديل والتأويل - ولقد ظهر لنا الآن في موقف ابن عباس في الرواية الإسرائيلية

عن الذبيح : أن موقف الرواد من الأسفار موقف سليم لا ينقصه التحري والحذر ،
فعلی ضوء معارفهم نقدوا وحققوا - كما ينقد اليوم الباحثون في التاريخ القديم
ويحققون على ضوء معارفهم . ونحن إذا ما بحثنا في حقيقة الخرافة في التاريخ -
نجد : الذين ملأوا بها المؤلفات في التاريخ - هم المتطفلون على البحوث التاريخية
الذين لا يتورعون عن دعم خيالهم بإسناده إلى واحد من الرواد .

وأخيراً تراث ابن عباس - وتراث ابن عباس تحدث عنه الباحثون كثيراً . فقد
قال عنه (موسى بن عقبة)^(١) : [وضع عندنا (كريب) حمل بعير من كتب
ابن عباس] ولكن موسى بن عقبة لم يقل لنا شيئاً عن كتب ابن عباس التي
بلغت حمل بعير - هل هي مدونات دونها ابن عباس نفسه ؟ أو هي : مدونات
كتبها (كريب) عن ابن عباس كما كتب عنه (مجاهد) التفسير - لذلك علينا
أن نرجع إلى ماجاء في التمهيد عن ابن عباس ، وما جاء في التمهيد لا يستشف
منه أن ابن عباس ألف كتاباً - على ما علمنا عن ابن عباس . وأنه شهد وشوهد
أفعال الرسول عليه السلام عن (أبي رافع) - فالذي جاء في التمهيد عن كتب
ابن عباس جاء مقتصراً على خمسة كتب نسبت إلى ابن عباس .

الكتاب الأول - كتاب ابن عباس في تفسير القرآن - رواه (مجاهد) . وتفسير
القرآن الذي كتبه مجاهد - قال (ابن جرير) في تفسيره : إن مجاهداً لزم ابن عباس
حتى كتب تفسير القرآن^(٢) . فهذا الكتاب لم يدونه ابن عباس بل دونه مجاهد عن
ابن عباس في ألواحه .

الكتابان : الثاني والثالث - تفسير (عكرمة) . وكتاب (نزول القرآن) لعكرمة
عن ابن عباس . وعكرمة - هو : مولى ابن عباس وراوية من رواة - فهذا الكتابان
كما يظهر دونهما عكرمة مما سمعه من مولاة عبد الله بن عباس وعنه .

الكتاب الرابع - كتاب (أحكام القرآن) وقد قال عنه ابن النديم : إنه مكابى
رواه عن ابن عباس ، فابن الكلبي من المؤلفين الذين يفخرون بسعة اطلاعهم -

(١) راجع ترجمة موسى بن عقبة في هذا الجزء .

(٢) التمهيد ص ٥٠ و ٥١ و ٥٧ .

(٣) تفسير ابن جرير ١/ ٢٨ و ٣١ .

وقد توفي بعد وفاة ابن عباس بنحو ثمانية وسبعين عاماً^(۱) .

الكتاب الخامس - كتاب (عدد لامات القرآن) قال عنه ابن النديم :
 إنه لابن عباس ، وموضوعات هذا الكتاب الذي لم أطلع عليه - كما يظهر من
 عنوانه من الموضوعات التي استجدت بعد عصر ابن عباس ، ولقد ورد في الفهرست:
 من الكتب المؤلفة في القرآن - كتاب (أجزاء القرآن) عن (أبي بكر بن عباس)^(۲)
 - فابن عباس هذا ليس هو بطبيعة الحال (عبد الله بن عباس) فقد
 يكون هناك تحريف نشأ عنه انتساب هذا الكتاب لابن عباس - كما إنحال :
 أن هناك تحريفاً في اسم (أبي بكر بن عباس) - فالمعروف - هو : (أبو بكر بن
 العياش) مولى (واصل بن حيان الأحذب) روى عن (عاصم بن النجود) القراءة -
 فأبو بكر هذا يعرف بابن العياش .

۱۲ - وعلى كل حال - مهما يكن من أمر هذه الكتب - فإن تراث ابن عباس
 لم يخل منه مؤلف من المؤلفات في التفسير ، وفي السيرة ، وفي المغازي ، وفي أيام العرب
 وأشعارهم ، وفي تاريخ ما قبل الإسلام - وإن مصادر ابن عباس كثيرة ، فابن
 عباس لم يكتف بما سمعه من الرسول عليه السلام بل هو حرص على أن يجمع من
 صحابته ، ولم يكتف بالأخذ من الراسخين في الأسفار مثل : عبد الله بن سلام ،
 وكعب الأحبار بل هو اهتم بكتب التوراة والإنجيل وعرف شيئاً منها كما يؤكد ذلك
 صاحب الإتيقان^(۳) - هذا ولا يستبعد على ابن عباس الذي دون أفعال الرسول
 عليه السلام أن يدون - الأحاديث التي سمعها من النبي عليه السلام والتي
 سأل عنها صحابته ، والأخبار التي وصلت إليه عن العالم القديم مبنوبة حسب
 موضوعاتها .

۱۳ - ولم تقتصر مدرسة ابن عباس على رواية الحديث - فلقد نظم مجالسه ،
 فكان يجلس يوماً لا يتحدث فيه إلا عن الفقه ، ويوماً لا يتحدث فيه إلا عن

(۱) المعارف ص ۵۳۵ ، وراجع ترجمة ابن الكلبي في هذا الجزء .

(۲) الفهرست ص ۵۵ .

(۳) راجع الجزء الثالث من الإتيقان .

التفسير ، ويوماً لا يتحدث فيه إلا عن المغازي ، ويوماً لا يتحدث فيه إلا عن الشعر ، ويوماً لا يتحدث فيه إلا عن أيام العرب^(١) .

وكثيرون أولئك الذين كانوا يؤمنون مجالس ابن عباس - فرحم الله ابن عباس فكم أغدق على ثقافتنا علماً ! وغفر الله لابن عباس فكم وضع عليه المتقولون !

(١) الطبقات ٢/٣٦٨ .

۴

البحث الخامس :

عبيد بن شريه . أو ابن سارية . أو ابن سارية - المجرمى

توفى سنة ٥٦١ هـ

من صحيفة ٣٧١ إلى ٣٧٨

من موضوعات البحث :

- ١ - عبيد بن شريه واحد من قلابين حافظوا على جرميتهم .
- ٢ - المستشرق (كرنكو) يتهم (ابن النديم) بأنه اخترع عبيد بن شريه .
- ٣ - ابن شريه نفسه من رواة القصص الجاهلية .
- ٤ - ليس من السهل شجب النصوص العربية .
- ٥ - النزول على رأى كرنكو - معناه : نزولنا عن مصادر تاريخنا .
- ٦ - الحكم على ابن النديم يشمل غيره .
- ٧ - كرنكو يعترف بوجود ابن شريه فى حيدرآباد دكن .
- ٨ - الذين تحدثوا عن ابن شريه وضمنوا شيئاً من حياته .
- ٩ - ليس المستشرقون جميعهم ينكرون وجود ابن شريه وليس المتأخرون جميعهم يسخرون من أخباره .
- ١٠ - أخبار ابن شريه .
- ١١ - أخبار ابن شريه وتيجان ابن منبه مرآة لعقباته التاريخية فى العصر الجاهلى .

عبید بن شریة أو ابن شریة أو ابن ساریة

۱- عبید بن شریة من القلائل الذین احتفظوا بنسبهم الجرهمی إلى ما بعد الإسلام ، وعبید بن شریة من المعمرین أدرك الإسلام بعد عمر قضاه فی الجاهلیة - تارة خطیباً یعتلی المنابر ، وأخرى واعظاً یجلس فی منصة الحکمة - أدرك النبی صلی الله علیه وسلم ولم یأخذ عنه شیئاً^(۱) - وعاش إلى خلافة معاویة فتحدث فی مجالسه بما یحفظه من تاریخ وأنساب وشعر - توفی سنة ۵۷۰ هـ فی الأعلام للزرکلی سنة ۵۶۷ هـ^(۲).

۲- وعبید بن شریة من القلائل الذین تردد أسماءهم فی کل جیل ، وفی جیلنا الحاضر یتردّد اسم ابن شریة علی أنه شخصیة خیالیة من اختراعات (محمد بن إسحاق بن الندیم) كما جاء فی رسالة (کرنکو) المستشرق الألمانى إلى (خیر الذین الزرکلی) - الذى علق علیها بقوله : [قلت : ومن قرأ کتابه فی أخبار الیمن وأشعارها وأنسابها ترجح عنده : أن الكتاب من وضع أصحاب القصص ، وليس من السهل اتهام ابن الندیم باختراع اسمه فلعله أخذه عن تلقفه من أفواه غیر المثبتین من الرواة]^(۳).

۳- للزرکلی - الحق فی لفت النظر إلى ما فی (أخبار ابن شریة)^(۴) من خیال قصصی یبعث علی الظن بأن من تلك الأخبار ما هو من وضع أصحاب القصص ، وإنما الذى تجدر ملاحظته : أن الأخبار التاریخیة المتداولة فی العصر الجاهلی - مترعة بالأساطیر ، فالأساطیر فی أخبار ابن شریة لا تدل علی أنها من وضع أصحاب القصص فی العصور الإسلامیة ، فابن شریة نفسه لم ینخرج بأخباره عما فی قصص الجاهلیة .

(۱) المعارف ص ۵۳۴ .

(۲) الأعلام ۴ / ۳۴۱ م .

(۳) المصدر نفسه ۴ / ۳۴۱ اضمش .

(۴) أخبار ابن شریة : اسم الكتاب الذى ینسب لعبید بن شریة .

٤ - ومن رأى : أنه ليس من السهل - الحكم على عبید بن شریة بأنه شخصية خيالية ، وأنه لم يكن في أى وقت رجل بهذا الاسم !! . وليس من السهل أيضاً أن نهم ابن النديم بأنه يأخذ من أفواه غير المثبتين !! !

أجل ! ليس من السهل : قبول مثل هذه الأحكام بمثل هذه السهولة التي صدرت بها !! ! - إن أحكاماً كهذه تفرض علينا : أن نضرب بما تواتر في مصادرنا العربية عرض الحائط مجازة لرأى مستشرق جاء مجرداً من كل دليل . فتضعيف النصوص العربية ليس من السهولة التي يتصورها البعض . فلا بد لمن يشطب على النصوص - بالمداد الأحمر - من تقديم أدلة مقنعة .

٥ - إن نزولنا على رأى (كرنكو) معناه نزولنا عن مصادرنا والطعن فيها . فإذا كان ابن النديم يأخذ عن يتلقف من الأفواه دون تثبت . فما قيمة كتابه (التمهيد) ؟ وإذا كان ابن النديم يأخذ من غير المثبتين لأنه ذكر ابن شریة - فلم لا يكون (ابن قتيبة) كذلك من الذين يأخذون من غير المثبتين - فهو أيضاً ذكر ابن شریة وقال عنه : [وفد على معاوية فسأله عن الأخبار المتقدمة] ؟ ! وما قيمة كتبه : (المعارف) و (عيون الأخبار) و (الشعر والشعراء) وغيرها ؟ - ولِمَ لا يكون (الدينورى) - مثل ابن النديم يأخذ من غير المثبتين - فهو أيضاً ذكر عبید ابن شریة في كتابه الأخبار الطوال - فقال عنه : [وذكر عن ابن شریة - أنه قال ... إلخ] وما قيمة مؤلفاته ؟ ! ولم لا يكون (اليافعى) وغير اليافعى ممن سبق ابن النديم ومن تأخر عن ابن النديم من الذين ذكروا ابن شریة - جميعهم من الذين يأخذون من غير المثبتين ؟ ! وكيف يمكننا الاعتماد على ما في أيدينا من المؤلفات ما دام أصحابها يأخذون من غير المثبتين ؟ ! !

٦ - فالحكم على عبید بن شریة بأنه شخصية خيالية . وعلى أخباره بأنها من اختراعات أصحاب القصص : حكم يسرى على (ابن منبه) و (كعب الأحبار) وغيرهما ممن تحدث في العصر الإسلامى عن التاريخ بعقاية النصوص التي اطلع عليها . فأى خبر من أخبار العصور الماضية سلم من الخيال ؟ وأى مؤلف من المؤلفين كان في استطاعته تدوين الأحداث بأسلوب القرن العشرين وعقائمه ؟ ! - وهل يضمن مؤلفو العصر الحاضر أن ما يدونونه من الأحداث سوف ينطبق على فهم

ومقاييس الباحثين في التاريخ بعد ألف عام؟! !

٧- ثم إننا إذا ما رجعنا إلى كتاب (أخبار ابن شرية) نجد مستشرقاً بنفس هذا الاسم (كرنكو) الألماني أبدى رأياً على كتاب ابن شرية نفسه المطبوع في مطبعة دائرة المعارف الحيدرآبادية - جاء تعليقاً على الكتاب [استنتج المستر (كرنكو) من الحملة التي صدر بها كتاب أخبار ابن شرية - حدثنا عبيد بن شرية عن البرقي إلخ - : أن الجامع له ابن هشام - وكان القائل عن البرقي أحد تلامذته]^(١) ، فإذا كان الرجلان - الذي كتب لخير الدين الزركلي والذي نقل رأيه في التعليق على كتاب أخبار ابن شرية - رجلاً واحداً ، فليس ثمة ما يدعو إلى اتهام ابن النديم بأنه اخترع شخصية عبيد بن شرية - فمستر كرنكو - نفسه قد ذكر ابن شرية !! !

٨- والذين تحدثوا عن ابن شرية لم يتحدثوا عن أخباره فحسب - بل تحدثوا أيضاً عن حياته ، فقالوا عنه : إنه من سكان (الرقة) - وقال (ابن عساكر) : قيل : إن ابن شرية لم يفتد إلى معاوية وإنما لقيه بالحيرة لما توجه معاوية إلى العراق^(٢) . وما جاء في كلام ابن عساكر عن اجتماع معاوية بابن شرية في العراق لا ينفي حضور ابن شرية إلى مجالس معاوية في الشام - فقد يكون معاوية عرفه في الحيرة فأعجب به فدعاه إلى دمشق . وما جاء في كلام ابن عساكر عن اجتماع معاوية بابن شرية يرجح لنا : اطلاع ابن شرية على ما في كنائس الحيرة من تراث القدامى ، فقد يكون ابن شرية غادر اليمن بما معه من معلومات حصل عليها من بلاد الحميريين - ليحصل على المزيد من بلاد اللخمين - على رأى من قال : إن ابن شربة من سكان (اليمن) . أو إنه غادر (الرقة) إلى اليمن وإلى الحيرة وغيرهما بحثاً عن الأخبار التاريخية - على رأى من قال : إنه من سكان (الرقة) فما يؤكد هذا الظن : الأسماء التي ذكرها وأرجعها إلى أصلها السرياني ، والأخبار التي تحدث بها والتي يرجع أصلها إلى المصادر الفارسية ، كما جاءت في كتابه أخبار وردت في مصادر قحطانية .

٩- وليس المستشرقون جميعهم يشكون في وجود عبيد بن شرية - فلقد جاء في دائرة

(١) التيجان وأخبار ابن شرية ص ٣١٢ - طبع حيدرآباد .

(٢) الأعلام للزركلي ٤ / ٣٤١ .

المعارف الإسلامية عن عبید بن شریة [وما وضعه الاثنان : (وهب بن منبه)
و (عبید بن شریة) دليل واف على أن العرب الأقدمين كان ينقصهم في تدوين
التاريخ قوة الإبداع والنفوذ إلى الحقائق حتى في أخص ما يتصل منها بحوادث
عصرهم] ^(١) .

وئیس كل الذین كتبوا فی العصر الحاضر عن ابن شریة یرون : أن أخباره
من وضع أصحاب القصص ، فلقد جاء فی مقال (جمیل العظم) الذی نشرته مجلة
(الكشاف) تحت عنوان : التاريخ ومصنفات العرب فیہ : [أن ابن شریة الرائد
الأول فی التصنیف] ، وجاء فی كلام (جواد علی) اعتماداً علی مصادر عربية وغير
عربية : [فأما عبید بن شریة فقد كان من أهل (صنعاء) فی رواية أو من سكنة
الرقعة فی رواية أخرى - وكان معروفاً عند الناس بالقصص والأخبار . فطابه
معاوية فصار یحدثه بأخبار الماضین . ومن الكتب المنسوبة إلیه : كتاب (الأمثال)
و (الملوك وأخبار الماضین) وقد طبع فی ذیل كتاب (التیجان) فی حیدرآباد دکن
فی الهند - بعنوان أخبار عبید بن شریة . وقد وضع الكتاب علی الطريقة التي تروی
بها أيام العرب وفیه أشعار كثيرة وضعت علی لسان (عاد) و (ثمود) و (لقمان)
و (طسم) و (جدیس) و (التباينة) . وفیه قصص إسرائیلی شعبي یمثل فی
جملته السذاجة وضعف ملكة النقد ومبلغ علم الناس فی ذلك الوقت بأخبار
الأوائل - وأما الشعر الذی رواه فلا ندی هل هو من نظمه . أو من نظم أشخاص
آخرین أضيف فیما بعد إلی الكتاب ؟! وعلى كل فهی تستحق توجیه غنية
الباحثین] ^(٢) .

۱۰- وفي الواقع أن كتاب (أخبار ابن شریة) ^(٣) - لا ینخرج عن الدائرة التي
وضعه فیها جواد علی - فكل من یطلع علی الكتاب یجده : أسئلة یجیب علیها
ابن شریة . ویجد أكثر أجوبة ابن شریة : تستند إلى مصادر اطلاع علیها ابن
شریة كما یظهر من قوله : [وبقال : جمیع أجناس الفرس من ولده إلیخا]

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة تاریخ ٤ : ٤١٤ .

(٢) تاریخ العرب قبل الإسلام ١ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) أهدتی دائرة المعارف الإسلامية هذا الكتاب مع بعض ملاحظاتها إلی ذی الحیدرآباد

قبل استقلال الهند .

و [بلغنى : أن أولاد (بربر) إلخ] و [قال (أسد بنى ناعض) يذكر السحابات والتخبير] و [فى ذلك يقول (أسد بن ربيعة الكلابى) وهم الأوائل] .

وكل من يطالع الكتاب - يجد فيه : العنصرية التى كانت تفرق بين العدنانيين والقحطانيين : واضحة كل الوضوح : [إنما كانت (مضر) بالأمس ، وكانت (اليمن) ملكت وملكك ، ولم يكن (مضر) ولا (معد) ولا (عدنان) إنما اليمن من ولد (هود) واسمه بالسريانية (عابر)] .

وكل من يطالع (أخبار ابن شرية) و (تيجان ابن منبه) يرى فيهما صورة واضحة للقصص الجاهلى ، ونموذجاً للأخبار التاريخية التى كان العرب يتداولونها فى جاهليتهم - كما قال جواد على ، وقالت دائرة المعارف الإسلامية .

وكل من يطالع أخبار ابن شرية يلاحظ تعليق (زين العابدين الموسوى) مصحح مطبوعات دائرة المعارف الحيدرأبادية على ما قاله (كرنكو) : إن الجامع لهذا الكتاب - هو : (ابن هشام) بانياً استنتاجه على ما جاء فى النسخة الأصلية [حدثنا عبد الله بن شرية عن البرقى] فالبرقى تلميذ ابن هشام مؤلف التيجان - فلقد علق (الموسوى) على هذا الاستنتاج مصححاً لرواية حديث ابن شرية عن البرقى (١) .

وكل من يطالع أخبار ابن شرية يجد القصص العربى الشعبى متأثراً بالإسرائيليات ويجد فيه ادعاء ابن شرية بأنه أدرك عامة ملوك (حمير) و (لحم) و (كندة) و (غسان) ، وادعاء كهذا لا يتحتم تصديقه ، وإنما يرجح لنا : أن ابن شرية كان يحتفظ بمدونات جاهلية ، وأن ابن شرية لم يظهر تلك المدونات لئلا يفقد إعجاب معاوية ومن كان يحضر مجالس معاوية بحافظة عبيد بن شرية المعمر المخضرم . وأخيراً - إننى لا أنفى عن كتاب (أخبار ابن شرية) : إضافات « ورتوشاً » من صنع الذين رووا أخباره والذين دونوها عبر السنين . فكتاب ابن شرية فى رأى الكثيرين - قد جمعه كتاب مجهولون قد يكون ما وصل إليهم من مجالس معاوية مدوناً بأقلام مجهولة أو رواية عن البرقى أو غيره أو خليطاً من هذا وذاك ، فعلى

(١) أخبار ابن شرية ص ٣١٢ ، وخاتمة الطبع التى كتبها الموسوى ص ٤٩٠ ، وابن هشام - عبد الملك مؤلف السيرة وله (القصائد الحميرية) و (التيجان) رواه عن أسد بن موسى عن ابن سنان عن وهب بن منبه .

الشهرة الواسعة التي حصل عليها كتاب ابن شريفة وانتشار نسخ منه - يقول جواد علي: [ومع هذه الكثرة اختلفت نسخه حتى صعب العثور على نسختين متشابهتين] (١) ولا غرابة في ذلك - فكل الأخبار التاريخية التي يتناقلها الرواة والمدونون لا تسلم من زيادات يضيفها الذين يروونها والذين ينسخونها - على أنه كلما تقادم الخبر التاريخي بليت عليه ثياب الخيال وبرزت بعض الحقائق من بين خيوطه . فالخيال الذي كان ينطلي على الأجيال الماضية لا يخدع أبناء هذا الجيل . وكذلك سوف يبلى خيال الحاضر الذي تنسجه أفكار الكتاب في الوقت الحاضر وتبرز الحقائق أمام نقاد الأجيال القادمة .

ولسوف تكون مؤلفات المؤرخين في العصر الحاضر مرآة لعقلية هذا الجيل مثلما أصبحت مؤلفات (عبيد بن شريفة) و(وهب بن منبه) وغيرهما - مرآة انعكست عليها العقلية التاريخية الجاهلية في جزيرة العرب .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ٤٤ .

البحث السادس :

عروة بن الزبير

توفي سنة ٩٣ أو سنة ٥٩٠

من صحيفة ٣٧٩ إلى ٣٨٤

من موضوعات البحث :

- ١ - عروة في تراجم القدامى .
- ٢ - عروة بن الزبير فجع في صحته كما فجع في إخوته .
- ٣ - عروة بن الزبير في تحقيقات المتأخرين .
- ٤ - هل ألف عروة بن الزبير في التاريخ ؟

عروة بن الزبير

١ - إذا ما ترجم القدماء - عروة بن الزبير - لا يترجمونه على أنه سياسي مثلما يترجمون : أخاه (عبد الله بن الزبير) ، فهو لم يشترك في المشكلات السياسية كما اشترك فيها أخوه . ولا يضعونه مع النسابة والمفسرين مثلما وضعوا (عبد الله بن عباس) فنشاط عروة في تحقيقهم - انحصر في الحديث والفقہ ، فالذين تحدثوا عنه من القدامى تحدثوا عنه عالماً أميناً على علمه فقيهاً متحريراً في فقهه - انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر حيث تزوج بها ، وعاد إلى المدينة وتوفي في (مجاح) في (الفرع)^(١) سنة ٩٤ هـ - ولا يزال قسم من (عتيق المدينة) الواقع في طريق المدينة إلى مكة عند مدخل المدينة يعرف باسم (بئر عروة) .

ولقد جاء في ترجمته لابن قتيبة : [فولد (الزبير) - عبد الله ، وعاصماً وعروة ، والمنذر ، وأم الحسن - أمهم (أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين) - وهصعباً ، وحمزة ، ورملة ، وخالداً ، وعمراً ، وعبيدة ، وجعفرراً ، وخديجة ، وعائشة وغيرهما تتمة تسع بنات .

٢ - أما عروة بن الزبير - فكان فقيهاً فاضلاً - ويكنى : أبا عبد الله ، وأصابته الأكلة في رجله بالشام - وهو عند (الوليد بن عبد الملك) ففقطعت رجله والوليد حاضر . فلم يتحرك ولم يشعر الوليد : أنها قطعت حتى كويت - فوجد رائحة الكى !! وبقي عروة بعد ذلك ثمانية أعوام ، واحتفر بالمدينة بئراً - يقال لها : بئر عروة - ليس بالمدينة بئر أعذب منها - وهلك في ضيعة له قرب المدينة سنة ثلاث وتسعين . ويقال : إنه مات سنة أربع وتسعين وكانت تلك السنة تدعى : سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها .

ومن ولد عروة بن الزبير : (هشام) الذي عرفته (الكوفة) أيام (أبي جعفر

(١) مجاح - قرية بناحية الفرع - والفرع على مسافة أربع ليال من المدينة وهي ذات نخل ومياه - الطبقات ٥ / ١٨٢ .

المنصور) الخليفة العباسي الثاني - ففيها - درس عليه الكوفيون^(١) - وإلى هشام ابن عروة تنسب أكثر الروايات المسندة إلى عروة بن الزبير [.

أما المتأخرون - فيضعون عروة بن الزبير : مع الطليعة التي بدأت تدوين التاريخ - فهذا (حسين مؤنس) يقول في تهميشه على (تاريخ التمدن الإسلامي) : [وأما عروة بن الزبير بن العوام الأسدي - فقد حفظ لنا معظم الروايات المتعلقة بأصول الإسلام بحسب رواية المدينة ، وقد ولد بين سنتي (٢٣ و ٢٩) وتوفي بين سنتي (٩١ و ٩٩) أي أنه شهد معظم أحداث القرن الهجري الأول . وقد اعتزل الناس بعد مقتل أخويه : مصعب وعبد الله - وفرغ للكتابة والتأليف . ونظراً لصلاته القوية بعدد كبير من الصحابة . فإن أخباره التي يرويها على أعظم جانب من الأهمية . والكثير من تأليفه مكتوب في صورة خطابات بعث بها إلى (الوليد بن عبد الملك) وقد روى عنه أخباره (محمد بن مسلم الزهري) وأبناؤه لا سيما ابنه (هشام) ثم (سايان بن يسار) و (ابن أبي مليكة) ومعظم أخباره وارد عند (ابن إسحاق) و (ابن سعد) و (الطبري)]^(٢) .

وهذا (عبد العزيز الدوري) يقول في كتابه (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب) عن عروة بن الزبير بعد أن تكلم عن مولده ونشأته وثقافته ورحلاته إلى (مصر) و (دمشق) : [إن البلاط الأموي سأله عن حوادث (بدر) وغيرها . فأجابه عن ذلك برسائل وصلنا بعضها في الطبري . وهي أقدم القطع التاريخية التي وصلتنا ومن أوثقها] . وقد جمع الدوري من (سيرة ابن هشام) و (تاريخ الطبري) و (فتوح البلدان) للبلاذري . و (المغازي) للواقدي : روايات عروة . ونظمها حسب تاريخ أحداثها والمناسبة التي روى فيها عروة الخبر أو كتب عنه . من بعثة الرسول عليه السلام وبدء الوحي إلى الهجرات إلى المغازي إلى بعض مراسلات الرسول عليه السلام - وقال عنها : [ويبدو : أن رواياته مجرد خطوط أولية تتبين في النقص . ففي حين أن بعضها لا يعدو إشارات عابرة - نرى : البعض الآخر متصلاً في حديثه عن (بدر) و (الخديبية) و (فتح مكة) . ونلاحظ : أن معركة (أحد)

(١) المعارف ص ٢٢١ وما بعدها .

(٢) التمدن الإسلامي ٣ / ١٠٠ طبع دار الهلال .

لا یرد عنها ما یردک — كما أننا لا نجد فی هذه الروایات : ذكراً لتاریخ الوقائع عدا (مؤتة) [(۱)] .

وهذا (حسین نصار) فی كتابه (نشأة التدوین التاریخی عند العرب) یقول : [عروة بن الزبیر المتوفى سنة ۹۴ هـ من معاصری (أبان بن عثمان) ومن الذین ألفوا فی التاریخ . ولم یقتصر عروة علی الروایة الشفویة — بل دون بعض الأحداث الی طلبها (عبد الملك بن مروان) و (ابن أبی هنیدة) الذی كان فی بلاط (الولید) فی رسائل بعضها إلیهما — وقد وصل إلینا بعض هذه الرسائل فی مؤلفات : ابن إسحاق . والواقدی . والطبری . وتتناول رسائل عروة إلی عبد الملك : هجرة الحبشة . وموقعة بدر . وفتح مكة . وتناول عروة أيضاً وفاة (خدیجة) وهجرة النبی علیه السلام إلی المدینة . وزواج النبی علیه السلام من أخت (الأشعث) . وتتناول الرسالة الی بعضها لابن أبی هنیدة ورواها (الزهری) المناسبة التاریخیة للآیة العاشرة من السورة الستین] (۲) — فعن الآیة العاشرة من سورة (المستحنة) كتب (ابن أبی هنیدة) صاحب (الولید بن عبد الملك) یسأل (عروة) عن قوله تعالی : ﴿ إذا جاءکم المؤمنات مهاجرات... إلخ ﴾ — فأجابه عروة فی رسالة وجهها إلیه عن الآیة وأنها نزلت بعد صلح (الحدیبية) الذی قضت شروطه بأن یرجع المسلمون من جاءهم مسلماً من قریش (۳) .

۴ — فالذی یر ما لخصناه من هذه التحقیقات الی قام بها الباحثون فی نشأة التاریخ عند العرب . وما استعرضه المحققون من آثار عروة بن الزبیر : أن عروة لم یکن مؤلفاً علی طراز (الواقدی) وإنما هو جماعة للأحادیث — فلو أنه تفرغ لكتابة التاریخ كما یقول (حسین مؤنس) لرتب المغازی ولما أسقط منها غزوة (أحد) ، ولكتب عن بقية الوقائع كما كتب عن (مؤتة) . فالتألیف یقتضی الترتیب والاستیعاب . فالخصوصیة الی بدت لنا فیما بقی من آثار عروة لا تظهر فی شكل مؤلف تاریخی تفرغ له عروة بن الزبیر . وإنما هی تظهر فی صورة أجوبة استوعبت

(۱) كتاب بحث فی نشأة علم التاریخ عند العرب من ص ۶۱ إلی ص ۷۷ .

(۲) نشأة التدوین التاریخی ص ۳۱ .

(۳) تفسیر ابن جریر ۴۵/۲۸ .

كل ما يعرفه عروة عما سئل عنه ، ومن الطبيعي : أن الجواب المخرر - غير التأليف المنظم ، وإن كانت رسائل عروة تعدّ في عصره نوعاً من التأليف . فالرجل كان في طليعة المدونين ، وإن ما دوّنه في غير التاريخ عدّ في نظر القدامى من المؤرخين كتباً ، فلقد جاء في الطبقات عن هشام بن عروة : أن أباه أحرق (يوم الحرة) كتب فقه كانت له ، فكان يقول بعد ذلك : [لأن تكون عندي أحب إلى من أن يكون لي مثل أهلي ومالي]^(١) - والكتب في اللغة كل ما كتب - فلقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . فيها كتب قيمة ﴾ : الكتب المكتوبات ، والقيمة المستقيمة^(٢) . وجاء في لسان العرب : [كتب الشيء يكتبه كتباً وكتاباً والكتاب : اسم لما كتب مجموعاً]^(٣) .

(١) الطبقات لابن سعد ١٧٩/٥ .

(٢) تفسير النيسابوري ١٤٣/٣٠ .

(٣) اللسان ٦٩٨/١ .

۴

البحث السابع :

أبان بن عثمان

توفي سنة ١٠٥هـ

من صحيفة ٣٨٥ إلى ٣٩٠

من موضوعات البحث :

- ١ - أبان بن عثمان صاحب العاهات .
- ٢ - أبان بن عثمان لم يستسلم للعاهات .
- ٣ - شهرة أبان علمية أكثر منها سياسية .
- ٤ - أبان بن عثمان لم يؤلف في التاريخ ولكنه دون ما جمع من الحديث .
- ٥ - في بعض التحقيقات تشويش يستدعي الوقوف عنده .
- ٦ - ما وصل إلى الباحثين من أقوال أبان بن عثمان أعطى فكرة عن منهجه .

أبان بن عثمان بن عفان ١

١ - أبان بن عثمان - هو : الابن الرابع^(١) لعثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، ذكره (ابن قتيبة) مع أهل العاهات - فقال عنه : [كان أصم شديد الصمم . وكان أبرص يخضب مواضع البرص من يده ولا يخضبه في وجهه . وكان مفلوجاً ، ويضرب المثل بفالج أبان بن عثمان في المدينة] - وقال عنه : [فأما أبان بن عثمان - فشهد (الجمل) مع (عائشة) فكان الثاني من المهزومين . وكانت أمه : بنت (جندب الدوسي) وكانت حمقاء - تجعل الخنفساء في فمها - وتقول : حاجيتك : ما في فمي ؟ ! وكان أبان أبرص أحول يلقب بقميعة]^(٢).

وما جاء في معارف ابن قتيبة عن (أبان بن عثمان) - يصور لنا الرجل من جانب واحد . فحياة أبان بن عثمان لم تكن جميعها حياة إنسان مهزوم مريض انزوى عن المجتمع - فلقد جاء في الطبقات : [أبان بن عثمان تولى إمارة المدينة سبع سنوات في عهد (عبد الملك) وأنه حُج بالناس فيها « السنين السبع » - مرتين] ، وأن الفالج الذي أصابه لم يفقده ذاكرته - فقد روى عنه : [من قال حين يصبح : لا إله إلا الله العظيم . سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوة إلا بالله - عوفي من كل بلاء يومئذ] رواه وهو مصاب بالفالج - فلما رأى : استغراب السامع - قال : [إن الحديث كما حدثك إلا أنه يوم أصابني هذا لم أكن قلته]^(٣).

٢ - بيد أن حياة (أبان بن عثمان) السياسية لم تكن ذات خطر ، فلقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية : [ولا ترجع شهرة أبان إلى مكانته كعامل من عمال الأمويين بقدر ما ترجع إلى معرفته الواسعة بالحديث ، الأمر الذي أكسبه التقدير

(١) ولد عثمان ثلاثة عشر مولوداً بين ذكر وأنثى .

(٢) المعارف لابن قتيبة ص ٥٧٨ و ٢٠١ .

(٣) الطبقات لابن سعد ١٥٣/٥ وما بعدها .

والاعتبار [(١) - فلقد أخذ عن أبان بن عثمان رجال ثقات ، فلقد جاء في كلام (ابن سعد) في ترجمة (المغيرة بن عبد الرحمن) : [وكان ثقة قليل الحديث إلا في مغازي رسول الله عليه السلام - أخذها من أبان بن عثمان . فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمر بتعليمها] (٢) .

فأبان بن عثمان لم يكن له دور بطولى في الأحداث السياسية مثلما كان له دوره بين المهتمين بالحديث والمغازي . فهو لم ينل ولاية المدينة عن نبوغ إداري برز في تجربة لفتت إليه الأنظار - وإنما أتته الولاية عفواً في مناسبة هيأتها الظروف . فلقد غادر المدينة المنورة إلى دمشق (يحيى بن الحكم بن أبي العاص) عامل المدينة لعبد الملك بن مروان بعد أن استخلف عليها : أباناً - دون أن يستأذن الخليفة في القدوم إليه - فعاقبه عبد الملك بن مروان بعزله عن ولاية المدينة - ولم ير الخليفة الأموي : إبعاد أبان عن ولاية المدينة - فهو : ابن الخليفة المظلوم الذي حملت قميصه الدعاية الأموية . فمكث أبان والياً إلى أن عزله عبد الملك بعد سبع سنين وولى هشام بن إسماعيل (٣) .

أما نشاط أبان بن عثمان العلمي في مجال التأليف . فإم يكن أكثر من محاولات كما فعل غيره - فرواد الثقافة في عصر أبان بن عثمان - لم يصلوا إلى مرحلة التأليف في التاريخ . ولذلك قالت دائرة المعارف الإسلامية عن مدونات أبان بن عثمان . وعروة بن الزبير : [وقد أدى الجيل الثاني من المسلمين إلى هذا التقدم ، هو أعلق بالمصادر والمراجع منه بمجموعات تكويها . ومع هذا فإن اثنين منهم - وهما : أبان بن عثمان . وعروة بن الزبير ورد ذكرهما على اعتبار أنهما مصنفان في المغازي . ولكن مصنفاتهما لم تذكر قط على لسان المصنفين الذين جاءوا بعدهما] (٤) .

ولقد لفت النظر إلى ذلك (عبد العزيز الدوري) عندما قال : [نبدأ بأبان ابن عثمان الذي توفي بين سنة ٩٥ وسنة ١٠٥ هـ - فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي . ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه إلا أنها توصف بأنها من حديث .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٧/١ .

(٢) الطبقات ٢١٠/٥ .

(٣) الطبقات ١٥٢/٥ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٨٦ .

وإذا استثنينا إشارة إليه في اليعقوبى ، فإننا لا نجد من المؤرخين من نقل أو روى عنه في حين أنه يروى عنه في كتب الحديث ، ويبدو : أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازى [(١)] .

على أن (حسين نصار) عدّ ما جاء في طبقات (ابن سعد) عن (المغيرة ابن عبد الرحمن) الذي سبق الكلام عنه : نوعاً من التأليف - فلقد قال : [أول من اشتهر بالتأليف في المغازى أبان بن عثمان - ويبدو : أن هذه المغازى التي رواها (المغيرة) عن أبان ليست كتاباً بالمعنى الدقيق ، وإنما هي مجموعة من المواد المتعلقة بحياة النبي عليه السلام . ويظهر : أن هذه الأخبار ضاعت ولم يأخذ عنها أحد من كتاب السيرة المتأخرين ، فلم يأخذ عنه (ابن إسحاق) ولا (الواقدي) ولا (ابن سعد) في الجزء المخصص للسيرة من طبقاته . أما خبر أسير (العباسي) - وبعض بني هشام الذي يرويه البعض عن (أبان) عن (معاوية بن عمار) عن (جعفر بن محمد المتوفى عام ١٤٨ هـ) فإنه يتضح من الإسناد : أنه لا يقصد : (أباننا) هذا وإنما (أبان البجلي الشيعي) - ولكن (ابن سعد) يذكر (أبان ابن الخليفة عثمان) خارج السيرة حين يروى الكلمات الأخيرة التي تفوه بها (عمر بن الخطاب) عند وفاته ، وقد سمعها أبان من والده ، ويذكره (ابن قتيبة) أيضاً في الشعر والشعراء - على أنه راوى الخبر القائل بأن (معاوية) اشترى البردة التي أعطاها النبي عليه السلام كعب بن زهير - مكافأة له عن قصيدته (بانت سعاد) - وفيما عدا ذلك لا يوجد لأبان ذكر في كتب التاريخ ، وإن كانت كتب الحديث تكثر من ذكره [(٢)] .

وجاء في تعليق (حسين مؤنس) على (تاريخ التمدن الإسلامي) : [فأما (أبان) فهو حفيد الخليفة (عثمان بن عفان) ، وقد شهد الحروب بين علي ومعاوية . وحضر معركة (الجمل) وتوفي سنة ١٠٥ هـ ، وقد كتب مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه (ابن سعد) في طبقاته [(٣)] .

(١) علم التاريخ عند العرب .

(٢) نشأة التدوين التاريخي ص ٢٩ و ٣٠ .

(٣) تاريخ التمدن الإسلامي ١٠٠/٣ .

۵- ونحن إذا ما استعرضنا ما جاء في هذه التحقيقات - نجد في بعضها تشويشاً يقتضى الوقوف عنده - من ذلك : ما جاء في تعليق (حسين مؤنس) عن (أبان) وأنه حفيد الخليفة عثمان بن عفان !! فأبان - هو : ابن عثمان لا حفيده . ولعل حسين مؤنس اختلط عليه الأمر فيما ذكره بعض القدمى عن أبناء عثمان - مثل : (ابن قتيبة) الذى ذكر مع من ذكرهم من أبناء عثمان بن عفان : (أم أبان) فظن : أن أباناً الذى تحدث عنه - هو : ابنها - والواقع : أن أباناً الذى يدور حوله الكلام - هو : ابن عثمان بن عفان لا حفيده . وأن (أم أبان) - هى : أخت أبان بن عثمان لا أمه .

ومن التشويش الذى يستدعى الوقوف عنده - ما جاء فى كلام حسين نصار وحسين مؤنس عن أبان بن عثمان : أنه اشتهر بالتأليف فى المغازى . وكتب فيها . فأبان بن عثمان لم يؤلف فى المغازى أو فى السيرة فكل ما جاء عن نشاط (أبان) التاريخى - هو : ميل إلى دراسة الحديث وجمعه . فإعله بوب الأحاديث التى جمعها حسب موضوعاتها - ولعل سبب هذا التمسك هو ما جاء فى طبقات : (ابن سعد) فى ترجمة (المغيرة بن عبد الرحمن) بيد أن (ابن سعد) لم يذكر له : من الذى دون المغازى التى كانت تقرأ على (المغيرة بن عبد الرحمن) - هل هو : أبان . أو المغيرة ؟ وقد يكون من أسباب عدم ذكر (أبان) فى سيرة (البرقيلى) و (ابن سعد) و (ابن إسحاق) - أنهم لم يجدوا فيما دونه (أبان) شيئاً كثيراً بما يمكن من روايات كبار الصحابة - وعندما رأوا لزوماً منتقل عنه لم يتأخروا - فقد روى عنه آخر كلمات نطق بها (عمر بن الخطاب) قال : هذه خير (ليرده) فى رجلي .

ومن التشويش الذى يستدعى الوقوف عنده أيضاً - ما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية عن (أبان) وأنه ألف كتاباً فى المغازى : (حتى إن كتبه) (۱) وهو سيرة محمد - بعد أقدم الآثار الأدبية . وقد صحح هذا السيرة محمد شاكر) فى هامش دائرة المعارف فقد معتاداً على ذلك : (۱) محمد شاكر لأنه (أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا المؤلف البجلي المعروف بـ (الأحمدي) من علماء الشيعة الإمامية توفى حوالى سنة ۲۰۰ هـ . وقد يؤكد ذلك ما جاء فى

(۱) دائرة المعارف الإسلامية ۱ / ۱۱۷ .

دائرة المعارف في مكان آخر : أن المصنفين لم يذكروا كتاباً لأبان بن عثمان ولا لعروة ابن الزبير كما تقدم . فالذي يظهر : أنها (دائرة المعارف الإسلامية) تعنى المغازى التي كان يتحدث بها (المغيرة بن عبد الرحمن) التي تقدم ذكرها عن (ابن سعد) .

فأبان بن عثمان لم يتجاوز النهاية التي وصل إليها (عروة بن الزبير) - ٦ -
 فالاثنتان دوننا الحديث ولكن ما دوناه لم يصل إلى مرتبة التأليف ، وإن كان كل واحد منهما سار في بداية الدراسة التاريخية والتدوين في التاريخ ، ومن المؤسف :
 أن الباحثين لم يجدوا ما جمعه أبان بن عثمان من أحاديث المغازى - على أنهم بما وصل إليهم عنه استطاعوا تقديم فكرة عن منهجه بما نقلوه عنه وسلطوا الأضواء عليه .

البحث الثامن :

الشعبي - عامر بن شراحيل الحميري الهمداني

توفي سنة ١٠٤ أو سنة ١٠٥ هـ

من صحيفة ٣٩١ الى ٣٩٦

من موضوعات البحث :

- ١ - اهتمام القدامى بالشعبي .
- ٢ - ذكاء الشعبي ودقة ملاحظته .
- ٣ - أمانة الشعبي .
- ٤ - صلة الشعبي بالبيت الأموي .
- ٥ - حياة الشعبي حفلة بالعلوم والسياسة .
- ٦ - الشعبي بين التقرُّب والنقد .
- ٧ - هل يقصد حسين مؤنس : الشعبي عامر بن شراحيل ؟ أو يقصد شعبيًا آخر !!

عامر بن شراحيل الحميرى الهمدانى - الشعبي

١- لقد اهتم (ابن سعد) بالشعبى اهتماماً بالغاً - فهو قد تحدث عن حياته منفصلاً مثلما تحدث عن (ابن عباس) ومن هو فى مستوى ابن عباس ، فما جاء فى الطبقات عن الشعبى :

- ١ - نسبه ، وصفته ، وملابسه ، ومولده ، ووفاته سنة ١٠٤ هـ .
- ٢ - من رآهم الشعبى من الصحابة ؟ ومن أخذ عنه أحاديثه ؟ ومن تعلم الحساب ؟
- ٣ - مذهبه - فقد قال عنه : إنه كان شيعياً ثم ترك الشيعة وعابها .
- ٤ - نشاطه السياسى - لقد شارك فى الأحداث السياسية - فكان على غير رأى المختار ، فتركه وأقام فى المدينة زمناً - وكان ممن خرج على (الحجاج) مع القراء ، وشهد (دير الجماجم) وكان ممن نجا فى تلك المعركة فاختلف فترة من الزمن ثم عاد إلى الحجاج يطلب عفوه . فعفا عنه (١) .
- ٥ - وقال عنه : إن الشعبى كان يجيئ بالأوبد . ولعل (المغيرة) الذى أسند إليه (ابن سعد) هذا الخبر - أراد بالأوبد : الخبر الغريب . والكلمة الوحشية ، وشوارد القوافى - فالشعبى كان مزاحاً وإخبارياً وشاعراً .
- ٦ - وتحدث عن المناصب التى وصل إليها الشعبى بمساعدة (الحجاج) فقد عينه الحجاج إماماً لقومه وعريفاً عليهم ، وأوفده على الخليفة - وولاه (عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) والى (عمر بن العزيز) على العراق : قضاء (الكوفة) ، وقد رآه (الأسود بن شيبان) : عليه دراعة حذراء . وليس عليه رداء . وعمامة حمراء قد تعجر بها ، وكلتا الدراعة والعمامة من صنع اليمن - رآه على هذه الهيئة يقضى فى مسجد الكوفة (٢) .

(١) جاء فى تذكرة الحفاظ طبع بيروت ١/٨٦ : أن الشعبى لم يخرج على الحجاج إلا محرراً - فهو لم ينس إكرام الحجاج له وتقديمه على عشيرته .

(٢) هذا الخبر يدلنا على عدم تقيد القضاء فى تلك العصور بلباس معين ، وأنهم كانوا يقضون

٧ - ونقل عنه - أنه قال : ما كتبت سوداء في بيضاء قط . وما حدثني أحد فأحببت أن يعيد حديثه علي .

٨ - أنه كان لا يجيب بما لا يعلم اعتماداً على اجتهاده - فقد سئل عن شيء لم يكن على علم به : فلم يجب . فقيل له قل برأياك - قال : وما تصنع برأبي ؟ بل عليه !

٩ - وقال عن الشعبين : ينسبون إلى جبل باليمن نزله (حسان بن عمرو الحميري) فمن كان منهم بالكوفة - قيل لهم : (شعبيون) منهم : عامر الشعبي . ومن كان منهم بالشام قيل لهم : (شعبانيون) ومن كان منهم باليمن قيل لهم : (آل ذي شعبين) ومن كان منهم بمصر والمغرب قيل لهم (الأشعوب) وهم جميعهم : بنو (حسان بن عمرو ذي شعبين) (١) .

وكذلك (ابن قتيبة) لم يختصر في كلامه عن الشعبي مثلما أوجز في تراجم غيره ممن ذكرهم في معارفه . فلقد ذكر شيئاً مما جاء في طبقات ابن سعد - وقال عنه : يكنى الشعبي - أبا عمرو . وكان خيفاً ضئيلاً - فقد ولد هو وأخ له في بطن واحد . وقال عنه : إنه كان مزاحاً - فمن فكاهاته : أنه قال خياط مرّ به : عندك حب مكسور تخيطه ؟ فقال له الخياط : نعم ! إذا كان عندك خيوط من ربح !

وقال عنه : كان كاتب (عبد الله بن مطيع) وعبد الله بن مطيع - هو : من رهط عمر بن الخطاب كان على رأس قریش (يؤد الحرة) . وكان كاتب (عبد الله بن يزيد الخطمي) وعبد الله الخطمي من رجالات (عبد القيس) البازريين . وكان عاملاً على الكوفة من قبل (ابن الزبير) - وقال (ابن قتيبة) : إن الشعبي توفي سنة ١٠٥ هـ عن سن تناهز السبعة والسبعين عاماً - وقيل في سنة ١٠٤ هـ .

وتظهر لنا القصة التي جاءت في (الأخبار الطوال) : دفقة ملاحفة الشعبي وذكائه . وهو موضوع القصة : كتاب زعم (اختار بن عبيد الحملي) : أنه من (محمد بن علي بن أبي طالب) إلى (إبراهيم بن الأشتر) - فتمت - في هذه القصة : [قال الشعبي : وكنت فيمن دخل عليه يعني (خدر) . فرأيت في يده صحيفة مختومة بالرصاح . ورأيت الرصاص أبيض يابح . فظننت : أنه ختم

(١) ترجمة الشعبي في الطبقات ٢٥٦٠٦ .

(٢) المعارف ص ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٢٩٥ و ٤٢٢ و ٤٦٣ .

من الليل ، فقال لنا المختار : انطلقوا بنا حتى نأتى إبراهيم بن الأشتر - فلما استقر بهم الجلاوس عند إبراهيم قدم له المختار الكتاب على أنه مرسل إليه من محمد بن علي ، واستشهد بصحة قوله من حضر معه ، فشهدوا جديعاً : أن هذا الكتاب كتبه محمد بن علي إلى إبراهيم وفي الكتاب يطلب محمد بن علي من إبراهيم بن الأشتر مناصرته ، ومن ثم انضم إبراهيم إلى صف المختار . - قال الشعبي : ودخلتني وحشة من شهادة الدين كانوا معي على أنهم رأوا (محمد بن علي) حين كتب ذلك الكتاب ، فأخذت أسألهم واحداً واحداً - فكلهم زعم : أنه رآه يكتبه غير (أبي عمرة) فقد قال : ما شهدت حين كتبه ، غير أن المختار عندنا ثقة - قال الشعبي : فعرفت عند ذلك : كذب المختار فخرجت من (الكوفة) حتى لحقت بالحجاز^(١) .

٣- وجاء في (المزهري) : [سئل الشعبي عن مسألة - فقال : لا أدري ! فقيل له : فبأى شيء تأخذون رزق السلطان ؟ فقال : لأقول فيما لا أدري : لا أدري ! !] . وجاء فيه عن (عمرو بن سلام) : [أن (عبد الملك بن مروان) - دفع ولده إلى الشعبي يؤدبهم - فقال : علمهم الشعر بمجدوا - ينالوا المجد - وينجدوا - النجدة : القتال وهي - الشجاعة ، وأطعمهم اللحم تشتد قلوبهم ، وجز شعورهم تشتد رقابهم ، وجالسهم عليه القوم يناقضوهم الكلام - ومناقضة الكلام مراجعته]^(٢) .

٤- وقال (الزركلي) استناداً إلى مصادره : [اتصل الشعبي بعبد الملك بن مروان - فكان نديمه ، وسميره ، ورسوله إلى ملك الروم]^(٣) .

٥- هكذا نجد للشعبي سجلاً حافلاً بنزاهة علمية ، ونشاط سياسي ، وذكاء لفت نظر أمير العراق - (الحجاج بن يوسف) إليه ، ونال به إعجاب الخليفة الأموي وثقته - فكان سفيره إلى ملك الروم ، وكان أستاذ أولاده . بيد أننا إذا ما قلبنا صفحة المعجبين بالشعبي ، وبدأنا نطالع صفحة الناقدین - نجد : تهماً وجهت للشعبي لا تتفق مع الحنبلية التي ظهرت في قصة المختار وكتابه المزور على لسان (ابن الحنفية) - فلقد جاء في كتاب (الصاحبى) لمؤلفه (أبي الحسن أحمد بن

(١) كتاب الأخبار الطوال ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٢) المزهري ٢ / ٣١٠ و ٣١٤ .

(٣) الأعلام ٤ / ١٨ وتذكرة الحفاظ ١ / ٨٥ .

فارس المتوفى سنة ۳۹۵ هـ) : أن (ابن قتيبة) روى في كتابه (مشكل القرآن) (۱) عن الشعبي : أنه قال : [إن أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن] - وروى عن (شريك عن إسماعيل بن أبي خالد) أنه قال : [سمعت الشعبي يحلف بالله العظيم : لقد دخل (عليّ) حفرة وما حفظ القرآن] (۲) .

٦- إن لكل رائد خصوماً وأنصاراً كما هو واضح في تراجمهم ، فلا غرابة إن وجدنا الأقوال عن الشعبي ليست جميعها من نوع واحد ، ولا غرابة أيضاً فيما إذا تبخر تشيع الشعبي للعلويين ، فالتاريخ مملوء بالذين انقلبوا على العلوين . فليس الشعبي - هو الوحيد الذى قلب لهم ظهر الحن . فلقد نجح الأمويون في استمالة أنصار العلوين ، ودفعهم إلى التشيع عليهم .

فالذى يبدو على ما جاء عن الشعبي في مؤلفات المتقدمين : أن الشعبي كان شيعياً بلسانه وسيفه ، ثم رأى في المختار ما رآه . فاعتزل في المدينة بعيداً عما كان يدور في العراق ، ولكن اعتزاله لم يدم طويلاً حيث اضطر إلى اللجوء إلى الحجاج آخر الأمر - والحجاج نقادة يقدر المواهب التى يمكن الاستفادة منها - لذلك لم يتأخر عن تقديم الشعبي لعبد الملك بن مروان الذى رحب به واصطفاه معلماً لأبنائه وندماً له وسفيراً يحمل رسالته لملك الروم . ففي بعض هذا ما يغرى على الإخلاص لعبد الملك والاندفاع فى الأموية ضد الشيعة .

٧- والذى يظهر فيما جاء فى الكلام عن الشعبي : أنه من الذين لأخبارهم قيسها - فهو قد عاصر الأحداث واندمج فيها واتصل بالمسؤولين مثل : المختار ، والحجاج ، وعبد الملك . وهو من الذين أفادوا مؤلفى التاريخ - مثل : ابن قتيبة ، والدينورى ، والطبرى وغيرهم كما استفاد هو ممن سبقه - مثل : على بن أبى طالب ، وأبى هريرة ، وابن عباس وغيرهم من أعلام الثقافة الإسلامية . فأخذ منهم ونقل عنهم . ولكن الشعبي لم يحفظ باهتمام المتأخرين مثلاً حظى باهتمام المتقدمين . فلم يذكره الكثيرون من الذين كتبوا عن نشأة التاريخ العربى ورجائه - بغير الإشارة العابرة - مثل : (حسين مؤنس) الذى قال عنه فيما همش به كتاب التمدن

(١) مشكل القرآن ص ١٨١ .

(٢) الصاحبى ص ١٧٠ - حفرة أى قبره .

الإسلامى - [ورواية هؤلاء جميعاً قصصية تستطرد في ذكر ما قامت به القبائل من أدوار في الفتوح ، وخير من يمثل هذا الاتجاه القبلى : الشعبي أبو عامر بن شراحيل ابن عمرو ، وهو محدث يقال : إنه سمع من خمسمائة صحابى وشيخ ، ولكن أحاديثه حافلة بالمادة التاريخية - وقد رواها الطبرى وابن قتيبة^(١) .

والذى يبدو : أن هناك خطأ مطبعياً وقع في كلام حسين مؤنس عن الشعبي - عندما قال أبو عامر بن شراحيل أبو عمرو - كما أظنه وقع في كلامه عن - أبان بن عثمان : (أبان حفيد عثمان) الذى سبقت الإشارة إليه . فالشعبى - هو : عامر بن شراحيل أبو عمرو . أما ما جاء في هامش التمدن الإسلامى : (أبو عامر بن شراحيل بن عمرو) - فهذا خطأ - إذا كان المقصود - هو : الشعبي عامر بن شراحيل أبو عمرو - علامة التابعين .

(١) التمدن الإسلامى ١٠٢/٣ .

البحث التاسع :

وهب بن منبه

توفي سنة ١١٠ أو سنة ١١٤ هـ

من صحيفته ٣٩٧ إلى ٤٠٤

من موضوعات البحث :

- ١ - من هو وهب بن منبه ؟
- ٢ - وهب وإخوته .
- ٣ - مؤلفات وهب .
- ٤ - وهب تحت الأضواء .
- ٥ - وهب في نظر البحث .
- ٦ - وهب كغيره من الرواد لم يسلم من الأخطاء .
- ٧ - الناقدون يختلفون تبعاً للمعارف والبيئة .
- ٨ - الخلاصة .

وهب بن منبه

١- قال (ابن سعد) في ترجمة - وهب : يكنى - أبا عبد الله - وهو الذي أشار إليه الحديث الذي رواه (عبادة بن الصامت) : سمعت رسول الله عليه السلام يقول : [يكون في أمتي - رجلان أحدهما وهب يهبه الله الحكمة ، والآخر : غيلان فتنته على هذه الأمة أشر من فتنة الشيطان]^(١) - وروى عن (داود بن قيس الصنعاني) أنه قال : سمعت وهب بن منبه يقول : [لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً أنزلت من السماء - اثنان وسبعون منها في الكنائس ، وفي أيدي الناس - وعشرون لا يعلمها إلا القليل . وجدت في كلها : أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر] . وروى عن (المثنى بن صباح) أنه قال : [لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه روح . ولبث عشرين عاماً لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً] وروى عن (عبد المنعم بن إدريس) أنه قال : [مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام بن عبد الملك]^(٢) - وفي رواية (ابن هشام) عن وهب أنه قال : [قرأت ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء فوجدت منها : أن الكتب التي أنزل الله على جميع النبيين مائة وثلاثة وستون كتاباً]^(٣) .

٢- وقال (ابن قتيبة) عندما تحدث عنه : هو من أبناء الفرس الذين بعث بهم (كسرى) إلى اليمن ، وذكره مع (القدرية) وقال عن إخوته : إن له إخوة - منهم (همام بن منبه) وكان أكبر من وهب . وروى همام عن (أبي هريرة) ومنهم : (معقل بن منبه) و(عمر بن منبه) وقد روى عنهما^(٤) - ويقول (محمد حميد الله) :

(١) هذا رأى ابن سعد - والذي يبدو أن الحديث عام يشمل كل من وهب الله الحكمة وكل من كان شراً على الأمة .

(٢) الطبقات ٥٤٣/٥

(٣) التيجان ص ٢ طبع حيدرآباد دكن .

(٤) المعارف ص ٤٥٩ و ٦٢٥ .

إنه عثر على صحيفة (همام بن منبه) - وهي : مجموعة من أحاديث رواها عن (أبي هريرة) (١) .

٣- وجاء في تذكرة الحفاظ عن (وهب بن منبه) : [وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير وأنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ] (٢) . ونقل (خير الدين الزركلي) عن مصادره : (أن وهب بن منبه - ولد ومات بصنعاء - وأن (عمر بن عبد العزيز) ولاه قضاءه وأنه اتهم بالقدر ثم رجع عنه . وأنه حبس في كبره وامتنحن] - ونقل ما روى (صالح بن طريف) : أنه قال : [لما قدم (يوسف بن عمر) العراق - بكيت - وقلت : هذا الذي ضرب (وهب بن منبه) حتى قتله] . ونقل عن (طبقات الخوارج) : [أن وهب بن منبه - صحب (ابن عباس) ولازمه ثلاث عشرة سنة . وأن له من الكتب : كتاب (الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم) رآه (ابن خلكان) في مجلد واحد . و (قصص الأنبياء) و (قصص الأخبار) ذكرهما صاحب (كشف الظنون)] (٣) .

أما كتابه (التيجان في ملوك حمير) - فقد جاء في مقدمته : (عن وهب ابن منبه) رواية (أبي محمد عبد الملك بن هشام) عن (أسد بن موسى) عن (أبي إدريس بن سنان) عن جده لأمه (وهب بن منبه) (٤) . فالكتاب لم يدونه وهب وإنما رواه (ابن هشام) بهذا السند عن وهب .

٤- ويقول (حسين نصار) : إن (حاجي خليفة) نسب إلى وهب بن منبه : مغازي جمعها . وإن (بيكر) اكتشف في (هيدلبرج) مجلداً يحتوي على قطعة من هذه المغازي - منها : تاريخ العقبة الكبرى . ومنها : اجتماع قريش في (دار الندوة) . و (الهجرة) و (غزوة بني خيتم) (٥) إلى غير ذلك . وينقل عن المستشرق (كرنكو) ظنه الذي نقل إلى العربية بهذا النص : (فإو صدقت هذه الملاحظة

(١) السنة قبل التدوين ص ٣٥٦

(٢) تذكرة الحفاظ ١/١٠١ .

(٣) الأعلام ٩/١٥٠ .

(٤) التيجان ص ٢ طبع حيدرآباد دکن .

(٥) لم أجد في سيرة ابن هشام غزوة باسم غزوة بني خيتم - فقلعتها غزوة خير أويي سليم .

لكان وهب بن منبه يعرف الإرمية^(١).

ونقل (عبد العزيز الدوري) نموذجاً من أسلوب (وهب بن منبه) : [حدثني (عمر بن بحر أبو طلحة) قال : حدثنا : (عبد المنعم بن إدريس) عن أبيه عن (أبي إياس) عن (وهب بن منبه) قال : [فلما كان في الموسم المقبل حج من الأنصار - اثنان وسبعون رجلاً أصغرهم (عقبة بن عمرو) إلخ] . وقال عنه قبل ذلك : [أما روايات (وهب) عن تاريخ اليمن فهي أسطورية تأخذ من قصص الإسرائيليات والقصص الشعبي - مع كثير من الشعر الموضوع ، وتتمشى مع أسلوب قصص الأيام ، وقد قدم (وهب) ملحمة نثرية يمانية شعبية لتجابه تفوق عرب الشمال ، ولم يكن (وهب) دقيقاً ، بل إنه لم يترفع عن الادعاء الكاذب ، ولذا فإنه يعتبر إخبارياً قاصداً ، ويعتبر (السخاوي) : أخباره غير جديرة بالمؤرخين الجديين . وقد جاء باتجاه منحرف ضعيف بالنسبة لوجهة المحدثين في المدينة ، ولكنه جعل من الإسرائيليات : مادة لتاريخ ما قبل الإسلام ، وقدم أول نموذج للتاريخ العالمي متمثلاً في تاريخ الرسالات ، وهذا الاتجاه وجد صدى قوياً عند مؤرخ مشهور من مؤرخي المدينة - وهو (ابن إسحاق)]^(٢) .

وهب في نظر (جرجي زيدان) من جامعي السيرة ، وعلق (حسين مؤنس) على رأى جرجي زيدان قائلاً : [إذا استثنينا ما ينسب إلى ابن منبه من الكتب في تاريخ اليمن - لا نكاد نجد بين أيدينا مؤلفاً خاصاً بتاريخ العرب قبل الإسلام ، فكل ما لدينا روايات وأخبار ضمنها مؤرخو الإسلام فيما بعد : كتبهم - اعتمدوا فيها على روايات تنسب إلى وهب بن منبه تارة وتارة إلى ابن شربة]^(٣) .

وقال عنه (جواد علي) : [وقد زعم ابن منبه أنه كان ينقل عن التوراة وكتب بنى إسرائيل ، وأنه كان يتقن : اليونانية ، والسريانية ، والحميرية ، وأنه كان يحسن قراءة الكتابات القديمة - قال (المسعودي) : وجد في حائط مسجد دمشق لوح من حجارة فيه كتابات يونانية لم يستطع أحد قراءتها إلا وهب بن منبه -

(١) نشأة التدوين التاريخي ص ٣٧ وما بعدها .

(٢) علم التاريخ عند العرب ص ٢٦ و ١١٥ .

(٣) التمدن الإسلامي ٩٩/٣ و ١٠٠ .

ولوهب : أخبار عن اليمن والأقوام العربية البائدة - أما عرب الشمال فالظاهر أنه لم يكن على علم بأخبارهم . ونجد رواية وهب عن نصارى نجران ، وتعذيب (ذى نواس) إياهم . وقصة الراهب (فيمون) : مطابقة للروايات النصرانية . ولما جاء في كتاب (شمعون الإرشامى) عن هذا الحادث ، وقد كان وهب يستمد أخباره من النصارى . كما كان يستعين بالكتب . وجاء في الأخبار : أن أخاه (هماماً) كان يشتري الكتب لأخيه وهب [(١)] .

هذا بعض ما قيل عن وهب . وفيما قيل عن وهب - نرى : المتأخرين متفتحين مع القدامى على أن وهب بن منبه وحده أكثر اهتمامه إلى علم أهل الكتاب . ومتفتحين على أن وهب بن منبه كان نابغة . فهو يعرف : اليونانية والسريانية والحديرية . ويظن : أنه يعرف الإرمية . وزاد المتأخرون ملحوظات منها ما لا يتعارض مع رأى القدامى (فى وهب) من مثل : اتخاذه الإسرائيليات مادة لتاريخ ما قبل الإسلام . وأنه قدم أول نموذج للتاريخ العالمى . فالمتقدمون قالوا : إن الرجل اطلع على كتب كثيرة قال عنها : إنها أنزلت من السماء . ولعله يعنى أسفار أنبياء بنى إسرائيل . فقد انتشرت اليهودية والمسيحية فى اليمن . والذي يطلع على المدونات القديمة يجد فيها قصصاً عن أصل الخليفة وعالم ما قبل التاريخ . وعن الأنبياء ومواقفهم من رسالاتهم . ومن ملحوظات المتأخرين : أن وهب بن منبه - إذا ما تحدث عن اليمن وتاريخه تحدث بعقاية اليمنيين وبخيال قصصهم الشعبى . وإذا ما روى أخبار العالم القديم لم تخرج روايته عن نهج الإسرائيليات وأساوئها وخيالها . وهذا أمر طبيعى . فإذا ينتظر الباحثون من رجل عاش فى اليمن ورجع إلى تراثه التاريخى الذى أسبغ على الأجيال الغابرة بسطة فى الجسم وقوة على تحمل الصعب . وعمراً مديداً لم تتمتع بمثله الأجيال التى أتت بعده ؛ ! وماذا ينتظرون منه أن يتولاه عن العالم القديم - ومصادره : اثنان وتسعون كتاباً يعتمد وهب : أنها جميعها أتت من السماء ؛ . فوهب لم يخرج عن فلكه إلا ليأخذ عن (بنى نجران) من رجال الحديث : النقح الإسلامى ولم يطالع غير الكتب التى كان يعتمدها له أخوه (همام) . والكثير من كتب تلك العصور لا يتجاوز لأفق الذى وصلت إليه معرف وهب بن منبه .

(١) تاريخ العرب ١/٤٤ : ٥٥ .

ولقد حمل بعض المتأخرين على (وهب) واتهمه بأنه لم يكن دقيقاً !! فما هي الدقة التي ينشدها هؤلاء المرتابون في وهب؟ إن الرجل تحدث بعقلية عصره ووزن القضايا بموازينه !! - واتهمه المتحاملون بأنه لا يترفع عن الادعاء الكاذب!! مع أن الرجل شهد له معاصروه بالورع والصلاح - أما موضوع (القدر) فهذا موضوع حير الكثيرين - على أن الرجل رجع عن المبالغة في القدر وما يترتب على فهم بعض القدريين ممن لا يحمل الفرد مسؤولية الخروج على الشرائع وتجاوز الحقوق الاجتماعية وحرية الفرد - على أساس : أن الإنسان مسير لا مخير!! فالرجل الذي لم يشتم كل ذي روح . ويصلي الفجر بوضوء العشاء ، لا إخاله يتعمد الادعاء الكاذب!! ولا إخال عمر بن عبد العزيز لا يتحرى عن رجل يسند إليه القضاء - ولا إخال يولى رجلاً لا يترفع عن الادعاء الكاذب : القضاء . ولقد أثبتت رواية (المسعودي) : أن وهباً كان مبرزاً في اللغات التي كان يجيدها - فهو قد قرأ كتابه يونانية عجز غيره عن قراءتها - ومن هذه الرواية نعلم : أن وهباً قد زار دمشق كما نفهم من الرواية التي تقول : إنه أخذ عن ابن عباس - أنه زار غير دمشق من حواضر الجزيرة العربية - ولقد أثبت تحقيق (جواد على) : أن وهباً كان محيطاً بما في أسفار العهد الجديد والعهد القديم - ودقيقاً فيما يرويه عن التاريخ العام ، فروايته عن نصارى نجران وعن قصة الراهب (فيمون) مطابقة للرواية النصرانية ولما جاء في كتاب (شمعون الإرشامى) . وأن وهباً لا يصانع ولا يجامل - فلو أنه كان يصانع ويجامل لتفادى نقمة (يوسف بن عمر) . ولقد وضعه (ابن قتيبة) في المعارف مع رجال السند ومع التابعين ومن بعدهم : مع (محمد بن كعب القرظي) و (عطاء بن يسار) وغيرهما .

٦ - وهنا لا بد لي من أن أذكر القارئ بما قلته مراراً : إنني لا أنزه القدامى من الخيال والمبالغة - ولكنني لا أقر المبالغين في رفض تراثهم جميعه - ولا أرى من الإنصاف : توجيه التهم إليهم جزافاً . فتيجان (وهب بن منبه) وأخبار (عبید بن شریة) لم يدوتهما وهب وابن شریة - وإنما هما رواية (ابن هشام) عن (أسد ابن موسى) عن (أبي إدريس بن سنان) عن جده لأمه (وهب بن منبه) ولقد روى (البرقي) عن (ابن هشام) : أخبار ابن شریة - والنسخ التي وصلت إلى

أيدي الناشرين وصل بعضها ردىء الخط . وبعضها غير منقوطة ومشوش . والنسخ التي وصلت إلى أيدي الناشرين مختلفة . فلا يبعد أن يكون الرواة والناسخون قد زادوا على ما رواه (وهب بن منبه) في كتاب التيجان محتدين بأبي محمد (ابن هشام) الذي أضاف إلى أقوال (وهب بن منبه) أخباراً نقلها عن (ابن الكلابي) وأخباراً نقلها عن (ابن إسحاق) وأخباراً نقلها عن غيرهما .

٧ - والواقع الذي يجب ألا يبعد عن حساب الباحث في مصادر التاريخ العربي ورواده - يؤكد: أن الرواد كانوا وما زالوا عرضة للنقد والتجريح - فلم يسلم واحد من الذين شغلوا بالأخبار التاريخية - من التجريح . ولقد سبق الكلام عن الإخباري . وأنه يكون ثقة وغير ثقة . وأن من الصحابة : من لم ير بأساً في التخصيص - ومنهم : من كان يكره التخصيص . وأن التاريخ بتخصيصه ما زال في ميزان النقد . وليس النقد على وتيرة واحدة . فنسبة الشك والثقة تختلف باختلاف دراسة الباحث ومعارفه . ومؤثرات البيئة التي يعيش فيها - كما هي حال التاريخ المعاصر وقضاياها في نظر الباحثين . فالمنطق الأمريكي لا يتفق مع المنطق الصيني - فنظرة الأمريكي في الحياة وفلسفته تختلف مع نظرة الصيني وتجاربه .

٨ - فهما توغل البحث - فإن النتيجة لا تخرج بنا عن ذلك الواقع . وإن النتيجة تحتم علينا أن نعترف بأن وهباً - كان أمعياً ذليلاً . أجاد كثيراً من اللغات . وضع على الأخبار التي دونت بها . وشارك هو وإخوته : هشام . ومعتل . وعمر - في رواية الحديث . وفي بناء الثقافة في العصر الإسلامي . وأن وهباً ترك تراثاً يعد له دوراً في تاريخ العرب القديم . كان له صده وأثره في أول من تبع في كنهف تاريخ عربي عام - محمد بن إسحاق .

وإن (وهب بن منبه) في كتابه (التيجان) رفع الستار عن منطق أئمة في القدامى والمفهوم التاريخي في عصور اليمن القديمة - مثلاً - مصوراً بين شمسهم وبين التاريخية في العصر الجاهلي .

۴

البحث العاشر :

عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان

توفي سنة ١٢٠ هـ

من صحيفه ٤٠٥ إلى ٤٠٦

من موضوعات البحث :

- ١ - الذين كتبوا عن عاصم بن عمر أثنوا عليه .
- ٢ - أهم ما روى عن عاصم .

عاصم بن عمر بن قتادة المدني

١ - كثير أولئك الذين كتبوا عن (عاصم بن عمر) - في الماضي وفي الحاضر - وقالوا عنه : إنه صاحب السير والمغازي . وكثير أولئك الذين نقلوا عنه أخباراً في السير والمغازي - مثل : (الواقدي) و(ابن سعد) و(ابن إسحاق) و(الطبري). فعاصم بن عمر المتوفى سنة ١٢٠هـ - هو : من الرواة الذين عنوا بجمع الأحاديث والآثار التي تمت بصلة إلى تاريخ صدر الإسلام ، وهو من الرواد الذين تحملوا مسؤولية جمع المواد التاريخية في مرحلة تعدت من أهم مراحل علم التاريخ وأدقها . وهو من القلائل الذين جمعوا الأخبار وحققوها . ومن الكثيرين الذين لم يصلوا إلى مرحلة التأليف ولكنهم قدموا للمؤلفي التاريخ نصوصاً ألفت الأضواء على أحداث الماضي - ومهدوا لهم الطريق للتأليف والتحقيق .

٢ - وعاصم بن عمر - هو : من الرواد الذين وثق بهم المؤلفون في التاريخ العربي - حفاظة سريع الفهم دقيق الملاحظة فيما يسمعه وفيما ينقله - كثير التحري فيما يرويه من الأخبار . كثير العناية في ربط الأحداث العربية بعضها ببعض . وعاصم ابن عمر - هو الذي أمره (عمر بن عبد العزيز الأموي) أن يجلس في مسجد دمشق ويحدث الناس بالمغازي^(١) .

وإن في حديث (عاصم بن عمر) عن بيعة العقبة وما دار فيها من نقاش بين العباس ونقباء الأنصار : صورة واضحة لأحاديث عاصم ودقتها . ورأيه في بعض ما يرويه .

(١) نقل المستشرق (يوسف دورفيس) عن (سخو) عن ابن سعد - هذا الخبر وذكر في الهامش : أنه يظن : أن ترجمة عاصم سقطت من نسخ الطبقات الخطية .

البحث الحادى عشر :

شرح جليل بن سعد الأنصارى

توفى سنة ١٢٣ هـ

من صحيفة ٤٠٧ إلى ٤١٠

من موضوعات البحث :

- ١ - رأى المحققين فى شرح جليل .
- ٢ - جمع الحديث وتنقية الصحيح منه - - كان مشكلة المشكلات .
- ٣ - الأسباب التى تسوغ التهم التى وجهت إلى شرح جليل .
- ٤ - تضارب الأقوال حول شرح جليل ومبالغة بعضها .
- ٥ - رأى الوسط يتسم أخبار شرح جليل إلى قسمين .

شرحبیل بن سعد الأنصاری

۱- وضعه (ابن سعد) فی طبقاته - مع الطبقة الثانية من الموالی - وقال عنه :
[كان شيخاً قديماً روى عن (زيد بن ثابت) وعن (أبي هريرة) و (أبي سعيد
الخدري) وعامة الصحابة . وبقى إلى آخر الزمان حتى اختلط . واحتاج حاجة
شديدة . وله أحاديث : وليس يحتاج به]^(۱) .

ووضع المتأخرون على مشرحة النقد - فقال عنه (عبد العزيز الدوري) :
[إنه من معاصري عروة بن الزبير توفي سنة ۱۲۳ - وهو بدوره يعكس تطور
النظرة الاجتماعية حين يقدم قوائم بأسماء الصحابة الذين شاركوا في الأحداث الكبرى
- مثل : البدرين . والذين اشتركوا في معركة أحد . وجماعة المهاجرين إلى
الحبشة . والمهاجرين إلى المدينة . لما للمشاركة فيها من قيمة اجتماعية متزايدة]^(۲) .

ونقد حسين نصار قوائم شرحبيل عندما تحدث عن (موسى بن عقبة) فنقل
عن (ابن حجر) : [أن (موسى بن عقبة) كتب قوائم بالمهاجرين عندما رأى
- شرحبيل بن سعد يدخل في البدرين من لم يشهد بدرًا]^(۳) .

۲- فجدير بنا ونحن نتكلم عن شرحبيل - أن نقف قليلا عند رواية الأحاديث
التي كانت مشاعة لعامة المسلمين - لنعلم : أن جمع الأحاديث وتنقية
الصحيح منها - كان مشكلة المشكلات التي صادفت الرواد السابقين ، فنحن
ما زلنا نقرأ تحقيقات متحمسة تلفت النظر إلى الضعيف من رواة الحديث ممن
أخذ عنهم الذين ألفوا في تاريخ صدر الإسلام .

۳- والذي يبدو : أن أحاديث شرحبيل التي وصفت بالضعف هي : الأحاديث
التي رواها في سنه المتأخرة عندما قعدت به الشيخوخة واشتدت به الحاجة ، وأن

(۱) الطبقات ۵ / ۳۱۰ .

(۲) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب .

(۳) نشأة التدوين ص ۵۴ .

شرحبيل - الشيخ الضعيف المعوز الذي وهن عقله - لم يستطع مقاومة البذل والإغراء لإضافة من لم يكن له نصيب من فضل الإسهام في المواقف العظيمة التي واجهها السابقون الأولون - لاسيما الذين شهدوا بدماءً . فلقد كان الشرف الذي تقلده البديرون أمنية بعض الأسر العربية - التي وجدت في قوائم شرحبيل سلماً تصل به إلى شيء مما يلفت الأنظار إليها . ولم ير شرحبيل الهرم المحتاج بأساً إن هو أدخل في البديرين من لم يشهد بدماءً على مسؤولية الذين أكدوا له : أنهم ممن شهد بدماءً .

٤ - ولقد بالغ البعض في اتهام شرحبيل - فأخذ يقول : إن النقاد لم يكتفوا بكشف الحقيقة فانبرى (موسى بن عقبة) يكتب في مغازيه قوائم : بالمهاجرين والبديرين . وانبرى نقاد الحديث يعلنون ضعف رواية شرحبيل - وهكذا لم يفتت من تحقيق نقاد مؤلفات السيرة والمغازي : النص الزائف والرواية المشكوك فيها .

وهكذا لم يستعص (شرحبيل) على النقد - فلم يترك النقاد زاوية من زوايا حياته دون أن يسلطوا الأضواء عليها . فلقد قال عن روايته (ابن حجر) : إنها من الروايات المشكوك فيها . وإن الناس يخافون من شرحبيل بعد أن اختلط وافترق - أن يقول لمن لم يرض عنه : إنه لم يشهد بدماءً - ومن أبرز الذين شهروا بشرحبيل (ابن إسحاق) ولعل : (ابن حبان) عندما ذكره مع الثقات يقصد ما أخذ عنه قبل أن يهرم ويختلط عقله . أما المؤرخون القدامى فلم يرو عنه (ابن إسحاق) ولا (الواقدي) . غير (ابن سعد) الذي روى عنه خبراً عن انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من (قباء)^(١) إلى المدينة .

ولم تسلم ترجمة (شرحبيل) من تضارب - ولقد شوش تناقضها على المتأخرين فحسين نصار اعتمد على (ابن حجر) عندما قال : إن (موسى بن عقبة) حرر قوائم البديرين عندما تأكد أن (شرحبيل) كان يضيف إلى البديرين من لم يشهد بدماءً - في حين اعتمد المستشرق (يوسف هورفتس) على (الذهبي) عندما قال : إن (موسى بن عقبة) وقف بجانب (شرحبيل) وإنه قال عندما سمع الناس

(١) ضاحية من ضواحي المدينة نزلها النبي عليه السلام عندما قدم إلى المدينة وبني فيها أول مسجد

أسس على التقوى .

يُتهمونه بجعل سابقة لمن لا سابقة لهم : [إن الناس قد اجترءوا على هذا]^(١) .

٥ - ومن هذا التضارب تتكاثف ظنون أمام البحث : لا يمكن التخلص منها إلا بالرجوع إلى الرأي الوسط الذي يرجح : أن شرحبيل - كان بعيداً عن التهم . قبل أن يهرم ، ويحتاج . ويختلط عقاه . وأن التهم التي وجهت إلى (شرحبيل) لم ترق إلى روايته وهو في كامل صحته . ولعل (موسى بن عقبة) استفاد من قوائم (شرحبيل) التي حررها قبل أن تحطمه الشيخوخة . وأما روايته بعد أن قارب المائة وبعد أن تجاوزها فهي التي لم يعتد بها لافي القوائم ولا في غيرها . ولعل رواياته المتأخرة هي السبب في إهمال بعض القدامى من المؤرخين أخبار شرحبيل .

(١) المغازي الأول ومؤلفوها ص ٢٥ وما بعدها .

البحث الثاني عشر :

الزهرّيون - محمد بن مسّلم بن شهاب الزهري

توفي سنة ١٢٤ هـ

من صحيفة ٤١١ إلى ٤٢٢

من موضوعات البحث :

- ١ - ابن شهاب الزهري - هو : موضوع البحث .
- ٢ - آراء الباحثين في حياة الزهري .
- ٣ - رأى القدامى من المحققين .
- ٤ - الصورة التي رسدها المتأخرون لابن شهاب الزهري .
- ٥ - هل ألف الزهري كتباً ؟
- ٦ - ما يلاحظ على مصادر دائرة المعارف الإسلامية .
- ٧ - المصدر الذي استند إليه المتأخرون فيما قالوا عن تأليف الزهري في الأنساب .
- ٨ - نشاط الزهري في التدوين .
- ٩ - تشجيع الزهري للرواية عنه .
- ١٠ - الصفات الممتازة التي تولى بها الزهري .
- ١١ - أساتذة الزهري .
- ١٢ - الزهري من الرواد اللامعين .

محمد بن مسلم الزهري

١ - عرف بهذا اللقب: (الزهري) رجال كثيرون من رواة الحديث ومن المؤلفين في التاريخ والأدب، فالزهري نسبة إلى (زهرة بن كلاب).
 فمن الزهريين: (عبد الله بن سعد الزهري) - قال عنه صاحب (هدية العارفين) وصاحب (الفهرست): [عبد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد الزهري البغدادي - من أصحاب السير - له (فتوح ابن الوليد) توفي سنة ٢٣٨هـ] ^(١) - وقال (ابن حجر) في (تهذيب التهذيب): [عبد الله بن سعد الزهري - أخو عميد الله: ثقة توفي بالمصيصة ذكره (ابن عدي) في شروح البخاري وذكر أخاه] ^(٢).
 ومن الزهريين: (ابن أبي ثابت الزهري) - قال عنه (ابن النديم): [اسمه عبد العزيز بن عمران الزهري - وذكر له من الكتب: كتاب (الأحلاف)] ^(٣).
 ومن الزهريين: (إبراهيم الزهري) وابنه (يعقوب الزهري) - وهما من رواة أحاديث المغازي وغيرها - روي عن (صالح بن كيسان) وعن (محمد بن مسلم بن شهاب الزهري) ^(٤).
 ومن الزهريين: (عبد الله بن جعفر الزهري) وهو: ممن اعتمد عليهم (الواقدي). فلقد جاء في تاريخ (ابن جرير الطبري): [قال الواقدي: هذا غلط فالجتماع عليه في نكاح (عبد الله بن عبد المطلب) ما حدثنا به (عبد الله بن جعفر الزهري) عن (أم بكر بنت المسور)] ^(٥).
 ومن الزهريين: (أبو مسلم الزهري) فلقد جاء في تفسير النيسابوري: [ورواة

(١) الفهرست ص ١٣٩ .

(٢) تهذيب التهذيب ص ٤١٨ و ٤١٩ .

(٣) الفهرست ص ١٥٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٢/١٣٨ .

(٥) تاريخ الطبري ٧/٢ .

أبي جعفر (يزيد بن القعقاع) القارى و (قارة موضع بالمدينة)^(١) ، اثنان : أحدهما أبو مسلم سليمان بن مسلم الجمار الزهرى]^(٢) .

من الزهريين : هؤلاء وغيرهم ممن ترددت رواياتهم فى كتب التاريخ والأدب والتفسير والحديث . ومن خلدت أسماءهم المؤلفات التى قدموها للمكاتب العربية - مثل : (محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى) صاحب كتاب (الطبقات المتوفى عام ٥٢٢٠) . والمشهور بابن سعد ومثل : (أبى الحسن - على بن سليمان الزهرى) الذى قال عنه (صاعد) فى (طبقاته) : كان عالماً بالعدد والهندسة معنياً بعلم الطب . ألف كتاب (الأركان)^(٣) .

بيد أن الزهرى الذى حظى باهتمام الباحثين فى نشأة التاريخ - ليس واحداً من هؤلاء : إن هذا الزهرى - هو : (محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب المتوفى سنة ٥١٢٤) .

٢ - فعن (ابن شهاب محمد بن مسلم) قال المحققون - المتأخرون : هو أول من دون الحديث وأول من خرج عن قاعدة الصست التى لاذ بها شيوخه : (عروة بن الزبير) و (سعيد بن المسيب) . وهو من القلائل الذين وطدوا أركان السنة بما رواه من الأحاديث النبوية وما سجله من آثار الصحابة . ومن القلائل الذين لم تحتجز السنة كل جهدهم . فلقد حظيت الأخبار التاريخية . والأشعار الجاهلية . وأيام العرب بنصيب وف من جهد ابن شهاب . فكان مجموعة من المعارف - عرف قدره خلفاء (بنى أمية) فأحاوره فى بلاطهم محلاً لايقاً بمعارفه . وقد ولاد (يزيد ابن عبد الملك) القضاء .

٣ - وما قاله المتأخرون - هو : مستمد مما تحدث به المتقدمون عن ابن شهاب . وما تحدث به المتقدمون يصور لنا ابن شهاب : محدثاً فقيهاً . ومؤرخاً نسابة . وأكس صفة الحديث والفقہ يطغى لونها على ملامح التاريخ والنسب . فأكثر المتقدمين يصعدونه

(١) قد تقدم فى بحث (من المدينة بدأ التاريخ العربى) من هذا الكتاب أن عروة بن زهرة من قبيلة - لاك من النيسابورى .

(٢) تفسير النيسابورى المهشم على تفسير ابن جرير ١٢/١ .

(٣) طبقات صاعد .

مع التابعين والمحدثين لا مع المؤرخين والنسابين - فلقد وضعه (ابن قتيبة) مع التابعين ومع رجال السند - وقال عنه : توفي سنة ١٢٤ هـ - ودفن في موضع يقع في نهاية عمل (الحجاز) وأول عمل (فلسطين) وبه ضيعته . وأخوه (عبد الله بن مسلم) كان أسنَّ منه وكان يكنى : أبا محمد - وقد لقي (ابن عمر) وروى عنه (١) .

وقال عنه (ابن حزم) في (جمهرة أنساب العرب) : [محمد بن مسلم معدود مع الفقهاء والمحدثين] (٢) - وقال عنه (الزبيرى) في كتاب (نسب قریش) : [ابن شهاب المحدث - اسمه : محمد بن مسلم] (٣) وقال عنه (محمد بن حبيب) في (المحبر) : [محمد بن شهاب الزهرى من أشرف المعلمين وفقهائهم] (٤) .

وجاء في (الطبقات) لابن سعد عن (صالح بن كيسان) : [أن ابن كيسان والزهرى اشتركا في كتابة ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : ثم أراد الزهرى : أن يكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة فخالفه ابن كيسان ولم يرض أن يكتب ذلك ، فقال بعد ذلك صالح بن كيسان : فكتب ولم أكتب . فأنجح وضيعت] (٥) - وجاء في البيان والتبيين - قال (ابن أبي زناد) : [كنا لانكتب إلا السنة وكان الزهرى يكتب كل شيء - فلما احتيج إليه عرفت : أنه أوعى الناس] (٦) .

وليس هؤلاء وحدهم - هم الذين نوتوا بابن شهاب الزهرى . فابن شهاب لم يخل كتاب في التفسير أو في الحديث أو في التراجم أو في التاريخ من ذكره ، وابن شهاب - كما نراه في كتب المتقدمين : فقيه محدث أكثر مما هو مؤرخ نسابة - ورائد حريص على تدوين كل ما يستحق التدوين .

٤ - أما المتأخرون فإنهم يضعونه في طليعة واضعى نواة التاريخ ومع الأوائل الذين عنوا بتدوين الحديث والمواد التاريخية . فمن المعاصرين الذين تحدثوا عن ابن شهاب

(١) المعارف ص ٤٧٢ .

(٢) الجمهرة ص ١٢١ .

(٣) نسب قریش ص ٢٧٤ .

(٤) المحبر ص ٤٧٦ .

(٥) الطبقات لابن سعد ٢/٣٨٨ .

(٦) البيان والتبيين ٢/٢٤٠ .

الزهرى : (عبد العزيز الدورى) - فلقد قال عنه : [ولم تقتصر دراسات الزهرى التاريخية على المغازى . بل شملت الأنساب وتاريخ صدر الإسلام . ولقد سأله (خالد القسرى) : أن يكتب أنساب العرب فبدأ بأنساب (مضر) ولكنه لم يتمه ، ويظهر : أن الزهرى لم يعالج الفترة الأموية . ولكن يروى : أن (الوليد بن عبد الملك) سأله عن أعمار الخلفاء الأمويين وأنه كتب أسنان هؤلاء الخلفاء ومدة حكم كل واحد منهم . ويظهر : أن دراسات الزهرى أبقته طويلاً فى (المدينة) مع قيامه بزيارات متقطعة للبلاط الأموى . ثم نقل سكناه إلى (أومى) جنوبي فلسطين قرب حدود (الحجاز) - وقال عنه إذا كان (عمرو بن الزبير) رائد علم التاريخ فإن الزهرى أسس المدرسة التاريخية فى المدينة . وإن كتابة الزهرى لعلنه ساعدت على وضع الدراسات التاريخية على أساس ثابت وأدت إلى حفظ الروايات التاريخية [١١] .

ولقد قال الدورى قبل ذلك : [أما الروايات التى تذكر : أنه أُجبر على الكتابة فهى صدقٌ لمناقشات حصلت بعد الزهرى] [١٢] - فالدورى يشير إلى ما قاله (فيشر) الذى نشر تراجم الذهبى وأشار إلى ما روى عن (معمر) عن (ابن شهاب الزهرى) أنه قال : [كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء . فرأينا : ألا يمنعنا أحد من المسلمين] . فهذه الرواية تتعارض مع ما عرف عن ابن شهاب الزهرى وحرصه على التدوين من بداية حياته العلمية . فلعله يقصد - إن صححت هذه الرواية : أن الأمراء أُجبروا ابن شهاب أن يدون لهم ويدون عنه كتبهم - فرأى : ألا يختص به فريق دون سائر المسلمين . ولقد سبق الكلام عن التدوين فى صدر الإسلام وهوقف الرعيل الأول منه .

وجاء فى تعليق (حسين مؤنس) على كتاب (تاريخ التمدن لإسلام) [وأول من جمع الأخبار المتعلقة بموضوع واحد . وأوردها على نسق هو : محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى . ويعتبر منهج الزهرى : الأساس الذى بنى عليه الجيل

(١) بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٩٦ إلى ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤ وما بعدها ، و ٧٨ وما بعدها .

التالى من مؤرخى السيرة والمغازى] (١) .

وقال (حسين نصار) عن ابن شهاب : [ولم يصل إلينا من الزهرى كتاب خاص مستقل فى التاريخ ، على الرغم من كثرة ما دوّنه لنفسه وللأمويين ، حتى كثرت القصص عن هذا التدوين ، وللزهرى فضل كبير على الحركة التاريخية ، فقد نشر كتبه بين الجمهور وحث على ذلك] - وقال عنه : [قد أمره (خالد القسرى) بكتابة السيرة كما أمره بكتابة كتاب عن القبائل ففعل ولم يتمه] ، ونقل عن (الذهبى) : [ولم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب نسب قومه] ، ونقل عن (شمس الدين السخاوى) : [أنه نسب إليه كتاباً يسمى (مشاهد النبى) رواه (يونس بن يزيد)] (٢) .

والدورى ، ونصار . ومؤنس - ليسوا هم وحدهم الذين زوهموا بابن شهاب الزهرى : كما لم يكن الذين ذكرناهم من المتقدمين - هم وحدهم الذين لم يتجاهلوا كفاية ابن شهاب العلمية . فقلّ أن تجد كتاباً حديثاً وضع فى التفسير ، أو فى الحديث ، أو فى الأنساب ، أو فى المغازى والسيرة لا يتحدث عن ابن شهاب - فثلما شهد المتقدمون بنبوغ ابن شهاب وأمانته العلمية - شهد له المتأخرون . ونحن إذا قابلنا رأى القدامى فى ابن شهاب برأى المتأخرين - نجد : ابن شهاب فى نظر الأولين : محدثاً وفقهياً قام بواجبه فى إرساء التشريع الإسلامى على قواعده الشرعية - ونجده فى نظر المتأخرين : مؤرخاً ونسابة له فضل كبير فى تأسيس علم التاريخ ، ونحن إذا ما دققنا النظر فى الصورتين اللتين رسمتا لابن شهاب : القديمة والحديثة - تلوح لنا فى الأولى ملامح الفقه والحديث - كما تلوح لنا ملامح التاريخ والنسب فى الصورة الثانية - ويظهر لنا : أن نظرة الأقدمين انصرفت إلى رواية ابن شهاب للحديث ، وأن نظرة المتأخرين انصرفت إلى ما جمعه ودوّنه فى السيرة والمغازى . فابن شهاب كان مبرزاً فى المجالين : الحديث والتشريع . والتاريخ والأنساب ، احترم روايته وقدر جهده الجميع .

(١) التمدن الإسلامى ٣ / ١٠١ .

(٢) نشأة التدوين ص ٥٠ و ٥١ .

وإنما الذى يسترعى النظر - هو : الاختلاف فى الماضى وفى الحاضر على حقيقة التراث الذى خلفه ابن شهاب - هل هو : مدونات مجمعة مبنوية لم تصل إلى مرتبة التأليف ؟ أو هى مؤلفات كاملة التصنيف ؟

إن (ابن النديم) فى فهرسته لم يذكر لابن شهاب كتاباً واحداً - لا فى التاريخ ولا فى غير التاريخ . فإزهرى الذى ذكره مع المؤلفين - هو : (عبد الله بن سعد الزهرى) مؤلف كتاب (فتوح ابن الوليد) والزهري الذى ذكره (ابن النديم) على أنه مؤلف كتاب (الأحلاف) - هو : (ابن أبى ثابت الزهرى) - وقد سبق الكلام عن هذين الزهريين فى صدر هذا البحث . وجاء فى تذكرة الحفاظ لأدهمى : لم يكن للزهري كتاب إلا كتاباً فى (النسب)^(١) .

واعلم (حاجى خليفة) المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ - أى بعد (ابن النديم) بسبعة قرون تقريباً - هو : أول من نسب إلى ابن شهاب (كتاب المغازى) كما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية^(٢) . ومصدر (الأدهمى) فى كلامه عن كتاب النسب رواية نقلها (ابن السطى) عن (قرة) أنه قال : لم يكن للزهري كتاب إلا كتاباً فى النسب^(٣) . فالأدهمى توفى سنة ٧٤٨ هـ - والأدهمى بهذه الرواية ينهى وجود مؤلف لابن شهاب فى المغازى - فاتفق الأدهمى مع ابن النديم على أن ابن شهاب لم يؤلف كتاباً فى المغازى - يفرض علينا : أولاً - الرجوع إلى ما جاء فى كشف الظنون عن كتب المغازى . وثانياً البحث عن كتاب الأنساب . فتراث ابن شهاب الذى قيل عنه إنه الأساس الذى بنى عليه علم التاريخ عند العرب فى العصر الإسلامى - جدير بالتحقيق والتقصي . فالذى جاء فى (كشف الظنون) لحاجى خليفة لا يعدّ دليلاً قطعياً - فكل ما جاء فى كشف الظنون - هو : [ومنها مغازى محمد بن مسلم الزهرى]^(٤) . فلا يبعد أن تكون مغازى الزهرى مثل : مغازى (عمرو بن العاص) مجمعة أحاديث عن المغازى جمعها أو جمعت عنه . ومن غير محتمل

(١) تذكرة الحفاظ ١/١١١ طبع بيروت .

(٢) الدائرة ١٠ : ٥٥٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١ : ١١١ .

(٤) كشف الظنون ٢ : ٥٧١ .

عن مغازي الزهري : (البخاري) و (السخاوي) الذي قال عنها : إن الزهري روى المغازي عن عروة - لم تزد عما جاء في كشف الظنون^(١) ، وما جاء في كشف الظنون لا يدل على أكثر مما كانت تعنيه كلمة المغازي في جيل عروة وابن شهاب - كما تقدم .

أما كتاب الأنساب - فأولا لا بد لنا من أن نلفت النظر إلى أن القدامى كانوا يعبرون عن الكتابة بالكتاب . وإلى ما سبق أن قلناه عن معنى (الكتاب) في معاجم اللغة - فالكتاب : اسم لما كتب مجموعاً - ومصدر لكتب . ولقد سبق في هذا البحث : أن (خالداً القسري) طلب من ابن شهاب أن يكتب له نسب قريش : فبدأ به ولم يتمه - وقيل إن ابن شهاب كتب نسب قومه ، وقد سمعنا : أنه كتب للوليد بن عبد الملك - أسنان خلفاء بني أمية ومدة حكمهم - فعلى ذلك لا يبعد أن يكون ابن شهاب جمع ما وصل إلى علمه من مغازي النبي عليه السلام ومشاهده وما عرفه عن نسب قريش وما عرفه عن نسب قومه ودون ذلك مبوباً فذكر القدامى تلك المجاميع باسم كتب ، فالكتاب في اللغة : اسم لما كتب مجموعاً .

- ٦

ومن حق البحث هنا : أن يلفت النظر إلى ما جاء في (دائرة المعارف الإسلامية) : [و (الزهري) أيضاً من أئمة رواة السيرة وكان شيخ شيوخ (ابن إسحاق) ويدين له (الواقدي) و (ابن سعد) و (الطبري) بكثير من علمهم ، ويروى عنه الطبري كثيراً مثل كلامه عن حوادث العقدين الأولين من السنوات التي تلت عصر النبوة . وتذكر بعض المصادر القديمة : أنه ألف كتاباً واحداً - هو : كتاب نسب قومه . وحاجي خليفة هو : أول من نسب إليه (كتاب المغازي) . على أنه من الواضح : أن الزهري - انصرف إلى جمع الحديث . ولم يكتب كتاباً منتظماً ، وكان إذا استسى من عدة رواة : حديثاً ورأى أن كل هؤلاء الرواة يتفقون في جوهر الحديث لا يفصل كل رواية على حدة بل يدمجها جميعاً ويذكر أسانيد كلها . وهذه الطريقة أول محاولة متواضعة بذلت في رواية الحديث بأسلوب مبتكر]^(٢) .

(١) البخاري ٤/٥ ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٨٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤٥٧/١٠ .

فالذى يستلقت النظر فيما جاء في دائرة المعارف : المصادر التي بنت عليها تحقيقها - فمن مصادر دائرة المعارف الإسلامية : طبقات ابن سعد وتاريخ ابن جرير . وفي طبقات ابن سعد وتاريخ ابن جرير - زهريون غير ابن شهاب - ومن مصادرها : الفهرست . في حين لم يذكر ابن النديم في الفهرست : ابن شهاب مؤلفاً . وإنما ذكر : عبد الله بن سعد - وعبد العزيز بن عمران الزهريين - وذكر ما ألفاه (١) - ومن مصادرها : تاريخ البخاري . وتاريخ البخاري يذكر : (عبد الله بن سعد الزهري) - فقد ذكره (ابن عدى) في شروح البخاري . وذكره (ابن حجر) في تهذيب التهذيب . وذكره صاحب (هدية العارفين) وقالوا : إنه من أصحاب السير وإنه ألف فتوح خالد بن الوليد .

فهذه المصادر التي استندت إليها دائرة المعارف الإسلامية - ذكرت : زهريين غير ابن شهاب . ولكن دائرة المعارف لم تتحدث عن زهري غير ابن شهاب في بحثها هذا . فعمل شهرة ابن شهاب الزهري عند المتأخرين هي التي جعلت مؤلفي دائرة المعارف لا يذكرون غير ابن شهاب من الزهريين في حين يذكرون في ترجمته مصادر لم تذكر ابن شهاب بما يستأنس به في البحث - مثل : فهرست ابن النديم . فلقد ذكر ابن النديم الزهريين الذين تقدم ذكرهم ولم يذكر (الزهري) إلا في أثناء كلامه عن نزول القرآن وكلامه عن هشام الكلبي (١) . ولم يذكره إلا عرضاً . على أنني لا أتهم مؤلفي دائرة المعارف الإسلامية بعدم تمييز (الزهري) من بين الزهريين فعمل نسخة الفهرست التي اعتمدوا عليها غير النسخة التي رجعت إليها . فاختلف ترقيم النسخ وأخطأ بعضها - أمر يستحق الملاحظة عليه في بحث المصادر .

٧- ثم إن دائرة المعارف . ونشأة علم التاريخ عند العرب للدوري . ونشأة التدوين لناصر - كل هذه المؤلفات اعتمدت على رواية الأغاني فيما يقال عن تأليف ابن شهاب في الأنساب . ونص رواية الأغاني هو كما يأتي : [قال الله لي في خبره : وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر - فكثت فيه أياماً ثم أتيتك فقال لي : ما صنعت ؟

(١) الفهرست ص ٣٧ و ١٤٠ .

فقلت بدأت بنسب (مضر) وما أتممته . فقال : اقطعه . قطعه الله مع أصولهم ،
واكتب في السيرة ، فقلت له : فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب
فأذكره ؟ فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم [(١)] . فرواية الأغاني هذه -
من أين نظرت إليها تجدها مهزوزة مغمورة بالحصومة الحزبية - مهزوزة لأنها
لا تتفق مع ما عرف به الزهري من نبل وشمم ظهرا واضحين في حديث الشافعي
الذي جاء فيه : [دخل (سليمان بن يسار) على (هشام) (٢) فقال له : يا سليمان
من الذي تولى كبره ؟ يعني : حديث الإفك ، فقال : ابن سلول . قال :
كذبت بل هو علي . . . فدخل ابن شهاب فقال : يا ابن شهاب : من تولى
كبره ؟ قال : ابن أبي - فقال كذبت بل هو علي . . . قال ابن شهاب :
أنا أكذب لا أبالك .. فوالله لو نادى مناد من السماء : أن الله أحل الكذب
ما كذبت [(٢)] - فالرجل الذي لم يجار رغبة الخليفة ، ويثور في وجهه عندما لمزت
أمانته - لا يمكن أن يسمع من خالد القسري : يقول له قطع الله المضريين مع
أصولهم ويسكت . ثم بعد ذلك يسأله : هل يذكر علياً في السيرة التي طلب كتابتها
خالد ؟

ومهزوزة لما جاء فيها : قال المدائني في خبره : أخبرني ابن شهاب بن عبد الله ..
فالمدائني صاحب المؤلفات التي منها مؤلفه (ولاية أسد بن عبد الله القسري) (٣)
ولد بعد وفاة ابن شهاب الزهري ، فكيف يقول : أخبرني ؟ إلا إذا كان
المدائني هذا غير المدائني المعروف (أبي الحسن علي بن محمد المدائني المتوفي
سنة ٥٢٢٥هـ) ، أو أن ابن شهاب بن عبد الله غير (محمد بن مسلم بن شهاب)
وأن (القسري) في خبر المدائني - هو غير (خالد القسري) عامل (هشام) علي
العراق - فما أكثر القسريين في العراق - ومغمورة في الحزبية - لأن (خالداً
القسري) - لم يكن أقل قسوة على العلويين من (زياد بن أبيه) وابنه (عبد الله)
و (الحجاج) - وعن هؤلاء كثرت الأقاويل والقصص التي تدور حول ما في حياة

(١) الأغاني ٢٢ / ٢٣ .

(٢) يقول البعض : إنه (هشام) ويقول آخرون : إنه (الوليد الأول) الذهبي ١٢٦ / ٥ .

(٣) هكذا في نسخة الفهرست ص ١٥٠ مطبعة الرحمانية - (ولاية أسد بن عبد الله القسري) .

هؤلاء من هنات ، فخالد القسرى - متهم بالزندقة . فمما جاء في المعارف أن إمام (المغيرية) المغيرة بن سعيد - خرج على خالد القسرى - فقتله وصلبه (١) . ومما جاء في الفهرست عنه : أن خالداً القسرى يرمى بالزندقة وأنه عندما قتل (الجعد بن درهم) أحد رؤساء الزنادقة - قال : قتلته بأمر (هشام) (٢) تنصلاً من دمه - فإذ ذلك كان هدفاً لأقاويل الحائقين عليه .

على أن الشكوك التي تحوم حول : رواية الأغاني لا تجعلنا نستبعد أن يكون ابن شهاب دون معلوماته في المغازي وفي الأنساب لا سيما أنساب قومه . فمما لا غبار عليه أن ابن شهاب كان يدون الحديث وغيره . وأن ما جمعه مدوناً - وإن لم يبلغ مستوى التأليف الذي بلغه (ابن إسحاق) - قد عُدَّ النواة الأولى للتأليف في التاريخ - فابن شهاب كما قال عنه المتأخرون : أول من جمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد مع ذكر الأسانيد - وإن هذه الطريقة عُدَّت الخطوة الأولى للتأليف . فابن شهاب بؤب الأحاديث والأخبار ذات الموضوع الواحد . فمن هذه المرحلة بدأ التأليف - فمثل المشاعل التي رفعها الرواد وتوهجتها كمثل النار التي كانت تشعل على رؤوس الجبال حول الأحياء تهتدى بها الركبان التي تقطع رمال الصحراء . فلتقد تطورت النار التي كانت تعبت بها الريح إلى كبرياء توضع على رؤوس الجبال والمرتفعات حول المطارت تهتدى بها الطائرات التي تحاق في أجواء السماء . . .

٨ - ومما لا غبار عليه : أن ابن شهاب كان جماعة حفاضة . فالتدقيق جمع وحفظ نحواً من مائتين وألفي حديث كما جاء في تذكرة الحفاضة (٣) . وكان يعنى بالخبر الجاهلية كما يظهر في تاريخ الطبري . قال عنه (أبو الزناد) : كنا نطوف مع الزهري على العلاء ونعده الألواح يكتب كل ما سمع . ونقل (لاريث) عن ابن شهاب أنه قال : [ما صبر أحد على العلم صبري ولا نشره نشرى] (٤) . ولتقد قول (مصدر) عن كثرة مدونات ابن شهاب : [كنا نرى : أننا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل

(١) المعارف ص ٦٢٣ .

(٢) الفهرست ص ٥٧٣ .

(٣) تذكرة الحفاضة ١/١٠٩ .

(٤) المصدر نفسه ١/١٠٩ .

(الوليد) فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من علم الزهري [(١)] .

٩ - ولعل حرص الزهري على نشر العلم : هو الذي جعله يتساهل في الرواية عنه ، فلقد قال عن ابن شهاب الزهري : (عبید الله بن عمر) : [كنت أرى الزهري يعطي الكتاب فلا يقرأ عليه فيقال له : نروي هذا عنك ؟ فيقول : نعم] (٢) - ولقد أجاز (إبراهيم بن الوليد) برواية مجلد كتبه عنه (٣) .

١٠ - ومن صفات ابن شهاب الزهري : أنه كان مع سرعة حفظه لا ينسى ما حفظه ، ومع ذلك كان لا يتوانى عن تدوين ما يحفظه . قال عنه (الليث) : [ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري - يحدث في الترغيب فتقول : لا يحسن إلا هذا . وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا . وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك .] وقال (ابن المذنب) عنه : [دار - علم الثقات - على (الزهري) و (عمرو ابن دينار) بالحجاز - و (قتادة) و (يحيى بن أبي كثير) بالبصرة و (ابن إسحاق) و (الأعمش) بالكوفة] (٤) .

١١ - ومن أساتذة ابن شهاب (ابن عمر) و (سهل بن سعد) و (أنس بن مالك) و (محمود بن الربيع) و (سعيد بن المسيب) و (أبو أمامة بن سهل) و (عروة بن الزبير) و (أبو سلمة بن عبد الرحمن) و (عمرة بنت عبد الرحمن - ربيعة - عائشة أم المؤمنين) وعن الزهري أخذ الكثيرون .

١٢ - وآخر ما يمكن أن يقال عن (محمد بن مسلم بن شهاب الزهري) : أنه من القلائل الذين كان لهم القدح المعلن في وضع أساس الثقافة العربية الإسلامية - ومن الذين كثرت الرواية عنهم - ولقد سبق أن لفت النظر إلى استغلال نقلة الأخبار . ودعاة الأحزاب - سمعة اللامعين من الرواد عندما تكلمت عن (ابن عباس) وعن (كعب الأحمار) وغيرهم وكثرة الرواية عنهم . فلا مفر لمن أراد الوصول إلى حقائق التاريخ من استقصاء الرواية للتثبت من صحتها .

(١) الطبقات ٢ / ٦٠ و ١٣٨ و ٣٨٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١١١ .

(٣) الذهبي ص ٦٨ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٩ و ١١١ .

البحث الثالث عشر :

عبد الله بن أبي بكر بن حزم

توفي سنة ١٣٠ أو سنة ١٣٥ هـ

من صحيفة ٤٢٣ إلى ٤٢٨

من موضوعات البحث :

- ١ - عبد الله بن أبي بكر لم يرتفع ذكره في الجليل الذي عاش فيه .
- ٢ - أسرة عبد الله بن أبي بكر .
- ٣ - الأسباب التي هيأت لعبد الله بن أبي بكر الاشتغال بالمغازي .
- ٤ - البحث في مصادر التاريخ العربي أراح ستار النسيان عن عبد الله بن أبي بكر .
- ٥ - (هورفتس) و (الدوري) يتفقان في كلامهما عن عبد الله بن أبي بكر .
- ٦ - عبد الله بن أبي بكر أستاذ الواقدي وابن إسحاق .

عبد الله بن أبي بكر بن حزم

١ - قال عنه (ابن شهاب الزهري) : [ما في المدينة مثل : عبد الله بن أبي بكر - ولكنه يمنعه من أن يرتفع ذكره - مكان أبيه] (١) .

وأخبر عن وفاته (اليافعي) : [في سنة ١٣٥ هـ توفي (عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني) - شيخ مالك ، والسفيانيين - روى عن (أنس) وجماعة وكان كثير العلم] (٢) .

٢ - وأكد الباحثون في تاريخ المغازي والسيرة ، والمحققون في أقوال جامعي أحاديث السيرة والمغازي : أن أسرة عبد الله بن أبي بكر بن حزم - من الأسر التي أبلت في نشر الثقافة الإسلامية والمحافظة عليها بلاء حسناً - فمنهم : جده الأعلى (عمرو بن حزم) مبعوث النبي عليه السلام إلى اليمن لتعليم أهلها وتفقيهم . فبقي والياً على نجران إلى ما بعد وفاة النبي عليه السلام . ومنهم : جده (محمد بن عمرو) الذي قتل في يوم الحرة فوقف عليه (مروان بن الحكم) قائلاً : [رحمك الله . فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام والصلاة إلى جانبها] - ومنهم : أبوه (أبو بكر بن محمد) قاضي المدينة ثم واليها في عهد (سليمان) - فهو أول من تولى إمارة المدينة من المدنيين - ومنهم : أخوه (محمد بن أبي بكر) الذي تقلد قضاء المدينة - ومنهم : (عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم) الذي قال عنه (ابن النديم) : إنه ألف (كتاب المغازي) وإنه كان قاضياً ببغداد (٣) .

هذه هي أسرة (عبد الله بن أبي بكر بن حزم) الذي وجهه أبوه إلى دراسة الحديث . ونصححه بمقارنة عجز كل حديث بصدده - خوفاً على دروس العلم وذهاب أهله . فانصرف يأخذ عن (عمرة بنت عبد الرحمن) وعن (أنس بن مالك) وغيرهما من الصحابة والتابعين .

(١) ابن حجر ٥/١٦٥ .

(٢) مرآة الجنان ١/٢٨١ .

(٣) الفهرست ص ٣١٥ و ٣١٦ .

٣- وقد يكون الأثر الذي خلفه جد عبد الله الأكبر (عمرو بن حزم) في اليمن ،
 ودم جده (محمد بن عمرو) الذي سفك في يوم الحرة . وولاية أبيه (أبي بكر
 ابن محمد) قضاء المدينة وإمارتها - قد يكون كل ذلك من الأسباب التي جعلت
 (عبد الله بن أبي بكر) : يعني بما يختص بالمغازي في عصر الجهاد والفتوحات
 الإسلامية ، وبما يختص بأحداث الفتن الدامية التي منى بها المسلمون في عهد عثمان
 وعلى .

وقد يكون مكان أبيه منع (عبد الله بن أبي بكر) من أن يرتفع ذكره . وقد
 يكون تواضعه - هو الذي منعه من الظهور . فمما يقال عنه : أنه لم يعلن عن
 نشاطه في مجال الدراسات التاريخية - مما جعل (يوسف هورفتس) يشك في مغازي
 (عبد الملك) التي ذكرها (ابن النديم) في فهرسته - ويقول عنها : [ومن
 المحتمل : أن هذا الكتاب الذي يبدو : أنه لم يبق له أي أثر - كان يتألف من
 المجموعة التي أخذها عن عمه - عبد الله بن أبي بكر - كما يروي أحد إخوة
 (عبد الملك) هذا واسمه (عبد الرحمن) الأخبار كثيراً عن (الواقدي) . ولم
 تقتصر أقوال (عبد الله) على المغازي بالمعنى الخاص للكلمة . فقد عني أيضاً
 بشباب النبي وأعوامه الأولى . ولكن اسمه يظهر في غالب الأحيان في أخبار
 الغزوات ، ووجه عنايته أيضاً إلى (وفود القبائل العربية على النبي) وروي أخباراً
 عن ردة القبائل العربية بعد وفاة النبي . وعن حوادث خاصة في العقد الثاني .
 وعن الأيام الأخيرة للخليفة عثمان مثلاً . وكان بيت أسرة عبد الله بجور البيت
 الذي لقي فيه عثمان حنقه . وكان جده الأكبر يعرف الحوادث التي أدت إلى مقتل
 الخليفة . ويذكر (عبد الله) كثيراً من أخباره دون ذكر لارواة . وفي أحول
 أخرى يذكر أسماءهم فلم يكن يرى الإسناد وجباً بعد . وينتهي طرف من أخباره
 إلى (عمرة خالته الكبرى) أخذها عنها مشافهة . وعن طريق زوجة فاطمة التي
 أخذتها مباشرة عن عمرة [١] .

هذه خلاصة ما وصل إليه (يوسف هورفتس) من تتبعه ما جاء في تاريخ

(١) المغازي الأول ومؤلفوها ص ٤١ و ٤٢ .

الطبرى، وسيرة ابن هشام، وفهرست ابن النديم، ولقد سبقت الإشارة إلى بعض ما جاء في كلام (هورفتس) نقلاً عن المصادر عينها، وما جاء في هذه الخلاصة يزيدنا - معرفة بأسرة (عبد الله بن أبي بكر) - فالأسرة جميعها: رجالاً ونساء - كانت تتابع الأحداث وتروى أخبارها، ويزيدنا معرفة بثقة المؤرخين بعبد الله ابن أبي بكر - أنهم يأخذون عنه بدون إسناد فيما يرويه وبدون إيضاح مصادره، ويزيدنا معرفة بالطرق التي سار فيها المؤرخون لجمع الأخبار التاريخية وربط بعضها ببعض في مصنفات لا يقدر الجهد الذي بذل في تدوين الأحداث عن مصادر لم تجمع في مكاتب نظمت لها فهارس تساعد على الوصول إلى ما يريده الباحثون في العصر الحاضر - إلا من تعمق في البحث عن مصادر التاريخ العربي.

والأخبار التاريخية التي رواها (الواقدي) و (ابن إسحاق) و (الطبرى) وغيرهم معتمدين فيها على رواية (عبد الله بن أبي بكر) - أكثرها إن لم تكن جميعها لا تتجاوز التاريخ الإسلامي إلى التاريخ الجاهلي، ولم يذكر واحد ممن تحدثوا عن (عبد الله بن أبي بكر): أنه اتصل بأحد من أهل الكتاب أو روى عنهم - على أنه قد يكون هناك خبر لم أطلع عليه. فليس ببعيد أن يكون أخذ شيئاً عن (كعب الأخبار) و (عبد الله بن سلام) أو عن غيرهما - فالنصوص التي وصلت إليها لم تذكر فيما ذكرته عن مصادره، وأساتذته غير رواة الحديث الذين أخذ عنهم، وغير الأحداث التي اشتركت فيها أسرته فكان بطبيعة الحال على علم بها ومصدراً من مصادرها - فلقد روى (الطبرى) عن (الواقدي) عن (عبد الجبار بن عمارة) عن (عبد الله بن أبي بكر) - [بعث (الحجاج) برأس (الزبير) ورأس (عبد الله ابن صفوان) ورأس (عمارة بن عمرو بن حزم) إلى المدينة فنصبت بها، ثم ذهب بها إلى (عبد الملك بن مروان)]، ثم دخل الحجاج (مكة) فبايع من بها من قریش لعبد الملك بن مروان [١].

٤ - والذي جعل المتأخرين يذكرون (عبد الله بن أبي بكر) - هو: ما جاء في المؤلفات التاريخية من أخبار ذات قيمة كان عبد الله بن أبي بكر

(١) الطبرى ٥ / ٣٣ و ٣٤ طبع الاستقامة سنة ١٣٥٨ هـ.

المتواضع مصدرها ، وكم من رائد - رفع بحث المحققين في نشأة التاريخ : ستار النسيان عنه . ويعده (يوسف هورفتس) من القلائل الذين أبرزوا جهد (عبد الله بن أبي بكر) ونوّهوا بأثره في البحوث التاريخية المتأخرة - فلقد قال عنه : [بين العدد الكبير من علماء الحديث - ثلاثة رجال يستحقون أن نذكرهم وننوّه بهم في هذا الموضوع - لأنهم وجهوا عنايتهم الخاصة إلى المغازي - وهم : عبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، ومحمد بن مسلم الزهري . وهؤلاء الثلاثة جميعهم من أكبر شيوخ ابن إسحاق . وجميعهم من أتباع مدرسة المدينة]^(١) .

٥ - ومثل ما قال (هورفتس) قال (الدوري) : [وفي الجيل التالي : قام ثلاثة من العلماء بتنمية وتوسيع دراسة « المغازي » - وهم : عبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قيادة ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري - وليس أمامنا إلا مقتطفات من مؤلفاتهم التي حددت إطار « المغازي » وهيأت جل المواد التي اعتمد عليها (ابن إسحاق) و (الواقدي) بعده]^(٢) - ولا أدري ! هل السابق إلى هذه النتيجة - هو هورفتس أو الدوري ؟ فكلاهما لم ينسب هذه النتيجة إلى مصدر من المصادر . وإنما الذي يظهر : أن الباحث في مصادر التاريخ العربي الإسلامي لا بد له من التنويه بعبد الله بن أبي بكر - ولقد نقل الدوري في مؤلفه أخباراً رواها الواقدي عن (عبد الله بن أبي بكر) .

٦ - ومن الحقائق التي وصل إليها الباحثون في نشأة التدوين : أن (عبد الله بن أبي بكر) أستاذ من أساتذة (الواقدي) فعنه أخذ كثيراً من أخباره . وأستاذ من أساتذة (ابن إسحاق) فنه استعار ابن إسحاق - جمع غزوات النبي عليه السلام في قائمة مرتبة ترتيباً سنوياً - كما يقول (هورفتس) - وأستاذ الجميع في العناية بالمدونات - (عروة بن الزبير) - فاقدم سار على هذا النهج من بعده (عبد الله بن أبي بكر) ومن بعده (ابن إسحاق) . ولقد ساعد (عبد الله بن أبي بكر) في دعم الرواية الشفهية بالنصوص المدونة والوثائق الرسدية التي احتفظت بها أسرته مثل :

(١) المغازي الأول ومؤلفه من ٣٧ .

(٢) علم التاريخ عند العرب من ٢٣ .

الوثيقة التي أعطاها النبي عليه السلام لجدّه. ولقد ساعده في رواية الأحداث الإسلامية بكثير من الدقة : الوظائف الرسمية التي تقلدها بعض أفراد الأسرة ، وجوارهم لدار الخليفة الثالث عثمان بن عفان التي استشهد فيها - فكان (عبد الله بن أبي بكر) شاهد عيان بعصمه صلاحه من الادعاء والكذب .

البحث الرابع عشر :

موسى بن عقبة الأسدي

توفي سنة ١١٤١هـ

من صحيفة ٤٢٩ إلى ٤٣٤

من موضوعات البحث :

- ١ - موسى بن عقبة من مدونى التاريخ .
- ٢ - عناية المتأخرين بموسى بن عقبة وراثته .
- ٣ - رأى (يوسف هورفتس) فى موسى بن عقبة .
- ٤ - (حسين نصار) لم يزد شيئاً على ما قاله هورفتس .
- ٥ - بعض النماذج التى ذكرها (عبد العزيز الدورى) لا يمكن الجزم بأنها من أسلوب (موسى بن عقبة) .
- ٦ - بين أيدينا تحقيقات تعرفنا بموسى بن عقبة .
- ٧ - صلة موسى بن عقبة بالزهرى .
- ٨ - الشكوك التى أثرت حول تراث موسى بن عقبة .

موسى بن عقبة الأسدى بالولاء

١ - موسى بن عقبة بن أبى عياش - مولى الزبير بن العوام^(١) - يكنى : أباً محمد - توفي سنة ١٤١ هـ - قال عنه (شمس الدين الذهبى) : [إنه عالم بالسيرة النبوية صنف المغازى] ، وقال (أحمد بن حنبل) : [عليكم بمغازى ابن عقبة فإنه ثقة ، قرأت مغازى موسى بالمرزة على (أبى نصر الفارسي)] ^(٢) .

٢ - والبحث عن مغازى موسى بن عقبة وما فيها - شغل الباحثين فى نشأة التاريخ ومصادره كثيراً . ولقد أسفر البحث عن مغازى موسى بن عقبة التى كان يدرسها (أبونصر الفارسي) عن وجود قطعة من مغازى موسى بن عقبة طبعت سنة ١٩٠٤ ^(٣) - ولقد قال عن هذه القطعة من مغازى موسى بن عقبة - (هورفتس) : [لم يصل إلينا من كتاب مغازى ابن عقبة ، أو بالدقة لا يعرف شيء عن وجوده . وقد ذكر (لويس شبرنجر) : أن بعضهم - قد أكد له وجود نسخة من مغازى موسى فى دمشق ، ولكن لم يستطع - لويس شبرنجر - أن يراها - ويبدو أن (الديار بكري) مؤلف (تاريخ الخميس) - استفاد من هذا الكتاب . ومع ذلك ما زلنا نمتلك قطعة واحدة منه تحتوى على حديث أو أكثر من كل جزء من أجزاء الكتاب العشرة - وهى فى المكتبة البروسية الرسمية ، ونشرها (إدوارد - سخاو) بنصها العربى مع ترجمة ألمانية عام ١٩٠٤م] ^(٤) .

٣ - أما البحث فى مغازى موسى بن عقبة - فيقول (هورفتس) : [ويتضح من هذه القطعة - كما كان يتوقع - أن كتاب موسى لم يقتصر على المغازى بالمعنى الخاص ، وإنما شمل الهجرة على الأقل ، وأن (الزهري) كان أكثر من روى عنه موسى كما يمكن استنتاجه من حكم (ابن معين) : كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب ، ويجب ألا نصدق الادعاء الذى لانعرف راوياً

(١) التهذيب لابن حجر ١٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٤٨ .

(٣) فجر الإسلام ص ١٥٨ الهامش .

(٤) المغازى الأول ومؤلفوها ص ٧٠ و ٧١ .

له ، ويقول : إن موسى لم يسمع أى حديث عن الزهري مباشرة وإنما عن طريق أحد تلاميذه أو عن مدوناته ، وغالباً ما يقول موسى فى قطعة (برلين) فى المواضع التى يذكر فيها الزهري : قال ابن شهاب ، أو زعم ابن شهاب ، وكلاهما يمكن أن يدل على مدونات الزهري . ولكنه يقول مرة واحدة على الأقل فى قطعة برلين هذه : حدثنى الزهري - وإلى جانب قطعة برلين - نجد : عدة مقتبسات عند (ابن سعد) الذى استخدم الكتاب من رواية (إسماعيل) ابن أخى موسى أيضاً . ونستنتج من المقتبسات الكثيرة فى المجلدين الثالث والرابع من (ابن سعد) : أن كتاب موسى كان يحتوى على قوائم المهاجرين إلى الحبشة . والمشاركين فى بيعتى العقبة . وأهم من كل ذلك - نظم للمحاربين فى بدر - قوائم مثل التى أعدها (شرحبيل بن سعد) ، ويقال : إن (مالك بن أنس) قال عن هذه القوائم : من كان فى كتاب موسى - قد شهد بدرأ فقد شهدها ومن لم يكن فيه فلم يشهدها . وأخذ (الطبرى) أحاديث عن موسى تشير إلى عهد الخلفاء الراشدين بل إلى عهد الأمويين أيضاً . ويروى كتاب (الأغاني) ملاحظة عن (زيد بن عمرو) تبين أن موسى بن عقبة وجه عنايته إلى تاريخ ما قبل الإسلام^(١) . وقال عنه : [ونعرف من تلاميذ (الزهري) ثلاثة ألفوا فى المغازى - وهم : (موسى بن عقبة) و (معمر بن راشد) و (محمد بن إسحاق) . والثلاثة جميعهم من الموالى]^(٢) .

٤ - ولم يأت (حسين نصار) بجديد فى كلامه عن (موسى بن عقبة) فى نشأة التدوين فما قاله حسين نصار - هو : طبق ما جاء فى كتاب (المغازى الأول ومؤلفوها) . ولا أقول : إن (حسين نصار) نقل النتائج التى توصل إليها (هورفتس) من بحثه فى مؤلفات : ابن حجر . والذهبي . وابن سعد . وابن معين . والبلاذرى . والطبرى . وإنما أقول : إنه تأثر بها - فهو الذى ترجم كتاب (هورفتس) . وهو الذى ألف كتاب (نشأة التدوين التاريخى) .

٥ - ولم يشر (عبد العزيز الدورى) إلى قطعة برلين . ولكنه تحدث عن (موسى بن عقبة) وعن مغازيه . فقال : [فقد اتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة . فنجد

(١) المغازى الأول ومؤلفوها ص ٧١ و ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٩ .

يعكس تزايد تأكيد المحدثين على الإسناد ، ويبدى اهتماماً خاصاً بذكر تواريخ الحوادث ، وقد استفاد من مواد مكتوبة ، وخاصة من آثار الزهري — بالإضافة إلى الوثائق والروايات الشفوية ، ولكن الاعتماد في الروايات المكتوبة بقي على الراوي لا الكتاب ، وقد استند موسى بن عقبة بالدرجة الأولى إلى الزهري وأضاف إلى ذلك بحوثه الخاصة وبذلك أضاف مادة تراث المدرسة ، ولكننا نبين : أن تقدير إنتاجه يتطلب دراسة تفصيلية دقيقة لكل المقتبسات المأخوذة عنه والتي ترد في ابن إسحاق ، والواقدي ، والطبري ، وابن سيد الناس ، وابن كثير^(١) .

وأكثر النماذج التي أثبتتها (الدوري) في كتابه لمعرفة أسلوب (موسى بن عقبة) نقلها عن (البداية والنهاية) لابن كثير — ويلاحظ : أن الدوري — قدم نماذج لا يمكن الجزم بأنها من أسلوب موسى بن عقبة — وذلك لأن موسى واحد من بين رجال سند الرواية ، وذلك مثل الرواية التي جاءت في الطبري [ذكر محمد بن عمر : أن (أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة حدثه) — عن (موسى بن عقبة) عن (أبي حبيبة مولى الزبير) عن (عبد الله بن الزبير) قال : إلخ] فهو موسى بن عقبة ليس هو الذي تحدث إلى محمد بن عمر — فيكون محمد بن عمر نقل نص حديث موسى بن عقبة . ولم يكن موسى هو أول من روى الخبر فيكون رواة الخبر حافظوا على أسلوب الرواية ، فهو موسى بن عقبة واحد من رواة الخبر^(٢) .

٦- فهذه النتائج التي سبقنا إليها (يوسف هورفتس) و (عبد العزيز الدوري) ، والتي يبدو عليها الاستقصاء والتعمق — تكفي لمعرفة هذا الرائد (موسى بن عقبة) وتقويم تراثه — فهو موسى بن عقبة — من الرواد الذين أفادوا علم التاريخ ومهدوا لمؤلفي الموسوعات التاريخية طريق التصنيف في التاريخ ، فمن تراثه نهل ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري وابن كثير وغيرهم من المؤرخين — كما نهل موسى بن عقبة من تراث الذين سبقوه مثل : (ابن عباس) و (عروة بن الزبير) و (ابن شهاب الزهري) وغيرهم . فلقد مر بنا في ترجمة ابن عباس : أن موسى بن عقبة — قال : [وضع عندنا (كريب مولى العباس) حمل بعير من كتب ابن عباس] ،

(١) علم التاريخ عند العرب ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٤ .

ولقد قيل عن موسى بن عقبة : إنه كان يستشهد بالوثائق ، فهو يذكر الرسالة التي وجهها النبي عليه السلام إلى (المنذر بن ساوى) - نصًّا - فقد كانت في حوزة موسى ابن عقبة غير كتب ابن عباس ووثائق مخطوطة . وإنه كان يحفظ الشعر الذي قيل في المناسبات التاريخية ، وموسى بن عقبة من الرواة الثقات - شهد له بذلك إمامان من ألع الدين اعترف التاريخ الإسلامي لهم بالنزاهة والأمانة والاتزان - هما : مالك ابن أنس . وأحمد بن حنبل - وموسى بن عقبة من أبرز الرجال الذين عنوا بما جاء في الحديث والأثر عن المغازي والهجرة . ومن الذين عنوا بتاريخ ما قبل الإسلام وما بعد المغازي والسيرة . ومن الذين بذلوا جهداً كبيراً في دفع عجلة الدراسات التاريخية في طريق التأليف - فهو من أوائل الذين رووا الأحداث مؤرخة تاريخاً سنوياً - ومن الذين لم يكتفوا بنقل الأخبار بل أضافوا إليها دراساتهم وما جد منها في عصرهم .

فلئن سبق موسى بن عقبة - عروة . وأبان . والزهري . وغيرهم إلى تدوين الأخبار التاريخية - إن تراث موسى بن عقبة لم يخل من المميزات التي تحدث عنها المتأخرون . فهو قد أرخ الأحداث . وقد بدأ تحقيق القضايا - في الترميم التي نظمها . وهو من أوائل الذين حاولوا ربط السيرة بما سبقها في العصر الجاهلي . وما جدد بعدها إلى العصر الذي عاش فيه . أضف إلى ذلك ما استفاد من جده لأمه (أنى حبيبة مولى الزبير) . ومن (عاتقة بن أنى وقاص) ومن آل الزبير . ومن (الزهري) ومدوناتاه .

٧ - وصلة موسى بن عقبة بالزهري - وهل أخذ عنه مباشرة . أو نقل عن مدونته . وعن الذين رووا عنه - هي : الموضوع الجليل بالبحث والتعليق . لعل الذين قلوا : إن موسى بن عقبة لم يبق ابن شهاب الزهري - بنو ظهيم على ما قلناه (أحمد بن عبد الله الخرجي الأنصاري) في كتاب (خلاصة تذهيب الكمال في سيرة النبي صلى الله عليه وآله) عن موسى بن عقبة : [موسى بن عقبة الأسدي - مدلاه منسك - بنو ظهيم - من مدونته . وعروة . وعاتقة بن أنى وقاص - وعنه روى يحيى الأنصاري . ومن خرج . ومحمد بن فايح وحقاق] (١) فأحافظ - أحمد بن عبد الله الأنصاري لم يذكر

(١) كتاب خلاصة تذهيب الكمال من ٣٣٦ .

مع من ذكر من شيوخ موسى بن عقبة : الزهري - فهل موسى بن عقبة لم يأخذ شيئاً عن الزهري في حين قد أخذ هو عن عروة ؟ إن الرجلين متعاصران ، فبين وفاة الزهري سنة ١٢٤ هـ وبين وفاة ابن عقبة سنة ١٤١ هـ ستة عشر عاماً تقريباً ، وإن الرجلين تجمع بينهما مدرسة عروة بن الزبير . وكل من الرجلين عنى بالأخبار التاريخية . فما هو السبب فيما يلاحظ على رواية موسى عن الزهري ، وأن أكثرها لا يدل على أن موسى بن عقبة أخذ من الزهري مباشرة ؟ ! إن السبب فيما أعتقد يرجع إلى أن الزهري انتقل إلى البلاط الأموي في دمشق وقضى أكثر سنيه الأخيرة بعيداً عن المدينة ومدرستها ، فمذ سنة ٨١ هـ كانت سورية مقر إقامته أكثر من غيرها . فلذلك نحن لا نستغرب إن وجدنا صلة موسى بن عقبة بأبى خالد ، وبابن أبى وقاص . وعروة أكثر من صلته بالزهري ، وسماعه منهم أكثر من سماعه من الزهري . ولكن ليس معنى ذلك : أن موسى لم يسمع شيئاً من الزهري . فلا يبعد أن يكون الرجلان قد تقابلا في فترة وجيزة سمع فيها موسى شيئاً من الزهري .

٨ - ثم الموضوع الروتيني الذي لا بد من الإشارة إليه في كل ترجمة - هو التهم التي توجه إلى الرواد . والشكوك التي تثار حول تراثهم ، فموسى بن عقبة كغيره - لم يسلم من التهم والشكوك . والذي يغلب على الظن : أن أكثر الشكوك التي أثرت حول موسى بن عقبة لاتعدو الأخبار التي تخص معارك الزبيريين مع خصومهم . وأن أكثر بشري الشكوك هم من أنصار خصوم الزبيريين ، فلا يبعد أن يكون موسى بن عقبة روى أخباراً سمعها من الزبيريين لم تكن في مصلحة خصومهم . فأثاروا حولها الغبار لاسيما الأمويون - فللنفوذ السياسي أثر فعال في توجيه المطاعن وإثارة الشبهات .

على أن الشكوك التي أثرت حول موسى بن عقبة . لم تحجب فضل الرجل ، واشتراكه مع الأوائل في غرس نواة التاريخ العربي .

البحث الخامس عشر :

أبوالمعتمر : سليمان بن طرخان الشيمي

توفي سنة ١٤٢ هـ

من صحيفة ٤٣٥ إلى ٤٤٢

من موضوعات البحث :

- ١ - الخلف على ولاء سليمان بن طرخان .
- ٢ - المسلمين الذين لا يتعاونون عن بن طرخان عمماً وورثاً .
- ٣ - أسباب عنابة المراسم لما تحركه بين طرخان .
- ٤ - تعليق وتحليل .
- ٥ - الشكوك التي تحوّد حول مغازي سليمان بن طرخان .

أبو المعتمر: سليمان بن طرخان التيمي - وحقيقة مغازيه

١- عندما تكلم (ابن قتيبة) عن سليمان التيمي - قال عن (أبي يقظان) :
 [هو سليمان بن طهمان من موالى (عمرو بن مرة بن عباد) من (ضبيعة) ويكنى :
 أبا المعتمر - ونسب إلى (بنى تيم) لأن منزله ومسجده فيهم - ويكنى ولده (المعتمر)
 أبا محمد] - وقال عن (البجلي) : [إنه سليمان بن طرخان ، وإن (طرخان) كان
 مكاتباً لـ (بنى مرة) وكانت امرأة طرخان مكاتبه لـ (بنى سليم) وكانت أعتقت قبل
 طرخان وولدت : سليمان وهي حرة فصار سليمان مولى لـ (بنى سليم) وتوفي سنة ١٤٣ هـ
 بالبصرة] - وذكر (ابن قتيبة) : سليمان بن طرخان مع الشيعة . وقال عنه : [عندما
 قدم (عكرمة) إلى (البصرة) أتاه (أيوب) و (سليمان التيمي) و (يونس)
 وعندما ترك عكرمة الحديث وأصغى للغناء زهد في مجلسه - سليمان ، ويونس]^(١).

وعرفه (ابن سعد) بأنه سليمان بن طرخان التيمي - وقال : [سمعت (يزيد
 ابن هارون) . يقول : ليس بتيمي ولكنه (مري) ومنزله في التيم فنسب إليهم -
 كان ثقة كثير الحديث]^(٢) . وقال عنه (ألبافعي) نقلاً عن (الشعبي) : [إن
 سليمان بن طرخان إذا حدث عن رسول الله تغير لونه - ما رأيت أصدق منه] .
 وقال نقلاً عن ابنه (المعتمر) : [مكث سليمان بن طرخان أربعين سنة يصوم يوماً
 ويفطر يوماً . ويصلي الفجر بوضوء العشاء - عاش سبعاً وتسعين عاماً]^(٣) .

٢- فأبو المعتمر - عندما يتحدث عنه القدامى يتحدثون عنه كما رأيت بتقدير
 وإعجاب . وأبو المعتمر في معاجم رجال الحديث له شركاء في اسمه وعلمه وزهده
 وزمنه - كلهم موال وكلهم لا يقاؤون تعبداً وتفقهاً - منهم : (سليمان بن يسار المدني)
 مولى (ميمونة أم المؤمنين) أحد فقهاء المدينة السبعة توفي سنة ١٠٧ أو سنة ١٠٤ هـ
 - قال عنه (الحسن بن محمد بن الحنفية) : هو أفهم عندنا من (سعيد بن

(١) المعارف ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٥٦ .

(٢) الطبقات ٢٥٢/٧ .

(٣) مرآة الجنان ٢٩٤/١ .

المسيب^(١) - ومنهم : (سليمان بن مهران) مولى (بنى أسد) المعروف بالأعمش المحدث الذي يروي نحو ألف وثلاثمائة حديث - قال عنه (الذهبي) : كان رأساً في العلم النافع والعدل الصالح . وقال عنه (السخاوي) : لم يكن السلاطين والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره توفي سنة ١٤٨ هـ^(٢) . ومنهم (سليمان بن قنفة) مولى (تيم قريش) كان محدثاً يروي الأحاديث النبوية . وكان شاعراً - أورد له (ابن قتيبة) بيتاً من الشعر لا يتل روعة عن شعر نوابغ الشعراء :

وقد يحرم الله القمى وهو عاقل . . ويعطى القمى مالا وليس له عقل

وسليمان بن قنفة عدل في فهرست كتاب المعارف من التابعين ومن بعدهم . وروى مع أعلام رجال السنن . وسليمان بن قنفة - هو : أحق بأن يلقب له : سليمان التيمي . فهرس مولى تيم قريش^(٣) .

بيد أن هؤلاء السليمانيين لم يمت إليهم دراسات التاريخية الحقيقية ولم تكن بهم كعنت بسليمان بن طرخان مولى (تيم) لآل شي - سير آل الخنثين وحمود لأن المعتد نشاطاً في رواية التاريخ لم يكن لغيره مثل ذلك نشاط من هؤلاء السليمانيين . . فأوثق السليمانيين لم يرووه . روه من أحاديث السيرة وما روى على ما يظهر كما فعل سليمان بن طرخان - وكما جاء في خبر (فون كورتير) لأن في هذا المبحث .

على أن أبا المعتد - سليمان التيمي - لم يذكره أكثر الباحثين الباحثين مع التي غرسوا نواة التاريخ العربي - فعند نظم (ثروت عكاشة) فهرست كتاب (المعارف) لابن قتيبة التي أخرجته (در المعارف) في طبعة آيضا صحاح واضحة - لم يضع سليمان بن طرخان التيمي مع زمرة - التيميين والتخمينيين - مثل : الكلابي . وابنه . وأبي مخنف . والمدائني . ووخيم بن عدي . كما أن تاريخ الشعبي . وازهرى . وشرحبيل - من هذه زمرة في ذلك التيميين . ولم يذكره اللدوري في كتابه (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب) ولم يذكره كثير من

(١) تذكرة الخزانة ٩١/١٠ .

(٢) الأعلام ١٩٨/٣ .

(٣) المعارف ص ٤٨٧ .

(عكاشة) و (الدورى) - فالقليان هم الدين ذكروا : (سليمان بن طرخان التيمى) ، ومن هؤلاء القليلين : (حسين نصار) فى كتابه (نشأة التدوين التاريخى عند العرب) ، فلقد قال عنه : [تنتقل الكتابات التاريخية إلى (البصرة) ليظهر فيها سليمان بن طرخان المتوفى سنة ١٤٣ هـ ، ولم تذكر المرجع القديمة : أنه ألف كتاباً . وإن كنا نرى اسمه يتردد فى الطبرى . ولكن الأستاذ (فون كريم) وجد مخطوطاً يحتوى على مغازى (الواقدى) التى لا تصل إلا إلى إجلاء بنى النضير من المدينة . ثم تكمل بجزء من مغازى (أبى المعتز - سليمان بن طرخان التيمى) - المسماة (السيرة الصحيحة) كما يقول الناسخ . وتبدأ سيرة سليمان بالكلمة الأولى فى السطر السادس عشر من الصفحة (٣٦٠) وتنتهى فى الصفحة (٤٣٧) فهى تتألف من سبع وسبعين صفحة من النسخة المطبوعة - ولا نستطيع من هذا الباقى من سيرته أن نحكم : هل تناول التاريخ الجاهلى ، وتاريخ النبى فى مكة ، أو اقتصر على المغازى وحدها . وإن كان الاسم (السيرة) قد يجعلنا نميل إلى الظن بأنه تناول الفترة المكية من حياة الرسول عليه السلام أيضاً . ولكن الطبرى يذكر له : خبرين عن خلق آدم . وعن حرق إبراهيم . ثم لا يذكر له شيئاً عن حياة الرسول . وإنما يرجع إليه ثانية فى عهد (عثمان) حيث يروى بعض ما حدث فى الفتنة ، ولا ندرى لماذا سبباً ! أكان الطبرى غير واثق بمغازيه ؟ أم لم تصل إليه ؟ أم لم يؤلف سليمان مغازى . وهذه المغازى التى بين أيدينا محمولة عليه؟!] - ويقول (حسين نصار) عن هذه المغازى وأسلوبها : [ويرى قارئ سيرته : أن الأخبار موجزة مضغوطة منسقة منتظمة ، لا تكثر خلالها الفواصل والزوائد كما نرى عند غيره ، فهو لا يذكر الأسانيد ولا يعنى بالروايات المتعددة وإنما يسير على رواية واحدة لا يتعدها . ويمتاز وصفه بالقوة والحياة ، يشعر القارئ : أنه مشرف على المعركة ، يرى الأبطال ويشاركهم أحاسيسهم وأفعالهم . كما يشعر بأنه المؤلف لا يكتبنى بمجرد وصف الأعمال وإنما يدقق فيها ويبسطها بسطاً صادقاً ، ويجعلنا نستطيع أن نميز ما يدور فى خلجات المؤمنين فى كل موضع من المواضع . وكثيراً ما تكون هذه الانفعالات فى غير مصلحة المسلمين - ويأتى بروايات غريبة فى الغزوات الكبيرة . تخالف ما أجمع عليه المؤرخون . - فهو يرى : (نعيم الأشجعى) من الجواسيس على النبى عليه السلام على حين يراه

المؤرخون الآخرون من المؤمنين الذين خدموا النبي عليه السلام خدعة عظيمة إلى غير ذلك من الروايات التي جاء بها مخالفة لما يرويه المؤرخون عن غزوات (بنى قريظة) و (الحديبية) و (خيبر) و (مؤتة) و وفاة الرسول عليه السلام - ويورد : أخباراً عن العباس لا نجد لها عند غيره من المؤرخين كلها في جانب العباس مما يغرى المرء بالقول : إنها من وحي العباسيين . ولكننا بعد كل ذلك نحب أن نشير إلى أن سليمان بن طرخان من المشهود لهم بالعدالة والفضل [. ثم أورد (نصار) نماذج من مغازي سليمان بن طرخان (١) .

٤- فأبو المعتز - كما قيل عنه أولاً وأخيراً من رجال الحديث المعروفين بالزهد والأمانة، إذا روى حديثاً عن النبي عليه السلام انفعلاً وتغير لونه. فلا غرو! إن هو تحمس في أسلوبه فصور قلمه الانفعالات . ولم يذكر (حسين نصار) ما لونه الانفعالات التي هي في غير مصلحة المسلمين ، وإنما ذكر رواية من روايات سليمان بن طرخان التي تخالف ما أجمع عليه المؤرخون - وهي التي تتضمن اتهام (نعيم الأشجعي) بالجناسوسية . فالذي يبدو : أن التهمة وجهت إليه قبل إسلامه . والشك في (نعيم) قبل إسلامه له مسوغاته - فنعيم الأشجعي الغطفاني - لم يعان إسلامه إلا عندما تقدم للنبي عليه السلام في غزوة الخندق عارضاً استعداده لكل ما ينقد موقف المسلمين . وعندما قام بخدعته لم تشك اليهود فيه لأنه نديم لهم . لا يبعد أن يكون حديثه معهم فيه أخبار عن المسلمين . ولم تشك فيه قريش لأنها تعلم وداه لهم . وفراقه المسلمين ، فما هي بداعت اليهود ؟ قد يكون منها تقرب (نعيم) إلى قريش بما يثبت إخلاصه لها . فلو لم تكن له سابقة في نقل المعاومات لما تسرعت الأحزاب في الأخذ بنصيحته . فربما كانت حياة نعيم الجاهلية مشبعة بما يبعث الضمير في نفوس اليهود والقرشيين . فقد يكون نعيم قبل إسلامه من الذين كانوا يتقربون أخبار الإسلام إلى اليهود . ومن الذين يتقربون لقريش بمعدونته عن المسلمين . ونحن لا نستغرب إذا سمعنا : أن أبا المعتز المشيع لآل نعيم : جمع أخباراً عن العباس وفي مصلحته . ولا نستغرب إذا سمعنا : أن أبا المعتز عن أخبار الصريح الذي دار بين الوثنية والإسلام . وبأخبار مؤثرات اليهودية . وبأخبار الطمعية

(١) نشأة التدوين التاريخي من ٥٦٦ هـ .

والصمود أمام القوى الفارسية التي تأهبت للقضاء على الإسلام انتصاراً لئلاها ،
 وتحقيقاً لمخططات الاستعمار الساساني الذي تجاوز شواطئ الخليج الإسلامي -
 العربي - فوصل إلى اليمن ، وأمام القوى المسيحية التي توارثت لإخماد الشعلة جهلاً
 بما في إنجيل عيسى ، وأملًا في مغنم جديدة تضدها إلى سورية ، وبأخبار الأحداث
 الإسلامية التي تفاقمت في فن صدر الإسلام . وبمعرفة ما جاء في القرآن عن
 الخليفة وآدم . فلقد كانت السيرة بما فيها من جهاد وتشريع وحكم وتوجيه ، والمشكلات
 التي واجهت المسلمين بعد وفاة النبي عليه السلام بما فيها من تركيز وفتوحات وانقسام
 ومأس - والقرآن بما فيه من أحكام وتعاليم ومثل وعبر - هدفًا انطلق إليه جهده
 نثر غير قليل يجمع الأخبار مستجلباً الحقائق من مصادرهما ، لم يعلن البعض
 عن نفسه فسار في طريق البحث عن الحقيقة صامتاً ، فمنهم : من اكتشفه الباحثون ،
 ومنهم : من لقي حتمه فدفن ودفنت معه أخباره . ومنهم : من وصل شيء من تراثه
 إلى أيدي المؤرخين . فاتخذوه نصوصاً لمؤلفاتهم ، والقليل منهم من ورث الأجيال
 مؤلفات ما زالت مناهل لرواد المعرفة .

فلو لم يعن ذلك الناسخ بإكمال مغازي (الواقدي) بمغازي (أبي المعتدر) ،
 ولو لم تدفعه أمانة النسخ ويقظة الناسخ إلى إيضاح القسم الخاص بسليمان بن طرخان
 وإلى ذكر اسمه . ولو لم تسلم هذه النسخة من غوائل الزمن - لما عرف هذا الجيل
 عن مغازي أبي المعتدر شيئاً . ولما قال أحد بأنه من مؤلفي المغازي ، ولذلك اعتمد
 البحث على ما جاء في تحقيق حسين نصار - فلم يهدل ما نقله عن (فون كريم)
 الذي وجد المخطوط الذي يحتوي على مغازي الواقدي المذيلة بمغازي ابن طرخان .

٥ - على أنه إذا كانت هناك شكوك تحوم حول نسبة هذه المغازي لسليمان التيمي .
 وإذا كانت الأدلة التي انبنت على تلك المغازي واستعين بها لمعرفة أسلوب سليمان
 ابن طرخان وأخباره لا تكفي لتقويم معارفه التاريخية ومنهجه - فإن ما جاء في تاريخ
 الطبري عن أبي المعتدر مما نقله نصار ، ومما لم ينقله ، كقولته عن (سلمان الفارسي)
 خسر الله تعالى طينة آدم أربعين يوماً ثم جمعه بيديه فخرج إبطيه بيمينه وخبيثه بشماله
 ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى فخلط بعضه ببعضه فن ثم يخرج الطيب من

الحديث والحديث من الطيب (١) - يدل على أن سليمان كان ذا عناية بالأخبار وروايتها وكان نقادة ينقل الأقوال ذات المعنى الكبير والفلسفة العميقة .
 وإذا كان لا بد لي من أن أبدى شيئاً من الشكوك التي تحوم حول ما نقله نزار عن (فون كريم) الذي أسند إليه خبر مغازي سليمان التيمي ، فإنني ألفت النظر إلى أن المستشرقين الذين اطلعت على بحوثهم والذين استقصوا في بحوثهم مغازي (الواقدي) لم يشيروا إلى ما نقله نزار عن (فون كريم) مع أن (يوسف هورفيس) استعان بنتائج (ألنرد فون كريم) في تحقيق مغازي الواقدي . ولكنه لم يذكر شيئاً عن (سيرة سليمان بن طرخان) . فهذا الخبر لم يذكره فيما اطلعت عليه من مصادر - غير نزار . والنسب الوحيد الذي جاء في هذا الخبر هو قول الشيخ :
 السيرة الصحيحة من مغازي أبي المعتز سليمان بن طرخان .

على أننا مع هذا الشك الذي يحوم حول هذه المغازي لا نستبعد أن يكون (سليمان بن طرخان) - قد جمع بعض الأحاديث والآثار التي وردت في المغازي ما دونا قد رأينا في تاريخ الضبري ما يشهد بأن أبي المعتز - جولة مع رواد الأخبار . ونحن نرى في هذه المغازي إن صح ما قيل عنها ونقل لنا منها : أنها من أقدم ما دون عن حياة النبي عليه السلام . وبرى : أخبارها من أدق الأخبار التي رويت عن أحداث فتنة عثمان وجدل الثورين على سيسته . ورى من خلال ما نقل هنا : تفاعل الدراسات التاريخية وحركة تطورها . واخرص على . يستزده خبر تاريخي . من فهم الراوى حقيقة القصة التي يتحدث عنها - سواء كانت هذه المغازي من تدوين سليمان بن طرخان أم من تدوين غيره .

وبعض هذا يكفي البحث . ويسد حاجته . ويحقق الغرض الذي من أجله استعرض البحث جانباً من حياة سليمان بن طرخان وسلف الضبري على مغازيه .

(١) تاريخ الطبري ٦٣/١ مطبعة الاستقامة .

البحث السادس عشر :

آل السائب محمد بن السائب الكلابي

توفي سنة ١٤٦ هـ

من صحيفة ٤٤٣ إلى ٤٤٦

من موضوعات البحث :

- ١ - لا يقل علم محمد بن السائب بالأنساب عن علم الذين سبقوه .
- ٢ - أسرة محمد بن السائب .
- ٣ - عنجهية محمد بن السائب .
- ٤ - أضواء على محمد بن السائب ومعارفه .

آل السائب الكلبي - محمد بن السائب ، وابنه هشام

١ - لئن سبق (دغفل) النسابة : محمد بن السائب الكلبي ، ولئن قيل عن دغفل وعن (ورقاء بن الأشعر) المعروف بـ (لسان الحمرة) : إنهما من أقدر النسابين - إن معارف (محمد بن السائب الكلبي) في الأنساب لا يقل قدرها عن معارف دغفل ولسان الحمرة . أضف إلى ذلك : أن محمد بن السائب لم تقتصر بحوثه على الأنساب بل تناولت التفسير . والأحداث الإسلامية . وأيام العرب .

٢ - قال عنه (ابن قتيبة) : [هو محمد بن السائب الكلبي - ويكنى : أبا النصر ، وكان جده (بشر بن عمرو) ، وبنوه (السائب) و (عبید) و (عبد الرحمن) شهدوا : (الحمل) و (صفين) مع (علي بن أبي طالب) وقتل (السائب) مع (مصعب بن الزبير) وشهد (محمد بن السائب الكلبي) : (الجماجم) مع (ابن الأشعث) وكان نسبة عالماً بالتفسير]^(١) .

وقد ذكر نسبه (ابن سعد) استناداً إلى رواية ابنه (هشام) فصعد به إلى (ثور بن كلب) - وقال عنه : [إنه عالم بالأنساب والتفسير وأحاديث العرب] . ثم علق (ابن سعد) بعد ذلك بقوله : [وليس بذلك - في روايته ضعف]^(٢) .

٣ - وقال عنه (ابن النديم) : [إنه من علماء الكوفة بالتفسير ، والأخبار ، وأيام العرب ، وأفهم الناس بعلم الأنساب - ويروى : أن سليمان بن علي استقدم محمد بن السائب من الكوفة إلى البصرة ، وأجلسه في داره ، فجعل يملئ على الناس القرآن ، حتى بلغ إلى آية في سورة (البقرة) ففسرها على خلاف ما يعرف ، فقالوا : لا نكتب هذا التفسير . فقال محمد : والله لا أمليت حرفاً حتى يكتب تفسير هذه الآية على ما أنزل الله - فرفع ذلك لسليمان بن علي فقال : اكتبوا ما يقول ودعوا ما سوى ذلك] . وروى عن (هشام ابنه) : أنه قال : [قال لي أبي : أخذت نسب

(١) المعارف ص ٥٣٥ و ٥٣٦ .

(٢) الطبقات ٦ / ٣٥٨ .

قريش عن (أبي صالح) ، وأخذه أبو صالح ، عن (عقيل بن أبي طالب) .
وأخذت نسب كندة عن (أبي الكناس الكندي) وكان أعلم الناس ، وأخذت نسب
معد بن عدنان عن (النجار بن أوس العدواني) وكان أحفظ الناس ، وأخذت
نسب إياد عن (عدى بن رثاث الإيادي) وكان عالماً بإياد - ولمحمد بن السائب
الكلبي - كتاب (تقسيم القرآن) [(١)] .

٤- إن هذا القليل الذي نقلناه عن ابن قتيبة وعن ابن سعد وعن ابن النديم -
يعني البحث عن الكثير مما ورد في التراجم عن محمد بن السائب . فلقد عرفنا من
هذا القليل : أن آل السائب - أسرة سياسية محاربة . وقفت بجانب (علي بن
أبي طالب) ضد خصومه . وأن أول من اشتغل بالدراسات العلمية في هذه الأسرة -
هو : محمد بن السائب الكلبي . على أنه لا يبعد أن يجد الباحثون روايات عن جده
بشر بن عمرو وعن عمومه . ولعل دراسات محمد بن السائب انتظمت بعد أن
ترك ميادين القتال واتجه إلى دراسة التفسير والتاريخ . وعرفنا - من هذا القليل :
أساتذة محمد بن السائب في علم النسب . ولعل محمد بن السائب احتاج إلى النصوص
القديمة في تفسيره ما جاء في القرآن عن أهل الكتاب . وعن عاد . وثمود . وإبراهيم .
وإسماعيل في جزيرة العرب . فلا يبعد أن يكون محمد بن السائب قد رجع إلى ما في
(الحيرة) و (عين تمر) وغيرهما من مدونات قديمة . ونقل عن عرب الجزيرة
أخبار العرب كما نقل عن أولئك الأساتذة أنساب الشعوب العربية - وعرفنا من هذا
القليل : أن محمد بن السائب - كان معتزلاً بمعارفه . متعصباً لفهمه ومنطقه .
فهو استنكر ملحوظات الكتابيين عنه على ما خالف به الجمهور . وأصر في عدد
على أن يكتب الناس ما يمليه عليهم . ولعل ذلك من العوالم التي جرت الضعف
إلى روايته . فمحمد بن السائب - علامة في الأنساب باتفاق الكثيرين وضعيف
في الحديث باتفاق الكثيرين . ولم يبلغ مستوى الذين تخصصوا في أخبار العرب
وأيام العرب . وعرفنا الأسرة التي أتبع بها ابنه - هشام بن محمد بن سائب
الكلبي .

(١) الفهرست ١٣٩ .

۷

البحث السابع عشر :

عوانة بن الحكم الضرير

توفي سنة ١٤٧ أو سنة ١٥١ هـ

من صحيفة ٤٤٧ إلى ٤٥٢

من موضوعات البحث :

- ١ - من هو عوانة بن الحكم ؟
- ٢ - عوانة أموي غير متطرف .
- ٣ - آراء حسين نصار في كلامه عن عوانة - مبنية على النظرة الحاطفة .
- ٤ - دراسات عوانة التاريخية .
- ٥ - لم يعن عوانة برواية الحديث كغيره من أوائل الرواد .

عوانة بن الحكم الضرير

١ - ترجمه (ابن النديم) فقال عنه : - هو : [عوانة بن الحكم بن عياض بن وزير بن عبد الحارث الكلبي - ويكنى أبا الحكم - من علماء الكوفيين ، راوية للأخبار كان عالماً بالشعر والنسب ، وكان فصيحاً ضريراً - توفي سنة ١٤٧ هـ ، له من الكتب كتاب (التاريخ) وكتاب (سيرة معاوية وبنى أمية) - ويقال : إن هذا الكتاب ألفه (منجاب بن الحارث) والصحيح : أنه لعوانة]^(١) .

٢ - وقال عنه ازركلى : [اتهم عوانة بوضع الأخبار لبني أمية] ونقل عن مصادره [وعامة أخبار المدائني عن عوانة]^(٢) - ولكن (عبد العزيز الدوري) برأه من هذه التهمة بقوله : [ومع ذلك فإنه يورد أحياناً الروايات العراقية والمدنية التي تعكس آراء جماعة مضادة للأمويين ، وبذلك يمكن القول : إن عوانة لم يكن متحيزاً لجهة خاصة]^(٣) - ولكن هذا لا يكفي لنفي تهمة تحيزه للأمويين - فقد يكون عوانة ممن كان لا يعرى تحزبه للأمويين لئلا يفقد الثقة فيما يتحدث به - فحرص على تغطية ميوله بما لا بد من ذكره مما هو في غير مصلحة الأمويين .

وكذلك برأه (حسين نصار) من التحزب للأمويين - فقال عنه : [ولا تؤيد الأخبار الباقية لنا عند الطبرى ، والبلاذرى تلك التهمة - التحزب للأمويين - إذ لا يظهر فيها أى هوى للأمويين] ، فلم تكن بواعث هذه التهمة فى رأى حسين نصار غير الخصومة التى قامت بينه وبين خصوم مجهولين ، ولعل سببها عثمانيته المزعومة .

٣ - ولقد لفت حسين نصار فى دفاعه - عن عوانة - النظر إلى التهم التى وجهت إلى عوانة فقال : [ويجب أن نحترس فى هذا الرأى لأننا نجد كثيراً من التهم توجه

(١) الفهرست ١٣٤ .

(٢) الأعلام ٢٧١/٥ مادة عون .

(٣) علم التاريخ عند العرب ص ٣٦ و ٣٧ .

إلى عوانة تريد الحط من قدره ، مثل تلك الأخبار التي تجعله لا يميز بين الشعر والقرآن [- وتهمة كهذه توجه إلى مثل عوانة تستدعي الرجوع إلى مصدرها ، والمصدر الذي أشار إليه نصار هو : معجم الأدباء لياقوت - على أن ما جاء في معجم ياقوت هو عين الرواية التي جاءت في فهرست ابن النديم - وما جاء في المعجم وفي الفهرست يؤكد : أن الذي لم يميز بين القرآن والشعر ليس (عوانة الضريير) إنما هو (عتبة البجلي) - فالخبر جاء في المصدرين على هذا النحو : [قال عوانة فيما يروى عنه هشام بن الكلبي - قال : خطبنا (عتبة بن النحاس البجلي) فقال ما أحسن شيئاً قاله الله جل وعز في كتابه :

ليس حتى على المنون بباق غير وجه المسبح أخلاق

قال عوانة فقمتم إليه فقلت : الله عز وجل لم يقل هذا وإنما قاله (عدى بن زيد) - فقال : قاتله الله ! ما ظننته إلا من كتاب الله . ولانعلم ما قال عدى بن زيد . ثم نزل عن المنبر . وأتى بامرأة من الخوارج - فقال : يا عدوة الله ما خروجك على أمير المؤمنين ! ألم تسدعي إلى قول الله عز وجل ؟

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر المديول

فقلت : يا عدو الله حملني على الخروج : جهلكم بكتاب الله وإضاعتكم لحق الله . هذا نص الرواية التي أوردتها (ابن النديم) في فهرسته - ونقلها (ياقوت) في معجم الأدباء^(١) - فهشام الكلبي الذي نقل عنه ابن النديم وياقوت لم يبه (عوانة الضريير) بأنه لا يميز بين الشعر والقرآن - كما هو واضح في هذا الخبر الذي رواه (ابن النديم) بوضوح - ونقله ياقوت بإيجاز يشوش على القارئ مستعجلاً فيظن : أن عوانة بعدم التمييز - هو : عوانة - في حين أن عوانة هو : الروي ذلك الخبر . والذى نهض من بين السامعين وقال لعتبة : إن هذا ليس من القرآن . هو عدى بن زيد .

ولرأى حسين نصار في تبرئة عوانة من التحزب الأمويين على أساس أنهم من ذمهم خصوم مجهولين - دلالة : إذ لا يستبعد أن يكون لعوانة خصومه مجهولين .

(١) الفهرست ص ١٣٤ طبع المطبعة الرحمانية ، معجم الأدباء لياقوت ، ١٦٠ ، ١٣٦ طبع مطبعة المجمع

الذين اعتمد عليهم (الزركلي) عندما أشار إلى أموية عوانة - غير مجهولين. فمما هو واضح أن : غالبية القدامى تجمع على عثمانية عوانة كما يكاد يجمع المتأخرون على اطلاع عوانة على أسرار أموية لا يمكن أن يحصل عليها غير القريب من الأمويين. فالذي يظهر من الادعاء على عوانة بأنه أموي، ومن الدفاع عنه : أنه كان معتدلاً في أمويته غير متطرف. فعصر عوانة عصر تحزب سياسي وعقائدي . فلو لم يكن عوانة أمويًا لكان علويًا .

٤ - والذي يظهر من دراسات (عبد العزيز الدوري) ومما جمعه من نصيرص : أن عوانة تفرغ لتدوين التاريخ الأموي - في كتابه (سيرة معاوية وبنو أمية) وعنى بالخلفاء الراشدين والفتوحات بما في ذلك الصراع بين العلويين والأمويين - في كتابه (التاريخ). وأنه جمع أكثر معلوماته من قبيلة كلب الموالية للأمويين والتي كان عوانة يثق بأخبارها - ومن هنا بدت الظاهرة الأموية في مؤلفاته^(١) ويظهر : أن عوانة استفاد من محاولات التأليف التي قام بها الذين سبقوه فسار في تأليفه على أساس التسلسل التاريخي أو على سير الخلفاء . وهذه خطوة لها دلالتها في تطور الكتابة التاريخية ضمن الاتجاه القبلي - كما يقول الدوري . ولكنه لم يصل إلى مرحلة التأليف في التاريخ العام . أما الذين استفادوا من عوانة فكثيرون . ولقد كانت روايات عوانة ومؤلفاته من مصادر (هشام الكلبي) و (المدائني) و (الهيثم بن عدى) .

٥ - ولقد ترجمه المستشرق (مارغوليرث) على ضوء المصادر التي وصل إليها - فتال : [وقد نذكر بين رواة المعرفة الذين ظهروا قبل شيوع الكتب المدونة - عوانة ابن الحكم - أخذ منه (المدائني) عامة أخباره . وسمع منه الأصمعي . وكان إذا سئل عن قبيلته - قال - : من قوم إذا نسي الناس علمهم حفظوه عليهم !! - ومهما يكن الأمر فإنهم لم يميزوا أعمال الرواة من غيرهم قبل أن تتخذ الروايات - صورة صالحة للتدوين . فنجد هؤلاء الرجال يُذكرون بين رواة الأحداث التاريخية والأحكام الفقهية . إذ أن اعتماد القانون على الحديث . والحديث على التاريخ جعل في الإمكان الخلط بين مهمة العلوم الثلاثة حتى في العصور المتأخرة] ^(٢) .

(١) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٣٦ ، ٢٣٢ .

(٢) دراسات عن المؤرخين ص ٩٦ و ٩٨ .

والواقع : أن رجال التاريخ كما نراهم في تراجمهم - هم : من رجال التفسير ومن رجال الحديث ومن رجال الفقه . ولذلك استدرت الدراسات التاريخية تدور في فلك الرواية التي اعتمد عليها المحدثون والمفسرون والفقهاء والمؤرخون - زمنياً طويلاً .

بيد أننا نسبع عن عوانة بن الحكم - أنه قال : تركت رواية الحديث إلى رواية الشعر هروباً من حفظ السند^(١) - وما نسبعه عن عوانة بن الحكم - يدلنا على أنه تفرغ للتاريخ والشعر - ولذلك لم يدخله الكثيرون مع طبقات المحدثين والفقهاء .

(١) معجم الأدباء لياقوت ١٦/١٣٧ .

البحث الثامن عشر :

أبو عمرو - معمر بن راشد الأزدي

توفي سنة ١٠٠هـ سنة ١٥٣هـ

من صحيفة ٤٥٣ إلى ٤٥٦

من موضوعات البحث :

- ١ - سر اهتمام القدامى بمعد بن راشد .
- ٢ - معد بن راشد بصري لا كوفي .
- ٣ - من أين عرف الباحثون في نشأة التاريخ . مغزى معد ؟

معمر بن راشد الأزدي بالولاء

١ - إن اسم (معمر بن راشد الأزدي) لمع في الماضي أكثر من معاصريه - مثل : (سليمان بن طرخان) و (عوانة بن الحكم) - فقد ذكر الكثيرون من القدامى : نشاطه في علم التاريخ والحديث . وقالوا عنه : إنه ولد في (البصرة) حوالي سنة ٥٦٦ هـ ، وإذنه مولى (بنى حُدَّان) من قبيلة (الأزدي) ، وإن أساتذته (قتادة بن دعامة المتوفى سنة ١١٤ هـ) و (ابن شهاب الزهري) و (همام بن منبه) و (هشام بن عروة بن الزبير) - وإن من تلامذته : (الثوري) و (ابن عيينة) و (ابن المبارك) و (غندر) و (هشام بن يوسف قاضي صنعاء) و (عبد الرازق فقيه اليمن) - وغيرهم . وإذنه انتقل من البصرة إلى اليمن في طلب الحديث وتوفي في صنعاء سنة ١٥٣ أو سنة ١٥٤ هـ .

وترجمه (ابن قتيبة) . وقال عنه : [هو - معمر بن راشد مولى الأزدي ، وكان من أهل (البصرة) فانتقل عنها إلى (اليمن) وتوفي سنة ١٥٣ هـ - ويكنى : أبا عروة]^(١) ، وقد وضعه مع أصحاب الحديث . وذكره (إلبافعي) في (مرآة الجنان) فقال عنه : [توفي سنة ١٥٣ هـ معمر بن راشد الأزدي - مولاهم البصري الحافظ ، قال (أحمد) ليس يضم معمر إلى أحد إلا وجدته فوقه - وهو أول من ارتحل في طلب الحديث إلى اليمن ، فأتى بها (همام بن منبه) وله الجامع المشهور المنسوب إليه في السنن . وهو أقدم من الموطأ]^(٢) ، وقال عنه (ابن سعد) في الطبقات : [إنه توفي سنة ١٥٣ هـ على رواية (محمد بن عمر) وفي سنة ١٥٠ هـ في رواية (عبد المنعم بن إدريس)]^(٣) .

٢ - وقال عنه (ابن النديم) : [معمر بن راشد - من أهل (الكوفة) يروي عنه (عبد الرازق) - من أصحاب السيرة والأحداث ، وله من الكتب : كتاب

(١) المعارف - ص ٥٠٦ .

(٢) مرآة الجنان - ١/٣٢٣ ، وابن حجر ص ٣٤٣ .

(٣) الطبقات ٥/٥٤٦ .

(المغازي) [(١) - ولعل تحريفاً مطبعياً وقع في الفهرست ، فمعدر بن راشد الأزدي بصرى المولد والنشأة - على أنه لا يستبعد أن يكون قد رحل إلى الكوفة وحضر حلقات العلم فيها قبل أن يرتحل إلى اليمن أوفى أثناء تردده على العراق . ولكنه أولاً وأخيراً بصرى وليس بكوفي ولا يمني .

٣- ومغازي معدر بن راشد لم تصل إلى أيدي الباحثين في نشأة التاريخ العربي . لذلك كان كلامهم عن مغازي معدر . وحكمهم عليها مبنيين على ما وجدوه منها في مؤلفات : (الواقدي) و (ابن سعد) و (البلاذري) و (الطبري) - فمما جاء في مؤلفات هؤلاء عن معدر بن راشد عرف الباحثون : أن من مصادره - مدونات الدين سبقوه ، وذلك فيما كتبه عن الرسل . وأنه تطرق إلى تاريخ ما قبل هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة . وحدث عن الخلفاء الراشدين . وأورد أخباراً تذكر حوادث خاصة في عهد عثمان ومعاوية (٢) .

ونحن لانستبعد أن يكون معدر قد وجد في اليمن وعند أبناء (منبه) ما يبيح الاطلاع عليه والاستضاءة به في كتابه المغازي وفيما رواه عن الأنبياء والمرسلين . ولا نستبعد أن يكون معدر بن راشد مع الطليعة التي بدأت المحاولات الأولى لتأليف تاريخ عام .

(١) الفهرست ١٣٨ .

(٢) المغازي الأول ومؤلفه ص ٧٥ .

محمد بن إسحاق مولى آل منخرمة

توفي سنة ١٥٠ أو سنة ١٥١هـ

من صحيفة ٤٥٧ إلى ٤٧٢

من موضوعات البحث :

- ١ - ابن إسحاق بين أنصاره وخصومه .
- ٢ - ما أسباب الخصومة بين ابن إسحاق ومالك بن أنس ؟
- ٣ - لماذا لم يؤخذ ابن شهاب الزهري : ابن إسحاق على آرائه القدرية ؟
- ٤ - لا يستبعد سماع ابن إسحاق من فاطمة بنت المنذر زوج هشام بن عروة بن زبير .
- ٥ - المتزعمون هم الذين أنكروا على ابن إسحاق أخذه من اليهود وبنصاري .
- ٦ - الذهبي ينصف ابن إسحاق .
- ٧ - ما أجمعت عليه تحقیقات المتقدمين والمتأخرين .
- ٨ - تراث ابن إسحاق في نظر المعاصرين .
- ٩ - رأى المستشرقين في ابن إسحاق .
- ١٠ - ابن إسحاق استفاد ممن سبقوه في تطوير علم التاريخ .
- ١١ - وسم ابن إسحاق بالسذاجة لا يتفق مع الحقيقة .
- ١٢ - هل ألف ابن إسحاق كتابه إغاثة الأئمة المنصور الخليفة العباسي ؟
- ١٣ - ظنون حول ما وصل إلى العصر الحاضر من تراث ابن إسحاق .
- ١٤ - خاتمة البحث .

محمد بن إسحاق - مولى آل محرمة

١ - كثيرون أولئك الذين 'تكلّموا عن (محمد بن إسحاق) مكبرين تخطيه المحاولات التي تقدمته بمؤلفه العام ، فلقد انتقل ابن إسحاق بالتدوين في التاريخ من البحث المنحصر في الحديث عن المغازي . أو عن الهجرتين : هجرة الحبشة وهجرة المدينة . أو سرد قصة من قصص جرهم . ويوم من أيام الأوس والخزرج - إلى البحث المنطلق في آفاق الماضي ، فسار بمؤلفه مع التاريخ من بداية الطريق وأقدم العصور التي عرفها المؤرخون في عصر ابن إسحاق إلى فجر التاريخ الإسلامي .

ولئن قرظ الكثيرون : هذا الرائد العلامة وأكبروا بحوثه المنطلقة - إن كثيرين غيرهم نقدوا هذا المؤلف الخارج على ما ألفوه في جمع الأخبار وتأليفها ، والمتحرر من منطق جيلهم وأساليبه في تدوين التاريخ وربط حلقاته (١) .

في مقدمة الذين قرظوا ابن إسحاق : (محمد بن مسلم بن شهاب الزهري) . وآخرون غيره لهم مكانتهم العلمية ، فلقد قال للزهري عن ابن إسحاق : [لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل محرمة] (٢) ، ومن الذين أخذوا عن ابن إسحاق : (شعبة) و (سفيان بن عيينة) و (يزيد بن ذريع) و (زياد البكائي) وآخرون لا يقاؤون عن هؤلاء شهرة ومكانة علمية .

وفي مقدمة الذين هاجموا ابن إسحاق : (مالك بن أنس) وغيره ممن كانوا في مستوى علمي مرموق . فلقد روى (المعتمر) عن أبيه (سلمان بن طرخان) - قال لي أبي : [لا تأخذ من ابن إسحاق شيئاً فإنه كذاب] (٣) ، ولقد هاجمه (محمد بن سلام الجمحي) وقال عنه : [إنه ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء - كتب في السير أشعاراً لرجال لم يقولوا شعراً قط ، وأشعاراً لنساء فضلاً عن

(١) راجع تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ طبع بيروت .

(٢) راجع الجزء الأول من هذا المؤلف ٢٣١/١ .

(٣) المعارف ص ٤٩٢ .

الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى (عاد) و (ثمود) فكتب لهم أشعاراً كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف - أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين؟! [(١)] .

وما جاء في (الفهرست) لم يخرج عن فلك هذا الفريق . فاقدم قال (ابن النديم) عنه : [صاحب السيرة - أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار - مطعون عليه غير مرضى الطريقة . ويحكى : أن أمير المدينة رقى إليه : أن محمداً يغازل النساء فأمر بإحضاره ، وكانت له شعرة حسنة فوقف (٢) رأسه وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد وكان حسن الوجه - يروى عن (فاطمة بنت المنذر) زوج (هشام بن عروة) فباغ هشاماً ذلك فأنكره - وقال : متى دخل إليها ؟ ويقال كانت تعمل له الأشعار ويؤتى بها ويسأل : أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل . فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ، وأخطأ في النسب الذي أورده في كتابه . وكان يحمل عن اليهود والنصارى . ويسديهم في كتبه أهل العلم الأول . وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونهم . وتوفي سنة ١٥٠ هـ . وله من الكتب : كتاب (الخلفاء) رواه عنه (الأموي) وكتاب (السيرة والمبتدأ والمغازي) رواه عنه (إبراهيم بن سعد) و (محمد الثقبلي) المتوفى سنة ٢٣٤ هـ في (حران) [(٣)] .

هكذا اختلفت آراء المتقدمين في ابن إسحاق - فالإمام (مالك بن أنس) و (هشام بن عروة بن الزبير) يحملان عليه بعنف . ويتهمانه بالكذب والدجل - ولا شك في أن هذين الشخصيتين تأثيرهما على الكثير . والإمام (محمد بن مسلم بن شهاب الزهري) و (سفيان الثوري) يحسان الظن به . وهذان الشخصيتان أنصارهما الذين يأخذون برأيهما ويعتمدون على اقتناعهما .

فتعارض الآراء في ابن إسحاق . واختلاف الحكم له أو عليه - من مثل أولئك الذين لمزوا ابن إسحاق . وفي مقدمتهم : مالك بن أنس . وأولئك الذين

(١) طبقت الشعراء لتجسدي ص ٩ .

(٢) لعله يقصد قطع شعرة . فقد جاء في الموهج المؤلف مصدقاً لفتح الكلمة ثم بعدها .

(٣) الفهرست ص ١٣٦ .

أثنا عليه وفي مقدمتهم : ابن شهاب الزهري - يستلفت النظر!! فكل من مالك والزهري : إمام عرف بترفعه عن هوى النفس وعثرات اللسان ، وكل واحد منهما : أنبل من أن يصدر عنه ثناء أو ذم عن غير قصد ، وبدون اقتناع . لذلك يجب ألا نتسرع في الأخذ بما يقال عن ابن إسحاق حتى تتبين لنا الحقائق ، ومن الحقائق : أن بين ابن إسحاق ومالك بن أنس خصومة قال عنها (مصطفى السقا) ورفاقه الذين أخرجوا معه سيرة (ابن هشام) في طبعة الحلبي سنة ١٣٧٥ هـ في مقدمة السيرة : [وفي الحق أن حملة الحاملين على ابن إسحاق لم تكن مبرأة من الغاية ولم تكن من الحق في شيء ، فإننا نعلم عن ابن إسحاق : أنه كان يطعن في نسب مالك ، وفي علمه ، ويقول : ائتوني ببعض كتبه حتى أبين عيوبه . أنا بيطار كتبه - فانبرى له مالك وفتش هو الآخر عن عيوبه ، وسماه دجالا وكانت بينهما هذه الحرب] (١).

فهذا الحكم كما تراه - حكم لم يُبينَ على تحقيق متعمق . فليس من خلق مالك ابن أنس : أن يتهم ابن إسحاق في علمه لأن ابن إسحاق طعن في نسبه ، فلو كان ذلك هو السبب في الخصومة لوجد مالك المجال فسيحاً للطعن في نسب ابن إسحاق ، فابن إسحاق - هو : حفيد (يسار) الذي أخذ مع من أخذ من كنيسة (عين تمر) - وكذلك ليس هناك نص يؤكد : أن عدم إعراف ابن إسحاق بعلم مالك هو من قبيل الأخذ بالثأر .

إن الباحث إذا ما تعمق في تحقيق أسباب هذه الخصومة - يجد أسباباً كثيرة تصلح لإثارة الخلاف بين الرجلين - فابن إسحاق ولد سنة ٥٨٥ تقريبا . ومالك بن أنس ولد سنة ٩٣ هـ ، فعلى ذلك سبق ابن إسحاق مالكا إلى تلقي العلم بثمانية أعوام - فلا غرو ! إن قال : اعرضوا على علم مالك فمالك بالنسبة إليه في بداية الطريق . ولا شك في أن مالك بن أنس - سمع ما يقال عن مغازلة ابن إسحاق النساء ومغازلتهم ابن إسحاق الفتى الجميل صاحب الشعر الرائع - فلا غرو ! إن هو ترفع عن ابن إسحاق - بيد أن مثل هذه الأسباب وإن جعلت كلا من الرجلين يدير ظهره للآخر - ليست بقادرة على دفع واحد منهما للطعن في الآخر وإنكار كل حقيقة تأتي عن طريقه ، فلا بد من سبب أكبر من

(١) سيرة ابن هشام طبع دار الحلبي ١٥/١ .

استصغار محمد بن إسحاق مالك بن أنس ومن نفور مالك بن أنس من ابن إسحاق لما يقال عن سلوكه في شبابه .

إذن ! ما هي دوافع الطعن الذي وجهه كل واحد منهما للآخر ؟ إن الجواب عن هذا السؤال -- نجده عند (دحيم) فهو يقول : إن سبب خصومة مالك بن أنس يرجع إلى آراء الأخير في (القدرية)^(١) . ولقد ذكر (ابن قتيبة) في المعارف : أن ابن إسحاق من القدرية^(٢) -- فالخصومة إذن : خصومة عقائدية مبرأة من الغرض الشخصي .

3- وهذا الجواب الذي وجدناه عند (دحيم) -- يجعلنا نتساءل : هل كان (ابن شهاب الزهري) قدرياً -- فلذلك لم تحل قدرية ابن إسحاق دون ثناء الزهري عليه ؟ إنني أرجح : أن ابن إسحاق لم تظهر آراؤه القدرية إلا بعد وفاة أستاذ الزهري -- أي في السبعة والعشرين عاماً التي عاشها ابن إسحاق بعد وفاة الزهري -- فلقد كانت وفاة الزهري في سنة ١٢٤ هـ . وكانت وفاة ابن إسحاق سنة ١٥٠ هـ .

4- ويرجح الكثيرون : أن ما قيل عن ابن إسحاق ووسامته ومغازلة النساء -- هو : الذي جعل هشاماً يستنكر أن يكون ابن إسحاق سماع من زوجته حميرشاً . لأن ما قيل عن ابن إسحاق يجعل كل سيدة يتحدث إليها بن إسحاق وتحدث إلى ابن إسحاق عرضة للأقويل . ولكن هل لنا أن نعدّ استنكار هشام بن عروة دليلاً قاطعاً على أن ابن إسحاق كان كاذباً فيما روه عن (فاطمة زوج هشام) ؟ -- ما من شك في أن فاطمة بنت المنذر -- زوج هشام -- كانت تترك ما يقال عنها إن هي حدثت ابن إسحاق بعد أن اشتهر بمغازلة النساء برجعته من السن . ففاطمة كانت تكبر محمد بن إسحاق بما يقرب من أربعين عاماً . فبعد أن يكون ابن إسحاق سماع من فاطمة أسيديت لم تخاطبها بما تخاطب به من تحدثت بها لغيره في حضوره . أو إليه قبل أن يشتهر بما تنفرد منه من أخبار . فليس بمستحيل أن يسمع ابن إسحاق من فاطمة بنت هشام -- زوج هشام -- ما رواه ابن الزبير : حديثاً . أو ينقل إليه عنها خبر . فليت عروفاً بعداً عن استنكار ابن

(١) ابن حجر - التهذيب ٩ : ٤٢٠ .

(٢) المعارف ص ٦٢٥ .

أعلام في رواية الحديث والأخبار ، وابن إسحاق هو أنبغ تلاميذ الزهري - ويظهر عمق صلته بالزهري في كثرة ما يرويه عن الزهري ، وفي الأسئلة التي كان يوجهها ابن إسحاق للزهري : [سألت ابن شهاب الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلن ، فقال لي : ما أسمع من علمائنا : أنزلن في النجاشي وأصحابه إلخ]^(١) . ويلاحظ (هورفتس) : أن ذكر الزبيرين يجري كثيراً بين شيوخ ابن إسحاق إلى جانب الزهري - [ولا يدين ابن إسحاق بكثير من الأخبار ليزيد بن رومان مولى عروة بن الزبير - بل لمولى بني الزبير الآخرين . ولأقارب تلك الأسرة كذلك - مثل : (هشام) و (يحيى) بن عروة و (عمر بن عبد الله ابن أخي عروة) و (جعفر ابن أخي عروة) و (يحيى بن عباد بن عبد الله ابن أخي عروة)]^(٢) - فصلة ابن إسحاق بتلاميذ عروة ومولى عروة وأسرته عميقة كما يظهر - ثم إن هشام ابن عروة لم ينكر على زوجه رواية الحديث وإنما استبعد أن يكون ابن إسحاق جلس إليها وسمع منها ، فهشام استبعد ذلك من زوجه لثقتة بعزوفها على كل ما يسىء إلى سمعتها ويتخذها غيرها من سيدات المجتمع مثلاً يقتدين به .

ومن الغريب أن ينكر خصوم ابن إسحاق عليه : أخذه من اليهود والنصارى - فهل كان هو وحده الذي رجع إلى ما لدى أهل الكتاب من نصوص تاريخية ؟ ! ثم ماذا في تسمية اليهود والنصارى في كتبه : أهل العلم الأول ؟ أليسوا هم أهل التوراة والإنجيل الكتابيين الذين سبق الكلام عنهم ؟ - أو لم يرجع الكثيرون من المفسرين في تفسير قصص بني إسرائيل إلى الأسفار وأخبار اليهود ؟

لاريب في أن القصص الإسرائيلي أدخل على التاريخ العربي ما جعل الكثيرين في صدر الإسلام يعزفون عن الدراسات التاريخية - ولقد صرح بعض العلماء بأنها غير حميدة - ولعل ابن إسحاق كان في بداية أمره واحداً منهم - فلقد تناقل المستشرقون خبراً لم أعثر على مصدره - جاء فيه : [أن ابن إسحاق سأل أحد التلاميذ الذين يدرسون التاريخ - مستهزئاً : من الذي كان يحمل لواء الجالوت ؟]^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ص ٣٩٢ .

(٢) المغازي الأول ومؤلفوها ص ٨٨ و ٨٩ .

(٣) الحضارة الإسلامية (لآدم متز) تعريب محمد عبد الهادي أبي ريدة ١ / ٢٧٢ .

— ولقد استمر موقف الفقهاء من الدراسات التاريخية سلبياً ، ولقد استمرت السلبية تتفاقم كلما تفاقم خيال القصصيين وتفاقت مبالغاتهم — فما يروى عن (النووى) أنه قال : عن (عبد البر) : [لقد أفسد كتابه بما ضمنه من أخبار المؤرخين]^(١) .

٦ — على أن عزوف المتزمتين عن التاريخ لم يثن عزيمة الآخرين . ولقد اعتدل البعض فأخذ يُعنى بالتاريخ — ومن هؤلاء : ابن إسحاق نفسه — ولعل انصراف ابن إسحاق إلى البحوث التاريخية أضاف إلى ماضيه اليافع وما حام حوله : ما زاد في موقف المتزمتين من ابن إسحاق : خصومة وتحدياً — فناله أكثر مما نال (وهب ابن منبه) في الوقت الذى نالت فيه دراساته التاريخية تقدير المشتغلين بعلم التاريخ والعاملين على وضعه في مصاف العلوم التى تفخر بها الثقافة العربية الإسلامية . ومن بين الذين اعتدلت آراؤهم في ابن إسحاق الحافظ الذهبي الذى قال عن ابن إسحاق : [الإمام الحافظ المطبى المدنى مصنف المغازى — هو قيس بن مخزوم بن المطلب — رأى أنس بن مالك وحدث عن أبيه . وعمه (موسى) و (فاطمة بنت المنذر) و (القاسم) و (عطاء) و (الأعرج) و (محمد بن إبراهيم السيمى) و (عمرو بن شعيب) و (يافع) و (أنى جعفر الباقر) و (الزهرى) وخلق كثير . وروى عنه خلق كثير — وكان أحد أوعية العلم حبراً في معرفة المغازى والسير . وليس بذاك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة وهو صدوق في نفسه مرضى — قال (يحيى بن معين) : هو ثقة وليس بحجة . وقال (أحمد بن حنبل) : حسن الحديث . وقال (على بن المدنى) : حديثه عندى صحيح . وقال (النسائى) : ليس بالقوى وقال (الدارقطنى) : لا يحتج به . وقال (شعبة) : هو أمير المؤمنين في الحديث . وقال (يزيد بن هارون) : لو كان لى سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين — أما مالك فإنه نال منه بانزعاج — وذلك لأنه بلغه : أنه يقول : عرض على علم مالك وأنا بيطاره . فغضب مالك فقال : انظروا إلى دجال السجدة وقد قال (ابن عيينة) : ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق — والذى تقرر عليه العمل : أن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازى والأيام النبوية مع أنه يشد بأشياء . وأنه ليس

(١) نقل (آدم منز) الخبر عن التمرىب للنووى .

بحجة في الحلال والحرام ، ولا بالواهي بل يستشهد به (١) .

ولقد حرصت على نقل آراء القدامى لنعرف معاً مدى اختلافهم في الحكم على ابن إسحاق ، ولقد قلت من قبل : إن الذين أجمع الناقدون على الثناء عليهم أقل من القليل ، وإن لأكثر الرواد خصوصاً مجدين في إظهار مواطن الضعف فيهم ، ولقد أنصف الذهبي في حكمه على ابن إسحاق : إن ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشد بأشياء ، وليس هو بحجة في الحلال والحرام ولا هو بالواهي بل يستشهد به .

٧ - والذين اختلفت آراؤهم في ابن إسحاق ، أجمعت أقوالهم على أنه من أحفاد (يسار) الذي وجدته (خالد بن الوليد) في كنيسة (عين تمر) مع الغلظة الذين كانوا رهناً في يد (كسرى) والذين كان منهم (عبد الله بن أبي إسحاق النحوي) فجيء بيسار إلى المدينة حيث نشأ ابنه وتلمذ على أساتذتها . وأجمعوا على أنه كان يرجع إلى غير المسلمين من اليهود والنصارى والفرس - فكان أول مدني رجع إلى غير المسلمين في جمع المعارف اليهودية والمسيحية والفارسية ، وكان أول مدني عيب عليه ذلك - فابن عباس والرعييل الأول أخذوا - كما يقال - من الذين أسلموا من أهل الكتاب ، أما ابن إسحاق فقد أخذ عن أسلم وعمن لم يسلم ، ويقول (هورفتس) : [ويبدو أن ابن إسحاق فيما عدا (وهباً) أول مؤلف عربي يعطينا فقرات من العهدين : القديم والجديد مترجمة مترجمة حرفية ، فيقدم فقرات منها - بقراله : وفي التوراة - مرة ، ومرة بقوله : ويزعم أهل التوراة ، ومرة بقوله : مما أثبت (يُحَنَس الحواري) ، وإذ جاء ابن إسحاق في نفس الوقت بـ (المنحمنات) بدلا : من (البرقليطس) الإغريقية ، فإن ذلك يدل على أن الفقرات التي اطلع عليها مطابقة للترجمة المسماة بالفلسطينية المسيحية ، وتكشف بعض قوائم النسب عن اتفاق شديد مع نص الكتاب المقدس ، فتوافق قائمة أبناء إسماعيل سفر التكوين «٢٥: ١٣ - ١٦» كلسة بكلمة (٢) .

٨ - أما تراث ابن إسحاق في البحوث الحديثة ، فأكثر الباحثين انصرفت عنايتهم

(١) تذكرة الحفاظ ١٧٢/١ و ١٧٣ .

(٢) المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٨٩ و ٩٠ ، وراجع بحث الأسفار في هذا الجزء .

إلى الدراسات التاريخية ، وأثر ابن إسحاق في تطوير التأليف التاريخي - وإننا نستعرض آراء المعاصرين في تراث ابن إسحاق كما استعرضنا آراء القدامى - لتبين نتائج التحقيقات في الرائد الذي شغل القدامى كثيراً .

فلقد جاء في تعليق حسين مؤنس على (تاريخ التمدن الإسلامي) : [ويعتبر منهج الزهري الأساس الذي بنى عليه الجيل التالي من مؤرخي السيرة والمغازي ، وأعظمهم جميعاً : محمد بن إسحاق . وكتابه يعين تطوراً حاسماً في تأريخ التاريخ عند العرب . فهو كتاب تاريخ بمعنى الكلمة . بدأ سيرة الرسول عليه السلام بمقدمة طويلة عن تواريخ الرسل قبله . ثم تاريخ نسب الرسول فتحدث عن بني إسماعيل . ثم عن قريش . ثم أجداد الرسول واحداً واحداً . ثم أرخ لرسول . وكتابه ينقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة . المبدأ . والبعث . والمغازي - وقد ضاع أصل كتاب ابن إسحاق . فلم نجد منه إلا أوراقاً عشر عليها (جروهان) في أوراق البردي المصرية . ولكن كثيرين صاغوا كتابه صياغة جديدة . وأهم هؤلاء (عبد الملك بن هشام) صاحب السيرة المعروفة . وهي سيرة محرفة مهتسرة ومعدلة كما يقول هو نفسه في فاتحها - غير أننا نجد الكثير مما حذفه ابن هشام عند (نظري) وعند (ابن سعد) وقد جمع رواياته كلها بما فيها ما أورده ابن هشام (أنثريد جيوم) وترجمتها إلى الإنكليزية في مجلد ضخيم سنة ١٤٥٧م]^١ .

وقال (جواد علي) : [وقد أخذ ابن إسحاق أخبار ما قبل لإسلام نبي وردت في السيرة من جماعة من الرواة الذين كانوا يعنون بهذا الأمر . وبيهم قوة كانوا من أصل يهودي : مثل (وهب بن منبه) و (أي منبك بن ثعلبة القرظي) و (محمد بن كعب القرظي) كما أخذ من جماعة من أهل (نجون) والغالب أنهم كانوا من النصارى في الأصل . وقد أخذ عن هؤلاء ما يخص أمر اليهود . والنصرانية في اليمن . وتعذيب (ذي نواس) نصارى نجون]^٢ .

وقال (عبد العزيز الدوري) : [وسين تأتي إلى (ابن إسحاق) حسن بخطوط جديدة في التطور . ومن مظاهرها الوضحة . وجود عنصر تقمص شعبي والاتجاه نحو المبالغة . ونحس بأننا التفتنا إلى عماء هم مؤرخون أولاً ثم محدثون

(١) تاريخ تمدن اسلامی ٣ ، ١٠١ .

(٢) تاريخ العرب لجواد ١ / ٤٨ .

من الدرجة الثانية - وابن إسحاق ذهب إلى أبعد من حدود مدرسة المدينة سواء أكان ذلك في نظرتة التاريخية، أم في أسلوبه ! فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته ، واستفاد من مختلف نواحي الاهتمام بالمغازي وتواريخ الأنبياء، فجمع بين الحديث والرواية التاريخية الإسرائيلية والقصاص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع . ولذا فإن مصادر معلوماته تكون خليطاً يجب الانتباه إليه. ويظهر أثر التيارات السياسية الفكرية في التهمة الموجهة إلى ابن إسحاق في أنه ذو ميول شيعية . وهي تهمة لا تخلو من أساس . ويوصف بأنه قدرى لا يؤمن بحرية الإرادة . وقد انتقدت سيرة ابن إسحاق في المدينة ، ولكنها لقيت عناية في المشرق - ونسب إلى ابن إسحاق كتاب (تاريخ الخلفاء) ولم يصل لنا منه إلا مقتطفات، مبعثرة . ويبدو أنه تناول تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين [١] .

وقال (حسين نصار) : [أخيراً يظهر محمد بن إسحاق فيؤلف كتاباً يغطي به على جميع هؤلاء المؤرخين المتقدمين . ويقال : إن سبب تأليفه المغازي - أن (المنصور) أمره أن يؤلف كتاباً منذ خلق الله آدم إلى يومه . فصنف له كتابه ، ثم اختصره بناء على رغبة المنصور . وإن الأصل المطول حفظ في خزانة المنصور ، ولكن الأستاذ (فيك) يرى : أن ابن إسحاق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة ، ولا في بغداد . ولا في الحيرة . وإنما في المدينة قبل إقامته لدى العباسيين . ويستدل على ذلك بأن رواته الذين أخذ عنهم جميعاً مديون ومصريون . ولا يذكر أحداً من العراقيين - كما نجد أحد تلامذته يروي الكتاب . وذلك هو (إبراهيم بن سعد) [٢] .

٩ - أما المستشرقون - فإننا نتبين اهتمامهم بابن إسحاق مما قيل عن (ألفريد جيوم) الذي نقل إلى الإنجليزية كل ما ورد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام وفي غيرها ، وإننا نراهم : مثل : المؤرخين العرب تحوم آراؤهم حول ابن إسحاق - ولقد سبق أن نقلنا ما جاء في كتاب المغازي الأول ومؤلفوها لهورفتس في حديثه الطويل - عن مصادر ابن إسحاق اليهودية والمسيحية ، فنضيف هنا إلى ما تقدم : ما قاله عن مصادر المدونة : [ويأخذ ابن إسحاق : التوائم والرسائل والوثائق الأخرى التي

(١) علم التاريخ عند العرب ص ٢٧ وما بعدها .

(٢) نشأة التدوين ص ٦٣ وما بعدها .

يوردها بغير إسناد في غالب الأحيان ، عن مدونات كان قد حصل عليها ، وكان أستاذه (عبدالله بن أبي بكر) ^(١) الذي كان عند أسرته نسخة من رسالة النبي عليه السلام لجدّه الأكبر . كما قد رأينا ، قد جمع مجموعة من تلك الوثائق ، ولا يروى تلميذه ابن إسحاق هذه الوثائق إلا عنه . وكذلك يعطينا قطعة أخرى من الوثائق من رواية أستاذه المصري (يزيد بن حبيب) ^(٢) - أما عن كتابه وأين ألفه ؛ فيتفق (مارغوليوث) مع (فيك) على أن مغازي ابن إسحاق لم تؤلف في العراق - فهو يقول : [كانت ظروف جعلت ابن إسحاق يرحل من المدينة إلى الحيرة ، وكان بها (المنصور) فأهداه مغازيه] ^(٣) وقال (هورفتمس) : - [ووفد ابن إسحاق إلى الإسكندرية في سنة ١١٥ هـ حيث سمع من (يزيد بن حبيب المتوفى سنة ١٢٨ هـ) ولم يرحل منها إلى العراق كما يظن عامة الناس ، ولكنه زار بلدته المدينة كما رجح (فيك) . وربما كان في إحدى هذه الزيارات - أبرزه (الزهري) للحاضرين . وربما كان ذلك سنة ١٢٣ هـ - فقد كان يسمع منه ويسأله ويبعث له الروايات التي أخذها عن يزيد بن حبيب ليثبت من صحبها] ويستنتج - يوسف هورفتمس من رسالة وصلته من (كزنكو) : [أن مستدرك (الحاكم النيسابوري) الذي يطبع بحيدرآباد - يحتوي في الفصل الخاص بالمغازي على عدة مقتطفات من كتاب ابن إسحاق - استعار معظمها من نسخة (يونس بن بكير - المتوفى سنة ١٩٩ هـ) - ومثله في ذلك : (ابن الأثير) في كتابه (أسد الغابة) و (بن حجر) في (الإصابة) ويبدو : أن آخر مقتطفات محفوظة من ابن إسحاق هي تلك التي عند (بن حجر) ولكن سعة انتشار ملخص (ابن هشام) قللت الحاجة إلى الكتاب لأصلي منذ عهد بعيد] ^(٤) - وجاء في دائرة المعارف الإسلامية : [أما الكتاب الثالث - وهو السيرة المشهورة التي ألفها محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١ هـ فقد كان ثمرة تفكير أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه . لأنه أرجح فيه إلى تاريخ النبوة بذاتها . وكان هذا الأسلوب المبتكر يشمل : أقسامه الثلاثة -

(١) راجع ترجمة عبد الله بن حزم في هذا الجزء .

(٢) المغازي الأول ومؤلفوها ص ٩٠ و ٩١ .

(٣) دراسات عن المؤرخين العرب ص ٩٨ .

(٤) المغازي الأول ومؤلفوها ص ٨٧ و ٨٨ .

(المبتدأ) وهو تاريخ العصر الجاهلي منذ الخليفة ، وقد استمد أكثره من (وهب ابن منبه) ومن المصادر العبرية ، ثم (المبعث) - وهو تاريخ حياة النبي عليه السلام حتى السنة الأولى للهجرة ، ثم (المغازي) وتناول هذا التاريخ إلى وفاة النبي عليه السلام - وقد غدا هذا الكتاب المرجع الرئيسي لتاريخ العصر الجاهلي والصدر الأول من الإسلام وذلك على الرغم من أنه كان هدفاً للنقد الصارم^(١) .

١٠- ليس هذا كل ما وجه إلى ابن إسحاق من نقد جارح ، وليس هذا كل ما أسبغ على ابن إسحاق من ثناء عاطر ، وليست كل هذه الآراء التي صدرت عن البحث في تراث ابن إسحاق ، فما ابن إسحاق إلا واحد من الرواد الذين نالهم كثير من التجريح وكثير من التقدير ، فالجدير بالتنويه به - هو : تراث ابن إسحاق ، وتراث ابن إسحاق يُعد امتداداً واسعاً لمجهود أستاذه الزهري - ولاغرو ! فلقد كان ابن إسحاق تلميذاً ممتازاً حظى برعاية أستاذه وإعجابه ، فما بدأ به الأستاذ الكبير (ابن شهاب) أتمه التلميذ النابه (ابن إسحاق) بمجهود شمل كل ما في استطاعة مؤهلات ذلك العصر أن تساعد به - متخطياً المرحلة التي بلغتها كفايات جيله إلى مراحل لم يصل إليها واحد من أبناء ذلك الجيل .

حقاً ! لم يكن ابن إسحاق - هو : أول من فكر في تدوين التاريخ ، وليس هو أول من كتب في السيرة والمغازي - فلقد سبقته محاولات تقدم الحديث عنها وعن بعض الذين قاموا بها . ولكن المدونات التي عدّها (ابن قتيبة) و (ابن النديم) و (حاجي خليفة) : مؤلفات في السيرة والمغازي . وقالوا عن أصحابها : إنهم من أصحاب السيرة والمغازي والأخبار - لا تزيد على مجموعات من الأحاديث والآثار في موضوعات خاصة - مثل : مواقف الوثنيين من الإسلام ، وهجرة الحبشة ، وبيعة العقبة ، والهجرة النبوية ، والمغازي - بدر . وأحد ، والحنديق ، والحديبية ، وفتح مكة ، وحنين - وعن تفسير آيات معينة نزلت في (عاد) و (ثمود) و (بني إسرائيل) وعن (البيت الحرام) ورفع قواعده وعن رحلتي الشتاء والصيف ، وما فعل الله بأصحاب القيل . ولا أراني في حاجة إلى أن أعود بالبحث إلى ما سبق عن مدونات (عروة بن الزبير) و (أبان بن عثمان) و (الزهري) و (سليمان بن طرخان) وغيرهم

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٨٧ .

ممن تقدم الكلام عنهم ، وإنما أنا في حاجة إلى أن أشير إلى (وهب بن منبه) الذي سبق (ابن إسحاق) في الحديث عن العصور الجاهلية ، لألفت النظر إلى ما قيل عن ابن إسحاق وإنه مدين لوهب فيما تحدث به عن أخبار ما قبل الإسلام بقدر ما هو مدين لابن شهاب الزهري فيما تحدث به عن أخبار ما بعد الإسلام . وإن ابن إسحاق استفاد من تجارب الذين سبقوه في قفزته بالتدوين التاريخي إلى مرتبة التأليف المنسق في التاريخ العربي العام لافتاً النظر إلى هذه الحقائق .

١١- وألفت النظر أيضاً إلى أن الاعتقاد بصحة ما يقال عن ابن إسحاق وإنه كان يعمل له الأشعار ويسأل أن يدخلها في كتابه - يفرض علينا اعتبار ابن إسحاق أحد اثنين - إما أن يكون جاهلاً لا يميز الغث من السمين ، ونحن إذا ما عددناه كذلك فلا حرج علينا بعد ذلك - إن عددنا أكثر ما وصل إلينا عن تراث ابن إسحاق - إن لم يكن جميعه - جيء له به فأدخله في كتابه دون أن يميز الصحيح من السقيم ، وأن نضرب عرض الحائط بأقوال الذين يؤكدون : أن ابن إسحاق كان يبعث بما وصل إليه في (مصر) إلى أستاذه الزهري ليثبت من صحته .

أجل ! ليس واحد من الذين عنوا بمصادر التاريخ - ينكر : وجود شعر موضوع . ولكن مما لا بد من الاعتراف به : أن كل مناسبة تاريخية لم تخل من الشعر العربي سواء حدثت تلك المناسبة في الجاهلية أو بعد الإسلام . وليس واحد من الذين عنوا بالشعر العربي - ينكر : وجود شعر ممتاز وشعر نافع في كل عصر من عصور الشعر العربي - بل أكثر من ذلك : أن الشاعر الواحد يسف تارة ويسسو أخرى . فهذه دواوين فحول الشعراء تحوى - كما يراها الناقدون - الجيد والركيك . ولكن مما لا بد من الاعتراف به أيضاً - أن الذين تاجروا بالشعر الموضوع كثيرون . وأن الذين ينحلون الشعراء المعروفين - لم يكونوا جميعهم بأقل شاعرية من فحول الشعراء في الجاهلية والإسلام . ولم يكونوا جميعهم في مستوى التوبع من الشعراء في العصرين - ولذلك حامت الشكوك حول قصائد من أحسن الشعر العربي - كما حامت الشكوك حول الشعر الركيك - فن الشعر الجاهلي والإسلامي الركيك والجيد . ومن الشعر المنحول : الجيد والركيك . وهذا ما جعل نقد الشعر وتمييز الأصيل من المنحول مشكلة المشكلات التي تفرغ لها علماء تخصصوا

في نقد الشعر وتفنيده الأصيل من الموضوع .

فليس ببعيد أن يكون رواة الأخبار . أضافوا إلى الأخبار التي يروونها لابن إسحاق وغير ابن إسحاق شعراً موضوعاً لم يعن ابن إسحاق وذلك الرعيل بالتحقيق فيه . كما لم يعن بذلك (وهب بن منبه) و (ابن شرية) وذلك الرعيل . فلقد درج على مثل ذلك رواة الأخبار من قبل (وهب بن منبه) و (عبید بن شرية) ومن بعدهما .

أما ما قيل عن ابن إسحاق . وإنه ألف لولى عهد (المنصور) - (المهدي) كتاباً في تاريخ البشر منذ خلق الله آدم إلى العصر الذي يعيش فيه ابن إسحاق ، وإنه بعد أن ألف تاريخه طلب منه الخليفة : أن يختصر مؤلفه التاريخي العام ، وإن الكتاب المطول احتفظ به (المنصور) في خزائنه التي كانت قبراً لهذا المؤلف ، وإن الكتاب المختصر هو الذي عرفه الناس . وأخذ منه المؤلفون - فهذا القول قد رفضه المحققون كما رأيت فيما تقدم .

١٢- فالذي يظهر من ترجيح هذا الخبر ورفضه : أن ابن إسحاق ألف تاريخه المطول قبل أن يتصل بالمنصور وفي فترة طويلة من حياته الأولى استهلكها تأليف تاريخ عام . وأنه عندما اتصل بالمنصور قَدِمَ له مؤلفه . فطلب منه المنصور : أن يختزله بصورة تمكن المهدي من دراسته واستيعابه . ولعل المنصور قصد بالاختزال التخلص مما قد يكون مناقضاً للسياسة العباسية . إذ لا يخلو التاريخ العام مما هو ليس في مصلحة السياسة العباسية .

١٣- وفي غالب الظن : أن الأوراق التي عثر عليها (جروهان) - هي من الكتاب المختصر - أما الكتاب الأول - فالذي ترجحه الظنون أن المنصور تخلص منه بطريقة ما أو أنه ضاع مع ما ضاع من ذخائر العصر العباسي في غمار الأحداث الحدماء التي اجتاحت بغداد وحطمت الخلافة العباسية . وإذا صح أن ابن إسحاق ألف كتاباً موضوعه (الخلفاء) فقد يكون ابن إسحاق اختزله من تاريخه العام - إذا لم يكن جزءاً منه . فلقد كان القدامى يقسمون الكتاب إلى فصول ويضيفون إلى عناوين الفصول كلمة (كتاب) أو (باب) فيقولون : كتاب المغازي ، أو باب الجهاد إلخ . وأن هذا الجزء من مؤلف ابن إسحاق لم يطلع عليه ابن إسحاق غير

من يثق بهم خوفاً مما قد يغضب العباسيين مما قد يكون يتعارض مع سياستهم .
والذلك حامت الشكوك حول نسبة هذا المؤلف لابن إسحاق . وإذا صحت
نسبة الروايات التي اشتملت عليها مؤلفات المؤرخين مثل : (ابن سعد) و (الطبرى)
وغيرهما . والتي أسندت - لابن إسحاق . ففي غالب الظن : أن بعضها من مختصر
مؤلفه وبعضها مما كان يحتفظ به ابن إسحاق من مؤلفه العام . أو مما احتفظ به تلاميذه .

وفي غالب الظن : أن (ابن هشام) ليس هو الذى عالج قصة (العباس)
في مغازى ابن إسحاق ولطف من حدة الأقوال التي تتحدث عن خروجه مع قريش
لمحاربة المسلمين في بدر . ووقوعه أسيراً في أيدي المسلمين - وإنما الذى فعل ذلك
هو ابن إسحاق نفسه في الكتاب الذى اختصره للمهدى . فظروف ابن إسحاق
أدعى للملاحظة مثل ذلك الخبر من ظروف ابن هشام الذى حرص على الاكتفاء بما في
المؤلف المختصر . ويقول (هورفيس) : [وليس من المحتمل : أن ابن إسحاق
أدخل هذه الأقوال المطلقة لندرة الأثر بتأثير العباسيين - لأن تلميذه منق
(إبراهيم بن سعد) روى القول بأن العباس عترف بالندوة بعد أسره] .

وفي غالب الظن : أن كتاب (الخفاء) هو : متعدد لكتاب السيرة
فلا يبعد أن يكون ابن إسحاق الذى حرص على أن يبدأ سيرة بتاريخ موسى .
قد حرص على أن يكتب بعد السيرة عن الخفاء . فكل ما وصل من هذا الكتاب
(الخفاء) في تاريخ الطبرى يدل على هذه العلية . وإن كان ما وصل من نصارى
وأثبتته في تاريخه لا يكفي لإصدار حكم عام على هذا الكتاب وجوده وفيه تاريخية .

14- وأخيراً - إذا كان من ابن إسحاق نفس من ابن هشام في كتاب السيرة .
فإن مما لا شك فيه : أن سيرة حسنت من ابن هشام . وأن ابن هشام أمر
شخصية بن إسحاق العميرة بمؤلفه السيرة السوية . كما ذكره (هورفيس)
و (ابن سعد) و (الطبرى) وغيرهم .

وإذا كان هناك من ينتقد ابن إسحاق برواى الخفاء . ويضعف رويته .
فإن هناك من يكبر بن إسحاق مؤرخاً وينسب له جهده في تطوير علم تاريخ
العرب .

البحث العشرون :

أبو مخنف الأزدي

توفي سنة ١٥٧ هـ

من صحيفة ٤٧٣ إلى ٤٧٦

من موضوعات البحث :

- ١- أبو مخنف ومؤلفاته .
- ٢- منهج أبي مخنف وأسلوبه .
- ٣- أبو مخنف من الأوائل الذين ساروا في طريق التخصص في كتابة التاريخ .

أبو مخنف الأزدي

١ - قال (ابن قتيبة) عن أبي مخنف : [إنه لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف ابن سليم . كان صاحب أخبار وأنساب ، والأخبار عليه أغلب ، وجده : مخنف ابن سليم قد صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه]^(١) .

وقد ذكر له (ابن النديم) ثلاثة وثلاثين مؤلفاً . وقال عنه : [قرأت بخط (أحمد بن الحارث الحزاز) قالت العلماء (أبو مخنف) بأمر العراق وأخبارها وفتوحاتها يزيد على غيره . و (المدائني) بأمر خراسان والهند وفارس ، و (الواقدي) بالحجاز والسيرة . وقد اشتركوا في فتوح الشام]^(٢) .

ويظهر من الكتب التي ذكرها (ابن النديم) : أن أبا مخنف عني بالأحداث الإسلامية من فجر الإسلام إلى تاريخ وفاته سنة ١٥٧ هـ . ويظهر من أسماء هذه الكتب وموضوعات ما وصل منها : أن أكثرها موضوعي . فلا يبعد أن يكون أكثرها في حجمه وفي بحثه أشبه ما يكون بالرسائل .

ويقول بعض الباحثين في تراث أبي مخنف : إن عناية أبي مخنف بأحداث العراق يرجع سببها إلى أنه عراقي كدفى برالقطر الذي عاش فيه بجهده . وإن تشييعه للعلويين سببه : أنه حفيد (مخنف) ، فمخنف : صاحب علي ومن شيعته - فهو شيعي بالوراثة .

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية : [أن الحكم الإلهي يستدر في سلسلة الأئمة . وقد برهن الراوية الشيعي (أبو مخنف) على أثر هذا الشاغل الديني بتفرغه لكتابة . - تاريخ الحركات الروحية في الكون]^(٣) .

وقد طعن في أبي مخنف كثيرون - منهم : (أبو حاتم - سهل بن محمد المتوفى سنة ٥٢٥ هـ) - أحد رجال السند ، وواحد من كبار العلماء باللغة والشعر

(١) المعارف ص ٥٣٧ .

(٢) الفهرست ١٣٦ و ١٣٧ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٩٠ .

البصريين^(١). وقال عنه : [إنه متروك] . وعندما تحدث عن أبي مخنف (ابن سعد) قال عنه : - [هو بيت الأزدي بالكوفة]^(٢) .

٢ - ونحن عندما نفتش عن مصادر أبي مخنف، ونتعرف على أسلوبه - نجد: الأزديّة - غالبية عليه . أو بمعنى أدق نجدّه متحزباً لها في المصادر وفي الآراء ، ونجدّه قد استعمل الإسناد بشيء من التسامح . ولعل هذا هو السبب الذي جعل (أبا حاتم) وغيره يطعنون في روايته . ونجدّه يفضل الروايات العائلية ويعتمد عليها، فكان أكثر اعتماده على روايات قبيلته (الأزدي) - وأكثر ما يرويه عن غير قبيلته وعندما يتحدث عن قبائل : (تميم) و (همدان) و (طيء) و (كندة) وغير هذه القبائل - يروي عن (الشعبي) . والشعبي كما مر بنا شيعي متعصب للعاويين .

وسواء كانت الأوضاع السياسية والحركة الفكرية التي زاد نشاطها في العراق - هي : التي شغلت أبا مخنف فلم يهتم بالتاريخ الجاهلي . اهتمامه بالتاريخ الإسلامي ، ولم يعن بغير العراق من البلاد العربية - عنايته بالعراق ومقتل خلافة العباسية . أم كانت الأزديّة التي تركزت في العراق . والتي أمدته بمعاهدات عن الحركات السياسية التي اشترك فيها الأزديون - هي السبب الذي جعل أبا مخنف يختص بتاريخ العراق وفتوحاته . فإن أبا مخنف بدأ السير في طريق التأليف في التاريخ القطري الذي سار فيه الذين قصروا نشاطهم على الكتابة في تاريخ أقطارهم وولدتهم التي ينتسبون إليها أو عن حوادث خاصة . ولعل هذا سبب من الأسباب التي جعلت البعض ينسب إلى أبي مخنف مؤلفات أثبت التحقيق : أنها ليست له . فلقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية : [أبو مخنف من أقدم مؤرخي العرب ومحدثيهم صنف اثنين وثلاثين رسالة في التاريخ عن حوادث مختلفة وقعت في زمن المهجري الأول . وقد حفظ لنا (الطبري) في تاريخه بعضها . ثم وصلت التي وصلت إلينا منسوبة إليه - فهي من وضع المتأخرين]^٣ .

(١) الفهرست ص ٨٧ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٩٩ .

(٣) دائرة المعارف ١ / ٣٩٩ .

على أن ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن المصنفات التي يظن مؤلفو دائرة المعارف : أنها من وضع المتأخرين - فإن الأخذ بهذا الظن ، أو رفضه - يتوقف على الاطلاع على هذه المصنفات ، ويحتاج إلى تحقيق يوضح أسلوبها ومناهجها - أما قبل ذلك فكل ما يمكن أن يقال في هذه الترجمة المختصرة - لا يتجاوز الحقيقة التي ظهرت أمام الباحثين والتي كشفت الستار عن بعض المؤلفين المتقدمين الذين وضعوا مؤلفات ونسبوها إلى آخرين لأسباب ومناسبات معينة . وأزالت الغموض عن العناوين العامة التي اتخذها عدد من المؤلفين أسماء لمؤلفاتهم مثل : (المسالك والممالك) ، وعن الأسماء والنوع التي عرف بها أكثر من مؤلف واحد - مثل : (أبان بن عثمان) .

٣ - فأبو مخنف - كما رأينا - ليست له مميزات كالتى رأيناها في ابن إسحاق - وإنما بداية التخصص في كتابة التاريخ التي بدأها أبو مخنف والواقدي والمدائني - هي التي جعلتنا نلفت النظر إليه . وهذه البداية كأكثر مناهج القدامى حدثت - كما يبدو - عفواً وبيواعث غير فكرة التخصص .

ولقد قال عن أبي مخنف - (مارغوليوث) : [ويعالج كل كتاب من كتب أبي مخنف جميعها حادثاً واحداً - فهي رسائل عن مواقع أو وفيات المشهورين ، أو أحداث كان لها أهميتها في التاريخ القديم - وقد قال عنه أحد المتزمتين : هو كوفي وليس حديثه بشيء]^(١) .

(١) دراسات عن المؤرخين العرب ص ٩٧ .

البحث الحادى والعشرون :

أبو المنذر - هشام بن محمد بن السائب الكلبى

توفى سنة ٤٠٦ هـ

من صحيفة ٤٧٧ إلى ٤٨٢

من موضوعات البحث :

- ١ - هشام الكلبى ليس بثقة بين رجال الحديث .
- ٢ - عدد المؤلفات التى ألفها هشام الكلبى .
- ٣ - هشام الكلبى المؤرخ لا المحدث .
- ٤ - دفاع المستشرقين عن هشام الكلبى .
- ٥ - دوافع تحامل المخافطين على هشام الكلبى .
- ٦ - مصير مؤلفاته .

أبو المنذر - هشام بن محمد بن السائب الكلبي

١ - هشام الكلبي - عند الذهبي : من المتروكين ليس بثقة ، فإذلك لم يدخله بين حفاظ الحديث وقال عنه [هو : أبو المنذر - هشام بن محمد بن السائب الكوفي الرافضي النسابة . حدث عنه : (ابن الأشعث) . و (خليفة بن خياط) ، و (محمد بن أبي السرى) . و (محمد بن سعد) يروى عنه أنه حفظ القرآن في ثلاثة أيام . وقلما يروى من المسند - كان إخبارياً علامة توفي سنة ٢٠٦هـ]^(١) .

أجل ! إن هشاماً إخبارياً علامة ، مشغل بالتاريخ فكان مرجع المؤرخين وهدف المحققين ، ونبغ في عالم التأليف فكان من ألمع عباقرة المؤلفين . ومن أعمقهم معرفة . ومن أبعدهم تفصيلاً ، ومن أكثرهم تأليفاً في النسب وفي التاريخ القديم وأيام العرب ، وفي تاريخ الإسلام ورجالاته وفتوحاته . وفي تاريخ الشعر وزوايغه . وفي علم البلدان وعجائب البحار ، وفي أصنام الجاهلية ومسوح بني إسرائيل - إلى غير ذلك مما جعله في نظر الباحثين : دائرة معارف - فمجموع ما ألفه هشام الكلبي على ما جاء في (الفهرست) - يقارب مائة وأربعة وعشرين مؤلفاً^(٢) - عالج فيها موضوعات شائكة . وطرق مسالك مجهولة .

٢ - أما في غير (الفهرست) فقد بلغت مؤلفات هشام الكلبي - مائة وخمسين مؤلفاً!! - ومائة وخمسون مؤلفاً في موضوعات ذات قيمة : أمر ليس بالسهل ، وحقيقة فرضت على كل باحث الإعجاب بابن الكلبي - ولقد حاول البعض التقليل من شأن مؤلفاته . لأن من بعض ما وصل إلينا من مؤلفات هشام الكلبي لا يعدو أن يكون رسالة موجزة شبيهة بفصل من كتاب - ولكن المؤلفات لا تقاس بحجمها وإنما تقدر بما فيها من علم - على أن مؤلفات ابن الكلبي ليست جميعها رسائل مثل كتاب (الأصنام) - فمنها : كتاب (النسب الكبير) . وكتاب (البلدان الكبير) .

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٤٣ .

(٢) الفهرست ١٣٩ .

وحاول البعض الحط من مكانته العلمية لأن نقاد رجال الحديث يضعفون روايته . ورواية أبيه محمد الكلبي - ولكن هشاماً وأباه لم يكونا الوحيدين اللذين تعرضا لنقد النقاد - فما أكثر الذين آتهمهم النقاد بضعف الرواية . على أننا نتحدث هنا عن هشام الكلبي المؤرخ - وهشام الكلبي المؤرخ شغل كل فراغه بالبحث والتأليف ، فملاً فراغاً كبيراً في الثقافة التاريخية . ورجع إلى مصادر لها قيمتها في الكتابة عن التاريخ القديم . وتلقى معارفه من اللذين سبقوه إلى البحث عن حقائق الماضي وقضاياها - فهو يقول عن مصادره : إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لأن كسرى . وتاريخ سنينهم من بيع (خيرة) وفيها ملكهم وأمورهم كلها^(١) - وهشام الكلبي الذي استخرج من (بيع خيرة) النصوص التاريخية - هو : ابن الكلبي الذي قال عنه (جود علي) : [إن أهل الخيرة وقفوا على مؤلفات فارسية وضعت في التاريخ ، ترجم بعضها قبل الإسلام . وترجم بعضها بعد الإسلام . وإن كثيراً من المؤرخين رجعوا إلى تلك المؤلفات - منهم : ابن الكلبي . ولذلك قال (كولدتزهير) : ولم يعد هشام أساتذة سبقوه للبحث والتنقيب عن النصوص - مثل أبيه (محمد بن السائب) و (عوانة ابن الحكم) و (أبو صالح) و (أبو مخنف) وغيرهم من الرعييل المتقدم - فهو في تاريخ الأنبياء يأخذ عن ابن صالح وعن أهل الكتاب . وفي تاريخ فارس يأخذ من المترجمات الفارسية . وفي الأنساب يأخذ عن أبيه وغير أبيه . وفي التاريخ الإسلامي يأخذ عن عوانة وأبي مخنف وغيرهما . ولم يفته القصص الشعبي وقد كانت العرب ترويه عن أيامها وأشعارها] .

وقال عنه اعتماداً على آراء المؤرخين والمستشرقين : [ولأني منظر هشام بن محمد السائب الكلبي - فضل كبير على الدراسات الأثرية عند المسلمين برحومته في الأصول ، واعتماده على المراجع التاريخية متبعاً طريقة تختلف عن سبيل أهل عصره . وطريقة اللغويين في البحث . وهو - بطريقته هذه - قريب من صريحة المؤرخين في تدوين التاريخ] .

٤ - ورد على اللذين قالوا عن هشام الكلبي : إن بعض أساتذته سلباً من الكذب

(١) الطبري ١/٥١٧ .

بما قاله (بروكلمن) : [إن التهم التي وجهت لابن الكلبي لم تكن جميعها صحيحة ، وإن البحوث التي قام بها المستشرقون دلهم على أن الحق كان في جانبه في كثير من المواضع التي آتهم فيها]^(١) .

وجاء في « دائرة المعارف الإسلامية » عن هشام بن الكلبي : [ولقد كان عمل هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٥٢٠٤ هـ ، شبيهاً بعمل (أبي عبيدة) في اتجاهه ومناحيه . إذ نظم المجموعات التي عنى والده بحشدها وقام بتوسيع نطاقها كما نظم مجموعات (عوانة) و (أبي مخنف) . وتتناول بحوثه في الأغلب الغرض الذي ترمى إليه بحوث (أبي عبيدة) غير أن مرجع الفضل إليه في عنايته بتدوين الأخبار التاريخية الخاصة بمدينة الحيرة وأسرته المالكة مستنداً إلى المصادر والوثائق المكتوبة ، وقد خطا هذا العمل والقول باستناده إلى الوثائق المحفوظة في كنائس الحيرة ، والأسانيد الفارسية التي ترجمت له . خطوات واسعة نحو التأليف التاريخي القائم على أساس العلم - ومع أنه لم ينته إلينا من ذلك المصنف سوى مقتبسات محدودة العدد فقد أثبتت التحقيقات الحديثة صحة روايته في مجموعته - ويقال عن هشام : إنه نهج هذا المنهج في مصنفاه الأخرى باعتماده على الكتابات والمواد المكتوبة التي كانت تحت يده . ولكنه لم يكن مع ذلك بمنجاة من المطاعن العنيفة التي كالمها له العلماء المحافظون على التقاليد متهمين إياه بالتزوير وكذب الرواية]^(٢) .

ولاعجب إن كالم المحافظون التهم هشام . فلقد تجسدت في مؤلفاته مناهج (أبيه - محمد بن السائب) و (أبي مخنف) وأغراض (أبي عبيدة) ، وتجسدت معها التهم والمطاعن التي وجهت لهؤلاء ، وليس من حق المحققين المتأخرين : أن يطالبوا هشاماً وغير هشام بمناقشة الأخبار التي يروونها بمنطق العصر الحاضر وأسلوبه ، فالأخبار التي أسرع القدامى إلى تصديقها لا تخرج عن نطاق المألوف في عصرهم - مثل الأخبار التي نسمعها اليوم ونصدق بما فيها بدون نقاش لأنها لم تخرج عن المألوف في عصرنا .

ثم إننا اليوم نرى : أن الكثير من الأخبار التي كان للرواد الأوائل فضل جمعها ، والتي ما زالت موضع الشك والتهم - قد أخذت معاول الأثريين تزيل عنها ركام

(١) تاريخ العرب لجواد على ١ / ٤١ و ٤٧ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٨٥ و ٤٨٦ .

الشكوك والتهم ، وأخذ المحققون يرجعون عن سخريتهم منها إلى العناية بها .
 - ٦ - ومن المؤسف : أن أكثر مصنفات هشام ضاعت مع ما ضاع من تراث الأوائل - فلقد جاء في الأعلام : [هشام بن الكلبي - نيف ومائة وخمسون كتاباً - منها (جمهرة الأنساب) و (بيوتات قريش) و (الكنى) و (المثالب) و (افتراق العرب) و (الموءودات) و (ألقاب قريش) و (ألقاب اليمن) و (ملوك الطوائف) و (ملوك كندة) و (بيوتات اليمن) و (ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام) و (الديباج) في أخبار الشعراء و (تاريخ أجناد الخلفاء) و (صفات الخلفاء) و (تسمية من بالحجاز من أحياء العرب) و (الأقاليم) و (أخبار بكر تغلب) مخطوطة - و (الأصنام) و (نسب الخيل) مطبوعة^(١) - وهذه المؤلفات المخطوطة التي تحدث عنها الزركلي ليست في متناول عامة الباحثين . وليس من السهل الوصول إليها .

وهشام بن محمد السائب الكلبي - وإن توفي سنة ٢٠٦ هـ كما جاء في التذكرة أوفى ٢٠٤ هـ كما جاء في دائرة المعارف الإسلامية يُعد من رجال القرن الثاني من الهجرة . وبه نختتم بحث أوائل رواد التفسير والتسير والأنساب في القرنين الأول والثاني من الهجرة .

(١) الأعلام للزركلي ٨٧/٩ .

الفصل الحادى عشر

نقاد الشعر الجاهلى ورواة أيام العرب

من صحيفه ٤٨٣ الى ٥٤٤

الموضوعات :

- | | | | | |
|-----|-----|-----|----------|--------------------------------|
| ٥٠٠ | الى | ٤٨٥ | من صحيفه | ١ - رواة الشعر وموازين النقد . |
| ٥٠٦ | » | ٥٠١ | » | ٢ - أبو عمرو بن العلاء . |
| ٥٢٠ | » | ٥٠٧ | » | ٣ - حماد الراوية . |
| ٥٢٤ | » | ٥٢١ | » | ٤ - المفضل الضبي . |
| ٥٣٢ | » | ٥٢٥ | » | ٥ - خلف الأحمر . |
| ٥٤٤ | » | ٥٣٣ | » | ٦ - أبو عبيدة معمر بن المثنى . |

۴

رُوَاةُ الشَّعْرِ وَمَوَازِينُ النِّقْدِ

من صحيفة ٤٨٥ إلى ٥٠٠

من موضوعات البحث :

- ١ - لم يهمل رِوَاةُ الحَدِيثِ الشَّعْرَ . مثَلَمَا لم يَهْمَلِ رِوَاةُ الشَّعْرِ الحَدِيثَ .
- ٢ - ليس الذين تحدثنا عنهم من رُودِ التَّفْسِيرِ وِلمَغَازِيِ وِالسِّيْرَةِ هم وحدهم الذين ملأوا الميدان - مثَلَمَا لم يَكُنْ نِقَادُ الشَّعْرِ وِرِوَاةُ الأَيَامِ الذين ستأتى تراجسهم هم وحدهم الذين ملأوا الميدان .
- ٣ - تراث التمدامى وفضلله على المؤرخين .
- ٤ - متاعب جامعي الشعر وِالأَيَامِ وِاللُّغَةِ ليست بأقل من متاعب جامعي الحديث .
- ٥ - لم تسلم رِوَاةُ الشَّعْرِ من الشكوك .
- ٦ - مصادر الشعر وِالأَيَامِ .
- ٧ - الأعراب يشاركون الأعلام في رِوَاةِ الشَّعْرِ وِالحَدِيثِ عن اللُّغَةِ وِأَيَامِ العَرَبِ .
- ٨ - مناهج رُودِ الشَّعْرِ وِاللُّغَةِ وِأَيَامِ العَرَبِ .
- ٩ - التنافس بين مدرستي الكوفة وِالبصرة أفاد الدراسات الأدبية وِالتاريخية .
- ١٠ - موازين النقاد في الماضي وِالحاضر .
- ١١ - الكلمات الإسلامية وِالكلمات الجاهلية .
- ١٢ - قِدَامُ الشَّعْرِ وِتَارِيخُ القَصِيدَةِ .
- ١٣ - نقد الشعر الجاهلي ليس من مستحدثات دراسات العصر الحاضر .
- ١٤ - تبرئة البحث من التعصب لصحة نسب الشعر الجاهلي جميعه .
- ١٥ - النتيجة التي وصل إليها البحث .

رواة الشعر - وموازن النقد الحديث

١ - من الخطأ : الاعتقاد بأن رواد التفسير والمغازي - أهملوا الشعر وروايته ، فأولئك الرواد لم يهملوا الشعر وروايته . ولم تتحجر أحاسيسهم فلا يؤثر فيها سحر البيان وحكمة الشعر ، ولكن حماسهم انصرف لتفسير ما جاء في القرآن - من أنباء الأقدمين ، وإلى تصحيح سند الأحاديث وجمعها وتبويبها حسب موضوعاتها : تشريعاً وإخباراً ومغازي ، وإلى آثار الصحابة والتابعين وما فيها من أحكام اتخذت أصولاً للعبادات والمعاملات ، وأنباء اتخذت نصوصاً في تدوين السيرة والمغازي .

فلقد نقل لنا (ابن قتيبة) في معارفه - قول (شعبة بن الحجج) : [والله لأننا في الشعر أسلم مني في الحديث]^(١) . وجاء في الأغاني : أن (سعيد بن المسيب) أخذ يستمع لشعر (عمر بن أبي ربيعة) وشعر (عبد الله بن قيس) ليحكم - أيهما أشعر من الآخر !! وأن ذلك كان في مسجد الرسول عليه السلام . وأن (زوفلاً) أجب (مسلماً) : أن سعيد بن المسيب كثير الإنشاد والاستنشد لشعر في المسجد النبوي^(٢) - وجاء في الطبقات : سمعت (مطرفاً) يقول : خرجت مع (عمران بن حصين) من الكوفة إلى البصرة : فما أتى علينا يوم إلا وينشدن فيه شعراً - ويقول : إن لكم في المعاريض^(٣) مندوحة عن الكذب^(٤) .

وكيف يهمل هؤلاء : الشعراء العرب . وعبد الله بن عباس - يقول عنه^(٥) : إذا سألتكم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب !! وكذلك يخطئ من يظن : أن نقاد الشعر الجاهلي ورواة أخبار العرب - مثل : (ابن العلاء) و (حماد) و (المفضل) و (خلف) و (أبو سعيد) و (محمد) -

(١) المعارف ص ٥٠١ ، والطبقات ١ ، ٢٨٠ .

(٢) الأغاني ١ ، ١١٧ و ١١٨ .

(٣) المعاريض جمع عروض الشعر ، لسد الغريب .

(٤) الطبقات ٤ ، ٢٨٧ .

(٥) المزهري ٢ / ٣٠٢ .

قد أهملوا تفسير القرآن والبحث في أنبائه - ولم يشتغلوا بالحديث والآثار ويوضحوا أحكامها والمناسبات التي وردت فيها . ولكن هؤلاء انصرف حماسهم إلى شعر الشعراء ، وأخبار العرب في الجاهلية والإسلام . وفي تحقيق لغاتهم . ووصف حياتهم وإيضاح ما غمض من أيامهم ، وبواعث الصراع الذي احتدم بين القبائل العربية قبل الإسلام وبعده .

٢ - ومثلما كان لثراث أولئك الرواد فضل كبير على دراسات التاريخ السياسي والإداري - كان لثراث هؤلاء النقاد فضل على دراسات التاريخ الأدبي والاجتماعي - وكما لم يكن أولئك الرواد الذين تحدثنا عنهم - هم : وحدهم الذين ملأوا الميدان العلوي - بل كان معهم الكثيرون الذين جندوا كفاياتهم لتلك المهمة الصعبة ممن نجد تراجعهم في طبقات ابن سعد . ومعارف ابن قتيبة . وفي الإصابة . وأسد الغابة وغيرها من كتب تراجم رجال التفسير والسيرة والمغازي والأنساب - مثل : (أبي معشر - نجيب بن عبدالرحمن السندی المتوفى سنة ٥١٧٠ هـ) مؤلف كتاب (المغازي) الذي نقل عنه (الواقدي) و (ابن سعد) . ومثل (سيف بن عمر الأسدي المتوفى سنة ٥١٨٠ هـ) الذي يمثل الاتجاه المعاكس لمعاصره (أبي مخنف) . ومثل (زياد بن عبدالله البكائي المتوفى سنة ٥١٨٣ هـ) الذي يتصل نسبه بالبكاء بن عامر بن صعصعة - الذي روى السيرة عن (ابن إسحاق) وعنه رواها (ابن هشام) والذي أخذ عنه (سلمة ابن الفضل) وعن سلمة روى الطبري . ومثل (إسحاق بن بشر المتوفى سنة ٥٢٠٨ هـ) وغيرهم من رجال التفسير والحديث والسيرة والتاريخ .

وكذلك لم يكن هؤلاء الذين سوف نذكرهم - هم : وحدهم الذين ملأوا هذا الميدان - بل كان معهم كثيرون من الذين ملأت أسماؤهم ورواياتهم كتب الأدب وتاريخه ، ومن الذين ألفوا في اللغة والشعر وتحدثوا عن فحول الشعراء مثل (الكميت ابن زيد المتوفى سنة ٥١٢٠ هـ) . و (ابن الأعرابي المتوفى سنة ٥١٣١ هـ) و (عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ هـ) . و (مسعر بن كدام المتوفى سنة ١٥٢ هـ) و (شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ) ، و (يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ هـ) و (النضر بن شميلة المتوفى سنة ٢٠٣ هـ) ، و (أبي عمرو والشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) و (ابن كنانة الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) و (محمد بن سلام الجعفي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ) ، وغيرهم ممن أفادوا التاريخ ، وأدوا له خدمات لها قيمتها .

- ٣ - ومثلما كان تراث أولئك الرواد - المصدر الذي اعتمد عليه (الدينوري) و (اليعقوبي) و (المسعودي) و (الطبري) و (ابن كثير) و (ابن الأثير) وغيرهم في التفسير والتاريخ - كذلك كان تراث هؤلاء النقاد المصدر الذي اعتمد عليه (ابن قتيبة) في كتابه الشعر والشعراء . و (الجاحظ) في مؤلفاته . و (الأصفهاني) في أغانيه ، و (القلقشندي) في أدب الكاتب . و (النويري) في نهاية الأرب . و (ابن عبد ربه) في العقد الفريد . و (السيوطي) في المزهرة . و (النويري) في لسان العرب . و (ياقوت الحموي) في مؤلف معجم الأدباء ، إلى غيرهم من المصنفين الذين ألفوا موسوعات أصبحت مصادر لتاريخنا الأدبي واللغوي والاجتماعي .
- ٤ - ومثلما تكبد أولئك البناة - المتاعب في جمع المغازي والسيرة وتفنيد الحديث الصحيح والأثر الثابت من الحديث الضعيف ولأثر الموضوع . وفي تفسير ما جاء في القرآن الكريم من كلمات غريبة وأبناء غمضة - كذلك تجرع هؤلاء الرواد : الأمرين في جمع الشعر الجاهلي وأيام العرب وتمييز الشعر المنحول والخبر الزيف من الشعر الأصيل والخبر اليقين - فلقد قال (السيوطي) في كتابه (الأشياء والنضائر) : [هذا علم شريف حاكيت به علم الحديث والتفسير وقصدت أن أسلك بالعربية سبيل الثقة فما صنفه المتأخرون] .
- ٥ - وكما أن من رواة الحديث وجامعي السيرة : من هو مشكوك في روايته . ومن هو ثقة في روايته - كذلك في رواة الشعر الجاهلي وأيام العرب - من هو مشكوك في روايته - ومن هو ثقة في روايته . وكما تعب احدثون في جمع الحديث فشدوا الرحال لسماع الحديث من بقايا الصحابة وكبار التابعين - كذلك تعب نقاد الشعر واللغة . فساروا يجمعون الشعر وفردات اللغة في صحارى الجزيرة وحبلى . ووقفوا على أبواب الخواصر يستقبلون أبناء البادية القادمين من أحبيابهم ويسألونهم عما يفظونه وراثته عن آباءهم وأجدادهم من أشعار الجاهليين ولغاتهم وأخبارهم . وعما لعلهم سمعوه من الخضرمين الذين امتد بهم العسر إلى ظهور الإسلام . فوسعوا من شعراء صدر الإسلام أو شهد والمناسبات التي نظم فيها الشعراء لإسلاميون المعروفون . فعلى مثل ما جمعت المغازي والسيرة وأبناء قديم الأمم - جمعت هذه الثروة الأدبية في الوقت الذي كانت فيه الإمكانيات والوسائل من أصعب الصعاب . فلقد كانت الصحيفة الواحدة عند قلمي الرواد شيئاً عظيماً ، فكان الواحد منهم

يجمع فيها : حديثاً نبوياً ، ومسألة فقهية ، وأخرى لغوية وأبياتاً من الشعر – تكبد في سبيل التثبت من صحة الحديث والافتناع بالمسألة الفقهية أو اللغوية والتحقق من القطعة الشعرية : مشاق السفر الطويل ، والوقوف على أبواب المهاجرين والأنصار ، والتجوال بين أحياء العرب في قفار الجزيرة ، والوقوف على أبواب البصرة ، والكوفة للتعرف على أبناء البادية الأبناء فيما يروونه من أشعار وأخبار .

فإلى هذه الثروة رجع الذين ألفوا في التاريخ : السياسي والاجتماعي ، والأدبي معتمدين على أسانيد الأخبار التي يتصل بعضها بأعلام الرواد ، وينقطع بعضها عند من يثق به المؤلف . وفي هذا الجزء بحث خاص بالموسوعات التاريخية ومؤلفيها – مثل : موسوعات الطبري وابن كثير ، وابن خلدون ، وغيرها من الموسوعات التي أصبحت مراجع للتاريخ العربي .

٦ – أما هنا فإننا ننقل شيئاً مما قيل عن مصادر رواد الشعر واللغة وأيام العرب – ومن أين لهم ما رووه ؟ وعن اتجاهاتهم وفي أي طريق ساروا بمعارفهم ؟ فيما سنعرضه من تراجم أوائل رواد الشعر الجاهلي وأيام العرب ولغتهم . ونذكر : شيئاً مما قيل – لأن الاستيعاب لا يتحمله هذا البحث ولا تتحملة التراجم المختصرة ، فما أكثر المصادر في عصر : (أبي عمرو بن العلاء) . و (حماد الراوية) . و (خلف الأحمر) ، و (المفضل الضبي) . و (أبي عبيدة) . و (الأصمعي) – فهناك ذخائر الحيرة ، إن فيها الكثير من آثار شعراء الدولة للخمسة وأخبار ملوكها المناذرة ، وهناك الأسواق العربية – لا سيما سوق البصرة – (مرردها) الذي كان في عصر الأصمعي : عكاظ العرب في الإسلام . فلقد شعر سكان البادية بإقبال الباحثين عن أنساب العرب وأشعارها ولغاتها وأيامها . فقصدوا البصرة من كل فج ، وعلى كل ضامر حاملين معهم ما احتفظت به البادية من أشعارها . وما حفظه أبناؤها من أخبار وأنساب ، وحافظوا عليه من مفردات لغتهم التي لم تشبها لكنة الأعاجم . أو تحرف معناها مصطلحات الحضارة .

٧ – ولقد استلقت نظر بعض أذكى الأعراب – ذلك الإقبال – وشعروا بقيمة المعلومات التي يسألهم عنها أساتذة البصرة والكوفة ، فطفقوا يزاحمونهم بتدوينها ، فن الأعراب الذين برزوا في هذا المجال : (رؤبة بن العجاج) و (أبو مسحل)

مؤلف كتابي : (النوادر والغريب) و (أبو المطرحي) مؤلف كتاب (النوادر)
و (أبو دعامة العبسي - علي بن مرثد) مؤلف كتاب (الشعر والشعراء)
و (أبو العديثل) مؤلف كتب : (التشابه ، الأبيات السائرة ، معاني الشعر)^(١).

٨- ولقد اختلفت وجهة رواد الشعر والأيام واللغة في تلك المصادر ، فبعضهم
حصر جهده في المصادر العربية مثل : الأصمعي . وبعضهم أخذ من العرب ومن
غير العرب - مثل : أبي عبيدة ، ولقد اختلفت ميولهم فبعضهم كان عربياً مغالياً في
عروبه ، وبعضهم كان شعوبياً مغالياً في شعوبيته . وبعضهم كان معتدلاً في موقفه
من النصوص . فيحترم النص الصحيح المفيد بغض النظر عن مصدره سواء أكان
عربياً أم أعجمياً .

٩- وزاد في حماس الدراسات الأدبية والتاريخية - ما كان بين مدرسة الكوفة وفي
مقدمة فريقها حماد الراوية . وبين مدرسة البصرة وعلى رأس فريقها أبو عمرو بن
العلاء من تنافس بلغ أشده على الرغم من الاحترام المتبادل بين حماد وأبي عمرو بن
العلاء - فلقد كان الرجلان يحترم كل منهما الآخر ويقدر معارفه . فما نقله لنا
(أبو الفرج الأصفهاني) عن (أبي عمرو الشيباني) - أنه قال : [لم أسأل أبا عمرو
ابن العلاء عن حماد إلا وقده على نفسه . وكذلك لم أسأل حماداً عن أبي عمرو
إلا وقده على نفسه]^(٢) .

ولقد كان ذلك التنافس - على ما فيه من خشونة القلب في بعض المواقف إلى
خصوصية لحدود لها - مفيداً . فقد كان أساتذة المدرستين يتقدون ويمحصون
فيعرضون على ما هو خليق بالاعتراض ويعترفون بما هو جدير بالاعتراف . وقد
كان الكوفيون معتزبين بما حصلوا عليه من مآذات . فكثيراً ما نقدوا أقوال البصريين .
وكثيراً ما شككوا في روايتهم . وكان البصريون معتزبين بمرئهم فقديروا الكوفيين
بالنقد والتصحيح . وأخذوا عليهم التزديد . وشككوا في روايتهم . وإحدى (التذبح
عثمان - المعروف بابن جني) أحد القلائل الذين درسوا تاريخ هؤلاء الرواد

(١) الفهرست ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) الأغاني ٦ / ٧١ طبع بيروت سنة ١٩٥٦ م .

دراسة عميقة منصفة فني في كتابه (الخصائص) كثيراً من التهم التي وجهها لـ فريق للآخر .

ومن الذي أثبتته التحقيقات : أن التنافس بين الكوفيين والبصريين الذي وصل في كثير من الحالات إلى درجة الخصومة العنيفة - كان في حقيقته تنافساً علمياً - فلذلك لم يقف سداً بين أعلام المدرستين وبين طلاب المعرفة من تلامذتهما - فقد أخذ كثير من البصريين عن حماد الراوية الكوفي - كما أخذ كثيرون من الكوفيين عن أبي عمرو بن العلاء البصرى .

١٠ -

ولقد كان وما زال إنتاج ذلك الجهد الجبار : موضع البحث والتحقيق في الماضي والحاضر . ومن أبرز القدامى الذين نقدوا الشعر الجاهلي وأكثروا من الشكوك : (محمد بن سلام الجمحي) - ومن أبرز المعاصرين الذين نقدوه مبالغين في الشك : (طه حسين) .

ولئن كان نقد (الجمحي) - نموذجاً لمقاييس ومنطق القرن الثالث الهجري ، ولئن كان نقد (طه حسين) نموذجاً لشكوك القرن الرابع عشر من الهجرة - إن النقطة الرئيسية التي انبثقت منها الشكوك في الماضي والحاضر - هي : التفاوت الملاحظ على الشعر الجاهلي : التفاوت في الجودة ، فمنه المتألق ، ومنه القاتم ، والتفاوت في الأسلوب والمعاني والألفاظ - فمنه الغارق في الجاهلية لغة ومعنى وأسلوباً ومنه : شعر شعراء الحواضر العربية مثل : عدى بن زيد ، وامرئ القيس .

وهذه النقطة في رأى بعض النقاد لا تكفي وحدها لفرض الشك على كل شعر جاهلي قاتم ضعيف ، وعلى كل شعر جاهلي سلس اللغة مهذب الأسلوب . واضح المعنى ، بعيد عن خرافات الجاهلية وسذاجة معتقداتها . فمن رأى هؤلاء : أن الذين يرون - أن الشعر الجاهلي لا بد أن يكون جميعه على نهج واحد وخيال متشابه ولغة ليس فيها كلمة من الكلمات المتداولة في العصر الإسلامي ، أو من مصطلحاته - مجحفون ومغالون في رأيهم .

وهؤلاء الحق في رفض هذه الشكوك ، فليست حياة الشعراء في العصر الجاهلي على طراز واحد تحيط بها رمال الصحراء وجبالها - فحياة (امرئ القيس) و (عدى ابن زيد) ليست مثل حياة (تأبط شرّاً) و (أبي كبير الهذلي) - فكثير من الشعراء

من خرج من الصحراء إلى المدن الحافلة بحضارة ذلك الماضي ، وكثير من الشعراء تطورت حياته . ثم إن الشعر لم يكن في جيل من الأجيال على مستوى واحد ، وفي اتجاه واحد . ففي كل جيل : المحافظ والمنطرف والجامد والمتطور ، وتائه الفكر . وأصيل الرأي . وكثيراً ما تطورت شاعرية الشاعر فيسبب حيناً ويسمو حيناً آخر . يضل تارة ويصيب أخرى - فهذا شاعر الأجيال (أبو الطيب المتنبي) - أليس في شعره الغث التافه ؟ فهل وضع الواضعون الغث في شعره !! وذلك الشاعر الفيلسوف (أبو العلاء المعري) ألسنا نراه تارة ضالاً تائهاً لا يعرف - هل المؤذن من على المنذنة - أصدق في ندائه من زنين الأجراس من على الكنائس؟! ونراه مرة ثانية مطمئناً في عقيدته غير مرتاب في إسلامه؟! فهل أبو العلاء شخصية خيالية وضع بأسسها شعراء اختلفت نظرهم الدينية : شعراً منحرفاً وشعراً غير منحرف؟! وهل علينا - ونحن نقرأ لكل جيل شعراً منحرفاً وشعراً حكيماً متزناً : أن نسير وراء القائلين : إن كل شعر فيه مسحة الإيمان بالله . أو فيه ذكر لتصلاة وأنصوم والحج - هو من وضع الإسلاميين؟! - على حين نحن نعلم : أن من العرب من كان يدين بشيء من ملة إبراهيم . ومن اعتنق اليهودية والنصرانية - فثمة من كان يؤمن بوجود الله الأعلى . ومنهم الذي اتخذ الأصنام زلفى إليه - والكثيرون من القبائل العربية كانوا ينجون إلى مكة وكانوا يصومون في بعض أيام السنة . وكانوا يسبون الدعاء : صلاة . وكان بعضهم يؤمن بالبعث - ومنهم من كان يؤمن بإله موسى الذي آمنت به اليهود . ومنهم من كان يؤمن بثالوث النصرى . ومن يعلم كل ذلك لا يستبعد - ذكر : الصلاة . وأنصوم . وأبعث . ولله - عن الشعر الجاهلي .

١١ - ولقد تكلم القدامى عن الألفاظ الإسلامية التي لم يكن العرب يتصددون بها : المعنى الإسلامي - مثل : المؤمن . والمسلم . والكافر . والمنافق . وعن الألفاظ الإسلامية التي أطلقها العرب الجاهليون على معنى يشبه المعنى الذي حصره الإسلام فيه - مثل : السجود والركوع والصوم والحج . وقالوا : إن العرب استعملوا في جاهليتهم هذه الكلمات لغرض قريب من المعنى الإسلامي - ومن ذلك قولهم : (فقلن اسجدن لليل فاسجدن) . وكذلك الصيام - أصله عند العرب : الإمساك .

فزاد عليه الإسلام : النية والمباشرة وغير ذلك مما يشترط على الصائم . والحج كانت العرب تعنى به : القصد - فزادت عليه الشريعة الإسلامية ما زادت من شرائط الحج ، وكلمة (عيد) عربية جاهلية اختلف الباحثون في أصلها - هل العرب أخذوها من غيرهم أو غيرهم أخذها منهم - فالوجه في هذه الألفاظ كما يقول القدامى : أن لكل لفظ معنيين الأول جاهلي والثاني إسلامي لم ينعدم وجه الشبه بينهما^(١) .

و (الرحمن) و (الرب) و (الإله) وغيرها من أسماء الله تعالى معروفة عند قدامى الأمم - ومن الأسماء التي استعملها العرب في الجاهلية لمعنى يقرب من معناها الإسلامي ، ودار حولها نقاش المحققين : كلمة (المحاصل) فلقد ذكر (ابن منظور) معاني لكلمة المحاصل - كانت العرب تقصدها ، واستشهد ببيت (لبيد بن ربيعة) بغير رواية (ابن قتيبة) فقد جاء في مكان (المحاصل) : (الحصائل) وقال (أبو حنيفة) : (الحصل) و (الحصالة) - ما بقي من الشعر والبر في (البيدر)^(٢) ، ولا يزال الناس إلى هذا العصر يستعملون اسم (الحصالة) بتشديد الصاد للصندوق الذي تجمع فيه التمرد .

وجاء في بحث (ناصر الدين الأسد) في سياق كلامه عن الشعر الذي وضع باسم الجاهليين : أن (ابن قتيبة) أورد سبعة أبيات من شعر لبيد - آخرها هذا البيت :

وكل امرئ يوماً سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصل
وأنه عقب على هذا البيت بقوله : (وهذا البيت الأخير يدل على أنه قيل في الإسلام)^(٣) - ولقد راجعت النسخة التي في خزائني من كتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء) وهي طبع (محمد أمين الخاني) سنة ١٣٢٢ هـ فلم أجد هذا التعقيب . وإنما وجدت ابن قتيبة قدم هذه الأبيات بقوله : (ومن جيد شعره) ولم يذكر ابن قتيبة غير ستة أبيات - مطلعها :

[إذا المرء أسرى ليلة ظن أنه قضي عملاً والمرء ما عاش عامل]

(١) المزهر ١ / ٢٥٢ وما بعدها .

(٢) لسان العرب مادة حصل .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ص ٣٢٤ و ٣٣٥ . وفي كلمة المحاصيل أو المحاصل ما فيها من حيث الوزن

دا ماجات بالياء المحاصيل .

ووجدت : أن هذه النسخة قد ملكها قبلي - علامة مطلع على أشعار العرب ، قوى في اللغة العربية وقواعدها ، دقيق الملاحظة - صحح الكثير من الشعر الذي جمعه ابن قتيبة وعلق عليه - ولكنه مع الأسف لم يذكر اسمه ، ومما صححه : كلمة المحاصل - فقال : والمحاصل - صوابه الحصائل - وهو أيضاً لم يعلق شيئاً على هذه الأبيات التي جاءت في كل بيت منها حكمة رائعة ^(١) - ووجدت (ابن قتيبة) يقول في هذه النسخة عن (لبيد بن ربيعة) : ولم يقل شعراً في الإسلام إلا بيتاً واحداً قال : (أبو يقظان) : وهو قوله :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى كسائي من الإسلام سربالا

وقال غيره - بل هو قوله :

ما عاتب المرء الكريم كنفه والمرء يصلحه المجلس الصالح ^(٢)

ولا إخال واحداً من الذين يضعون الشعر باسم الجاهليين من الغباء بحيث يذكر كلمات إسلامية لا يعرفها الجاهليون أو لا يستعملونها للغرض الذي استعملها الإسلام له . ولقد قلت من قبل وأقول هنا : ليس لنا أن نرفض منطقتنا ومقاييسنا وأساليب تفكيرنا . ومناهج عملنا - على عقلية أجيال تفصل بيننا وبينها مئات السنين . فنغالي في الشك بحيث نهم القدامى بأكثر من وضع الشعر - نهمهم بذكر أبطال في الشعر وغير الشعر لا وجود لهم لأن المقاييس تستكثر الأسلوب الشعري والعمل البطولي على تلك الأجيال . ولأن منطقتنا يرفض المتناقضات في حياة رجال الماضي . ولا إخالني في حاجة إلى الكلام في موقف النقاد المعاصرين من الشعر الجاهلي بعد الذي سبق أن قلته في الجزء الأول .

١٢ - أما عن قدم الشعر وتاريخ التصيدة - فقد جاء في المزهري تحت عنوان - أولية الشعر : ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا أبيات يقذفها الرجل في حاجته - وإنما قصدت القصائد وطوّل الشعر على عهد (عبد المطلب) و (هشام بن عبد مناف) وذلك يدلنا على إسقاط (عاد) و (ثمود) و (حمير) و (تبع) . وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع - (المهلهل) التغلبي الذي قال عنه (الفرزدق) : إن المهلهل هو أول من هلهل الشعر ^(٣) - وأما ما جاء في المزهري عن إسقاط عاد و ثمود

(٢) المصدر نفسه ص ٥١ .

(١) الشعر والشعراء ص ٥٣ .

(٣) المزهري ٢ / ٣٧٤ .

وحمير وتبع - فقد سبق أيضاً الكلام في هذه الناحية في الجزء الأول من هذا الكتاب الذي صدر بعنوان : التاريخ العربي وبدايته . وما جاء في المزهري عن القصيدة وتاريخها ، يلفت نظرنا إلى ما جاء في شعر (عنتره) : هل غادر الشعراء من مردم ؟ فالذين عرفوا من هؤلاء الشعراء الذين أشار إليهم عنتره قليلون - منهم : (ابن جذام) الذي ورد اسمه في شعر (امرئ القيس) : (نبكى الديار كما بكى ابن جذام) فلقد قيل عن (ابن جذام) : إنه شاعر من طيء - فما جاء في شعر (عنتره) ، و (امرئ القيس) يؤكد قول (أبي عمرو بن العلاء) - لم يصل إلينا من الشعر الجاهلي إلا قليل . فلو وصل وافرأ لوصل إلينا شعر كثير .

١٣- وما وصل إلى (أبي عمرو بن العلاء) وغيره من أوائل رواة الشعر الجاهلي وأيام العرب - لم يسلم جميعه من النقد والشك في أصله ، ولقد بين النقاد : الصحيح من المزيف ، ولقد أثبتت بحوث النقاد : صحة كثير من الشعر الجاهلي المتداول اليوم - ولقد أثبت التحقيق العلمي : دقة مقاييس نقاد الشعر الجاهلي الذين جدهوا لنا مفردات اللغة العربية وفصلوا قواعدها وقدموا لنا بحوثاً قيّمة عن الشعر الجاهلي وتراجم شعرائه وأخبارهم ومناسبات أشعارهم . فهذا (خلف الأحمر) - وهو واحد من الذين اتهموا بوضع الشعر - يجيب (مخلد بن يزيد الباهلي) - وقد سأله : بأي شيء ترد هذه الأشعار التي تروى ؟ قال : [هل تعلم أنت : أن منها ما هو موضوع لآخر فيه ؟] قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال : فلا ينكر أن يعلموا من ذلك ما لا تعلمه أنت ؟ [(١)] . ويقول قائل : يرى : أن الشعر بجودته - سواء أكان من وضع خلف أم هو من الشعر الجاهلي ؟ فيرد النقاد عليه بقولهم : إذا أخذت درهماً فاستحسنته فقال لك الصراف : إنه رديء - فهل ينفعك استحسانك له ؟! (٢) - وينقل (محمد بن سلام الجهمي) عن (يحيى بن سعيد القطان) : مقارنة بين رواة الحديث ورواة الشعر : [رواة الشعر أعقل من رواة الحديث لأن رواة الحديث يروون مصنوعاً كثيراً - ورواة الشعر ساعة ينشدون المصنوع ينقدونه - ويقولون : هذا مصنوع [(٣)] -

(١) المزهري ١/١٧٢ .

(٢) المزهري ١/١٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ١/١٧٤ .

ويقول (أبو عبيدة) : [إن (ابن دؤاد بن متمم بن نويرة) قدم البصرة في بعض ما يقدم من أجله البدوي - فأتيته أنا و (ابن نوح) فسألناه عن شعر أبيه متمم وقدنا له بحاجته - ولما فقد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا وإذا الكلام دون كلام متمم - وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها . فلما توالى ذلك علمنا : أنه يفتعله] (١) .

أجل ! لم يكن رواية الشعر الجاهلي رواية فحسب . بل كانوا نقاداً لا يأخذون كل ما يسمعونه على عواهنه حتى ولو كان الراوي ذم من أبناء البادية . ولو كان ما يرويه لأبيه وأخيه وذويه . ولم يجادل بعضهم بعضاً فيسكت البعض عما رواه الآخرون .

ومنا لا بدى من الوقوف عند الرواية المنسوبة إلى (المفضل الضبي) ومن وردت في بعض كتب الأدب العربي وتاريخه . فتمد جاء في الأغاني وفي غير الأغاني عن المفضل الضبي - أنه قال : [سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً - فقبل له : وكيف ذلك ؟ أخطى في رويته ؟ أم يلحن ؟ قال ليته كذلك : فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب . ولكنه رجل علم بلغات العرب وأشعارها وهذاهب الشعراء ومعانيهم . فلا يزال يقول الشعر يشبهه به مذهبه رجل ويدخله في شعره ويحبل ذلك عنه في لآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يميز الصحيح إلا عند العالم - وأين ذلك ؟] (٢) .

فهذه الرواية تؤكد : أن حماداً الراوية علم بلغات العرب وشعر الجاهليين وهذاهبهم ومعانيهم - وتؤكد : أن علم حماد سهل له وضع شعر لا يميز عن الشعر الجاهلي غير العلم التقدير - وأين ذلك ؟ ! وهذه الرواية التي يقال : إنها من صنع خصوم حماد - تثبت لنا : وجود شعر جاهلي وصل إلى أروقة كل - - - - - به وعارفاً بمذاهب ناظميه من الجاهليين . وثبت لنا : وجود نقدة قديرين من عصر المنحول من الصحيح - مثل : (أبي عمرو بن العلاء) و (متصل الضبي) و (الأصمعي) وغيرهم - وليسوف يأتي في ترجمة حماد تفصيل لتهم التي وجهت

(١) المزهري / ١ / ١٧٥ .

(٢) الأغاني / ٦ / ٨٥ إلى ٩١ .

له . كما سيأتى فى ترجمة (خلف الأحمر) الهدية التى ألصقت به وضع القصيدة المعروفة بلامية العرب والقصيدة التى مطلعها :

إن بالشعب الذى دون سلع لتتيلاً دمه ما يطل
على أساس أن فى بعض هذا الشعر الذى رواه خلف - وصفاً دقيقاً لم يصل الشاعر
الجاهلى إلى مستواه .

١٤- ولا بدلى هنا أيضاً من أن أبرئ البحث من التعصب لسلامة الشعر الجاهلى

جميعه من الوضع - فأقول : ليس حماد الراوية - هو : وحده الذى يملك المواهب
التي ذكرها (المفضل الضبي) بل شاركه فى تلك المواهب غيره مثل (خلف الأحمر) .
وليست الأسباب التى تدعو لوضع الشعر ونحله شعراء جاهليين ذات إغراء محدود .
فلقد كان ذلك الجيل الذى عاش فيه حماد وذلك الرعيل - مشغولاً بآثار الجاهليين
الشعرية ولغاتهم وأيامهم - من رجل الشارع إلى خليفة المسلمين - لذلك ارتفع
ثمن الشعر الجاهلى وراجت سرقة . فازدحم الرواة على أبواب الخلفاء والوزراء والأمراء
لرواية الشعر وأيام العرب . وازدحمت العامة على حلقات الأعلام يسدعون منهم الشعر وأيام
العرب - فأخذ المزيّنون ينظّمون الشعر وينحلّونه الجاهليين . وأخذ النقاد يميزون
الشعر المنحول من الشعر اصحيح - ومن هنا نشأت الحصرمات العديدة . وأخذ
أنصار المتخاصمين بدورهم يؤلّفون القصص حول الأعلام - مثل ما شغف جيلنا
الحاضر بالآثار القديمة فارتفعت أثمانها . وأخذ المزيّنون يصنعون ما يشبه الآثار -
وأخذ النقاد يميزون المزيف من الأصيل . ومن هنا تطرق الشك فيما فى أيدي الناس
من آثار . وأخذ أدلة الآثار بدورهم يؤلّفون القصص حول الآثار التى يرتادها
المغرمين بالآثار .

فرق البحث من الذين يصدقون كل ما جاء فى المدونات الأدبية على أنه
شعر جاهلى - مثل سوقفه من الذين يشكون فى كل شعر جاهلى - ولقد قال من
قبل (محمد بن سلام الجمحي) : [وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه
عن أهل البادية . ولم يعرضوه على العلماء . وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية
الصحيحة على إبطال شيء منه : أن يقبل من صحيفة أو يروى عن صحفى]^(١) . ولقد
جاء فى المزهر - ما يدل على أنه النقاد قد فضحوا الذين يروون الشعر المنحول ،

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٥٠ وما بعدها .

وأسقطوا روايتهم - مثل : (ابن دأب) - قال عنه (السيوطي) : سقط وذهب
عنه . و (الشرقى القطامى) - فلقد نقل السيوطى عن (الأصمعى) أنه قال :
[قلت للشرقى ما كانت العرب تقول فى صلاتها على موتاها ؟ قال : لا أدري .
قلت : فأكذب له ! فقلت له : كانوا يقولون : رويدك حتى يبعث الحق باعته !
فإذا أذابه يوم الجمعة يحدث به فى (المتصورة)] - ومثل (على الجبل المبنى) قال عنه
السيوطى : [قد وضع كذباً فى النحو لم يكن شيئاً] (١) .

ولو لم تكن المصادر هى الغرض من هذا الجزء - لا الشعر والشعراء - لتعرضت
للشعر الإسلامى . و هو أنى تعرضت لشعر الإسلامى وجدت : أن منه شعراً موضوعاً .
وأن منه شعراً متذرعاً عليه يدعيه أكثر من شاعر ! وأن منه شعراً صحيحاً لا تزج
فيه ولا شك فى نسبتة . فشعر شعراء صدر الإسلام ذاك من الشعر الشعراء الجاهلين
من شكوك فى حقيقته لا سيما شعر الشعراء الجاهلين .

١٥ - ولا بد من أن أختتم البحث بإيضاح النتيجة التى وصل إليها وهى : أن
الشعر الجاهلى ليس كنه جاهلياً . وليس كل الشعر جاهلى من وضع الرواة . وأن
من الشعر الجاهلى شعراً تحضره مع الشعر . فكثير من الشعراء الجاهلين ما بعدهم
العصر إلى ما بعد الإسلام . فاحتفظ بعض الرواة قبل الإسلام بما تحضره بعد
الإسلام وإن الشعر جاهلى . أن يكون جاهلياً لأنه من نظم جاهلين . و هو أن
يكون جاهلياً من حيث موضوعه وأسلوبه لأن من نظم روة شعر - شعراء الجاهل
الشكوك فيه لا يختلف فى أسلوبه إلى كونه من الشعر جاهلى بل الأمازيغ العرب
وغيرها . وإن الشعر جاهلى أنه مؤرخين فيما كبره عن عصر جاهلى وغيره .
وعن عصر إسلامية الأوس .

ولسوف نرى لنا ترجمه روى فى ما ستدرجه فى كتابى الذى فى تحقيقه
معرفة . الكثر من علماء موضوع : التاريخ العربى ومصادر الرواة .
من مصادر تاريخ العرب . والله اعلم .

6

البحث الثاني :

أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري

المتوفى سنة ١٥٤ هـ

من صحيفة ٥٠١ إلى ٥٠٦

من موضوعات البحث :

- ١ - أبو عمرو بن العلاء من أنجب تلامذة البصرة وألمع أساتذتها .
- ٢ - الذين قرضوا أبا عمرو بن العلاء - أعلاه لا يصدر ثنؤهم تقبيلاً عمى .
- ٣ - أبو عمرو بن العلاء الخافظ البق .
- ٤ - لم يفلت ابن العلاء من حساب النقد .
- ٥ - حرص أبي عمرو بن العلاء على سلامة التصريح .
- ٦ - لماذا أحرق أبو عمرو بن العلاء مدونته ؟ !

أبو عمرو بن العلاء

١ - مما لامراء فيه : أن مدرسة البصرة أنجبت جهابذة أعلاماً اقتحموا أغوار الماضي الجاهلي باحثين عن شعر شعرائه . ومواقف أبطاله . وغريب لغاته . ومما لامراء فيه : أن أبا عمرو بن العلاء كان من أنجب تلامذتها وأبرز أساتذتها في القرن الثاني من الهجرة حيث توفي سنة ١٥٤ هـ . فلقد كان أبو عمرو عالماً لامعاً في التاريخ العربي . فقد اشتهر بقراءته كما اشتهر بتفسيره - واشتهر بدقته روايته أشعار الجاهليين وأخبارهم كما اشتهر بتحقيق اللغة العربية ومعرفة غريبها وإقامة قواعدها . قال عن نفسه : نظرت في العلم قبل أن أختن !! وقال عنه (أبو عبيدة) : كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر . وأيام العرب . وكانت دفاتره مملأت بيته إلى السقف فأحرقها - وهو في النحو من الطبقة الرابعة من على بن أبي طالب . وقال عنه (الأصمعي) : [سألت : أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة ، ولقد جلست إلى أبي عمرو عشر حجج فلم يحتج ببيت إسلامي] (١) .

٢ - فبعض هذا الإكبار الذي أسبغه على أبي عمرو بن العلاء - رجال لا يبالغون في ثنائهم - ولا يصدر ثنائهم تقليداً أو عن غير علم - يكفي لإيضاح مكانة أبي عمرو بين معاصريه من أعلام البصرة والكوفة على الرغم مما كان بينهم من تنافس! ولقد كان من أسباب نبوغ أبي عمرو بن العلاء إلى جانب مواهبه : الأساتذة الذين تلقى عليهم علومه - فمن أساتذته : (عيسى بن عمر الثقفي) شيخ (الحليل بن أحمد) أستاذ (سيبويه) . ومن أساتذته (أبو نوفل بن أبي عقرب) وكان أبو عمرو بن العلاء يبعث مع أخيه (معاذ بن العلاء) يسأل (الحارث بن العاص بن هشام بن المغيرة) والى مكة في عهد (عبد الملك بن مروان) عن بعض المسائل فيأتيه الجواب عنها (٢) .

٣ - والذي يطالع ما كتب عن أبي عمرو بن العلاء - يعرف : أن الرجل كان

(١) مرآة الجنان ١ / ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٣٢٨ .

(٢) مرآة الجنان ١ / ٣٢٧ وما بعدها ، والأغانى ٣ / ٣٠٨ وما بعدها ، والمزهر ٢ / ٣٠٤ .

متحفظاً لبقاً قليل التورط في الخصومات . قليل العثرات والأخطاء — فما رواه عنه (الأصفيهاني) في أغانيه : [أن أبا عمرو بن العلاء — دخل على (بلال بن أبي بردة) وعنده (ذو الرمة) — وهما على خلاف في رواية أبيات لحاتم طي فساله بلال : كيف تنشدها ؟ وعرف أبو عمرو الذي به — فقال : كلا الوجهين جائز — فقال : أتأخذون عن ذي الرمة ؟ فقال : إنه لنصيح . وإنا لنأخذ عنه بحرص . ثم خرجا : أبو عمرو وذو الرمة — فقال : ذو الرمة : والله لو أني أعلم أنك خطبت في حباه وملت مع هواه — لهجوتك هجاء لا يقصد إليك اثنان بعده !!]^(١) وجاء في المزهري — كانت أخطاء أبي عمرو بن العلاء معدودة فلم يؤخذ عليه إلا القليل . فلقد أتته (أبو الطيب) فيما يروى للأعشى بزيادة بيت من الشعر اعترف به أبو عمرو بن العلاء ولم يؤخذ عليه شيء من اللغمة إلا حرف واحد قصر عن معرفته — فقد [سئل : ما الثغر ؟ — قال : الاست . فتميل له : إنه القبل ! فقال : ما أقرب ما بينهما !! فذهب قوم من أهل اللغة إلى أن هذا غلط من أبي عمرو !] . ولقد عقب صاحب المزهري على ذلك بقوله : [وليس كما ظنوا فقد نص (أبو عمرو الشيباني) وغيره على أن الثغر من الرجل الدبر ، ومن المرأة القبل]^(٢) .

٤ — هكذا كان أولئك الأعلام يحاسبون في الشعر على البيت الواحد . وفي لغة على الكلمة الواحدة !! وإنك لتجد في جزأى المزهري الكلمات التي نقلت عن أبي عمرو بن العلاء وثار حولها القال والتميل . وتجد في غير المزهري قصصاً بلغ فيها القدامى . وأخذها المتأخرون بدون ترو — مثل : القصة التي تروى عن الأصمعي — والتي جاء فيها : [جاء (عيسى بن عمر الثقفي) ونحن عند أبي عمرو بن العلاء — فقال : يا أبا عمرو ! ما شيء بلغني عنك ؟ قال : ما هو ؟ قال بلغني أنك تجيز الرفع في قولك . ليس الطيب إلا المسك !! فقال أبو عمرو : نعم وأدخ الناس !! ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب . ولا في الأرض قيس إلا وهو يرفع ! ثم قال : لا (خائف) و (اليزيدي) المزهري (أبي عيسى) مربي الحجاز) فلتنزه الرفع فإنه لا يرفع . وذهبنا إلى (المتشجع) مربي (ميم) فالتصه

(١) لأبي ١١ - ٣٣٣ .

(٢) المزهري ٢ - ٣٩٩ .

النصب فإنه لا ينصب إلى آخر القصة^(١). ففي هذه القصة ما فيها - فعيبي بن عمر الثقفي - هو كما تقدم من أساتذة أبي عمرو بن العلاء - فبعيد عن التصديق : أن يقول التلميذ لأستاذه : نمت فأدلج الناس! - لاسيما إذا كان ذلك التلميذ حصيفاً متزناً مثل : أبي عمرو بن العلاء - وفي هذه القصة على عواهنها - دليل على ثقة الناس بأبي عمرو وإكبارهم معارفه بصورة سوغت تأليف مثل هذه القصص وإسنادها إلى مثل (الأصمعي) .

٥ - ونجد أبا عمرو بن العلاء : من الذين يتمسكون بالنصوص لا يبدلون ولا يزيدون ولا ينقصون . فدراسات أبي عمرو تعتمد على النص أكثر مما تعتمد على القياس - فهو على النقيض مما درج عليه الكثيرون - مثل (أبي إسحاق الحضرمي) و (عيسى بن عمر) . فلقد أنشد خلف الأحمر : الأصمعي - بيتاً من نظم (جرير) فاختلفنا في روايته - فقال خلف للأصمعي : إن أبا عمرو قد رواه كما سمعه . وإن جريراً قليل التصحيح ، وجاء في المزهري : أن أبا عمرو قال عن نفسه : ما زدت في شعر العرب إلا بيتاً واحداً - يعني ما يروى عن الأعشى من قوله :
وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا^(٢)

ونجد أبا عمرو بن العلاء : من الذين لا يجحدون علم غيره - فهو لا يأنف أن يقول : زادني في هذه الأبيات أبياتاً (ابن سلام الجمحي) ، ولعل ذلك من العوامل التي جعلت نظرة النقاد إلى شيخ البصرة على النقيض من نظرهم إلى شيخ الكوفة (حسان الراوية) فلقد هاجم حماداً الكثيرون هجوماً عنيفاً في حين أن الذين هاجموا أبا عمرو أقل من القليل - وكان هجومهم هادئاً ومعتدلاً . أما الذين اعترفوا بأستاذيته فكثيرون - منهم : (الأصمعي) و (يونس بن حبيب الضبي) و (أبو زيد) و (أبو سعيد) و (أبو الخطاب الأنخفش) ، وأبو الخطاب الأنخفش هو : أول من فسر الشعر تحت كل بيت وكان الناس إذا فرغوا من القصيدة فسروها^(٣) .

(١) تاريخ الأدب للرافعي ١/٣٤٩ .

(٢) المزهري ٢/٤١٥ .

(٣) المزهري ٢/٣٣٩ و ٤٠٠ .

٦ - وإذا كان أبو عمرو بن العلاء قال لنا : ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير!! فإننا نقول له : لو تركت ما أحرقتك من مدوناتك لعرفنا شيئاً كثيراً نحن في حاجة إلى معرفته!! فلماذا أحرقت أبو عمرو ومدوناتك التي ملأت بيته؟ لعل الرجل أحرقتها لأنه غير مطمئن لصحتها؟ فلقد كان أبو عمرو حريصاً على سمعته العلمية أميناً على العلم الذي وقف حياته له . على أن ما وصل إلينا في كتب الأدب واللغة والتاريخ قيم وليس بتقليل .

هذا هو أبو عمرو بن العلاء الذي قدم لنا الكثير من النصوص التاريخية ، واللغوية ، والأدبية - اعتمد عليها المؤلفون في التاريخ وفي الأدب وفي اللغة .

البحث الثالث :

أبو القاسم - حماد الراوية الديلمي

المتوفى سنة ٥٠٧ هـ

من صحيفة ٥٠٧ إلى ٥٢٠

من موضوعات البحث :

- ١ - ابن مَنّ حماد الراوية أستاذ مدرسة الكوفة ؟
- ٢ - ما دونه مؤلف الأغاني - موضع شك وريبة .
- ٣ - إن لكلمة (التخوف) تاريخاً خاصاً بها .
- ٤ - حماد ليس مبرأً من كل عيب .
- ٥ - ما كتبه (ناصر الدين الأسد) ينقصه العمق والتقصي اللذين عرف بهما .
- ٦ - ليس من السهل : أن ينفي باحث ما هو موجود في المؤلفات العربية .
- ٧ - هل اجتمع حماد مع المفضل عند المهدي في محلة (عيسباد) ببغداد ؟ !
- ٨ - الكلام عن تعارض الأقوال واختلاف الرأي بحث معاد .
- ٩ - حماد بين أنصاره وخصومه .
- ١٠ - حماد على ضوء آراء التدايمي .

حماد الراوية

١ - حماد الراوية - هو : أبو القاسم - حماد بن هرمز - كما عرفه (السيوطي)^(١) - وهو حماد بن (ميسرة) نقلا عن (الهيثم بن عدى) وابن (سابور) نقلا عن (المدائني) كما جاء في الأغاني والفهرست^(٢) .

وحماد الراوية أستاذ مدرسة الكوفة . من رجال القرن الثاني من الهجرة ، توفي سنة ١٥٥ هـ . قال عنه السيوطي : وقد أخذ عنه أهل المصريين : الكوفة والبصرة - وفي طليعتهم - خلف الأحمر . والأصمعي^(٣) . وإلى حماد يرجع الفضل في رواية المعلقات السبع - وقال عنه الأصمعي : كل شيء في أيدينا عن (امرئ القيس) فهو عن حماد الراوية إلا شيئاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء^(٤) .

٢ - وحماد الراوية من الأعلام الذين استلقت حياتهم نظر الباحثين في مصادر رواة التاريخ الجاهلي . وكثرة البحث في حياة حماد ، واختلاف الأقوال عنها جعل الوصول إلى حقيقتها من الصعوبة بمكان نظراً للمتناقضات التي تراكت عليها ، فنحن إذا ما رجعنا إلى (الأغاني) - والأغاني تُعدّ من أهم مراجع المحققين في العصر الحاضر - تواجهنا مجموعة من الروايات المتناقضة تضطر الباحث إلى الوقوف موقف الحذر والشك - الذي وقفه مؤلف الأغاني (أبو الفرج - علي بن الحسين القرشي المعروف بالأصفهاني) من (أغاني ابن إسحاق) - فلقد قال أبو الفرج الأصفهاني عن أغاني ابن إسحاق : [وأخبرني (محمد بن خلف - وكيع) قال : (سمعت حماد ابن ابن إسحاق) يقول : ما ألف أبي هذا الكتاب . وأخبرني (أحمد بن جعفر - جحظة) : أنه يعرف الوراق الذي وضع الكتاب المنسوب إلى ابن إسحاق ،

(١) المزهر ٢/٤٠٦ .

(٢) الأغاني ٦/٦٨ ، والفهرست ص ١٣٤ .

(٣) المزهر ٢/٤٠٦ .

(٤) المصدر نفسه ٢/٤٠٦ .

وأن اسمه (بسند الوراق) ، وأن حانوته في الشرقية في خان الزبل [١] - فالحديث التي بنى عليها أبو الفرج الأصفهاني - حكمه على الكتاب المنسوب لابن إسحاق من حيث أخطاء الرواية ، وعدم صحة الأخبار - نجدها ماثلة فيما يرويه الأصفهاني عن حماد الراوية .

فحماد الراوية - في الأغاني : بدأ حياته لصاً مغامراً من قطاع الطرق - فقد جاء فيها : أن حماداً كان في مطلع حياته من قطاع الطرق . وأنه سطا على رجل فسلب منه مع ما سلب جزءاً من شعر الأنصار ، فقرأه فأعجب به ، وأن هذا السطو كان نهاية مغامرات حماد الصعلوك المتشطر . وبداية دراسات حماد الراوية الشاعر المؤرخ . بيد أن حماداً لم يرتفع عن الوحل - فيما كتبه عنه مؤلف الأغاني - حتى بعد أن انتقل من حضيض اللصوصية إلى منصة العلم والأدب ! فتمد جاء في الأغاني : أن ليالي حماد وصديقيه : (حماد عجرد) و (حماد الزبرقان) للدين رميا بالزندقة كما رمى حماد الراوية بها - من أقبح الليالي الحسراء .

ومن أقبح القصص التي جمعها أبو الفرج في أغانيه . أوجمعت له : ما رواه عن رجل - اسمه : (أبو يعقوب الحريمي) - أنه قال : [كنت في مجلس فيه حماد الراوية وكان يلاحق بنظره أمرد - فقال لي : يا أبا يعقوب قد عزمت لليلة على أن أدب على هذا الغلام . ثم نمنا فلم أشعر بشيء إلا وحماد يفعل في الفاحشة . وإذا أنا قد غلظت ونمت موضع الغلام . فكرهت أن أتكلم فيتمبه الناس . فأفتضح وأبطل عليه ما أراد . فأخذت بيده ووضعتها على عيني العوراء ليعرفني !! فقال : قد عرفت الآن فيكون ماذا ؟ وفديناه بذبح عظيم !! قال : وما برح علم الله وأنا أعاجله جهدي فلا ينفعني حتى فرغ] - والغريب : أن أبا الفرج يروي عن هذا الرجل المأبون (الحريمي) نفسه : هذه القصة عينها فيما روى عن (حماد عجرد) عندما تكلم عنه . فقد وسم (حماد عجرد) بما وسم به حماد الراوية وقال : والله فعل به ما فعله به حماد الراوية !! [٢] فكتاب الأغاني كما يظهر تحت مجهر التحقيق

(١) توطئه الأغاني ١٦/١ ص ١٦٠ بيروت - دار صادر - عن نسخة من الأمانة من نسخة حماد في الأغاني في الجزء السادس .

(٢) الأغاني ٣٢٥/١٤ و الجزء [٦] من الأمانة تحت جملة هذه القصة في ترجمه حماد الراوية وحماد عجرد حرفياً .

يجمع الكذب والتبجح والجلد والصحيح^(١). وقد نال حماد الراوية من الكذب أكثر مما ناله من الصدق. فنحن نرى في الأغاني صوراً مختلفة لحماد الراوية شيخ الكوفة - تارة نراه سكيراً معربداً، وأخرى نراه يلازم المساجد حتى في أصعب أيامه ومرة يسرق الشعر ويمدح به، (بلال بن أبي بردة) ، وأخرى ينظم شعراً وينسبه إلى (الحطيئة) عند بلال بن أبي بردة - وحيناً يظهر نقادة خبيراً يعتذر له (الفرزدق) عن تركه شعراً سرقه: [هل أتركه وقد نسبه الناس لي لأنك وحدك الذي تعرفه!!] وحيناً آخر يظهر ساذجاً مغفلاً يأخذ منه (خلف الأحمر) الجيد ويعطيه الغث الموضوع فيقبله ويدخله في أشعار العرب .

وإني لا أدري - أعبت الوراقون بأغاني أبي الفرج الأصفهاني؟ أم أن أبا الفرج يدون كل ما يسمع دون أن يفكر ولو قليلاً في حقيقة ما يدونه؟! فلقد جاء في الأغاني: [أن (الهيثم بن عدى) قال لحماد الراوية: الق على ما شئت من الشعر أفسره لك! فضحك حماد وقال له: ما معنى قول (ابن مزاحم الثمالي) - (تخوف السير منها: تامكاً فرداً)؟ قال الهيثم بن عدى: فلم أدرا ما أقوله؟ فقال حماد: تخوف - تنقص. قال الله عز وجل: ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ أي على تنقص! فقال الهيثم: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد!!] .

٣ - إن لكلمة (التخوف) قصصاً تردت في كثير من مؤلفات القدامى - فمن هذه القصص: أن (عمر بن الخطاب) سأل الناس من على المنبر: [ما تقولون فيها (التخوف)؟ فسكت الجميع، إلا شيخاً من (هذيل) قام وقال لعمر: هذه لغتنا - التخوف التنقص. واستشهد ببيت (مزاحم) - تخوف الرجل إلخ]^(٢)!! ومن هذه القصص: أن أعرابياً جاء إلى (ابن عباس) يشكو أخاه - قائلاً: إن أخاه تخوف ماله - فقال ابن عباس: تخوفك - أي تنقصك؟ قال: نعم - قال ابن عباس: الله أكبر - أو يأخذهم على تخوف^(٣). ومن هذه القصص: ما جاء في تفسير الطبري: [وقد ذكرنا عن (الهيثم بن عدى): أنه كان يقول: هي

(١) ترجمة أبي الفرج في بحث (الموسوعات التاريخية ومؤلفوها) من هذا الجزء .

(٢) تفسير النيسابوري المهمش على تفسير الطبري ٧١/١٤ طبع الأميرية سنة ١٣٢٨ هـ .

(٣) الأمل للقال ١١٢/٢ .

لغة (أزد شنوءة) - ومنه : قول الآخر . (تخوف عدوهم مالي وأهدى)^(١) . - فهل عن مثل هذه الكلمة التي شاع تفسيرها وذاع وملاً الأسماع - يعجز (الهيثم بن عدى) عن فهم معناها - ويكون حماد الراوية في نظره - أعلم الناس بكلام العرب ؟ ! زد على ذلك أن للهيثم بن عدى نفسه رأياً فيها - فهو يقول عنها : إنها من لغة (أزد شنوءة) !

٤ - أنا لا أبرئ حماداً الراوية من الاستهتار الخلقى ، فلم يكن حماد محافظاً مثل (أبي عمرو بن العلاء) وأنا لا أبرئ حماداً من الوضع . فلم يكن حماد قليل الرواية حريصاً مثل (المفضل الضبي) ، ولكنني أشك في قول الذين يزعمون : أن حماداً - شيخ الكوفة - عربيد لا يفارق الحانات . وأن حماداً كان من السداجة والجهل بحيث يؤخذ منه الجيد ويعطى المزيف فيصدق به ويدخله في أشعار العرب . فحماد عالم من أعلام الكوفة . وثابتة من نوابغ رواة الشعر العربي^(٢) . وحماد عالم علامة بالشعر الجاهلي وبمذاهب فحول الشعراء ومناهجهم .

فلو لم يكن حماد غير غزوف عن مجالس اللهو لما انفسح المجال مثل تلك التهم التي وجهها إليه خصومه . ولكن الرجل لم يصل به لاستهتار إلى ما وصل إليه (ابن هاني - أبو نواس) . ولو لم يكن حماد مبالغاً فيما يدعيه متسداً فيما يرويه - لما اتهمه خصومه بكثرة الوضع وما أشاعوا عنه أقولاً كقول (المفضل الضبي) فيه : [ساط على الشعر من حماد الروية ما أفسده فلا يصلح أبداً - إنه يقوم الشعر يشبه به مذهب الرجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق]^(٣) - فن أخبار حماد التي جاءت في الأغاني : [أن نزلت - فجز حماداً بسؤيته لم سميت الراوية ؟ ! فقال حماد : إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً . وأنا أنشد على كل حرف مائة قصيدة ! ! ثم أخذ ينشد . وأخذ يويد يستمع إلى كل مل . فوكل به من جلس يستمع إلى تمام الثمين وثم ثمانية قصيدة] وفي أخبار الأغاني عن حماد مبالغت كما سبقت الإشارة إليها . فهذا الخبر من فيه من

(١) تفسير الطبري ١٤ - ١١ .

(٢) المزهري ٢ ، ٤٠٦ .

(٣) راجع نص الخبر الذي أداته خصومه حماد بن منطير حين في البحث مستقيم رواة الشعر

ووزن النقد .

مبالغة - يلفت النظر إلى كثرة الشعر الذي يرويه حماد باسم الشعراء . كما يلفت النظر خبر آخر جاء في الأغاني عن حماد : [أرسل (الوليد بن يزيد) إلى بمائتي دينار وأمر (يوسف بن عمر) بحملني إليه على البريد قال : فقلت : لا يسألني إلا عن طرفيه : قریش وثقیف - فنظرت في كتابي : (قریش وثقیف)] - إلى أن حماداً كغيره من الكوفيين كانوا يحرصون على التدوين ويعتمدون على المدونات .

وعن مدونات حماد نقل (ناصر الدين الأسد) في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي) عن الفهرست : ومما يروى : [أن الوليد بن عبد الملك حين أراد أن يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها استعار من حماد ومن (جناد بن واصل الكوفي) ما عندهما من الكتب فدونها عنده ثم رد إليهما كتبهما ^(١) ، وقد أسند ناصر الدين الأسد الخبر إلى الفهرست مشيراً إلى الصحيفة رقم (١٣٤) - ولقد رجعت إلى النسخة التي في خزانتي من فهرست ابن النديم طبع الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ فلم أجد هذا الخبر - مع أن الرقم الذي أشار إليه ناصر الدين - رقمت به الصحيفة التي ذكر ابن النديم فيها حماداً وجناد بن واصل - على أنه سواء أكان الذي نقل عنه ناصر الدين الأسد - هو : كتاب الفهرست ، أم كان غيره ؟ فإن هذا الخبر يتعارض مع ما يقال عن الكوفيين : إن دراسهم تعتمد على المدونات ، وإن حماداً أستاذ مدرسة الكوفة يحرص على التدوين حرصه على المدونات . ولقد رجعت ناصر الدين إلى مصادر لها قيمتها عندما قال : [إن الأخبار التي جمعناها تدل دلالة صريحة على أن حماداً كانت عنده كتب فيها أخبار الجاهلية وأنسابها وأشعارها ، بعضها كتبه بنفسه ، وبعضها كتب من قبله فقرأها واستفاد منها في تدوينه كتبه ، وقد رأى (أبو حاتم السجستاني) بعض كتب حماد في الشعر الجاهلي ، وكان يرجع إليها ، ويثبت ما يجده زائداً على ما جمع من الشعر ، وإن كان نص على أن هذه الزيادات هي من الشعر المصنوع ، ولذلك عجبنا من قول ابن النديم : لم أر لحماد كتاباً ، فلعل ابن النديم لم يصله شيء من كتبه فألقى هذا القول إلقاءً ^(٢) .

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٠٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ١٥٦ وما بعدها وهامش ص ١٥٧ .

ويعلق (ناصر الدين الأسد) على ما قيل عن قدرة حماد على نظم الشعر ونحله فحول الشعراء الجاهليين : [أن حماداً لم يعرف الشعر - ولم نجد بين أيدينا مصدراً واحداً من هذه الكتب العربية ذكر لنا : أن حماداً قال شعراً أو خلف ديواناً رواه عنه غيره . أيكون المرء شاعراً في مثل هذه المنزلة من الفحولة والشاعرية . فيصرف كل شعره إلى غيره وينحله إياه ويضن على نفسه أن ينسب إليه بعضه؟]^(١) .

قال هذا ناصر الدين الأسد بعد أن استأنس بالقصة التي سبقت الإشارة إليها والتي جاء فيها : أن حماداً مدح (بلال بن أبي بردة) بشعر أحد شعراء الجاهلية ، وأن (ذا الرمة) الذي كان حاضراً المجلس كشف حماداً عند بلال^(٢) . وبعد أن أكد : أن قصة أبي الفرج عن اجتماع حماد والمفضل الضبي عند الخليفة (المهدي) في قصره بعيسباد مشكوك فيها ، بناء على أن حماداً توفي قبل أن يتولى المهدي الخلافة بنحو ثلاث سنوات وقبل أن يبني المهدي قصره بعيسباد بنحو تسع سنوات^(٣) ، ومن ثمة فإن الشعر الذي ذكر في هذه القصة بأنه لحماد ليس هو شعر حماد . وإنما هو شعر جاء به الذين اختلقوا هذه القصة - وبعد أن ضعف ما نقل عن (المفضل الضبي) بأن حماداً رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه مذاهب رجل ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الآفاق^(٤) - فهذا الخبر عند ناصر الدين الأسد - ضعيف متهم : لأنه يجعل من حماد شاعراً فحلاً . وحماد لم يأت في مصدر عربي واحد : أنه قال شعراً !!

وإني لم أتبين ما يقصده ناصر الدين الأسد من قوله : [لا يوجد مصدر واحد من هذه الكتب العربية ذكر لنا : أن حماداً قال شعراً] !! مع أنه نفسه ذكر أكثر من مرة ما جاء في الأغاني . وما جاء في المزهري عن حماد وأنه كان ينظم الشعر وينحله شعراء الجاهلية . ومع أن الأغاني والمزهري من الكتب العربية التي اتخذها ناصر الدين الأسد مصادر لمؤلفه (مصادر الشعر الجاهلي)^(٥) فإنه لم يرد في الأصفهاني ذكر في الأغاني بسنده المرفوع إلى مفضل الضبي قوله : [أن

(١) مصدر الشعر الجاهلي ص ٥٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٥٣ .

حماداً قد سلط على الشعر - فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل فيدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد^(١) ونقل السيوطي عن أبي حاتم السجستاني قوله : [كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية يصنعون الشعر ويقتنون المصنوع منه وينسبونه إلى غير أهلهم]^(٢) - وقال أبو الفرج في أغانيه وقال السيوطي في مزهره : [إن حماداً نظم قصيدة ونحلها الخطيئة - وأنشدها بلال بن أبي بردة فعرف بلال : أنها منحولة ولكنه قال لحماد : دعها تذهب في الناس] - فلا شك في أن كتاب (الأغاني) وكتاب (المزهر) على ما كان عليه المؤلفون القدامى من إهمال تحقيق الروايات التي يجمعونها اكتفاء بذكر سندها - مثل الروايات التي جاءت في الأغاني عن حماد : هما من أمهات الكتب العربية التي يرجع إليها الباحثون في الشعر الجاهلي . وهما من الكتب العربية التي ذكرت : أن حماداً من الرواة الذين ينظمون الشعر وينحلونه الشعراء . وليس كتابا الأغاني والمزهر - هما الكتابين الوحيدين اللذين ذكرا : أن حماداً كان ينظم شعراً لا يميزه عن شعر فحول الشعراء غير النقادة العلم ، أما شعر حماد - فلقد ذكر أبو الفرج في أغانيه مع ما ذكره من الشعر الملحن : هذه الأبيات :

عفت دار سلمى بمفضى الرغام	رياح تعاقبها كل عام
خلاف الحلال بتلك الطلول	وسحب الذبول بذاك المقام
وأنس الديار وقرب الجوار	وطيب المزار ورد السلام
ودهر غرير وعيش السرور	ونأى الغيور وحسن الكلام

وقال عنها : الشعر لحماد الراوية ، والغناء لابن جامع^(٣) .

٦ - إن للباحث الحق كله في قبول رواية ورفض أخرى حسب الأدلة التي وصل إليها واقتنع بها . وإن لأي باحث الحق في أن يتمسك بقول (المدائني)^(٤) الذي

(١) الأغاني ٦ / ٨٥ .

(٢) المزهر ٢ / ٤٠٦ .

(٣) الأغاني ٥ / ١٩٢ طبع بيروت .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٤٨ .

يؤكد : أن القصيدة التي أنشدها بلال بن أبي بردة - هي للحطيئة . وأن حماداً كان صادقاً عندما نسبها للحطيئة - ويترك رواية (أبي عبيدة) عن (يونس) التي وردت في (المزهر) وفي (طبقات الشعراء)^(١) والتي نقلها أبو الفرج الأصفهاني عن (صالح بن سليمان)^(٢) والتي تؤكد : أن حماداً نحل هذه القصيدة الحطيئة . فكثيراً ما اختلف نقاد الرعيل الأول في بعض ما يرويه حماد الراوية . وفي بعض ما يرويه خلف الأحمر . فلقد بلغ النقاش أشده في قصيدة (لامية العرب) : هل هي من شعر خلف الأحمر الراوية في العصر الإسلامي ؟ أو هي من شعر (الشنفرى) الشاعر في العصر الجاهلي ؟ فمن الباحثين المتأخرين من اقتنع بأن هذه القصيدة من الشعر المنحول . ومنهم من اقتنع بأنها من الشعر الجاهلي .

ولكن ليس للباحث أى حق في أن ينفي من الكتب العربية ما هو موجود فيها . أو ينسب إليها ما لا يوجد بها . فلا بد للباحث من الاعتراف بأن من الشعر الجاهلي المتداول في أيدي الناس : شعراً منحولاً . وأن حماداً من الرواة الذين اتهموا بأنهم كانوا ينظمون الشعر وينحلونه الشعراء الجاهليين . وأن هؤلاء الرواة هم الذين أثاروا كثيراً من الشكوك حول الكثير من الشعر الجاهلي . ولا بد للباحث من الاعتراف بأن الكتب العربية - ذكرت : أن حماداً كان ينظم الشعر وينحل الشعر الجاهليين .

٧ - ولا بد لنا هنا : أن نقف قليلاً عند الشكوك التي أثرت حول اجتماع المنفصل الضبي مع حماد عند المهدي . فنحن إذا ما رجعنا إلى مصادر هذه الشكوك وهي رواية الطبرى - نجد الطبرى يقول : [في سنة ١٦٤ هـ بنى المهدي بعيسباد الكبرى قصرًا من لبن إلى أن أسس قصره الذي بالآجر الذي سماه قصر السلامة]^(٣) . فعيسباد التي بنى بها المهدي قصره الأول والثاني - وصفها الطبرى بالكبرى . والتي يظهر من هذا الوصف : أن عيسباد الكبرى امتداد لعيسباد التي قول عمر بن الخطاب الحموي في معجمه : [وهذه محلة بشرق بغداد منسوبة لعيسى بن المهدي وأمه

(١) المزهر ١/١٧٦ ويلاحظ المصنف .

(٢) الأغاني ٦/٨٤ .

(٣) تاريخ الطبرى ٦/٣١٨ .

وأم الرشيد والهادي - الخيزران . وكانت إقطاعاً له^(١) . ويقول ياقوت في كلامه عن بغداد : [ثم أقطع المنصور أصحابه القمطائع ، وسميت بأسمائهم ، وقد ذكرت من ذلك ما بلغني في مواضعه]^(٢) .

فاستيعاب البحث يقتضي الرجوع إلى جغرافية مدينة بغداد وتاريخها ومعرفة من الذي أقطع عيسباز لعيسى بن المهدي وأمه وأم الرشيد - هل هو المهدي بعد أن تولى الخلافة ؟ أو هو المنصور الذي أقطع أصحابه القمطائع وسميت بها ؟ ثم ألم يسكن المهدي قصرًا بعيسباز إلا بعد أن تولى الخلافة وبني قصره ؟ أم كان يتردد عليها وهو ولي عهد أبيه المنصور ؟!

ثم مما هو معروف : أن المفضل الضبي لزم المهدي منذ كان ولياً للعهد ، فلا يبعد أن يكون حماد قد اجتمع بالمهدي في عيسباز المحلة المنسوبة إلى ابنه عيسى وأمه . فالذين أجمعوا على هذه الرواية - لم يصفوا عيسباز بالكبرى ، ولم يعينوا محل الاجتماع . وهل كان في القصر الذي بناه المهدي بعد أن ولي الخلافة أو في غيره ؟ كما هو واضح في رواية الأغاني التي اتفق عليها : (السعيدى الراوية) و (أبو إيباد المؤدب) و (عبد الله بن مالك) و (ابن غزالة)^(٣) .

أما تلقيب المهدي بأمر المؤمنين في هذه القصة - فإن من المؤلفين في كل جيل : أن الأعلام في القصص تلقب بأفخم ألقابها وآخرها إلا فيما ندر من الروايات التي يحرص رواتها القدامى على تحديد الزمن - فيقولون : عندما كان أميراً للمؤمنين . أو ولياً للعهد . وعندما كان وزيراً . أو قبل أن يلي الوزارة . فنعت المهدي بأمر المؤمنين ليس بمعناه : أن القصة حدثت عندما كان المهدي أميراً للمؤمنين .

فإذا كان من المحتمل أن تكون هذه القصة من خيال الرواة لا أصل لها ، فكذلك من المحتمل أن تكون قصة البنيت على خبر حقيقى . وسواء كان لهذه القصة ظل من الحقيقة أم لم يكن . وسواء كان الخبر المنسوب لناضبي عن حماد وأنه كان

(١) معجم البلدان ٦/٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٢٣٦ .

(٣) الأغانى ٦/٨٥ .

ينظم الشعر وينحله فطاحل الشعراء الجاهليين ولا يميزه غير ناقد عليم - له أصل أم لا أصل له ، فإن تلك القصة بملاساتها . وإن هذا الخبر بشكوكه - يدوران حول حقائق تؤكد المصادرة العربية التي تقول : إن حماداً الرواية شاعر وله شعر معروف . وإن حماداً من معاصري المفضل الضبي . وإن لكل من حماد والمفضل صلوات بالبيت العباسي خلفاء وأمراء . ومكانة في مجالسهم .

٨ - ومن الجدير بي هنا بعد الذي تقدم : أن أذكر القارئ بما سبق الكلام فيه عن النصوص التي نجدتها في مؤلفاتنا العربية - متعارضة مثل : أقوال الرعيل الأول في موضوع التدوين في صدر الإسلام . ومثل الأحاديث التي تروى عن رجل واحد مختلفة المعنى - كحديث الذبيح الذي روى مرة عن (ابن عباس) : أنه إسحاق . ومرة ثانية : أنه إسماعيل - لأقول له : إن مما نقل عن حماد وقيل عنه مختلف متناقض مثل ما نقل عن (الأصمعي) : [كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو من حماد إلا شيئاً سمعته من أبي عمرو بن العلاء] . ونقل عن الأصمعي نفسه مرة ثانية أنه روى عن (يونس) قوله [إني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد . وهو يلحن ويكسر الشعر ويصحف . ويكاتب]^(١) .

في الواقع : أن هذا التناقض في النصوص وتبين في الخبر التي جمعها القدامى من المؤلفين مثل ابن جرير الطبري . وأبي الفرج الأصبهاني وأبي حنيفة وغيرهم - كثيراً ما دفعت المحققين إلى دوامة لم ينج منها إلا قليل الذين استطاعوا الوصول إلى ساحل الحقيقة .

٩ - فمن أنصار حماد من بلغ في ثناءه على حماد وعلى سعة اطلاعه وبه معرفته . فلقد نقل (ياقوت الحمصي) في (معجم الأدباء) عن (أبي جعفر الطوسي) المتوفى سنة ٥٣٣٨هـ : [أن حماداً - هو : الذي جمع معتقدات السبع طوائف] - ويؤكد مؤلف (نزهة الألباء) ويؤكد مؤلف (المزهري) : أن حماد هو أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها . ويؤكد (ربيع) في (مرآة الجنان) : أن حماداً عليم بالشعر وأخباره . ويؤكد (ابن خلدون) : أنه ثقة عند علماء

(١) المزهري ٢ : ٥٠٦ .

(٢) نزهة الألباء ص ١٧ ، والمزهري ١ : ١١٥ .

والأمراء يسألونه عن أشعار العرب وأنسابها وأيامها^(١) - فحماد عند هذا الفريق أنار جانباً رائعاً من الأدب الجاهلي . ظهر واضحاً في المعلقات وغيرها مما رواه (حماد) من الشعر العربي .

ومن خصوم حماد من بالغ في النقد والتهم - فلقد قال عنه (سعيد بن وهب الثقفي) : [قلت له : أمل على قصيدة لأخوالى (بنى سعد بن مالك) فأملى قصيدة قال : إنها من نظم (طرفة) وهى قصيدة (الأعشى)] . وقال عنه (المفضل الضبي) ما سبق أن نقلناه عن الأغاني وغيرها - فيما تقدم : إن حماداً ساط على الشعر إلخ - وما قاله المفضل الضبي : فيه ثناء على علم حماد وفيه نقد وتهم لما يرويه من شعر شعراء الجاهلية والإسلام . وقال عنه (يونس) : [العجب لمن يأخذ عن حماد . كان يلحن ويكذب ويكسر]^(٢) - وقال (الجحجحي) : [أول من جده أشعار العرب وساق أحاديثهم حماد الراوية . وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ويزيد في الأشعار]^(٣) إلى غير ذلك من الآراء التى أبديت فى حماد وفى روايته - مما ينقلنا من موضوع ترجمة محدودة الأبعاد إلى موضوع جدير بأن يوضع فيه كتاب خاص بحياة حماد وآثاره - لسنا فى حاجة إلى الانتقال إليه . فلقد عرفنا مما تقدم : أن حماداً نشأ فى أسرة فارسية خاملة الذكر إلى درجة جعلت الأقوال تختلف فى اسم أبيه - أهو : هرمز ؟ أم ميسرة ؟ أم سابور؟! وجعلت الشبهات تحيط ببداية حياته - هل كان كما يقول مؤلف الأغاني لصاً ؟ - أو أنه موهوب لم تتم له ظروفه التفرغ إلا بعد جهد ومتاعب ، وبعد أن لفتت الأنظار إليه رواية شعر الأنصار الذى قيل بأنه وجدته مع رجل سطا عليه ، وأن حماداً توصل إليه فى السنين الأولى من حياته التى شملها غموض أفسح المجال لأقاويل خصمه . فكثرة ما يرويه حماد يدل على أن الرجل اشتغل بالشعر من بدايه حياته كغيره من الذين كان يتصلون برواة الشعر ويحضرون حلقاته - والذين لم ينتشلهم الحظ من أحضان الغموض كما انتشل حماداً فعاشوا وماتوا مجهولين ، وكثرة ما يرويه

(١) مرآة الجنان ١/٣٢٩ .

(٢) المزهر ١/١٧٦ و ٢/٤٠٦ .

(٣) الأغاني ٦/٨٥ وما بعدها ، والمزهر ١/١٧٥ .

من الشعر أثارت حوله روايته الشكوك ، فنحن إذا اختزلنا عدد القصائد التي ادعى (حماد) أمام (الوليد) أنه يحفظها ، وافترضنا : أنه كان ينشد على كل حرف من الثمانية والعشرين حرفاً - فخمس قصائد بدلا من مائة - فإن مائة وأربعين قصيدة لاتسام من الشكوك بما في ذلك المعلقات .

وعرفنا أن حماداً كان راوية وشاعراً . وكان نسابة ومؤرخاً . وأن حماداً لم تشغله مجالسة الخلفاء والوزراء والأمراء وحلقات العلم - عن مجالس النهج مع أصدقاء كان يرتاح لهم ويرتاحون إليه - ومجالس فهو حماد اتخذ خصومه هدفاً لنقدهم . وموضوعاً للأقاويل التي أطلقوها حوله - وعرفنا : أن حماداً كان يأخذ من المدونات كغيره من الكوفيين أكثر مما كان يأخذ من حنيفة الشعر من الأعراب . والاعتماد على المدونات هو الذي فتح باب اعتماد على حماد وسائر الكوفيين - أمام منافسيهم البصريين . فتقابلوا عنهم : إنهم يزيدون في الرواية . ويعتقدون على ما دون في الصحف !! - وعرفنا : أن الكثير مما دونه (الأصفهاني) عن حماد - تافه ومخترق . ولعل صلة حماد بالبیت الأموي - هي : العامل الأوف من العوامل التي جعلت الأصفهاني يحرص على تدوين كل ما يحظ من كرامة حماد - فالأصفهاني من الشيعة المتعصبين لمبالغين في تحزبهم ضد كل من سار في ركاب الأمويين .

١٠ - وهذا الذي عرفناه عن حماد - يكفي لرسم صورة واضحة لرجل الذي وقف جهده على البحث في تاريخ الأدب العربي . وعلى معرفة نسب البيوت القلمية - فخلف لمؤرخي الأدب العربي ما وصل إليه من شعر شعراء الجاهلية وصدر الإسلام - ومن أبرزه شعر شعراء المعلقات . وخلف لمؤرخي الشعوب العربية . وعرفه من أيام العرب وأنسابهم - فهما اختلفت الأقوال في حماد الرواية - فحماد رجل أفاد التاريخ والأدب العربي .

البحث الرابع :

أبو العباس المفضل محمد بن يعلى الضبي

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

من صحيفة ٥٢١ إلى ٥٢٤

من موضوعات البحث :

- ١ - المفضل : أديب سياسي .
- ٢ - تواضع المفضل الضبي .
- ٣ - حقائق أثبتت وجودها .
- ٤ - ما قيل عن المفضليات .
- ٥ - رصيد المفضل أفاد الباحثين .

أبو العباس المفضل الضبي - أو ابن أبي الضبي

١ - يقال للمفضل الضبي : ابن أبي الضبي ، ويكنى : أبا عبد الرحمن ، توفي سنة ١٦٨ هـ - وقال عنه (ابن قتيبة) - هو : [المفضل بن محمد من ولد (سالم بن أبي الضبي) وكان كوفيًّا]^(١) . والمفضل الضبي ، أو ابن أبي الضبي : أديب سياسي - يقال : إنه خرج على (المنصور) مع (إبراهيم بن عبد الله ابن حسن) فظفر به المنصور وعفا عنه - لزم (المهدي) وصنف له كتاباً - أسماه (الاختيارات) وهو الكتاب المعروف اليوم باسم (المفضليات) ، ويقول (ابن النديم) : [والمفضليات هي مائة وثمان وعشرون قصيدة . وقد تزيد وتنقص وتتقدم وتتأخر حسب الرواية ، والصحيحة - هي : التي رواها عنه (ابن الأعرابي) وله أيضاً كتاب (الأمثال) وكتاب (العروض) وكتاب (معاني الشعر) وكتاب (الألفاظ)]^(٢) . ويقول (السيوطي) عن المفضل : [وكان أوثق من روى الشعر من الكوفيين - ولم يكن مختصاً باللغة والنحو . وإنما كان يختص بالشعر ، وقد روى عنه (أبو زيد) شعراً كثيراً - قال (أبو حاتم) كان أوثق من بالكوفة - المفضل الضبي ، وكان يقول : إني لأحسن شيئاً من الغريب ، ولا من المعاني ، ولا تفسير الشعر]^(٣) .

٢ - وجاء في (المزهري) عن المفضليات : [أن (العباس بن بكار) - أبدى إعجابه بالمفضليات - فقال له المفضل : والله ما هذا الاختيار - اختياري ، ولكن (إبراهيم ابن عبد الله) استر عندي ، فكنت أطوف وأعود إليه بالأخبار فيأنس بي ويحدثني . ثم عرض لي خروج إلى ضيعتي أياماً - فقال لي : اجعل كتبك عندي لأستريح إلى النظر فيها ، فتركت عنده - إقمطين فيهما أشعار وأخبار ، فلما عدت

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٥ .

(٢) الفهرست ص ١٠٢ .

(٣) المزهري ٢/٤٠٥ و ٤٠٦ .

وجدته قد علم على هذه الأشعار ، وكان أحفظ الناس للشعر - فجمعت ما علمه وأخرجته - فقال الناس : اختيار المفضل [(١)] .

٣ - وما جاء في (المزهري) تستشف حقائق تلي أضواءها على المفضل - منها : تواضع الرجل وصدقه ، فهو في الرواية الأولى يقول : أنا لا أحسن شيئاً من الغريب إلخ ، وهو في هذه الرواية يقول لابن بكار المعجب بالمفضليات : إنها ليست من اختياري - ومنها : أن المفضل لم يؤلف (المفضليات) للمهدي - وإنما هي اختيارات ضيفه (إبراهيم بن عبد الله) - فهو : الذي لفت إليها نظر المفضل الضبي الذي أخرجها للناس ، فقدأوا عنها : مفضليات الضبي - من هذه الحقائق : الحقيقة التي تظهر لنا كلما بحثنا في آثار الرواد وتراجمهم - ألا وهي : كثرة المشتغلين بالأدب والتاريخ وكثرة روية الأخبار والأشعار . وكثرة الأحداث التي حالت بين الكثيرين وبين البروز إلا في بعض المناسبات - مثل (إبراهيم بن عبد الله) - وحقيقة ثانية ما فتمت تثبت وجودها كلما بحث الباحثون في تراث الرواد وتراجمهم - ألا وهي : كثرة الأقوال التي تدور حول ما جمعه . فهذا (العباس بن بكار) يروي عن المفضل أنه قال : إن (المفضليات) - هي التمهيد التي أشر عليها (إبراهيم بن عبد الله) إعجاباً بها . وقول : (ابن بكار) يدلنا على اختلاف أقوال القدامى - فقولنا يختلف مع ما قيل عن (المفضليات) وإن المفضل جمعها للمهدي - كما اختلفت الأقوال على (سيرة ابن إسحاق) فقد بعضهم : إن (محمد بن إسحاق) ألفها للمهدي بأمر (منصور) . وقول آخرون : إن (ابن إسحاق) ألفها قبل أن يتصل بالمنصور - وحقيقة ثالثة أثيرها البحث عن التدوين ومدونات قدامى الرواد - ألا وهي : كثرة مدونات القدامى من الرواد - لا سيما الكوفيين . ففي خبر (ابن بكار) أن (المفضل) ترك عند (إبراهيم بن عبد الله) قديريين من مدوناته - كما ترك (كريب) عند (موسى بن عفيف) - ومنهم من مدونات (ابن عباس) - ولقد مر بنا : أن (حماد الرواسي) كتب بخطه بمدونات . وكان يدون ما يصل إليه مشافهة . ويرجع إلى مدونته كما أمر إلى الرجوع إليها .

فالمفضليات قليل من الكثير الذي جمعه المفضل الضبي - اختارها هو أو ضيفه (إبراهيم بن عبد الله) ، والمفضليات لم تسلم من الزيادة والنقص . ولا من التقديم والتأخير - فلقد مر بنا قول (ابن النديم) : [والمفضليات - هي : مائة وثمان وعشرون قصيدة ، وقد تزيد وتنقص وتتقدم وتتأخر حسب الرواية] . وجاء في مصادر الشعر الجاهلي : [أن (أبا عكرمة) - ذكر : أن أصل المفضليات التي اختارها المفضل - ثمانون قصيدة فقط ، ثم قرئت على الأصمعي فصارت مائة وعشرين . ثم إن (ثعلباً) روى عن ثلاثة من أصحاب الأصمعي : أنهم قرءوا عليه المفضليات ، وأنهم بعد ذلك استقرءوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره وضدوه إلى المفضليات . وسألوا الأصمعي عن معانيه وغريبه ، وبذلك كثرت المفضليات جداً] . وفي المفضليات صورة رائعة للأدب العربي والعقلية العربية . والحياة العربية .

وللمفضل الضبي غير المفضليات : المؤلفات التي ذكرها (ابن النديم) والتي أبرزت جهد المفضل الضبي في المجال الأدبي وأخبار المجتمع العربي . فلقد نقل (ناصر الدين الأسد) عن (الموشح) لمؤلفه (المرزباني) : [وروى المفضل الضبي : خبراً عن (امرئ القيس) و (علقمة) وشعراً لهما حدثه به (أبو الغول النهشلي) عن (أبي الغول الأكبر) . ونقل عن (النقائض) : ويروى المفضل كذلك خبراً جاهلياً ذا إسناد عن يوم (أعشاش) . ولقد أسهم المفضل في جمع شعر (امرئ القيس) (١)] .

فأبو عبد الرحمن - المفضل الضبي - بمفضلياته ومؤلفاته ورواياته - يعدّ : مصدراً من مصادر الشعر العربي . وأخبار الشعراء وأيام العرب فحما لا شك فيه : أن الرصيد الذي خلفه له قيمته عند الباحثين في التاريخ والأدب في الماضي وفي الحاضر .

(١) مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٦٩ و ٤٨٧ و ٥٧٥ .

البحث الخامس :

أبو محرز - خلف الأحمر بن حيان

المتوفى سنة ٥١٨ هـ

من صحيفة ٥٢٥ إلى ٥٣٢

من موضوعات البحث :

- ١ - أوجه الشبه بين خلف الأحمر وحمدان الراوية . والتفارق بينهما .
- ٢ - تجني الخصوم والمتطنتين على التاريخ والأدب وأعلام الرواد .
- ٣ - خلف أدى أمانة الرواية ومسئولية التاريخ .
- ٤ - عصامية خلف .
- ٥ - ما يسترعى الانتباه من أقوال النقادين .
- ٦ - الخصومات الأدبية مثل الخصومات السياسية في أحزابها .
- ٧ - هذا هو خلف الأحمر .

أبو محرز - خلف الأحمر
مولى أبي بردة بن موسى الأشعري^(١)

١ - ما كان لي أن أذكر خلفاً بعد أن تكلمت عن حماد الراوية - فما قيل عن حماد وعن مثاليته فيما يحفظ وقدرته على نظم الشعر وجرأته على إدخال ما ينظمه في دواوين الشعراء - قيل عن خلف الأحمر الشاعر الراوية - أجل ! ما كان لي أن أذكر خلفاً بعد أن ذكرت صديقه وأستاذه حماداً - لو لم تكن هناك صفات خاصة تميز الواحد عن الآخر . ولو لم تكن تلك الصفات تفيد البحث في مصادر التاريخ العربي - فمن تلك الصفات التي تميز الواحد عن الآخر - أن حماداً كوفي المدرسة ، أما خلف فمن أساتذة البصرة - بيد أن اختلاف المدرسة لم يعصم واحداً منهما من الطعن فيما يرويه . واختلاف المدرسة لم يقف في وجه الطباع التي تحكمت في تصرف كل من الرجلين ، وإن كان تصرف كل من الرجلين لم يصل إلى ذلك المدى الذي وصلت إليه أقوال نقادهما - فلقد كانت المدينتان : البصرة والكوفة - مجالا لكل من الراويتين . ولقد كانت مدرستا المدينتين على ما بينهما من خلاف على بعض النصوص اللغوية والأدبية ذواتي أفق واحد .

٢ - أجل ! ما كان لي أن أذكر خلفاً بعد أن تكلمت عن حماد - لو لم تكن لخلف آثار شعرية رائعة أعجب بها نقاد الشعر الذين قالوا : إنه كان يقول القصائد الغرّ ويدخلها في دواوين الشعراء^(٢) - فمن الذين كانوا يقولون ذلك (أبو علي القالي) الذي شك في القصيدة المعروفة بـ (لامية العرب) والمنسوبة إلى (الشنفرى) والتي مطلعها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل^(٢)
ومن الذين اتهموا خلفاً بوضع غرر القصائد : (أبو حاتم) الذي قال عن

(١) يقول ابن قتيبة إن أبا بردة أعتق خلفاً وأبويه الفرغانين - المعارف ص ٥٤٤ .

(٢٠٢) المعارف ص ٥٤٤ .

(الأصدعي) : إنه سمع (خلفاً) - يقول : أنا وضعت علي (النابغة) هذه القصيدة :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلقك اللجسا^(١)
فاتهام خلف الأحمر من قبل (أبي علي القماني) . و (أبي حاتم) . و (الأصدعي)
- يدل علي أن خلفاً كان ذا شاعرية في مقدورها أن تنظم مثل لامية العرب وشعر
النابغة - لم يصل إليها حماد الراوية - وإن كان نقاد حماد وخصومه كانوا يقولون :
إنه عليم باللغة ومذاهب الشعراء وإنه من القادرين علي نظم شعر في مستوى
الشعر الجاهلي . شعر الخطيئة - فلقد مرت بنا في ترجمة حماد الأبيات التي
نسبها أبو الفرج الأصفهاني إلى حماد الراوية - ولقد رأينا فيها شعراً بعيداً عن مستوى
لامية العرب .

وقوة هاتين القصيدتين اللتين قال عليهما نقاد خلف الأحمر : إنهما من نظمه
تلفت نظرنا إلى رأى الذين رفضوا قول (أبي علي القماني) و (ابن دريد) في لامية
العرب وإنهما من نظم خلف^(٢) - فمن رأى هؤلاء : أن النفي مثل الإثبات يحتاج
إلى أدلة تثبته ، ولقد انحصر دليل الذين يشكون في كثير مما يرويه خلف : في
معاني ذلك الشعر وبعدها عن أفق الأعرابي . ففي بعض الشعر الذي رواه خلف :
وصف دقيق لم يصل الشاعر الجاهلي إلى مستواه - مثل : قول الشاعر (جل حتى
دقّ فيه الأجل) - وهذا الدليل في نظر هؤلاء لا يكفي - ففي الشعر الذي اتفقت
الأقوال على جاهليته : معان لا تقبل دقة وروعة عن الشعر العربي في مختلف
عصوره - ولقد وقف (العتبي) في وجه النقاد يقسم بحماس : بأن ليس (لآل محرز)
خلف الأحمر) بيت واحد من تلك القصيدة التي مطلعها :

إن بالشعب إلى جنب سلع لقتيلاً دمه ما يضل

هازناً من الذين يصرون علي أنها من نظم خلف الأحمر - مؤكداً : أن حتمت سببها
إلى (ابن أخت تابط شراً) وأنه رثى خاله - ومخالفاً الذين قالوا : إنها من شعر

(١) المزهرا ١٧٦/١ و ١٧٧ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ص ٦٠ : عن حماسة الخالدين ، مخطوط في دار الكتب والوثائق القومية

رقم ٥٨٧ أدب ، ورقة ١٢٠ - ١٢٢ .

(الشافعي) والدين قالوا : إنها من شعر (تأبط شراً) مثل (أنى تمام) الذى أثبتها فى حداسته على أنها لتأبط شراً .

٣- ويلفت نظرنا ما قاله (الجاحظ) : [ولقد ولد الرواة على لسان (خلف الأحمر) و (الأصمعي) أرجازاً كثيرة]^(١) - فلقد تجنى بعض الرواة على خلف وحماد فوضعوا شعراً ورجزاً - كما يقول ناصر الدين الأسد - بدافع العصبية والحصومات - فهم نقلوا عن (الأصمعي) : تهماً موجهة إلى خلف ليثبتوا : أن رواية الكوفة غير منقحين وأنهم أخذوا عن خلف الأحمر الذى أحدث السماع بالبصرة : أربعين قصيدة على أنها من شعر (أبى دؤاد الإيادى) وهى من نظم (خلف الأحمر) - فمن ذلك يظهر لنا : أن التهم لم تكن جميعها : كوفية - بل إن كثيراً منها بصرى وجهها بصريون إلى خلف الأحمر البصرى!! ليقولوا : إن الكوفيين تعجبهم كثرة الرواية . وإنهم بكثرة الرواية يفتخرون^(٢) .

ومن ذلك يظهر لنا : أن حزبية المتنافسين لا تتخرج من إقحام كبار الرواة فيما يسىء لهم سواء أكانوا بصريين أم كوفيين .

٤- ومن أهم الصفات التى تميز بها خلف الأحمر - تنسكه بعد أن ودع صباه - فكان يختم القرآن فى كل ليلة كما يقولون عنه ، وكان كثير التخرج من تبعة ما يروى عنه . فلقد جاء فى المزهرة عن (محمد بن زيد) : [أن خلفاً حاول التخلص من تبعة الشعر الذى رواه . فخرج إلى جدهاير الكوفة وبين لهم الأشعار التى أدخلها فى أشعار الجاهليين وشعراء صدر الإسلام . فقالوا له : أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة . فلم يغيروا فيما دونوه عنه شيئاً فبقى ذلك فى دواوينهم!!]^(٣) . وبذلك صح فيهم قول البصريين : إنهم قوم تعجبهم كثرة الرواية !! - ويقول (محمد بن زيد) عن (خلف الأحمر) : [كان خلف أخذ النحو عن (عيسى بن عمر) وأخذ اللغة عن (أبى عمرو بن العلاء) . ولم ير أحد قط أعلم بالشعر والشعراء مثله . وكان يضرب به المثل . ثم نسك . وبذل له بعض الملوك مالا عظيماً على أن يشكره ولو ببیت فأبى ذلك !! وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه بعد

(١) مصدر الشعر الجاهلى نقلنا عن (الحيون) ١٨١/٤ و ١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥٦ . وما بعدها .

(٣) المزهرة ٤٠٣/٢ .

مات حماد الراوية ، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد] (١) ،
وقال عنه (أبو عبيدة) : [خلف أستاذ (الأصمعي) ومعلم أهل البصرة] (٢) .

٥ - ومن الصفات التي اشترك فيها الرجلان : حماد وخلف - العصامية فكلاهما من أسرة مغمورة غير عربية . فثلما ولد حماد في أسرة ديلمية بلغ بها الانزواء إلى حيث اختلف الكاتبون عن حماد في اسم أبيه . كذلك ولد خلف في أسرة فرغانية منحها (آل أبي بردة) الحرية . وإذا كان حماد قد تأثر بشعر الأنصار فاتجه إلى حفظ الشعر وروايته ونظمه ، فقد تأثر خلف بمجالس (آل أبي بردة) الأدبية فاتجه هو كذلك إلى حفظ الشعر وروايته ونظمه . وكما قال الذين نقدوا حماداً : إنه كان ينظم الشعر ويدخله في دواوين الشعر . كذلك قالوا عن خلف : وكان خلف يضرب به المثل في عمل الشعر . وكان يعمل على السنة الناس فيشبه كل شعر يقوله بشعر يضعه عليه (٣) . بيد أن شعر حماد لم يبلغ مستوى شعر خلف . فشعر خلف عند ناقديه القدامى - من الطبقة الأولى . فلقد قالوا عنه : كان خلف راوية عالماً بالغريب وشاعراً جيد الشعر كثيره لم يكن في نظرائه أحد يقول مثل شعره (٤) . وكان من أمرس الناس لبيت شعر - له من انكتب : كتاب (العرب وما قيل فيها من الشعر) (٥) . ونقل ناصر الدين الأسد عن مصادره : [أن خلف ديوان شعر حماد عنه أبو نواس] (٦) إلى غير ذلك من الصفات التي تصور لنا خلفاً وحماداً بلون واحد . ولا عجب في ذلك . فإن خلفاً كان على صلة وثيقة بحماد إلى درجة جعلت البعض يعدّ خلفاً تلميذاً لحماد .

٦ - والذي يسترعى اهتمام الباحث مما جاء في أقوال الناقلين : الرواية التي نقلت إن خلفاً عندما تنسك - بيتن نناس ما أدخله من الشعر في دواوين الشعر . فنحن إذا ربطنا خبر (أبي حاتم) الذي جاء فيه : وكان خلف وضع عن

(١) المزهري ١ / ١٧٧ ، ومراتب النحويين ١٥ ، ١٦ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي من ٥٥٤ عن نزهة الألباء من ١٠ .

(٣) المزهري ١ / ٧٦ و ١٧٧ ، والمزهري ٢ / ٥٠٣ .

(٤) المعارف من ٥٥٤ .

(٥) الفهرست من ٧٤ .

(٦) مصادر الشعر الجاهلي من ٤٤٤ .

(عبد القیس) شعراً مصنوعاً عبثاً منه ، ثم تقرأ (تنسک) فرجع عن ذلك وبيّنه -
 بخبر (الأصمعي) الذي جاء فيه : قال خلف : أنا نظمت هذه القصيدة - خيل
 صيام إلخ - ونسبها إلى النابغة - نصل إلى حقيقة تؤكد لنا : أن من الشعر الذي
 رواه خلف : شعراً منحولاً . وأن خلفاً كان يسار تلاميذه وأصدقائه بالشعر الذي
 ينحله . ولما تنسك تخرج من الشعر العابت الذي وضعه على عبد القيس : فصارح
 العامة بحقيقة ذلك الشعر . ولكن العامة من الكوفيين لم يصدقوا خلفاً المتنسك .
 وهذه الحقيقة التي تبدو لنا في تراجم رواد الشعر العربي هي التي أفسحت
 المجال للشك في الشعر الجاهلي فبالغ البعض فلم يصدق بكل شعر جاهلي .

وهذا الشك الذي تجمع حول الرواد الذين رجع إلى أقوالهم المؤلفون في التاريخ
 الأدبي واللغة العربية وأيام العرب - يضطر البحث إلى الإشارة إلى الحقيقة التي
 قابلتنا في تراجم رواد المغازي والسيرة وقصص الأنبياء ، والتي أكدت لنا : أن
 الخصومات والتطفل على التاريخ ساقا الكثيرين إلى إسناد روايات إلى ابن عباس
 وكعب الأحبار وغيرهما ليس لها أصل - فهذه الحقيقة التي ظهرت في تراجم
 أولئك الرواد - تظهر في تراجم هؤلاء سافرة بدون حجاب ، فلقد تجنى الكثير
 من رواة الشعر وأخبار العرب على خلف وحداد وغيرهما فرووا عنهما أشعاراً
 وأخباراً لا أصل لها - كما يقول الجاحظ!!

ونحن إذا ما تتبعنا الخصومات العلية - نجدها إلى القرن الرابع عشر :
 تثير حول الأعلام من جهابذة العلم والرأي - الغبار وتشوش الحقائق وتبعث الشكوك.
 فلقد قامت في أواخر العهد العثماني في الحرم النبوي : خصومة علية بين (محمد
 التركي الشنتيطي) وبين غلماء المدينة وفي مقدمتهم (أحمد البرزنجي) آثارها
 الاختلاف على إعراب (عمر) أينصرف اسم (عمر) أم لا ينصرف ؟ فاشتد
 الخلاف واشتدت معه حملات أنصار المدنيين على التركي - فجردته من
 المعرفة والنمهم . واشتدت حملات أنصار التركي على المدنيين فوصفهم بالجهل
 والغباء ، وأخذ الحاملون على التركي ينسجون قصصاً وأخباراً ، وقابلهم الحاملون
 على المدنيين بقصص وأخبار لاحقيقة لها .

۷ - فالخصومات - سواء كانت علمية أم سياسية لاتسلم من مبالغات الحزبية ،

ومما يثيره أنصار المتخاصسين من شكوك تلف بها الحقائق وتطوى معها في زوايا القدم ، فيصعب على الباحثين المتأخرين الوصول إليها . ومن هنا تنبعث المبالغات وتختلف الأقوال حول الحقائق ؛ فإذا كان من الشعر الجاهلي شعر تحوم حوله الشكوك ، ومن التهم التي انصبت على رواة تهم تحوم حوضاً الشكوك ، فالشعر الذي قد يكون خلف وحماد أدخلاه في الشعر الجاهلي - - هو أقل مما تقدره الشكوك ، وفيه الكثير مما رواه عنهم بعض الخصوم والمتطفلين كيداً ورجماً بالغيب . فخلف عندما تنسك وصارح الناس بحقيقة الشعر الذي كان يرويه لم يقل : إن جسيع ما رواه منحول من نظمه . وخلف الزاهد الذي لم تغره منح الملوكة فيشكرهم ببيت واحد - - أدنى أمانة الرواية ومسئولية التاريخ حقتهم عندما صارح الناس بما أدخله على دواوين الشعراء .

هذا هو : خلف بن حيان - المكنى بشي محرز - - موسى آل أبي موسى الأشعري الذي اعتمد المؤلفون في التاريخ الأدبي وأيام العرب ولغتهم على أقواله . وهذه بعض المميزات التي امتاز بها خلف عن صديقه حماد الرواية .

أبو عبدة - معمر بن المشني

المتوفى سنة ١١٠ أو سنة ١١١ هـ

من تحفيظة ٥٣٣ إلى ٥٤٤

من موضوعات البحث :

- ١ - لأبي عبدة صورتان : إحداهما مشرقة والأخرى قائمة .
- ٢ - الخصومة بين أبي عبدة والأصمعي « خصومة عبدة وطرية » .
- ٣ - إسحاق الموصلي كان وراء أبي عبدة ضد الأصمعي .
- ٤ - نقائص أبي عبدة .
- ٥ - أبو عبدة لم يتهم في معارفه وإنما بهم في أخلاقه .
- ٦ - مركب النقص هو الذي أثار أبا عبدة على مجتمعه .
- ٧ - أبو عبدة في التحقيقات الحديثة .
- ٨ - رأى المستشرقين في أبي عبدة .
- ٩ - أبو عبدة على حقيقته .
- ١٠ - مصادر أبي عبدة .
- ١١ - أبو عبدة مرجع من مرجع البحوث التاريخية .

أبو عبيدة ومعمر بن المثنى

١ - نحن إذا أردنا أن نتكلم عن (أبي عبيدة ومعمر بن المثنى) - نجد للرجل صورتين - رسميهما المشتغلون بالأدب وتاريخه . واللغة وهنرداتها من القديمي الذين أحصوا كل صغيرة وكبيرة على أساندة اللغة والأدب . ورواة الشعر وأيام العرب في الجاهلية وصد الإسلام - صورة رسميهما المعجبون بأبي عبيدة فلوذوها بما يعرفونه عن سعة معارف أبي عبيدة . وعبقريته العلمية . ومكانه في مجال البحوث الرائدة ، وما قدده لهم من أشعار العرب ولغاتها وتاريخها - وصورة رسميهما الناقدون على أبي عبيدة فلوذوها بما يعرفونه عن شعوبيته المتطرفة . وخشونة جدله . وهساوته خارجياً يرجع إلى أصل يهودي . وشعوبياً تتبع عورات العرب وزاد عليها - وكما حمل أنصار أبي عبيدة الصورة الأولى في أروقة قصور العباسيين وأندية المثقفين وأسواق الأدب والتاريخ . حمل الصورة الثانية خصومه . ولقد زاد في حماس الأنصار والخصوم التنافس الذي كان بين (الأصمعي) العربي الأصل وبين أبي عبيدة العجمي الدم .

فالصورة الأولى تظهر لنا واضحة فيما نقله (السيوطي) ^(١) عن (ابن مناذر) الذي قال : [كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة وكان (أبو عبيدة) يجيب في نصفها . وكان (أبو زيد - من الأنصار) يجيب في ثلثها . وكان (أبو مالك) يجيب فيها كلها] - ويقول - السيوطي : [إن (ابن مناذر) يقصد : توسعهم في الرواية والفتوى - فالأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات ، وأبو زيد من الأنصار . من رواة الحديث ثقة عندهم مأمون . وكذلك حاله في اللغة ، وأما أبو عبيدة - فإنه كان أعلم الثلاثة بأيام العرب وأخبارهم وأجمعهم لعلومهم ، وكان أكمل القوم - قال (عمر بن شبة) : كان أبو عبيدة - يقول : ما التقى فرسان في الجاهلية والإسلام إلا عرفتهما ، وعرفت فارسهما ، وهو : أول من ألف

(١) المزمهر ٢/٤٠٣ .

في غريب الحديث [. وقال (الحافظ) : [لم يكن في الأرض خارجي ولا حماعي أعلم بجميع العاوم منه]^(١) .

وتبدو الصورة الثانية فيما جاء في المعارف لابن قتيبة الذي قال عن أبي عبيدة : [هو معمر بن المثنى مولى لثيم قريش - كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامهم ، وكان مع معرفته ربما لم يتم البيت الذي ينشده حتى يكسره . ويخطئ إذا قرأ القرآن ، وكان يبغض العرب وأنف في مثاليهم كتاباً . وكان يرى رأى الخوارج . ومات سنة ٢١٠ أو سنة ٢١١ هـ وقد قارب المائة]^(٢) وفي هذه الصورة تتغلب مساوى أبي عبيدة فلا نرى معها غير خطوط ضئيلة فالصورة الأولى - كما لا نرى في الصورة الأولى غير مثل هذه الخطوط للصورة الثانية .

فهاتان الصورتان - كما تراهما - تختلفان ملاحظتهما . فالذين يهتمون الشعر والتاريخ واللغة بحثوا في الجانب المشرق من حياة أبي عبيدة . أما الجانب التمام فقد وجه الأنظار إليه الذين شغلوا بالخصومات العنصرية وما لاقاه العرب من شرور الشعوبية والشعوبيين ، والذين شغلوا بالخصومات السياسية وما لاقته الدولة الإسلامية من شدوذ الخوارج وشرورهم .

٢ - ولقد كان للخصومة التي اشتعلت بين (أبي سعيد عبد الملك الأصمعي) العربي الأرومة وبين (أبي عبيدة معمر بن المثنى) الأعجمي الأصل . والتي استمرت زمناً طويلاً حيث يعد كل من الأصمعي وأبي عبيدة من المعدرين - أثرهما في تكوين الصورتين . فلقد كان لأبي عبيدة تلامذة ومعجبون . وللأصمعي تلامذة ومعجبون . ولم يكن حماس الذين أعجبوا بأبي عبيدة وقدهود في بلاط الخلفاء العباسيين بأكثر من حماس المعجبين بالأصمعي الذين أفسحوا له مجالاً في مجالس البيت العسبي المالك .

وفي مقدمة البواعث التي ذكرها المتحدثون عن تلك الخصومة في مجالس بين الرجلين على الصدارة في مجالس الخلفاء والنوذر في مجالس الأدبية - وفي القصة التي ذكرها (اليافعي) في كتابه مرآة الجنان - يظهر أن الأصمعي - هو :

(١) مرآة الجنان ٢ / ٥٥ .

(٢) المعارف ص ٥٤٣ ، وتفهيرت ص ١٩ .

الذي بدأ بالحصومة ، فلقد جاء في مؤلف اليافعي : [أن أبا عبيدة سئل في مجلس (الفضل بن الربيع) عن تفسير قوله تعالى : ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ فالوعد والإيعاد لا يقع إلا بما قد عرف ، ورؤوس الشياطين لا تعرف !! فأجاب على ذلك التعليق : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم . ومن كلام العرب - قول (امرئ القيس) :

أتقتلني والمشرقي مضاجعي ودمسنونة زرق كأنياب أغوال

فامرؤ القيس وغير امرئ القيس من العرب لا يعرف الغول حتى يمثل بأنيابه [، فأعجب الفضل بن الربيع والسائل والحاضرون بهذا الجواب ، فكان هذا الإعجاب هو الذي دفع أبا عبيدة لتأليف كتابه (المجاز) . وكان كتاب المجاز هدفاً لنقد الأصمعي المتحفظ في كلامه عن القرآن .

ويقال : إن أبا عبيدة عندما بلغه : أن الأصمعي يعيب عليه كتاب المجاز ، وأنه يقول عنه : إنه يتكلم في كتاب الله برأيه - سأل عن مجلس الأصمعي وذهب إليه ، وقال له : [يا أبا سعيد ! ماتقول في الخبز ؟ أي شيء هو ؟ قال : هو الذي نخبزه ونأكله . قال أبو عبيدة قد فسرت كلام الله برأيك !! فإن الله تعالى - قال حكاية عن صاحب يوسف في السجن : ﴿أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ فقال الأصمعي : هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأبي . قال أبو عبيدة : والذي تعيبه علينا - كله شيء بان لنا فقلناه ولم نفسره برأينا]^(١) .

٣ - ويقال : إن (إسحاق الموصلي) هو الشخصية التي كانت وراء أبي عبيدة وهو الذي قدمه إلى (الفضل بن الربيع) :

عليك أبا عبيدة فاصطفيه فإن العلم عند أبي عبيده
وقدمه وآثره عليه ودع عنك القريد بن القريده
والقريد بن القريده في نصيحة (إسحاق) هو الأصمعي^(٢) !! - ويقول
(أبو الفرج الأصفهاني) : [إن (إسحاق) كشف للرشيد معائب الأصمعي .
ووصفه بقله الشكر والبخل وضعة النفس ، ووصف له أبا عبيدة بالثقة والسماحة

(١) مرآة الجنان ٤٤/٢ وما بعدها .

(٢) ضحى الإسلام ٧٥/١ .

والعلم ، وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع ، ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعي وأسقطه عندهم ، وأنفذوا إلى أبي عبيدة من أقدمه [(١)] .

فلا غرو ! إن قدم (آل سهل) أعداء (آل الربيع) : الأصمعي على أبي عبيدة ، ولا غرو ! إن تفرقت الأنصار من حول أبي عبيدة لتلتف حول الأصمعي ، فلقد أفلت شمس آل الربيع وأشرقت شمس آل سهل — حتى قيل : إنه عندما توفي أبو عبيدة لم يحضر جنازته أحد .

ويقول البعض : إن الناحية الخلقية كانت العامل الأول في عزلة أبي عبيدة ، فلقد كان أبو عبيدة سليط اللسان قليل المجاملة كثير النقد ، فما يحكى عنه أنه قال لمضيفه (علي بن موسى) عندما أصاب شيء من الطعام ثوبه : لا عليك منه — إن مرقمكم لا يؤذى — أي لا دهن فيه !! ويقال : إن الأصمعي إذا أراد دخول مسجد أو مجلس — قال : انظروا هل يوجد ذلك ! يتصيد : أبا عبيده — خوفاً من لسانه (٢) .

فتقريب (المؤمن) ووزرائه (آل سهل) للأصمعي ، وشراسة خلق أبي عبيدة أتاحا المجال لخصومه أن يضعوا أبا عبيدة في نظر الجماهير في مكان لا يحسد عليه . لاسيما أن خصمه عرف بطلاقة اللسان وزخرف القول وحسن الإنشاد . وهذه كلها عوامل تجذب الجماهير وتبعث فيهم الإعجاب — فلقد قال (الباهلي) صاحب كتاب (المعاني) : [إن طلبة العلم إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر . وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر !! لأن الأصمعي حسن الإنشاد والزخرف لردىء الأخبار والأشعار . حتى يحسن عنده الكبيح . والتألمة مع ذلك قليلة . وأن أبا عبيدة كان معه سوء العبارة ولكن فوائده كثيرة وعنده جملة] (٣) .

فأبو عبيدة لم يتهم في كفايته العلمية — كما رأيت — وإنما اتهم في عيبه عند غيره . وفي تحزبه العنصري ، وفي سوء عبارته ، وفي لسانه ، وتبعه مثاب الناس .

(١) الأغاني ٥ / ٣٥٢ و ٣٥٣ .

(٢) مرآة الجنان ٥ / ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٤٦ .

وطعنه في أنساب الأسر - ولعمر الله إن بعض هذه الصفات لا جميعها يكفي لأن يتجنب الناس أبا عبيدة ، فلقد جاء في نهاية كلام الياضي عن أبي عبيدة: [وقيل كان مدخول النسب ، مدخول الدين ، يميل إلى مذهب الخوارج ، وفيه بعض أمور قبيحة ، وكانت تصانيفه تقارب المائة]^(١) .

ويذكر (ابن النديم) أبا عبيدة ، فيروي قولين عن نسبه - الأول ويسنده إلى (أبي العيلاء) : أنه يهودي الأصل ، والثاني ويسنده إلى (علان الشعوبي) : أنه بن أصل فارسي أعجمي الأصل ، ويلقب بسحب ، وينقل عن (أبي العباس ثعلب) : أن جنازة أبي عبيدة لم يحضرها أحد لأنه لم يكن يسلم منه شريف ولا غيره^(٢) .

٦ - ونحن لا نستبعد عن أبي عبيدة الطعن في الأنساب - فأبو عبيدة طعن في نسبه ، وطعن في عقيدته ، وطعن خلقه ، فلا غرو ! إن تأججت في نفسه نار الحقد ، فمركب النقص كثيراً ما دفع كبار الشخصيات إلى حماقات أساءت إلى تاريخها ، ونحن لا نستبعد عن أبي عبيدة شراسة النقد ، لاسيما في أيامه الأخيرة ، فأبو عبيدة من العباقرة الذين شعروا بتجاهل المجتمع لهم وانصرافهم عنهم بعد تجمعه حولهم ، فثارت ثائرتة واشتدت نغمته على المجتمع - ولقد جاء في كتاب الأغاني : [أن السبب الذي دفع (زياد ابن أبيه) إلى تأليف المثالب - كان باعته : أن زياداً علم أن الناس لا تقرادعاه إلى أبي سفيان ، ثم بنى على ذلك (الهيثم بن عدي) . وكان دعياً فأراد أن يعرّ أهل البيوتات تشفياً منهم ، وفعل ذلك (أبو عبيدة معمر بن المثنى) فقد كان أصله يهودياً أسلم بجدته على يد بعض (آل أبي بكر الصديق) فانتمى إلى ولايتهم - فجدد كتاب زياد وزاد فيه]^(٣) .

وأبو عبيدة - عبقرى ذكى علامة - نقل عنه مؤلف (المزهري)^(٤) - قوله : ما التقي فرسان في الجاهلية والإسلام إلا عرفتهما وعرفت فارسهما ، وذكر له مؤلف

(١) مرآة الجنان ٤٦/٢ .

(٢) الفهرست ص ٧٩ .

(٣) الأغاني ٢٠/٢١ وما بعدها .

(٤) المزهري ٤٠٣/٢ .

(الفهرست) ^(١) نحواً من مائة وثلاثة مؤلفات . وقال مؤلف (الأعلام) إن لأبي عبيدة مائتي مؤلف ^(٢) - وعبقريّة كهذه لا تسلم من الشذوذ . والشذوذ كثيراً ما يدفع إلى العزلة العزلة كثيراً ما تحمّ ظلامها على حياة العباقرة .

وأبو عبيدة في التحقيقات المتأخرة - وضع في إطار من المتناقضات . فاقدم قال عنه (الزركلي) : [أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم والأدب . وقد عنه (الجاحظ) لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه . وكان بأخصية شعوبية من حفاظ الحديث] . وذكر الزركلي بعضاً من كتبه المخطوطة وكتبه المطبوعة - وقال عنه (عبد العزيز الدوري) : [وقد قام (أبو عبيدة) بدرست وسعة تكاد تشمل حقل الروايات العربية الشمالية بكامله . وكانت هذه الروايات عالية وروايات قبالية وروايات محلية . إضافة إلى روايات الرواة - وقد كتب أبو عبيدة عدداً كبيراً من الكتب في تاريخ العرب . وتاريخ صدر الإسلام - وقد كانت وجهته وجهة للغويين - أي أنه يجمع الروايات المتعلقة بخادث أو موضوع في كتب . وهكذا كتب عن المدن ولأمصار وعن المنخر ومثالب القبلية . وفي الأخبار عن شخصيات تاريخية . وعن المعارك . وعن الأحزاب (الخوارج) وعن تنظير . وعن الموالي - إضافة إلى دراسات أخرى عن الحديث . والقرآن . والشعر - واشتهر بعلمه بأيام العرب . وأصبحت درساته للأبيد أساساً لسؤرخين فيما بعد - وقد اعتمد أبو عبيدة بالدرجة الأولى على ملاحظاته المكتوبة . وهدواته لأعلى الذاكرة . ووقف موقفاً يسيء إلى العرب في الصراع الثقافي بين العرب وشعوبية . وقد كتب (كتاب الموالي) تناول فيه المسلمين من غير العرب كما يسمو . وكتب (كتاب أخبار الفرس) أو فضائل الفرس كما يسميه (ابن المديني) . وكتب الكثير عن مثالب العرب . وكل هذا يتسنى مع حفظ بعض الشعوبية وهو لا يهتم بالوضع في رواياته ومثالبه العمومية بلية . إلا أن أخبار الأمثلة عن مثالب متسعة . ومن المحتمل أن يكون أبو عبيدة شعوبياً من يسمو . وقد ينسجم هذا مع نسبه إلى الخوارج . وكان للحركة الشعوبية أثرها في الدراسات

(١) الفهرست ص ١٩ .

(٢) الأعلام ٨/١٩١ .

التاريخية إذ أن أصحابها قاموا بجهود خاصة لتشويه تاريخ العرب والديس عليهم - كما أنها أدت إلى رد فعل واضح لدى العرب للقيام بدراسة واسعة لتاريخ العرب وأديهم] (١) - وقد عرض الدوري في كتابه (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب) نماذج من كلام أبي عبيدة بصورة أوفى وأدق مما يرد في الأغاني - على أن الحريص على معرفة أسلوب أبي عبيدة يجد في مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة التي أشار إليها الزركلي . صوراً واضحة لأسلوب أبي عبيدة ومنهجه .

وينقل (أحمد أمين) عن (رسائل البلاغ) : صورة من النقد الذي كان أبو عبيدة يوجهه إلى الحياة العربية - فيقول : [فقد عمد إلى مفاخر العرب فتهكم بها - كانوا يفتخرون بقوس (حاجب) مع نخاسة عوده وقلة ثمنه ، ويذكر قول الشاعر :

فيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

فيهزأ بالشعر ويعجب في سخرية من التمدح بأن أباهما ذو بردين وفرس ورد ، ويقارن في ذلك بملوك فارس وتيجانها وأن (أبرويز) كان يرتبط تسعمائة وخمسين فيلا على مرابطه . وتخدمه ألف جاربية . وفي حجرته التي يشرف منها على الداخل عليه ألف إناء من ذهب] (٢) .

٨ - وأبو عبيدة في بحوث المستشرقين : [موك من موالي قبيلة (تيم) ولذلك كان يدافع عن حقوق الموالي . وهو من أنصار الشعوبية . ويقال : إنه كان خارجياً ولكن مما يجب أن يُفهم : أنه اتفق معهم في بعض المسائل فقط ، لذلك كان هناك من الأسباب ما يدعو إلى اتهامه بالزندقة ، وقد أثار عليه خصوصاً كثيرين أشاعوا عنه : أنه لا يحسن قراءة بيت واحد من الشعر العربي دون خطأ ، ومهما يكن من الأمر فإن أبا عبيدة كان أحد المتعمقين في دراسة اللغة العربية والآداب العربية القديمة ، وصنف أبو عبيدة أكثر من مائة رسالة بقيت عناوينها] (٣) .

(١) علم التاريخ عند العرب ص ٤٤ وما بعدها وص ٣٢٦ .

(٢) ضحى الإسلام ٧١/١ . ولقد أخطأ أبو عبيدة في تقويمه الملوك ببذخها وترفها فالرجال

تقدر بأفعالها - فالعرب لا تفخر بشيء أكثر مما تفخر بانتصارها على ما بها من فقر على الدولة ذات المال والعتاد والأفيال ، وما ذلك إلا بفضل الإسلام الذي جمع قلوبهم وطهرها .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣٧٧/١ .

وجاء في سياق بحثهم في علم التاريخ : [وكان أبو عبيدة من المثل البارزة في ذلك النشاط ، فإنه لم يحمل اسمه أى بحث من مائتى البحث المنسوبة إليه - غير أن بعض هذه وردت بجوهرها في مصنفات ألفت فيما بعد آخذة بأطراف الرواية فيما يختص بشمالى البلاد العربية ومنسقة في صورة سهلة التناول كروايات القبائل المستقلة ، وبطون القبائل - فيما يرتبط بالأيام ، وتنسحب حتى على الروايات التالية لظهور الإسلام ، وعلى الروايات التى احتوت شرح فتوحات الأقاليم المنقسمة بعضها على بعض . وكان أبو عبيدة متهماً بمحاولة الطعن في العرب لمصلحة الشعوبية ، ولكن يستشف من تحقيق هذه التهم وجوب حسابها حججاً على الدراية المجردة من الغرض والتحيز ، لاعلى التحيز المقصود بالذات] (١) .

وجاء في حديثهم عن أيام العرب : [فقد ورد في (الفهرست) : : أسماء كثير من المؤلفين الذين دونوا الأيام ، كلها أو بعضها . ولم يصل إلينا واحد من مصنفاتهم . وإنما الذى وصل إلينا عدة مقتطفات لبعض الكتاب المتأخرين . وقد أخذ غالب هؤلاء عن أبى عبيدة - وهناك رواية مرجعها (ابن خلكان) تقول : إن أبى عبيدة خلف كتابين في أيام العرب - أحدهما : موجز تحدث فيه عن سبعة وخمسين يوماً وآخر مسهب فصل فيه الكلام عن ألف يوم ومائتين] (٢) .

٩- هذا بعض ما قيل عن أبى عبيدة - معمر بن اثنى - الذى قضى أكثر أيام حياته في خصومات علمية من أعنفها وأطولها - الخصومة التى قامت بينه وبين الأصمعى . فأبو عبيدة والأصمعى متقاربان في المولد . وبتقاربان في الوفدة . وكل منهما عمر نحواً من مائة عام . ونحن إذا ما تتبعنا فصول تلك الخصومة - نجدها : خصومة علمية بين علميين من أعلام اللغة وأخبار العرب وأشعارها - استغلها خصوم أبى عبيدة وأنصار الأصمعى في إظهار عيوب أبى عبيدة ونمائه ويسارية عقائده . فشوشوا عليه وأثاروا الغبار حوله . وما زاد موقف أبى عبيدة سوءاً وجعل خصمه في المجتمع يتقلص : مكانة الأصمعى عند (آل سهل) . وفصاحته ولين طباعه . وما جبل عليه أبو عبيدة من عنى وسوء عبيرة وخشونة طبع زدها شراسة : رد الفعل

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، ٤ ، ١٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣ ، ١٨١ و ١٨٢ .

الذي أخذ يتفاقم مع الأحداث التي صادفت حياة أبي عبيدة ، فانساق مع أحقاد الشعوبية ، وجاهر بآراء لم تكن في مصلحته ، وواجه المجتمع بفظاظة في النقد وجرأة في التحدث بمطالب الناس والتأليف فيها ، فلم يسلم من شره أحد كما يقول (أبو الحسن-ثعلب) فكانت حياته الأخيرة - حياة عزلة تجاهله الناس وجعلوا وفاته فلم يحضر جنازته أحد .

وهذه المآخذ كما هي واضحة في أقوال نقاد أبي عبيدة - لم ترق إلى مكانته العامية - فلم يستصغر واحد من نقاده معارفه . فكل ما قاله عنه (ابن قتيبة) و (ابن النديم) وغيرهما ممن نقد أبا عبيدة : أنه إذا أنشد بيتاً لم يقم بإعرابه ، وأنه غليظ اللثة ! ! فالعنى زائداً اللثة الغليظة يولدان ركافة التعبير ، ويتعثران بالمرء ، إذا ما أنشد شعراً أو قرأ نثراً : وإننى لأعرف كثيرين ممن تعمقت معارفهم في تاريخ الشعر : يكسرون الشعر إذا ما أنشدوه ، وأعرف كثيراً ممن تعمقت معارفهم في اللغة وقواعدها : يلحنون إذا ما قرعوا في صحيفة أو في كتاب ، ويكفي لتعرف ذلك إذا ما جلست بجانب الراديو واستمعت إلى محاضرة أو حديث ، وأعرف : أن كثيراً من الذين لاشك في معرفتهم قواعد اللغة يخطئون في إعراب ما يقرعون لا أنهم يجهلون القاعدة بل بناء على ما يتبادر إلى ذهنهم في أثناء إلقاءهم المحاضرة أو قراءتهم الصحيفة .

١٠ - وأبو عبيدة كغيره من معاصريه تنحصر مصادره في أساتذة مدرستي الكوفة والبصرة ويعتمد على المدونات كما تقول دائرة المعارف الإسلامية ، ولكنه لا يهمل السماع : فلقد قام أبو عبيدة بدراسات واسعة تكاد تشمل الروايات العربية الشمالية بكاملها - كما يقول عبد العزيز الدورى ، ومما يلفت النظر : ما جاء في الأعلام عن مؤلفات أبي عبيدة المخطوطة والمطبوعة ، فدائرة المعارف الإسلامية تؤكد : أن مصنفات أبي عبيدة لم يصل واحد منها إلى الجيل المعاصر ! ولعل كتاب دائرة المعارف الإسلامية يقصدون مؤلفات أبي عبيدة في التاريخ ، فالمؤلفات التي ذكرها الزركلى - هي : (نقائض جرير والفرزدق) و (مجاز القرآن) الجزء الأول - و (العتقة) و (البردة - رسالة) - فقد قال عن هذه : إنها طبعت - ولعل النقائض أكثرها انتشاراً ، أما المؤلفات المخطوطة فمنها (طبقات الشعراء) و (المحاورات) و (الخيل) و (إعراب القرآن) .

والذى يبدو من أسماء المؤلفات التى ذكرها (ابن النديم) أن منها مؤلفات تشبه الموسوعات ، ومنها رسائل تشبه تلك التى ألفها (ابن الكلبي) فيما ألفه من مؤلفاته العديدة ، والذى يبدو مما قيل عن أساتذة أبي عبيدة ومصادره : أن (أبا عمرو بن العلاء) فى طليعة الذين تتلمذ لهم أبو عبيدة ، وأن من مصادره (مسجل بن زيداء) وزيداء هى : بنت (جرير) الشاعر العالم بالأنساب ، وجرير - هو : تلميذ جده (الحطفي - حذيفة بن بدر) المعروف بسعة معلوماته فى النسب وفى أخبار العرب^(١) ، ولذلك قيل عن دراسات أبي عبيدة : إنها تعتمد على الرواية العائلية .

وثقة أبي عبيدة بالشعر الجاهلى لاتقل عن ثقة غيره بذلك الشعر . فهو إذا أورد شعراً جاهلياً - وصفه بالشعر الثابت - ومما جمعه أبو عبيدة من أشعار العرب : شعر (امرئ القيس) ولم يطعن فيما جمعه أبو عبيدة - أحد - على ما أعلم - مع أن هناك آخرين كانت لهم مجموعات لامرئ القيس يختلف بعضها عما جمعه أبو عبيده - وديوان (زهير) فى تحقيق (ناصر الدين الأسد) يرجع إلى أصول بصرية - منها : ما هو منسوب إلى أبي عبيدة . ومنها : ما هو منسوب للأصمعي . والذى لم يذكره الأصمعي - قال عنه (أبو حاتم) : [لم يعرفه الأصمعي . وعرفه أبو عبيدة]^(٢) .

وإنى لا أستبعد أن يكون أبو عبيدة رجع إلى مصادر غير عربية فيما يعود إلى التاريخ العربى وإنى غير التاريخ العربى من مؤلفاته . فالذى يستقصى أخبار العرب ويجمع أشعارها - خليف بتتبع الأخبار التى لما صلتها بالنرس فى مصادرها غير العربية - مثل : (يوم ذى قار) وتاريخ اللخمين فى الخيرة - فمن المعروف : أن أبا عبيدة من الذين كانوا يرجعون إلى المدونات . وفى كلامه عن (يوم كلاب) وعن (قباز) ما يدل على أن الرجل كان يرجع إلى مدونات عربية ومن عربية^(٣) .

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٦٦ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى ص ٥٢٩ .

(٣) الأغاني ١٢ / ٢٠٧ .

وفي ختام هذه الترجمة التي حرصنا على أن تكون مختصرة وملمة بحياة أبي عبيدة ، ومعارفه ، وتراثه ومصادره - لا بد لنا من أن نقول: إن أبا عبيدة عالم من أعلام الثقافة العربية، ومرجع من مراجع البحوث التاريخية واللغوية والأدبية، وإن صورتني أبي عبيدة اللتين شاهدناهما فيما تقدم حفلتا بمعان كثيرة تلفت النظر إلى ما كان عليه المجتمع العلمي في القرن الثاني من الهجرة النبوية في العراق، وما كان عليه جهابذة العلماء الذين وثق بما قالوه وجمعوه مؤلفو الموسوعات التاريخية، وتلفت النظر إلى مصادره التي اعتمدت عليها أقوالهم وتحقيقاتهم .

الفصل الثاني عشر

أعلام المؤلفين في التاريخ العربي

بعد القرن الثاني من الهجرة

من صحيفة ٥٤٥ إلى ٥٨٦

الموضوعات :

- ١ - أعلام المؤلفين في التاريخ ومناهجهم من صحيفة ٥٤٧ إلى ٥٥٨
- ٢ - فهرست الموضوعات ومؤلفيها " ٥٥٩ " ٥٧٢
- ٣ - المستشرقون ، والآثار ، وعلم الجيولوجية " ٥٧٣ " ٥٨٦

البحث الأول :

أعلام المؤلفين في التاريخ العربي ومؤلفاتهم

من صحيفة ٥٤٧ إلى ٥٥٨

من موضوعات البحث :

- ١ - التاريخ العربي وكثرة التحقيق فيه .
- ٢ - التاريخ العربي ما زال بعضه مغلفاً بالشكوك .
- ٣ - الموسوعات التاريخية - نتيجة جهد ومتاعب .
- ٤ - الموضوعات التي عني بها المؤرخون .
- ٥ - مسيرة التاريخ العربي ومراحلها .
- ٦ - من هو المؤرخ بين المؤلفين في التاريخ .
- ٧ - مرحلة الانتقال من الموسوعات التي تشمل التاريخ العربي إلى الموسوعات التي تعنى بالقطرية - هي بداية التخصص في علم التاريخ .
- ٨ - المؤرخون في الأقطار الإسلامية بعد القرن الثامن من الهجرة .
- ٩ - الموسوعات التي على البحث أن يختارها نماذج للدراسات التاريخية .
- ١٠ - ابن خلدون ونقده .
- ١١ - التأليف التجارى .

أعلام المؤلفين في التاريخ العربي

بعد القرن الثاني من الهجرة

١ - لا إخالني مبالغاً - إذا قلت إن التاريخ العربي - هو : في مقدمة التواريخ التي تناولتها دراسات علمية لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا ألفت عليها نظرة فاحصة مستقصية ، وإنه على ما بذله جامعو التاريخ العربي من جهد في تقصي الحقائق - وفي تحقيق سند الأخبار - لا تزال الأضواء تسلط على قضايا التاريخ العربي وما زال النقاش فيها يتجدد ، وإن التاريخ العربي في مقدمة التواريخ التي لم يهمل الباحثون جانباً من جوانبها ، وإنه على ما فقدته المكتبات العربية من المؤلفات التي أحصاها (ابن النديم) في (الفهرست) و (حاجي خليفة) في (كشف الظنون) - فإن ما وصل إلينا من الموسوعات التاريخية شيء كثير ، وإن في هذا الشيء الكثير الذي وصل إلينا مثلاً حافلة بكل ما في الحياة الماضية من تجارب ، وما في التجارب من دروس ومواعظ ، وإن هذا الشيء الكثير ما زالت تنميه دراسات الأجيال فتضيف إليه موسوعات حافلة بتحقيقات علمية كموسوعة جواد على ، وفيليب حتى وغيرهما من علماء التاريخ .

٢ - ولا إخالني مبالغاً - إذا قلت : إن النقد على كثرته ، وإن التحقيق على تعمقه لم يزيلا كل لبس وشك عن تاريخ أرض الأنبياء والمقدسات والحضارات ، أرض الطرق التجارية العالمية . والموانئ البحرية الاستراتيجية ، والمعادن النادرة الغالية ، والأنهار التي تفيض خيراً وبركة - فما زالت هناك غوامض أفسحت مجال النقاش والتحقيق لطلاب الحقائق التاريخية : وما زالت كل جولة يقوم بها الباحثون المحققون تنهى بنتائج ذات نفع في معرفة الصواب والخطأ في حياة الراحين الذين ورثنا بعدهم الأرض العربية بتاريخها ومقدراتها ، والتي سنورثها الأجيال القادمة كما ورثناها من أسلافنا - وسيناقش خلفنا هذه الحقبة التي تحملنا فيها تبعة التاريخ كما نناقش اليوم أسلافنا الذين تحملوا مسؤوليات حقب الماضي وتبعاتها .

٣ - ولا إخالني مبالغاً - إذا قلت : إن الموسوعات التي عاجلت قضايا التاريخ : السياسية والاجتماعية والجغرافية والعلمية - هي ثمرة متاعب لا يتحملها إلا الأفاضل - مثل أولئك الذين ساروا في مسالك التاريخ يجمعون لنا أنباء ماضيهم ، ويسجلون أحداث حاضرم - من مسارح السياسة وميادين المعارك ، ومعامل الصناعة ، وحقول الزراعة ، وأساطيل الحرب والتجارة . ومن حلقات العلم . و مجالس الشعر والغناء ، وسمر الظرفاء وخذور الحسان اللواتي شاركن في تطور الحياة العربية ، إلى غير ذلك مما تجمع منه التاريخ السياسي والأدبي والاقتصادي .

فأنت إذا ما بحثت في أي جانب من جوانب التاريخ العربي ولون من ألوانه - تجد : موسوعات ضافية فيها ما هو في نظرك غث . وقد كان في نظر الأقدمين سميناً ، وفيها ما تراه لبحثك جوهرًا ثميناً . وقد كان في بحوث الذين سبقوك تافهاً جاءت به المناسبة فتكلم عنه المؤلف بإيجاز وبدون تعليق . ونجد مؤلفي هذه الموسوعات يحاولون وضع الحياة العربية تحت الشمس . فلم يهملوا التحقيق في مشكلات الإنسان العربي : السياسية والعلمية والاجتماعية بل هم أخذوا يهتمون بكل ما كانوا يملكون من موازين ومؤهلات . وتجد : الكثير منهم سار مع التاريخ العربي من بيته محاولين تصوير تطوراته . وما كان ينتاب الأمم العربية من نشاط وحمول وبروز وانزواء تبعاً لجدية المسئولين عن مقدراتها . وحماس المتكفلين بمعارفها - فهم يبحثون عن عوامل النصر والهزيمة . وارتفاع المستوى الحاقق وانحطاطه . وتخلاف المذهبي والتباين العنصري . والنشاط العلمي إلى غير هذا من الموضوعات ذات الأثر في المجتمع العربي والصور التي تجمع منها التاريخ - مثل : مجالس المتجادلين ونوادير الرحالين ونكات البخلاء وأحضان المغنين . ودثل الأضعة وألوانها والأشربة ومزاجها والملابس وأنواعها . وكل ما يصور لنا حياة الماضي وديع حضارته .

٤ - فالمؤرخون العرب لم يقتصر نشاطهم على الكلام عن التاريخ السياسي وأشوء الدول والشعوب مثل : (ابن جرير الطبري) و (ابن كثير) و (ابن الأثير) وغيرهم - فمنهم : الجغرافيون الذين قدموا لنا مؤلفات جغرافية لها قيمتها مثل : (المسالك والممالك) و (صور البلدان) ومنهم : مؤلفون صنفوا في الحياة الاجتماعية مثل :

(المبرد) مصنف كتاب (الكامل) و (ابن عبدربه) مصنف كتاب (العقد الفريد)
 وابن قتيبة مصنف (عيون الأخبار) ، و (أبو الفرج الأصفهاني) مؤلف كتاب
 (الأغاني) ، ومنهم : المؤلفون في اللغة ، ومنهم : المؤلفون في الأنساب ، ومنهم :
 المؤلفون في التراجم ، ومنهم : المؤلفون في الشعر والشعراء مثل : (ابن دريد) و
 (ابن الكلبي) و (ابن عبد البر) و (ابن سلام الجهمي) - فكل واحد من
 هؤلاء ألف موسوعة علمية لها قيمتها ، وكل موسوعة من تلك الموسوعات - هي :
 جزء مكمل للتاريخ لا يستغنى عنه الباحثون في التاريخ العربي وأطواره .

۵ - ونحن إذا ما تتبعنا المراحل التي قطعها المؤلفون في التاريخ - نجد : المسيرة بدأت
 بجمع الأخبار الجاهلية وإسلامية وكل ما له صلة بالتاريخ العربي ، وبالقصص
 القرآني . ونجد السائرين بدءوا بجمع نصوص من أفواه المخضرمين ، وأبطال المغازي ،
 ورواة الحديث . ومما وصل إليهم من الأسفار وغيرها ، ومن ذخائر (الحيرة)
 ومخطوطات السريان وتراث فارس واليونان والبيزنطيين والحميريين . ونجد الطليعة من
 الرواد بدأت بتدوين ما جمعته تدويناً بدائياً لا يصح أن نسميه تأليفاً -
 مهتدوا به الطريق لحلفهم الذين نهضوا يجمعون شتات الروايات ويربطون
 حلقات الأحداث في مؤلفات تدرجت في أسلوبها وفي تحقيقها مسيرة التطور
 الفكري .

وما فتئت المسيرة تنتقل من مرحلة إلى أخرى . ففي القرن الرابع من الهجرة -
 بدأ المؤلفون في كتابة الحوليات ، وأخذوا يفردون كل عام بحوادثه ، ويقدمون
 السابق تاريخه على المسبوق متطورين في التنسيق إلى أن بلغت المؤلفات التاريخية
 المستوى الذي وصلت إليه موسوعة (ابن كثير) التاريخية (البداية والنهاية) - وهذه
 الحوليات التاريخية ، وإن أفادت باستيعابها الأحداث . وتاريخ حدوثها - لم تنح
 لمؤلفيها فرصة التعمق والتحقيق التي أتاحها التفرغ للكتابة عن تاريخ قطر من الأقطار ،
 أو مدينة من المدن . أو دولة من الدول - ولذلك نجد المادة التاريخية في الموسوعات
 العامة محدودة وغير متعمقة .

وما فتئت المسيرة تتكبد المتاعب في الوصول إلى حقائق الأحداث في ذلك
 الزمن الذي لم تكن فيه وسائل إعلام كوسائل الإعلام المتوافرة للمؤرخ المعاصر -

فكان من ذلك أن انحصرت المصادر السياسية في المقربين من رجال الدولة الذين وضعوا القضايا التاريخية في إطار يرضى المسئولين عنها - أما المؤرخ العادي فلم يكن في مقدوره غير الكتابة عما يشاهده وعما يسمعه مما يتداوله ويفسره رواة الأخبار ؛ أما أسرار الدولة وخفايا مخططاتها فبعيدة عنه - كما هو الحال في عصر البرلمانات والأحزاب ، فما يبرم في الخفاء غير ما يناقش علناً في المجالس النيابية - وبالأكثر في البلاد التي تخضع للديكتاتوريات وراقبتها ، على أن المؤرخين في الوقت الحاضر يجدون فيما تديعه محطات الراديو العالمية . وما تنشره الصحف المتحررة من الرقابة - من تصريحات وبيانات وتعليقات ما يكشف لهم بعضاً مما يبرم وراء الأبواب المغلقة .

بيد أن كل العقبات التي كانت توجه المؤرخ . والصعاب التي كان عليه أن يتحملها - لم تكن عزيمته عن السير قدماً بعلم التاريخ . وعن العدل الدائب لتطوير البحوث التاريخية حسبما تقتضيه المفهوم المتطورة مع الزمن . فكما تطور تنظيم الموضوعات وتنسيقها . تطور كذلك أسلوب المؤرخين . فمن الإنشاء المرسل إلى الإنشاء المسجع ثم التحرر من السجع وقيوده .

٦ - ولقد أسهم الشعر في تسجيل الأحداث التاريخية . فهناك مؤرخون القرو التاريخ نظاماً - مثل : (نشوان الحميري) الذي نظم قصيدة شملت تاريخ اليمن . ومثل : (ابن عبد الظاهر) الذي ألف للسلطان (بيبرس) . تاريخاً منظوماً . وآخرون تنوعت أساليب التدوين كذلك تنوعت الدراسات . واختلقت أحكام مؤرخين على النتائج - متأثرة بالأساطير التي لم تفارق التاريخ . واتى كثر الكلام عنهم . وبتأثره بالزرعات العنصرية والعمائدية . وهكذا تكادست المؤلفات في التاريخ على رؤوف المكتبات العربية . وتكادست أمام القراء والباحثين أنواع من العقائد والاساليب . وليس من الممكن أن نتحدث في هذا البحث عن جميع مؤرخين الذين أحصتهم معاجم المؤلفين . ونقدم صورة لكل مصدر من مؤلفاتهم . ولكن لا بد مما ليس منه بد . لا بد من تقديم مشاهير الأعلام الذين صدرت في بعد القرن الثاني من الهجرة على الرغم مما في ذلك من متاعب البحث عن المشاهير بين المؤلفين . واختيار النماذج الصالحة من الموضوعات التي وصلت إلينا .

لقد قدمنا فيما سبق من هذا الجزء تراجم بعض الرواد الذين جمعوا الأحاديث النبوية وآثار الصحابة والأخبار التاريخية ، والأنساب ، وأشعار العرب ولغاتهم وأيامهم ، والذين نقلوا إلى اللسان العربي تراث الأقدمين ، والذين ألفوا في الجغرافية والاجتماع - من أعلام القرنين : الأول والثاني من الهجرة ، كجزء متمم للنصوص التاريخية ، فلقد أصبحت أقوال أولئك الأعلام نصوصاً اعتمد عليها المؤلفون في التاريخ - فعلينا الآن أن نختار من أعلام المؤلفين من أصبحت مؤلفاتهم مراجع للمشتغلين بالتاريخ والمتخصصين في دراساته .

وعملية الاختيار ليست بالأمر السهل ، فقليل من المؤرخين - هم : الذين لم يخرجوا عن محيط التاريخ - مثل : ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن خلدون ، فنحن إذا ما ألقينا نظرة على معاجم المؤلفين - نجد : الغالبية الساحقة من المؤرخين لم تقتصر على التأليف في التاريخ ، ونجدها قد خرجت بما ألفته في غير التاريخ عن دائرة التاريخ واختصاصاته ، الأمر الذي يجعلنا نسأل : من هو المؤرخ؟! هل هو : كل واحد دوّن الأحداث؟! وأخصر جواب عن هذا السؤال - مع التسامح - : أن المؤرخ - هو من تعمق مع حقائق الماضي وقدم للحاضر : صوراً واقعية ، فأفاد بمؤلفاته في التاريخ بمثلها أفاد بمؤلفاته في غير التاريخ - سواء تفرغ للتاريخ وكل ما له صلة بالتاريخ مثل : (ابن جرير الطبري) ، أم لم يتفرغ له - فمحمد بن حبيب - أفاد بكتابه (المحبر) مثلما أفاد بكتابه (الأنواء) وعرفه الناس مؤرخاً مثلما عرفوه نقادة للشعر .

٧ - والقليل من الموسوعات التاريخية - هي : التي تقيدت بالمادة التاريخية ، واقتصرت على لون من ألوانها . فلقد تنوعت البحوث التاريخية تبعاً لتنوع الحياة في الشرق العربي وتطورها ، وامتدت مع امتداد الدول الإسلامية ، واتساع رقاعها ، وكثرة أحداثها . وتزاحم عناصرها لاسيما في الزمن الذي أخذت اللامركزية : تعزل الأقطار الإسلامية بعضها عن بعض . وتدفع شعوبها إلى الاستقلال عن عواصم الخلافة في (آسيا) و (إفريقيا) و (أوروبا) ، فكما فرض واقع الدول التي نشأت في (الأندلس) الاستقلال عن عواصم الخلافة فكان على المؤرخين : أن يفصلوا تاريخ الأمويين في أوروبا عن تاريخ العباسيين في آسيا ، كذلك فرضت

الدول التي استقلت عن (قرطبة) على المؤرخين : أن يكتبوا عنها وعن دول الطوائف في الأندلس التي آلت بها الحصومات إلى الفناء والاضمحلال ، وكذلك فرض واقع الدول التي استقلت عن (بغداد) في إفريقية وفي آسيا - على المؤرخين : أن يؤلفوا لتلك الدول تاريخاً خاصاً بها ، وفي كل جانب من جوانب حياتها .

وأمام هذا الواقع لم يكن للمؤرخ مناص من الانتقال من عمومية التأليف في التاريخ - إلى الجزئية ، فأفرد كثير من المؤرخين كل قطر بتاريخه ، وأكثر من ذلك أصبح لأكثر الحواضر الإسلامية تاريخ طويل حافل بأحداث لم ير المؤرخون بدءاً من التفرغ للكتابة عنها ، وأصبح الذين جمعوا بين الكتابة في التاريخ العام وبين الكتابة في التاريخ الخاص قلة بين المؤرخين .

فهذه الخصوصية - وإن كانت تعد نوعاً من البحث المتعمق . وبداية للتخصص ، كما نرى ذلك في تاريخ (مكة) للقماسي . وتاريخ (دمشق) لابن عساكر . وتاريخ (بغداد) لأحمد بن طيفور - لم تخرج عن أفق عمومية التاريخ . من حيث نوعية الموضوعات ومصدرها . ومنهج التأليف وأسلوبه . واعتماده على الرواية . وعدم الحيلة فيما ينقله المؤرخ من أخبار .

وجدير بنا وقد تحدثنا عن التاريخ العام والتاريخ الخاص : أن نلقى نظرة عامة على الثقافة التاريخية عندما انتشرت المكتبات العامة والخاصة . وكثرت مدارس التعليم وتنوعت مناهجه . وأخذت الحواجز الدولية تفصل تاريخ الأقطار الإسلامية بما فيها الأقطار العربية - بعضه عن بعض . بكل ما يفرضه الانفصال السياسي والإداري - فلقد كان من الطبيعي أن تصاحب استقلال الأقطار عن الخلافة - تجزئة التاريخ . وتستحوذ تجزئة التاريخ على نشاط المؤلفين . وأن يبرز في كل قطر أعلام ينتمون إليه . ويعد الأندلس من أغنى الأقطار برجال التاريخ فقد نبغ فيه كثيرون - مثل (ابن القوطية) المتوفى سنة ٩٧٨ هـ . وقد ألف كتب (تاريخ الأندلس) . و (ابن الفرضي) المتوفى سنة ١٠١٢ هـ . وقد ألف كتاب (تاريخ علماء الأندلس) . و (لسان الدين بن الخطيب) وغيرهم : كما نبغ في مصر (المقرئزي) المتوفى سنة ٨٢٥ هـ . و (العيني) المتوفى سنة ٨٥٥ هـ . و (أبو الحسن) المتوفى سنة ٨٧٣ هـ . و (علي بن داود الجوهري) المتوفى سنة ٩٠٠ هـ . و (شمس الدين السخاوي) المتوفى سنة ٩٠٢ هـ . و (جلال الدين السيوطي) المتوفى سنة ٩١١ هـ .

و (ابن إياس) المتوفى سنة ٩٣٠ هـ - وظهر في سورية والعراق نوابغ أفادوا الباحثين بما ألفوه من تواريخ ، وظهر في أقصى الشرق الإسلامي مؤرخون لمؤلفاتهم قيمتها - مثل (همام الدين خاوند) - المعروف : بميرخوند - المتوفى سنة ١٤٩٩ م ، فقد استدل بمؤلفاته على أن النقد الورقي استعمل منذ أواخر القرن الثالث عشر من الميلاد . كما ظهر في أقصى الشمال (حاجي خليفة - كاتب جلبي - مصطفى ابن عبد الله) المتوفى سنة ١٠٦٩ مؤلف كتابه المشهور (كشف الظنون) وكتاب (تاريخ كبير) و (مرآة الدنيا) الرسالة التي وضعها في علم الجغرافية - وكما ظهر في الحجاز (أبو الطيب الناسي) المتوفى سنة ٩٣٢ هـ مؤلف كتاب (تاريخ مكة) و (نور الدين السهمودي) المتوفى سنة ٦٧١ هـ مؤلف كتاب (وفاء الوفاء - في أخبار دار المصطفى) و (خلاصة الوفاء) و (ذروة الوفاء) - وغير هؤلاء كثيرون في كل قطر عربي وإسلامي في الشرق الأوسط . أما الذين نبغوا فيما بين القرن الثاني والثامن من الهجرة فساختصر تراجمهم في البحث الآتي .

- ٩

والموسوعات التي وضعت في التاريخ - العام أو الخاص - كثيرة ومتنوعة الموضوعات - فمنها : ما وضع في التاريخ السياسي ، ومنها : ما وضع في التاريخ الأدبي والاجتماعي ، ومنها : ما وضع في التراجم - وليس من الضروري للبحث : الحديث عن كل موسوعة وموضوعها - وإنما المهم للبحث هنا : أن نختار من بين الموسوعات التاريخية - الموسوعات ذات الفائدة لهذا البحث - ولاشك في أن موسوعة (ابن جرير الطبري) التاريخية - هي : من أكثر الموسوعات فائدة للبحث - فهي مثل للاعتماد على النص والحرص على سند الرواية - وأتمودج للمنهج الذي درج عليه بناء التاريخ الأوائل . كما أن موسوعة (ابن خلدون) التاريخية بمقدمتها تمثل المنهج الذي جد على البحوث التاريخية ، والذي يميل إلى نقد الخبر والتحقيق في الرواية .

واقدم أغنتنا مقدمة تاريخ (ابن جرير الطبري) - عن إطالة الكلام عن أسلوب القدامى من المؤرخين . فإلطبري يقول في صراحة : [ليعلم الناظر في كتابنا هذا : أن اعتمادنا في كل ما أحضرت ذكره فيه مما اشترطت أني راسمه فيه - إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواها فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه ، إذ كان

العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادئين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن في كتابي من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل ناقله إلينا ، وإنما أديننا ذلك على نحو ما أدت لنا .

فالطبري بما قاله في مقدمة تاريخه - رسم لنا : صورة واضحة لمؤلفه وكشف عن موقفه من الروايات التي جمعها . وتاريخ الطبري يعد مرآة للعقلية التاريخية ومواقف المؤرخين من الروايات التي تصل إليهم . وتاريخ الطبري يعد مثلاً للاعتماد على الرواية بالنسبة لأسانيدنا ولتحرص على جمع كل ما في وسع المؤلف جمعه من الأخبار على ما في بعضها من مبالغات لا وجه لها في الصحة ولا معنى لها في الحقيقة - كما يقول الطبري .

وجمع الروايات وتبويبها ومعرفة أسانيدنا في زمن الطبري يعد فتحاً جديداً للتأليف في التاريخ - فليس في قدرة الطبري ولا في قدرة الذين سبقوه ممن تكبدوا مصاعب الجمع والتبويب أكثر مما فعلوه : جسماً وتبويباً . فلم يكن في استطاعة : ابن قتيبة . والبلاذري . والدينوري . واليعقوبي وغيرهم ، أن يفعلوا شيئاً أكثر مما قدسوه لنا من الأخبار والترجم ولأنساب ولأسانيد . وما جمعه الطبري والذين سبقوه يعد تراثاً ثميناً له فوائده الجسة وقيدته الكبيرة . فهو لأساس التي قدمت عليه دراسات الحاضر . وهو المرجع للذين يبحثون في ماضي الأمة العربية وقضاياها .

أما ابن خلدون - فهو أقدم مؤرخ وضع الرواية التاريخية على مشرحه النقد . وإن ابن خلدون ككل ناقد . أخطأ وأصاب فيما نقده من الروايات . وقد لا يفتد أن أتعرض لأخطاء ابن خلدون التي تحدث عنها نقادوه . ولكنني أتمت هذا الكتاب الكثير من شكوك ابن خلدون لم يبق لنا محل في تحريه مؤرخين في عصره . من الأثرية . فما عده ابن خلدون مبالغات أفحمتها أخباره المؤرخين في الأصل التاريخي - لا يعد اليوم مبالغات وخيالاً بعد أن أاحت معارف الأثرية العرب عن قصور (الجرهائين) و (السبئيين) و (المعينيين) في الحايح ولبن . وبعد أن تطهرت

الحياة العربية اليوم ، وتبدل فقر شبه الجزيرة العربية المدقع بغنى وافر ، فما كان يستكثره ابن خلدون على العرب القدامى - هو اليوم شيء طبيعي بالنسبة للعرب في العصر الحاضر ، فإذا كان ابن خلدون : يستكثر على (عاد) وشعوب الخليج الإسلامي - العربي - تلك الثروة التي أتاحت لهم بناء المعابد والقصور الملكية مصفحة بالذهب والفضة - فليهنس اليوم لينظر ما اكتشفه الأثريون ودونوه عن حضارة ماضى الخليج الإسلامي - العربي - ولينظر دخل ساحل هذا الخليج اليوم ويرى الحياة العربية في شبه الجزيرة كيف تطورت . أنا لا ألوم ابن خلدون على شكه فيما جاء في رواية الإخباريين كما يسميهم (جواد على) عن (عاد) و (ثمود) ، وما تحدثوا به عن زفاف (بوران) في عصر العباسيين الذهبي - لأنه لم ير ثروات الجزيرة وترفها في عصر البترول - هذه الثروة التي أعادت عصر العباسيين الذهبي وبعثته من جديد في صحارى الجزيرة - وجعلت ما كان يعدّه ابن خلدون مبالغات من وحي الخيال : حقيقة لا مريية فيها - ولقد سبق الكلام عن الحضارات العربية القديمة في الجزء الأول من هذا المؤلف (العرب في أحقاب التاريخ) الذى صدر بعنوان (التاريخ العربى وبدايته) .

حقاً ، إن لابن خلدون وغير ابن خلدون ممن لم يقنع بماضى العرب الذهبي ، فى عصور ما قبل الميلاد - العذر فى شكوكهم ، فلقد انقطعت الصلة بين العصور القديمة التى سبقت الميلاد بعشرات القرون ، وبين عصر ابن خلدون الذى سبقه ميلاد المسيح بعشرات القرون ، فدفن الزمن الطويل كل المعالم والشواهد ، فلم يبق على ظهر الجزيرة العربية غير هذه الرمال الصفراء وتلك الجبال السوداء - فكل ما وصل إلى المؤرخ فى عصر ابن خلدون : أنباء غامضة تركها قدامى المؤرخين - مجردة من كل دليل ، وتناقلتها الأجيال مغلفة بالخيال ومبالغاته .

ولكن الذى يلاحظ على ابن خلدون : أنه فى بعض مواقف نقده نسى أصله العربى - كما نسيه اليوم بعض الذين أعجبوا بحضارة الغرب وثقافته العلمية . فأخذوا ينظرون إلى التاريخ العربى نظرة كلها ريبة وشك ، وأخذوا لا يؤمنون بكفاية العربى وقدرة مواهبه على أن يفعل ما فعله الأوربى فى مجال العلم والاختراع . على أنه مهما كانت صور النقد فى مؤلف ابن خلدون ، ومهما كانت العوامل

التي نخضع لها نقده ، فهو - ولا ريب - قد فتح باباً جديداً في تأليف التاريخ وخطا خطوات واسعة في طريق هذه المرحلة التي باعها التحقيق والنقد في العصر الحاضر .

فثلما كان مؤلف ابن جرير الطبري - (تاريخ الأمم والملوك) مثلاً خالداً للتأليف التاريخي الذي قام على قواعد ليس في قدرتها : أن تحمل أكثر مما حمل أولئك المؤلفون مؤلفاتهم ، ولم يكن في قدرة الذين وضعوها أن يجعلوها أكثر قوة وعمقاً مما هي عليه آنذاك ، فإن تاريخ ابن خلدون (المبتدأ والخبر) و (مقدمته) مثل رافع لتطور التأليف والعروج به إلى مستوى التحقيق والتحليل والنقد العلمي .

١١- وأخيراً لا بد لنا هنا من أن نقول : إن كثيراً من الرجال قد برزوا بعد القرن الثاني من الهجرة ، وإن مئات المصنفات قد ألفت . وإن مهمة هذا البحث لاتلزمنا بإحصاء رجال التاريخ من بعد القرن الثامن كما لم يلزمنا البحث في تراجم الرواد أن نذكر جميع بناء الثقافة التاريخية في القرنين : الأول والثاني من الهجرة - لاسيما في العصر الراهن الذي أصبح التأليف فيه مهنة يشغل بها الكثيرون . وأصبحت أكثرية المؤلفات تجارية فرضت - على مؤلفيها حاجة السوق العلمي إليها : عدم التقصي والتحقيق . فامتألت المكتبات التجارية وامتألت دور الكتب بنحضم من مؤلفات أحصتها مجموعة من القوائم التي تصدرها المطابع - فقليلة جداً المؤلفات التي يبذل مؤلفوها في العصر الحاضر جهداً يتعمق بالدراسات التاريخية - ليخرج بنتائج لها قيمتها - مثل (محمد المثل الكامل) لحسين ديكل و (عصر المأمون) لأحمد فريد رفاعي و (النثر الفني) لزكي مبارك و (فجر الإسلام وضحي الإسلام) لأحمد أمين . و (الفتنة الكبرى) لطف حسين و (مصادر الشعر الجاهلي) لناصر الدين الأسد و (تاريخ العرب) لجواد علي و (تاريخ العرب العام) لنيلب حتى . و (العرب قبل الإسلام) لجرجي زيدان .

إنما الذي يستدعيه البحث - هو : تقديم بعض أعلام المؤرخين من بعد منتصف القرن الثاني من الدين تركوا مؤلفات أصبحت مصادر لاغنى عنها في البحث التاريخي والإشارة إلى بعض مؤلفاتهم لتمام أماننا صورة مصادر التاريخ العربي التي يستهدف هذا الجزء رسمها .

البحث الثاني :

فهرست الموسوعات ومؤلفوها

من صحيفة ٥٥٩ إلى ٥٧٢

من موضوعات البحث :

- أقدم مؤلف في السيرة حافظ على كيانه الأصلي هو كتاب الواقدي .
- أوائل الذين ألفوا في تاريخ المدن - الأزرقى .
- بداية جمع الحديث النبوى - البخارى .
- بدأ التأليف في التاريخ بمعناه الأعم - بمؤلفات البلاذرى .
- من قدامى المسلمين الذين عنوا بتاريخ النصارى : محمد الشابشى .
- المسعودى إنسان يمثل دائرة معارف عامة .
- ابن الأثير وأسلوبه الرقيق .
- أبو الفداء : أمير ومؤرخ وجغرافى ونحوى .

فهرست الموسوعات ومؤلفوها

- ١ - الواقدي - عبد الله محمد بن عمر المدني المتوفى سنة ٢٠٧ هـ أستاذ (ابن سعد)
وأحد الأوائل الثقات الذين عنوا بالمغازي والسير . ذكر له (ابن النديم) مؤلفات
كثيرة منها : (التاريخ والمغازي والبعث) ومنها : (الطبقات)^(١) ، وقال عنه :
خلف الواقدي ستمائة قمطر كتباً - كل قمطر منها حمل رجلين . والواقدي في
مؤلفاته اقرب بعلم التاريخ القائم على الحديث - إلى الأسلوب التاريخي ومادته .
وتقول دائرة المعارف الإسلامية : (وتاريخ المغازي للواقدي - هو : وحده الذي
حفظ كيانه بوضعه الأصلي)^(٢) أما (الطبقات) فلا يعرف الكثير عنها شيئاً .
- ٢ - أبو عمرو الشيباني - إسحق بن مِرار الشيباني بالولاء المتوفى سنة ٢٠٦ هـ -
من أساتذة الإمام (أحمد بن حنبل) قال (ابن النديم) عنه : روى أشعار القبائل
كلها ، وله بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه - فمن ولده (عمرو) روى عنه وأخذ
منه وصنف كتباً منها (كتاب النوادر)^(٣) .
- ٣ - الهيثم بن عدى الطائي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ أو سنة ٢٠٩ هـ المؤرخ الذي جمع
بين الدراسات التاريخية والأنساب . والذي سبق المؤرخين العرب في ترتيب الحوادث
حسب السنين فكان بذلك قدوة للطبري وغيره . ذكر له ابن النديم نحواً من واحد
وخمسين مؤلفاً في التاريخ والنسب والتراجم^(٤) .
- ٤ - نصر بن مزاحم الكوفي المتوفى سنة ٢١٢ هـ قيل : إنه إخباري شيعي . له
من الكتب كتاب (صفين) و (الجمل) و (مقتل الحسين) و (مقتل
حجر بن عدى) و (أخبار المختار) و (المناقب) .

(١) النهري ص ١٤٤ .

(٢) دائرة المعارف ٤ / ٤٨٧ .

(٣) الفهرست ص ١٠١ .

(٤) الفهرست ص ١٤٥ .

٥ - الأصبغى - عبد الملك بن قريب الباهلى المتوفى سنة ٢١٣ هـ أو ٢١٤ هـ مصدر من مصادر كثير من المؤرخين مثل (الدينورى) وغيره ، له الفضل فى جمع الكثير من أخبار الجاهلية - وقد نوّهنا به فى تراجم رواد التاريخ فى مجال الشعر الجاهلى ولغته - التى تقدمت فى هذا الجزء - له مؤلفات كثيرة منها (كتاب جزيرة العرب) و (كتاب القصائد الستة) و (كتاب مياہ العرب) و (كتاب النسب)^(١) .

٦ - ابن هشام - أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، قال عنه جرجى زيدان : [وأقدم ما وصل إلينا من أخبار الجاهلية على يد مؤرخى المسلمين فصولاً نشرها ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق] له (القصائد الحميرية - اليمن وملوك الجاهلية) و (التيجان فى ملوك حمير)^(٢) وقد سبق الكلام عنه فى كثير من بحوث هذا الجزء .

٧ - الأزرقى - أبو الوليد أحمد بن محمد المتوفى سنة ٢٢٢ هـ . والأزرق جد من جدود العرب إليه نسب أبو الوليد أحمد المؤرخ الذى يعدّ : أول من جمع الروايات الخاصة بتاريخ مكة . ولأزرقى هو من أوائل الذين اهتموا بجمع الروايات التى تهتم بتاريخ قطرهم - إذا لم يكن الأول .

٨ - المدائنى - أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله المدائنى مولى شمس بن عبد مناف المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ذكر له ابن النديم فى فهرسته : حوالى مائتين وستة وثلاثين كتاباً - وزاد على هذا العدد (ياقوت) فى معجمه . وهذه الكتب على ما يظهر لا يعدو أكثرها - أن تكون فصلاً من كتاب ، على أن منها موسوعات مثل : (كتاب المغازى) الذى قال عنه (أبو الحسن الكوفى) : إنه يقع فى ثمانية أجزاء^(٣) . ولقد اعترفت دائرة المعارف الإسلامية بسعة اطلاع المدائنى وأمانته بحوثه فصدرت عنه : [ولما كان المدائنى قد تناول جميع الروايات العرقية بتسليم فقد السليم الذى يتمشى وذهب أهل المدينة فقد اشتهر مصنفه بصدق الرواية .

(١) الفهرست ٨٢ .

(٢) تاريخ العرب لجرجى زيدان ص ٢٤ ، والأعلام لبربرلى ٣١٤ .

(٣) الفهرست ص ١٥٧ .

وغدا بذلك المرجع الأول لمصنفات العصر التالي [(١)] .

٩ - ابن سعد - محمد بن منيع البصرى الزهرى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ تلميذ الواقدي - وصاحب الموسوعة المعروفة بطبقات (ابن سعد) وبالطبقات الكبرى - وطبقات ابن سعد أشهر من أن تعرف : وأسلوب ابن سعد فى تأليفها واضح فهو يعتمد على الرواية : ويحرص على التعليق على كل من هو ضعيف فى روايته .

١٠ - أبو عبد الله - محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٤٢ هـ من الإخباريين والرواة ، ومن نقدة الشعر الجاهلى . له من المؤلفات (الفاصل فى ملح الأخبار والأسفار) و (بيوتات العرب) و (طبقات الشعراء الجاهليين) و (طبقات الشعراء الإسلاميين) وغيرها .

١١ - محمد بن حبيب مولى ابن عباس المتوفى سنة ٢٤٥ هـ . وأشهر مؤلفاته على كثرتها - كتابه : (الخبر) فهو من نوادر المؤلفات .

١٢ - الجاحظ : أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ أشهر مؤلفاته . (البيان والتبيين) الذى لا يزال مرجعاً للباحثين .

١٣ - الزبير بن بكار المدنى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ - مؤرخ وشاعر - من سلالة عبد الله بن الزبير - تولى قضاء مكة وهو من تلاميذ المدائنى . ذكر له (ابن النديم) : واحداً وثلاثين كتاباً - منها : (أخبار العرب وأيامها) و (العقيق وأخباره) و (الأوس والحزرج) و (وفود النعمان على كسرى) و (نسب قريش وأخبارها) ، وقد طبعت له أجزاء من كتاب (الموفقيات) الذى جمع أخباراً ونوادر تاريخية .

١٤ - محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ . والبخارى معروف بصحيحه أكثر مما هو معروف بتاريخه - فلبخارى (التاريخ الكبير) و (التاريخ الصغير) وموضوعهما : تراجم رجال السند - وله أيضاً (الضعفاء) فى رجال الحديث و (خلق أفعال العباد) و (الأدب المفرد) .

وإذا كان أمر الخليفة الأموى (عمر بن عبد العزيز) الصادر إلى (أبى بكر ابن هشام) فى آخر المائة الأولى من الهجرة : أن انظر ما كان من حديث رسول الله

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٩٠ .

عليه السلام وسنته - واكتبه - (١) هو البداية لجمع الحديث على الصورة التي جمع بها (موطأ مالك بن أنس) - فإن بداية جمع الحديث سبقها تدوين كبار الصحابة وجمعهم الأحاديث حسب موضوعاتها - فلقد دون (محمد بن شهاب الزهري) مواد الحديث نزولاً على أمر عمر بن عبد العزيز نفسه كما في بعض الروايات - أو أمر (هشام بن عبد الملك) كما في بعضها الآخر . ولقد فقدت مدونات ابن شهاب مع ما فقد من ذخائر الأمويين (٢) .

أما ما فعله أبو بكر بن حزم - فإنه يعدّ البداية لجامعي الحديث من القدامى - مثل : (ابن جريج) المتوفى سنة ١٥٠ هـ . و (محمد بن إسحاق المدني) المتوفى سنة ١٥١ هـ . و (معمر اليمنى) المتوفى سنة ١٥٣ هـ . و (سعيد بن عروبة) المتوفى سنة ١٥٦ هـ . و (الأوزاعي) المتوفى سنة ١٥٦ هـ . و (الربيع بن صبيح) المتوفى سنة ١٦٠ هـ . و (سفیان الثوري) المتوفى سنة ١٦١ هـ . و (الليث بن سعد) المتوفى سنة ١٧٥ هـ . و (حماد بن سلمة) المتوفى سنة ١٧٦ هـ . و (مالك بن أنس) المتوفى سنة ١٧٩ هـ . و (ابن المبارك) المتوفى سنة ١٨١ هـ (٣) .

وهذه الخواميع - وإن كانت متعاصرة كما هو واضح من تاريخ وفيات أصحابها - لم تجمع في مدينة واحدة . فمن جامعيتها : المدني . والبصري . والكوفي . وخراساني . والمصري - وإنما كانت المدينة المنورة نقطة الانطلاق . وهذه الخواميع على كثرتها وعلى اهتمام المدن التي جمعت فيها لم يقدر البقاء لواحد منها ، ما خلا موطأ مالك ، وبعد (صحيح البخاري) أكبر مجموعات الحديث وأصحها . فالبخاري لم يقتصر فيما جمعه على رواية بلد واحد كما فعل من تقدمه مثل : مالك بن أنس الذي جمع أحاديث الحجازيين وبخاصة أحاديث المدنيين . ولم يتساهل في التصحيح كما تساهل من جاء بعده . فهو لم يأخذ عن مالك بعض الأحاديث التي سقطت من سندها أو أكثر - فهو إن ذكر بعض هذه الأحاديث يدرجها في سندها مع الإشارة إلى سندها .

(١) ضحى الإسلام ١٠٧٠٢ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤ : ١٦٦ ، إسلام ، حاضرة ، تاريخ ، ١١٢ .

(٣) ضحى الإسلام ١٠٧٠٢ / ٢ .

فصحيح البخارى نال من التقدير والشهرة أكثر من غيره من الصحاح الموجودة في أيدي الناس - صحيح (مسلم) المتوفى سنة ٢٦١ هـ ، وسنن (ابن ماجه) المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ، وسنن (النسائي) المتوفى سنة ٢١٥ هـ ، وسنن (أبي داود) المتوفى سنة ٢٧٥ هـ : وسنن (الترمذى) المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .

وفي هذه الصحاح - أحاديث اجتهد جامعوها في إيضاح الصحيح منها - والذي في سنده نظر - ومن الأحاديث التي جمعت في هذه الصحاح أحاديث وجد فيها المؤرخون نصوصاً تاريخية لها قيمتها الكبيرة في أحكام التشريع وقضايا التاريخ .

١٥ - عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ مؤلف كتاب (تاريخ مصر - وفتوح المغرب) : وقد قالت دائرة المعارف الإسلامية عن مؤلفه: [إنه أقدم تاريخ وضع لقطر من الأقطار باستثناء كتاب الأزرقى - ومما هو جدير بالذكر : أن مؤلف عبد الحكم يحتوى على المواد المميزة للتواريخ الغامضة] (١) .

١٦ - عمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ من تلاميذ المدائنى - أرخ للمدن الإسلامية الكبرى : مكة ، المدينة ، البصرة ، الكوفة - وقد لفت الأنظار إلى كتابه عن المدينة (السيد السمهودى) في مؤلفه (وفاء الوفاء) بكثرة ما أخذ عنه - وقد كان كتابه عن المدينة موجوداً في مكتبة عارف حكمت إلى وقت قريب ثم فقد - وقد وجدت أخيراً في إحدى مكتبات المدينة الخاصة نسخة خطية منه . وكذلك لف السمهودى النظر إلى (ابن زباله) الإخبارى النسابة مؤلف كتاب (أخبار المدينة) .

١٧ - ابن قتيبة - أبو محمد عبد الله المروزي - نسبة إلى مرو ، المتوفى سنة ٢٧٠ أو سنة ٢٧٦ هـ مؤلف مكثر رجع في تأليفه إلى مؤلفات الذين سبقوه ، وذلك ما جعل ناقديه يتهمونه بالنقل من المدونات مثل كتاب (الشريف) مؤلفه (وكيع) . من أشهر مؤلفاته التي ما زالت مرجعاً هاماً لدى المؤرخين : كتاب (المعارف) و (الشعر والشعراء) و (عيون الأخبار) . وقال عنه (ابن النديم) :

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٩٣ .

سمى الدينوري لأنه كان قاضي الدينور ، وذكر له مؤلفات كثيرة (١) .

١٨ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ المؤرخ النسابة من أشهر مؤلفاته : (فتوح البلدان) و (أنساب الأشراف) من مصادره : ابن سعد ، والمدائني . وابن الكلبي وقد تقدم ذكره مع الذين نقلوا المؤلفات الفارسية إلى العربية - ولعل أصله الفارسي هو الباعث لحماسة للنقل من الفارسية إلى العربية - قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : [إن بداية التاريخي بمعناه الأعم - أي التوفيق بين المواد المستمدة من السير ومختلف المصادر وإدماجها في رواية تاريخية متماسكة ، ترجع إلى منتصف القرن الثالث . وأقدم مؤلف سار على هذا النهج هو (البلاذري)] (٢) . ويقول ابن النديم عن جده جابر : كان شاعراً راوية ووسوس آخر أيامه . وسبب وسوسته أنه شرب البلاذر على غير معرفة فلقب لذلك بالبلاذري (٣) .

١٩ - أحمد بن طيفور - أبو الفضل بن أبي ضاهر المتوفى سنة ٢٨٠هـ له مؤلفات فقدت يبلغ عددها نحواً من خمسين كتاباً من أشهرها كتابه : (تاريخ بغداد) الذي لم يعثر على غير الجزء السادس منه - وقد كتب ابنه (عبد الله ابن أحمد بن طيفور) ذيلاً على كتاب أبيه تضمن أخبار المعتصم والمعتضد والمكتفي والمقتدر من خلفاء بني العباس .

٢٠ - أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢هـ المنسب المؤرخ النحوي المغوي المهندس المنجم الخاسب الراوية إلى غير هذه الصفات التي أسبغها عليه الذين أخرجوا كتابه (الأخبار الطوال) في طبعته الأخيرة . وحق يقال إنه يعد مدرسة جمعت أفضل المواد الثقافية . فقد قيل عن مؤلفته : أن الرجل ذو مواهب نادرة - من مصادره في تاريخه (الأخبار الطوال) - شريفة . والهيثم بن عدي : والشعبي - وغيرهم من رموز الأصول وتاريخه :

(١) النهيت ص ١١٥ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٤٩١ .

(٣) النهيت ص ١٦٤ .

الأخبار الطوال من الكتب التي يرجع إليها المؤرخون في العصر الحديث .

۲۱ - ابن واضح اليعقوبى - أحمد بن يعقوب المتوفى سنة ۵۲۹۲ هـ من المؤرخين الأعلام^۱ الذين عنوا بالجغرافية كما عنوا بالتاريخ ، والذين عنوا بتاريخ النصرانية والنصارى - وقد اشتهر بمؤلفيه : (تاريخ اليعقوبى) و (البلدان) ، وهذان الكتابان مطبوعان - والغريب : أن اليعقوبى على شهرته وقرب عهده بالنسبة للذين سبقوه من المؤرخين قد اختلفت الأقوال فى وفاته فمن قائل إنه توفى سنة ۲۷۸ هـ وقائل : إنه توفى سنة ۵۲۹۲ هـ .

۲۲ - الطبرى - أبو جعفر محمد بن جرير المتوفى سنة ۳۱۰ هـ . وابن جرير فى رأى الناقدین ثقة فى تاريخه . ثقة فى تفسيره . اعتمد عليه المؤرخون والمفسرون الذين جاءوا من بعده . فأكثر الروايات التى سجلها فى تاريخه وفى تفسيره تعد نصوصاً تاريخية - والروايات التى جمعها فى مؤلفيه منها : ما أبدى رأيه معترضاً أو مؤيداً . ومنها : ما ترك أمر تحقيقه للذين يأتون من بعده .

۲۳ - أحمد بن أعثم الكوفى - أبو محمد بن على المتوفى سنة ۳۱۴ هـ مؤرخ عربى نهج فى تاريخه نهجاً قصصياً - طبعت بعض مؤلفاته فى بمباى طبعة حجرية سنة ۱۲۰۰ هـ ، نقل عنه (أوزلى) وغيره من المستشرقين . من مؤلفاته (الفتوح) إلى أيام الرشيد ، و (التاريخ) من أيام المأمون - وقال ياقوت : [ترجم كتابه الفتوح إلى الفارسية ومنها إلى الأوردية]^(۱) .

۲۴ - ابن الأنبارى - محمد بن القاسم الأنبارى المتوفى سنة ۳۲۸ هـ تصدى للرد على من خالف مصحف عثمان . كما أبرز أشعار فحول الشعراء الجاهليين مثل زهير والنابغة الجعدى فهو مؤرخ عالم ناقد أديب .

۲۵ - أحمد بن عبد ربه من المؤرخين الأندلسيين ومن معاصرى (الطبرى) و (حمزة الأصفهاني) توفى سنة ۳۲۸ هـ - وأحمد بن عبد ربه هو مؤلف (العقد الفريد) - والعقد الفريد - ليس مؤلفاً تاريخياً ولكنه لم يخل من أخبار الجاهلية التى رجع إليها الباحثون فى تاريخ الجاهليين مثله كمثل الأغاني التى كان موضوعها

(۱) الأعلام للزركلى ۹۶/۱ .

الأصوات التي جمعها أبو الفرج واكنه شمل أخباراً جاهلية وأخباراً إسلامية وأدباً و طرفاً ونقداً وتقريراً وتراجيحاً .

٢٦ - الحمداني - أبو محمد الحسن أحمد المتوفى سنة ٣٣٤ هـ المؤرخ العليم بالخطوط الحميرية . والجغرافي الحبير بجزيرة العرب لاسيما الجنوب منها صاحب - كتاب (الإكليل) وكتاب (صفة جزيرة العرب) المصدرين اللذين قدرهما واعتمدهما الكاتب المعاصر : الشرقي والمستشرق .

٢٧ - الصوفي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ امتاز في تأليف (كتاب الأوراق في تاريخ العباسيين) بجمعه بين التراجم السياسية والتراجم الأدبية .

٢٨ - علي بن محمد الشاشي المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ذكرته دائرة المعارف الإسلامية عندما ذكرت الذين ألفوا بالعربية في تاريخ الكنائس النصرانية - وقالت عنه : [إنه المسلم الذي عني في تأليفه بتاريخ الديارات النصرانية في مصر . وفي غربي آسيا . وإن من العجيب أن يؤلف مسلم في الديارات النصرانية !!]^(١) .

٢٩ - أبو الحسن المسعودي نسبة إلى عبد الله بن مسعود المتوفى سنة ٣٤٥ هـ . والمسعودي من القليلين الذين حازوا إعجاب الناقد العربي والمستشرق . في الماضي والحاضر . وهن القليلين الذين كانوا يشبه بدثرة معرف شهرة . فهو كما يتضح في بحث من ترجمه : أحاط بتاريخ اليونان والرومان وكثير من الأمم القديمة . وعرف الكثير من معتقدات : اليهود والنصارى والزندقة بالإضافة إلى سعة علمه بالتاريخ العربي والتشريع الإسلامي . قال عنه (سيديو) في كتابه : (تاريخ العرب العام) : [ولا تخشى التكذيب إذا قلنا : إنه لم يظهر بين مؤرخي العرب مؤرخ بالغ من الفضل والشامل . بلغه المسعودي وإذا كان المسعودي محتاجاً إلى روح النقد أحياناً فأنذكر : أن حب الاستطلاع والحرص على زيارة الأماكن التي أراد الوقوف على تاريخها وكان يساق إلى من مخصصات أصل مشكوك فيه . ويظن : أن المسعودي توفي في مدينة مصر قبل أن يرى العراق مرة أخرى - ولا تعرف أوطاناً شيئاً عن كتابيه المهمين (أخبار الرومان

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٤٩٩ .

والأوسط) (۱) الواقعين في أكثر من عشرين مجلداً من القطع الكبير ولكن كتابه : (مروج الذهب ومعادن الجوهر) انتهى إلينا واطلعنا فيه على حوادث عجيبة ونافعة . وتحدث فيه عن تاريخ قدماء العرب والأمم الأجنبية إلى غير أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه [(۲)] .

وجاء في الأعلام لخير الدين الزركلي - نقلاً عن الذهبي : [عداة في أهل بغداد - وكان معتزلياً ومن مصنفاته : (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) في نحو ثلاثين مجلداً - بقي الجزء الأول مخطوطاً - و (مروج الذهب) مطبوع . و (التنبيه والإشراف) مطبوع و (أخبار الأمم من العرب والعجم) إلى كثير من المؤلفات التاريخية [(۳)] .

وجاء في الفهرست : [هذا الرجل من أهل المغرب يعرف بأبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي من ولد عبد الله بن مسعود] (۴) ويبدو مما قيل عن معارف المسعودي : أنه اطلع على مؤلفات فارسية ، ويهودية ، وعربية في المدن التي رحل إليها وتنقل بين مكباتها . فهو كما يظهر قد رجع إلى مكبات (إصطخر) من أرض فارس واطلع على كثير مما احتوته ، كما اطلع في بغداد وفي مصر وفي غيرها من المدن على مصادر اعتمد عليها في مؤلفاته . ويبدو أن للرجل حافظه قوية وذكاء نادراً ، فكان بذكائه وحافظته وسعة اطلاعه : مجموعة من الثقافات .

۳۰ - أبو الفرج الأصفهاني - علي بن الحسين القرشي المدني سنة ۳۵۶ هـ أو بعد سنة ۳۶۰ هـ كما في الفهرست ، مؤلف موسوعة الأغاني . وأبو الفرج بمؤلفه معروف لا يحتاج إلى تعريف . والأغاني بانتشارها بين مختلف الطبقات وانتشار ما قيل عنها - هي أيضاً غنية عن التعريف . بيد أن أبا الفرج الأصفهاني ظهر في ترجمة

(۱) لعل هناك خطأ مطبعياً فإن الذين ترجموا المسعودي لم يذكروا له كتاباً باسم (الأوسط) ولعله يعني كتابه (أخبار الأمم من العرب والعجم) .
 (۲) تاريخ العرب العام ص ۴۷۵ .
 (۳) الأعلام ۵ / ۸۷ .
 (۴) الفهرست ص ۲۱۹ .

حماد الراوية: أنه حاطب ليل ، وظهر في ترجمة ابن شهاب الزهري أنه شيعي متحزب - الترجمتين اللتين تقدمتا في هذا الجزء ، فعلى الذى يرجع إلى الأغاني أن يكون حذراً كثير الحرص ، ولقد ذكر له ابن النديم مؤلفات أخرى^(١).

٣١ - حمزة بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٦٠ مؤلف كتاب (سنى الملوك) . وكتاب سنى الملوك اشهر فى العصر الراهن أكثر مما اشهر فى العصور المتقدمة . فهو من مراجع كثير من المؤرخين فى العصر الحاضر . اعتمد عليه جرجى زيدان وجواد على وغيرهما .

٣٢ - إبراهيم بن محمد الفارسي بن إسحاق الإصطخرى المتوفى سنة ٥٣٥٠ هـ وإصطخر اسم مدينة نسب إليها كثيرون - و (كتاب المسالك والممالك) اسم سبق الإصطخرى إليه كثيرون - كما رأيت فيما تقدم من هذا الجزء . والمسالك والممالك لابن خرداذبة أشهر من المسالك والممالك لابن إسحاق الإصطخرى - فلم يكن لابن إسحاق الإصطخرى شأن بين المؤلفين الذين نوهنا بهم . ولكن ظهور كتابه حديثاً فى طبعة جديدة أزيمة نمت الأنظار إليه .

٣٣ - القاضى أبو القاسم - صاعد بن أحمد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ مؤلف كتاب الطبقات . وكتبه على صغر حجمه فوائده لسؤرخ النبى يبيحث فى الزاوية التى أهملت زهناً طويلاً .

٣٤ - نشوان بن سعيد الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣ هـ - قال عنه جواد على : [قد أفادت قصيدته فائدة لا بأس بها فى تاريخ اليمن . وإن لمعرفة نشوان بخط المسند أهمية بالغة فى الحكم على معرفة أهل اليمن بخط المسند]^(٢) . ونشوان : كتاب يسمى : (شمس العلوم) وكتاب (الخور العين) و (القومى) و (الخور العين) و (القلائد) . وقيل عن نشوان : إنه قاض علامة وثار ضروح استولى على بلاد من قلاع اليمن وحصونها وجعل من نفسه ملكاً^(٣) .

(١) الفهرست ص ٢٦٧ .

(٢) تاريخ العرب ١/٥٤ و ٥٦ .

(٣) راجع ترجمة نشوان فى مقدمة كتابه (ملك حمير وأقبال اليمن) .

٣٥ - ابن عساكر - علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم المتوفى سنة ٥٧١ هـ المؤرخ المعروف بتاريخه (تاريخ دمشق) زميل (السمعاني) صاحب (الأنساب) - وتاريخ دمشق اختصره (عبد القادر بدران) فحذف الأسانيد والمكررات وسمى (المختصر - تهذيب تاريخ ابن عساكر) - طبع من المختصر سبعة أجزاء والباقي لا يزال مخطوطاً^(١) ولا بن عساكر مؤلفات أخرى .

٣٦ - ابن الأثير - عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المتوفى سنة ٦٣٠ هـ صاحب التاريخ المعروف (الكامل) ومؤلف كتاب (أسد الغابة) . وابن الأثير يطلق على ثلاثة إخوة اكل واحد منهم شهرته العلمية . وتاريخ ابن الأثير (الكامل) وإن لم يسلم من النقد في العصر الحاضر - فهو قد لفت الأنظار إليه برشاقة أسلوبه ، وما قدمه من النصوص رجع إليه المتأخرون عندما حققوا قضايا التاريخ - أما كتابه أسد الغابة فيكفي لتقدير أثره . أنه قدم لقرائه سبعة آلاف وخمسمائة وخمسين صحابياً كما مر بنا .

٣٧ - ابن القفطى - علي بن يوسف الشيبانى وزير حلب المؤرخ المعروف بالقاضى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ . بدأ دراسته في مصر وأتمها في بيت المقدس ثم رحل إلى حلب حيث وقف عشرة أعوام من حياته في البحوث الأدبية . وأكثر مؤلفاته تاريخية . فقد كتب عن تاريخ القاهرة . والمغرب . والسلاجقة - إلى غيرها من الأماكن والدول التي ألف في تاريخها^(٢) .

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية . [ولم يصل من مؤلفات ابن القفطى غير كتاب واحد وهو : (تاريخ الحكماء) وهو على جانب من الأهمية . إنه معين لا ينضب من المعلومات الخاصة بمعارف العرب عن مؤلفات الإغريق وعن آثار الإغريق . توفى سنة ٦٤٦ هـ]^(٣) .

واقدم سبق أن تكلمنا عنه في بحث مكتبة الإسكندرية وما يقوله البعض إن العرب أحرقوها .

(١) الأعلام للزركلى ٨٢/٥ .

(٢) الأعلام للزركلى ١٧٨/٥ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٢٦٤/١ .

٣٨ - تاج الدين الساعى - المتوفى سنة ٦٧٤ هـ - نحافى تاريخه أسلوب السجع الذى ساد فى العراق وفى فارس والذى تحرر منه الدهشقيون - مثل : بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وأبى الشامه المتوفى سنة ٦٦٥ هـ .

٣٩ - ابن خلكان أحمد بن إبراهيم شمس الدين المتوفى سنة ٦٨١ هـ - قالت دائرة المعارف الإسلامية عن كتابه (وفيات الأعيان) : [قد ابتدع ابن خلكان النوع العام فى التراجم . والحق يقال : إن دقته تبرر ما لاقاه الكتاب من ذبوع]^(١) .

٤٠ - ابن العبرى - أبو الفرج - المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ، تقول دائرة المعارف الإسلامية : [إنه آخر القدماء من مؤلفى السريان] . وقد سبق الكلام عنه فى مبحث حرق مكتبة الإسكندرية . وعن مكانته بين المؤرخين .

٤١ - ابن سعيد : أبو الحسن على بن موسى المغربى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . مؤلف (المغرب فى حلى المغرب) وغيره من المؤلفات التى فقدتها المكتبة العربية . فلم يبق من مؤلفاته غير أجزاء متفرقة اعتمد عليها كثير من المؤرخين مثل : ابن خلدون . وتقول دائرة المعارف الإسلامية : [ولم يبق من مؤلفاته إلا أجزاء كافية للدلالة على أنه اعتمد فيها على نسخ كثيرة موثوق بها من نادرة مؤلفات قديمة . وكان ابن سعيد هذا رحالة لا يكمل دعواً على البحث لا يعثور عزيمته وهن]^(٢) .

٤٢ - أبو الفداء - إسماعيل بن على بن عمر الأيوبي . يرجع نسبه إلى عماد الدين الأيوبي توفى سنة ٧٣٢ هـ . وأبو الفداء أمير مؤرخ . ومؤرخ جليل . جمع بين العلم والسياسة والتاريخ . فتقديره . كان شاملاً كان مؤرخاً مدققاً فلم تانها إمارة حماة وشؤونها عن الأدب والعلم . مؤلف (المختصر فى أحوال البشر) وألف كتابه (تقويم البلدان) وقد ترجم إلى اللغات الأفرنجية . وله أيضاً غير هذين الكتابين مؤلفات مثل : (تاريخ الدولة

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، ٥ / ٥٠٤ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ٤ / ٥٠٠ .

الحوارزمية) كما ألف في النحو والصرف (١).

٤٣ - اليافعي عبد الله بن أسعد - عفيف الدين المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، نسبه إلى بنى يافع من حمير ، ولد ونشأ في عدن ، مؤلف (مرآة الجنان) . وقد سبق أن أشرنا إليه كثيراً حيث إن كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) من مصادر هذا الكتاب ، ولقد قامت بطبع هذا الكتاب دائرة المعارف العثمانية الحيدرآبادية ، وله مؤلفات غير كتابه (مرآة الجنان) . واقتدأهتني هذا الكتاب دائرة المعارف العثمانية مع كتب غيره - وذلك عندما زرتها قبل أن تستقل الهند - مدعواً من بعض أصدقائي هناك .

٤٤ - إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير المتوفى سنة ٥٧٧٤ هـ ، مؤلف (البداية والنهاية) الموسوعة التاريخية التي سبقت الإشارة إليها في بعض بحوث هذا الجزء .

٤٥ - ابن خلدون - عبد الرحمن المؤرخ الناقد توفي سنة ٨٠٨ هـ - وابن خلدون اسم عرف به مؤرخان عربيان شقيقان - الأول عبد الرحمن صاحب التاريخ المشهور والمقدمة المعروفة بمقدمة ابن خلدون . والذي نحن بصدد الكلام عنه . والثاني أخوه (يحيى) وهو أيضاً مؤرخ - ولكنه لم يبلغ من الشهرة ما بلغه أخوه - وأصل هذه الأسرة من قبيلة (كندة) - وجدها الأعلى (خالد) المعروف بابن خلدون أول من هاجر من اليمن إلى الأندلس من هذه الأسرة - وفي بداية الانحلال السياسي الذي منيت به الدول الإسلامية في الأندلس ذلك الانحلال الذي ضعفت الكيان الإسلامي - هاجرت الأسرة إلى إفريقية الشمالية . ففي تونس ولد عبد الرحمن بن خلدون - ومنها قام برحلات إلى مصر وإلى الحجاز ، زادت في ثقافته وزادت في مصادره ، أما أخوه (يحيى) فقد ولد أيضاً في تونس وتوفي في تلمسان سنة ٧٨٠ هـ . ولم يعرف له غير كتاب (بغية الرواد في ذكر بنى عبد الواد) - وقد رجع إلى كتابه بعض المستشرقين .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٢٦ .

البحث الثالث :

المستشرقون والآثار: وعالم الجيولوجية

من صحيفة ٥٧٣ إلى ٥٨٦

من موضوعات البحث .

- ١ - المرحلة التي بدأ منها المستشرقون سيرهم .
- ٢ - نشاط المستشرقين .
- ٣ - بواعث الانحراف في بعض بحوث المستشرقين .
- ٤ - المستشرقون كغيرهم يخطئون ويصيبون .
- ٥ - أسلوب المستشرقين في كلامهم عن المقدسات أثر شكوك حوهم .
- ٦ - الآثار ونصوصها ، والجيولوجية ونظرياتها .
- ٧ - اعتراف المستشرقين بالنصوص العربية .
- ٨ - على الباحث ألا يستهين بالنصوص الأثرية والنظريات الجيولوجية .
- ٩ - مؤلفات المستشرقين التي جمعها هذا المؤلف .
- ١٠ - مؤلفات المستشرقين على حقيقتها .

المستشرقون ، والآثار ، والنظريات الجيولوجية

١ - لقد كانت (الأندلس) القنطرة الأولى التي عبر منها المستشرقون إلى الشرق الإسلامي ، وكانت المعارف الإسلامية العربية التي ازدهرت ووصل أريجها إلى أوروبا النائمة في أحضان التخلف العلمي آنذاك : الحافز الأول لرحلات طلاب العلم والمعرفة من أبناء أوروبا في أنحاء البلاد الإسلامية . وكان (جربرت) الراهب الفرنسي من أوائل الذين رحلوا إلى الأندلس وتعلموا على أساتذة (أشبيلية) و (قرطبة) . وكان (جربرت) هو الذي أمر بإنشاء مدرسة عربية في (إيطاليا) وأخرى في (فرنسا) - بعد أن انتخب حبراً أعظم في سنة ٩٩٩ م - وكانت المدارس التي عنيت بالتراث العربي والإسلامي . واليوناني والعبري - في أوروبا : نقطة البداية التي انطلق منها المستشرقون يبحثون في التراث العربي ويؤلفون في تاريخ الشرق الأوسط .

٢ - وكان من نشاط المستشرقين الإنكليز بعد أن امتد نفوذ الغرب على الشرقيين : الأدنى والأقصى - إنشاء الجمعيات وإصدار النشرات العلمية والمجلات الثقافية المختصة بالشرق وثقافته وتاريخه . فأنشئوا في (بتافيا) عاصمة جاوة^(١) أول جمعية للمستشرقين سنة ١٧٨١ م . ثم أنشئت الجمعية البنغالية سنة ١٨٧٤ . وكانت مجلة (الجمعية الآسيوية الملكية) وما زالت أكبر صحف المستشرقين . وكان من نجاح الجمعيات ما جعل دول أوروبا وأمريكا تحذو حذو الإنكليز في إنشاء الجمعيات وإصدار النشرات والمجلات . فكان لأمريكا . وفرنسا . وألمانيا . والنمسا . وإيطاليا . وروسيا . وبلجيكا . والدانمرك - نشاط ملحوظ في هذا المجال - ولقد استفاد المستشرقون من المؤلفات التي تكدست في مكتبات أوروبا والتي بلغت نحواً من

(١) جاء في كتاب (المستشرقون) لمؤلفه نجيب العتيق : بتافيا عاصمة جاوة في الهند - والمعروف

أن جاوة ليست في الهند - ص ٢٣ .

مائتين وخمسين ألف مؤلف منها مؤلفات شرقية نقلت إلى اللغات الأوروبية . ومنها مؤلفات وضعت عن الشرقيين : الأوسط والأدنى .

وكان من تعدد الجمعيات وكثرة المستشرقين في أقطار أوروبا ما جعل المستشرقين يحرصون على إقامة مؤتمرات عالمية مستشرقة بدأت بمؤتمر باريس سنة ١٨٧٣ . وكان تاريخ الشرق العربي القديم . وآثار دوله في اليمن . وفي وادي القمري وفلسطين والملاال الحبيب . والتاريخ الإسلامي وحضارته : الموضوعات الرئيسية التي انصرفت إليها أنظار المستشرقين . على أن الحضارات الشرقية القديمة في الهند والصين وغيرهما - إن كانت عند كثرة المستشرقين تأتي في الدرجة الثانية - فهي عند الآخرين لها شأنها في دراستهم . وكثير من الذين عنوا بتاريخ الشرق الأوسط لم يهتموا بتاريخ الشرق الأقصى وإفريقية .

- ولقد استغلت الكنائس المسيحية المستشرقين في التبشير بالمسيحية . ولقد ساق التعصب الأي للمسيحية الكثير منهم بحرية الإسلام وحرمة نيل من رسالته وتعاليمه وتاريخه بشي المقتربات ومختلف العقولات . كما استعملهم دول الاستعمار في دعم نفوذها السياسي والاقتصادي والثقافي . واتخذت منهم المستشرقين والمدققين والقضاة .

وهن الطبيعي : أن يثير حنق بعض المستشرقين ويهجموه على الإسلام ومقدساته - بدافع الموقف العدائي الذي وقفته المسيحية من الإسلام منذ ظهوره . وتحس بعض المستشرقين للمخططات الاستعمارية والانداعية لها في الرية وحرر في أقوال المستشرقين عن الشرق وتاريخه عامة وعن العرب وتاريخ الإسلام خاصة عند المسلمين . وهن الطبيعي : أن يثير هوج بعض المستشرقين وأخصه الدين لا عمق في بحوثهم ولا أصالة في رأيهم : الشك في نتائج أي جدهم وأهم بين زبد الشكوك والتهم . وهن الطبيعي أن يجنى الخافد الذي عشت به الأعراس على التزيه يبعث عن الحقيقة . وأن يجنى المعسعي المتطرف على البحوث المنزلة . ومن هنا اختلفت الآراء الشرقية لاسيا العربية المسلمة فأجحت البعض واعتاد الآخرون .

واقدم تتبعتم فى فصل القصص القرآنى من هذا الجزء : انحراف بعض المستشرقين عن الحقائق التاريخية . ذلك الانحراف الذى تدفعهم إليه تارة نظرة الشك فى كل ما جاء فى كتب الأنبياء والرسل . وتارة أخرى يدفعهم إليه التعصب للمسيحية والدعاية للاستعمار الذى أعلن باسم الوصاية والحماية والنهوض بالأمم المتخلفة - فمنهم : من ورطه جهله باللغة العربية وأسرارها - وما فيها من مجاز وتورية وتشبيه ومخاطبة الفرد بضمير الجماعة . والغائب بضمير الحاضر . وصيغة المستقبل التى تأتى فى الحديث عن الماضى إلى غير ذلك من قواعد اللغة العربية وبلاغتها وخصائصها . فبنى آراءه على القشور . ومنهم : من استغل أفهام ضعاف المفسرين والمؤرخين الذين تسلطت على بحوثهم المستعجلة الخيالات الإسرائيلية وما دسّه الكتّابيون فيما نسبوه إلى الأسفار من تفسير وتأويل . فارتاب بدافع الشك فى كل خبر قرآنى .

وقلت : إنه ليس من أمانة التحقيق فى شىء : نكران الحقائق إرضاء للميول العقائدية فيتسلط عدم الاعتراف بالإسلام على التحقيق العلمى ، فيقلبه جدلاً كجدل الوثنيين والدهريين - وليس مع عمق البحث فى شىء : أن يعتمد الباحث على الظنون ويجعل منطقته فوق النص بدون أن يرجع إلى أصول اللغة التى ينقل عنها فيفهم مصطلحاتها وأسرارها ، وبدون أن يرجع إلى أفهام تلك الأجيال وطرق تفكيرها - فن الحمال - أن تنطبق مفاهيم العصر الحاضر ومنطقه لاسيما المنطق الغربى على مفاهيم تلك الأجيال ومنطقها فتكون حلول العصر الحاضر . وأساليبه فى معالجة مشكلات الحياة - هى الحلول التى لا بد لتلك الأجيال من اتخاذها ، وهى الأساليب التى يجب عليها أن تعالج بها أمورها .

ولقد مرت بنا فى هذا الجزء فى بحث (الأسفار الإسرائيلية) نزعة الشك فى بحوث بعض المستشرقين وأثرها فى بحوث القرن التاسع عشر لاسيما أولئك الذين يثقون فى النص اليونانى أكثر مما يثقون فيما جاء فى التوراة والإنجيل والقرآن . فللمستشرقين منطقهم ومقاييسهم ونزعاتهم - فمنهم : من يفضل النص اليونانى على نصوص الأسفار ، ومنهم : من يفضل النص اللاتينى المسيحى على النص العربى

المسلم ، ومنهم : من يفضل النص الأثرى على كل هذه النصوص - وإن كان النص اليوناني أو المسيحي أو الأثرى في حاجة إلى دليل يؤيد ما ينفيه النص أو يثبتته (١) .

٤ - وإنني بعد ذلك كله - أقول هنا : إن الباحثين جميعهم غير معصومين من الخطأ . وإن التحقيقات جميعها ليست متحررة من المؤثرات التي كثيراً ما تدفع إلى التحيز إلى جانب دون جانب وإلى التصلب في الرأي والاكتفاء بالنصوص القريبة من عقلية الباحث أو عقيدته واتجاه ظنونه - وإن المستشرقين كغيرهم من الكتاب والمؤرخين - منهم : البحاثة المروى . ومنهم : السطحي المستعجل . ومنهم : من تغلب على المؤثرات التي تحيط بالمؤرخ انخفق فاعتدل . ومنهم : من خضع لها فتطرف . وإن من المستشرقين كثيرين قدموا لنا مادة تاريخية ذات فوائدها في معرفة الماضي ومصادر تاريخه . وإن المادة التاريخية التي قدمها المستشرقون لا غنى للباحث في التاريخ ومصادره عن الرجوع إليها . فليست بحوث المستشرقين جميعها ينقصها التعدق لمعرفة الحقائق التاريخية . وليس المستشرقون جميعهم لا يفهمون اللغة العربية وأسرارها . فلا أراي مبالغاً إن قلت إن المؤلفات التي خنت من المادة التي جددت في الدراسات التاريخية والتي أسهم - المستشرقون فيها بقسط كبير تعد نحوها نقصاً ضيقاً الأفق وتعد نتيجتها في حاجة إلى مزيد من الاطلاع . وإن مثل هذه المؤلفات مثل المؤلفات التي كتبت مؤلفوها بآراء المستشرقين وحدها فلم يعيروا المصادر القديمة شيئاً من لاهوتهم - والتي هي في حاجة إلى مزيد من الاطلاع والمعروفة .

٥ - وإن من الخيال : أن تكون نظرة المستشرقين إلى التاريخ العربي الإسلامي الإسلامي - مثل : نظرة المؤرخ العربي المسلم الذي يتقيد وجهة أيدى بعض الأعلام من الخضوع لها . ويتقيد أساويه بما تحتمه عليه العقيدة وتفرسه قداسة بعض القضايا التاريخية . فنظرة المستشرق لا تخضع لغير المنطق . وأساه به متعدد على المؤلف في هذا الشرق العربي - لذلك نجد تعبيرات المستشرقين والصفات التي تأتي في بحوثهم

(١) راجع بحث الأسفار في هذا الجزء .

تبعث : شك الشرقين في كثير مما يقولونه وتجعلهم يصرفون بعض البحوث إلى غير ما قد يكون المستشرقون استهدفوه في بحثهم ، ولقد مر بنا ما قاله (درمنغام) عندما بحث في وصاية (أبي طالب) على النبي عليه السلام بعد وفاة جده : [إنه لم يكن غنياً حتى يتاح له أن يعلم الصبي الذي بقي أمياً طول حياته] - فلقد حال اقتناع (محمد رشيد رضا) بأن كل رأى لدرمنغام هو صادر عن غرض وحقد بين السيد رشيد وبين تقصي الحياة العربية قبل الإسلام وجعلته يقول : [إن درمنغام يوهم القارئ بأن أولاد الموسرين بمكة كانوا يتعلمون كأن هناك مدارس يعلم فيها النشء بالأجور كمدارس بلاد الحضارة وهذا باطل لا أصل له]^(١).

والواقع يؤكد : أن لرأى درمنغام أصلاً في الحياة العربية قبل الإسلام ، ولقد وضحت الحقيقة التي وصل إليها البحث في الأمية العربية وما هو معنى الأمية والأميين . وهل كان من العرب من يعرف الكتابة والقراءة ؟ وكيف كانوا يتعلمونها ؟ وأين كانوا يتعلمونها ؟ فلا محل لإعادة ما قلته هناك^(٢) - فليس كل من يخطئ مرة محروماً من التوفيق في غيرها - ولقد سبق أن قات في بحث (الرواية العربية وموقف التحقيق منها) المتقدم في هذا الجزء عن النصوص الأثرية وعن آراء المستشرقين في التاريخ العربي القديم : إن عقلية المستشرقين وظنونهم تخطئ وتصيب . وإن الذين دونوا النصوص من الآشوريين وتلك الأمم ليسوا جميعهم من الذين لا يدونون إلا بعد تحقيق وتدقيق .

وأخيراً ثارت ضجة في صحيفة (المدينة) حول ماجاء في دائرة المعارف الإسلامية عن (داود باشا) [وأنه عين في سنة ١٢٦٠ هـ والياً على قبر الرسول في المدينة] - فقد استنكر البعض قول الدائرة : عين والياً على قبر الرسول عليه السلام - فهذا الباحث المستشرق - على ما يبدو - لم يتعمق في فهم الوظيفة التي عين فيها (داود باشا) وما اسمها ؟ وما هي واجباتها ؟ ليعرف : أن

(١) راجع كتاب الوحي المحمدي ص ٥٧ .

(٢) راجع مصادر التاريخ العربي في العصر الجاهلي في هذا الجزء .

ليس هناك وظيفة في الكادر العثماني باسم والى قبر الرسول عليه السلام - وإنما هي وظيفة عرفت أولاً بـ (شيخ الخدام) - وأخيراً بـ (شيخ الحرم) ، وإن الذين كانوا يعينون في وظيفة (شيخ الحرم النبوي) في العهد العثماني - هم : في مستوى (المحافظ) الحاكم الإداري ، وكثيراً ما جمعت الوظائفان فقام بهما موظف واحد - فأطلق هذا المستشرق ذلك الاسم على وظيفة (شيخ الحرم النبوي) لأنه عرف أن في الحرم النبوي دفن النبي عليه السلام . وإني أعتقد : أن الذين نقلوا الدائرة إلى العربية هم بدورهم لم يتقصوا حقيقة هذه الوظيفة التي أطلق عليها المستشرق : والى قبر الرسول عليه السلام - ولم يرتابوا في شيء من هذه التسمية كما ارتابوا في غيرها وعلقوا عليه (١) .

فمن رأي : بأن كل باحث في التاريخ لا يكثر بما وصلت إليه بحوث المستشرقين - هو : باحث ضيق الأفق . كما أن كل باحث لا يعتمد على غير النتائج التي وصل إليها المستشرقون ولا يكثر بالنصوص العربية هو : باحث سضحى قصير المدى .

٦ - أما الآثار ونصوصها وأحيولوجية وانظريتها - فبما لا ريب فيه : أن لكل منها فائدة وأيما فائدة في تحقيق التاريخ القديم وأزمته . فلو لم تكشف الآثار : الحجاب عن كثير من الحقائق لبقيت شكوك القرن التاسع ذات الصلة والتأثير على آراء المؤرخين . ولو لم يصل علم الأحيولوجية ودرسته إلى بعض النتائج العلمية لبقيت أحداث الماضي تأمياً بين مختلف الحضارات التي تحيطت في تحديق - عمر الزمن وعصور العابرين - فتقدرت لأقدم حدث تاريخي ألا وهو ظهور آدم وحواء على هذه الأرض : عدداً من السنين لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين بالنسبة لتاريخ ميلاد المسيح .

ولو لم تأت الآثار بأدلتها ونصوصها لما آمن الحاضر من المستشرقين وغير المستشرقين بما جاء في القرآن الكريم عن (إبراهيم) و (آل يعقوب) وعن

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١٢٨/٩ ، جريدة أممية عدد ١٧٧١ - السنة سابعة -

وقد أطلق عليها كادر الموظفين في العصر السعودي - اسم (مدير الحرم) .

(هود) وقوم (عاد) و (ثمود) الذين جابوا الصخر بالواد، ولما صدقوا بما جاء في التوراة عن (اليمن) و (شواطئ الخليج الإسلامي - العرب) حيث الذهب والبخور ومناجم النحاس - ولو لم تتعمق الدراسات الجيولوجية لما عرف التاريخ الزمنى لطبقات الأرض التي ضمت آثاراً لسكان العراق الذين عاشوا فيه من أقدم عصور البشرية .

أجل ! إن البحوث التاريخية اليوم مدينة لجهود الأثريين ، وما قدمه الأثريون من نصوص . وإن الدراسات الجيولوجية لها فضل في المعارف التاريخية بتعيينها أزمته الأمم . فلقد كانت لمغامرات رواد الآثار في اليمن وما بذلوه في سبيل الكشف عن الآثار في العراق وفلسطين وسورية ولبنان ومصر واليمن ووادي القرى - نتائج موفقة وأثر كبير في تصحيح المؤرخين نظرياتهم . والحد من موجة الشك التي عمت مصادر تاريخنا العربي - وأثارت الغبار حول أقوال المؤرخين العرب عن الحجاز وأنه كان أكثر أرض الله أشجاراً وعن سبأ ودول التبابعة، وعن الآثار العادية والشمودية في قلب الجزيرة العربية وجنوبها . وإنك لتجد في الجزء الخاص بجغرافية الجزيرة العربية القديمة - الثالث من هذا المؤلف (العرب في أحقاب التاريخ) : تقصياً في جمع النصوص التي تثبت ضخامة ثروة الجزيرة في مختلف عصورها .

٧ - فلقد جاء في كتاب غوستاف لوبون (حضارة العرب) : [ومهما تكن الآثار التي ألمعنا إليها آنفاً ناقصة - فإنها مما تتم به روايات قدماء المؤلفين - ومما ننظر من خلاله : ازدهار حضارة العرب الغابرة التي نسيها الناس في الوقت الحاضر . والتي نرتدع بما نعرف عنها من العلم القليل - عن عد العرب همجاً - والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة ، وأنشئوا المدن العظيمة وكانت علاقتهم بأرقى شعوب الأرض وثيقة]^(١) . ثم إن التهم والشكوك التي وجهت إلى التاريخ الإسلامي لم تصرف بعض المستشرقين عن الرجوع إلى المصادر العربية الإسلامية فهذا (آدم متز) في كتابه (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع) اعتمد على المصادر العربية في مؤلفه القيم .

(١) حضارة العرب ص ٩٧ .

وليست فائدة البحوث الجيولوجية للأثريين بأقل من فائدة البحوث الأثرية للمؤرخين ، فهي قد أعانتهم كثيراً في تحديد عمر الآثار التي تراكمت عليها طبقات من تراب هذه الأرض منذ آلاف السنين .

- ٨ - ولقد أصبح اليوم لزاماً على الباحث في تاريخ الماضي القديم : أن يستنير بنظريات الجيولوجيين ونتائج تحقيقاتهم ، ولزاماً عليه ألا يغفل النصوص الأثرية إذا ما أراد أن يصور حقائق الماضي . فلقد امتدت آفاق البحث التاريخي . وتعددت جوانبه . وتختم على التحقيق : ألا يقتصر على مؤلفات القدامى - فلا بد له من الجمع والمقابلة والتجرد من مؤثرات التحيز والتعصب . فليس من حق المحقق العربي أن يتحيز للنص لأنه عربي . وليس من حق المحقق غير العربي أن يرفض نصاً لأنه عربي أو لأنه لا يتفق مع منطقته . فالحقيقة ضالة الباحث فعليه أن يلتقطها حيث وجدها .
- ٩ - ومن مؤلفات المستشرقين - : مؤرخين وأثريين التي جمعها ورجعت إليها في بعض ما تكلمت عنه في هذا الكتاب (العرب في أحقاب التاريخ) - هذه المؤلفات :

- ١ - كتاب (حضارة العرب) لمؤلفه المستشرق المعروف (غوستاف لوبون) نقله إلى العربية (عادل زعيتر) .
- ٢ - كتاب (فلسفة التاريخ) تأليف (غوستاف لوبون) نقله إلى العربية - (عادل زعيتر) .
- ٣ - كتاب (سر تطور الأمم) تأليف (غوستاف لوبون) نقله إلى العربية (أحمد فتحي زغلول) .
- ٤ - كتاب (اليهود في تاريخ الحضارات) تأليف (غوستاف لوبون) نقله إلى العربية (عادل زعيتر) .
- ٥ - كتاب (حضارة بابل وآشور) تأليف (غوستاف لوبون) نقله إلى العربية - (محمود خيري) .
- ٦ - كتاب (تاريخ العرب العام) تأليف (ل . أ . سيبيو) نقله إلى العربية (عادل زعيتر) .

- ۷ - كتاب (العرب والروم) تأليف (قازيليف) نقله إلى العربية (محمد عبد الهادي شعيرة) .
- ۸ - كتاب (الخليج العربي) تأليف (جان جاك بيربي) نقله إلى العربية (نجدة هاجر) و (سعيد الغز) .
- ۹ - كتاب (ثورة آسيا) تأليف (تيبور مند) نقله إلى العربية (محمد حمودة) .
- ۱۰ - كتاب (الأبطال) تأليف (توماس كارليل) نقله إلى العربية (محمد السباعي) .
- ۱۱ - كتاب (إيران في عهد الساسانيين) تأليف (آرثر كريستنس) نقله إلى العربية (يحيى الحشاب) .
- ۱۲ - كتاب (موجز تاريخ الشرق الأوسط) تأليف (جورج كيرك) نقله إلى العربية (عمر الإسكندري) .
- ۱۳ - كتاب (الحضارة المصرية) تأليف (جون ويلسن) نقله إلى العربية (أحمد فخرى) .
- ۱۴ - كتاب (تاريخ الحيوشن) تأليف (جورج كاستلان) نقله إلى العربية (كمال دسوقي) .
- ۱۵ - كتاب (موجز تاريخ العالم) تأليف (ه . ج . ويلز) نقله إلى العربية (عبد العزيز توفيق جاويد) .
- ۱۶ - كتاب (انتصار الحضارة - تاريخ الشرق القديم) تأليف (جيمس هنري برستد) نقله إلى العربية (أحمد فخرى) .
- ۱۷ - كتاب (بلاد ما بين النهرين) تأليف (ل . ديلاپورت) نقله إلى العربية (محرم كمال) .
- ۱۸ - كتاب (التاريخ العربي القديم) تأليف (ديتلف نيلسن) و (فرتر هومل) و (ل . رودوكاناكيس) و (أدولف جرومان) نقله إلى العربية (فؤاد حسنين علي) .

- ١٩ - كتاب (موسوعة تاريخ العالم) أصدره (وليام لانجر) نقله إلى العربية (محمد مصطفى زيادة) .
- ٢٠ - كتاب (قصة الحضارة) تأليف (ول دي انت) نقله إلى العربية (زكي نجيب محمود) .
- ٢١ - كتاب (البحر الأبيض المتوسط) تأليف (إميل لودفيغ) نقله إلى العربية (عادل زعيتر) .
- ٢٢ - كتاب (جزيرة العرب) تأليف (جان جاك بيربي) نقله إلى العربية (نجدة هاجر) و (سعيد الغز) .
- ٢٣ - كتاب (تاريخ اللغات السامية) تأليف (إسرائيل ولفنستون) .
- ٢٤ - كتاب (قصة الشرق الأوسط) تأليف (كارلتون كون) نقله إلى العربية (برهان وجاني) .
- ٢٥ - كتاب (رمال العرب) تأليف (ولفريد ثيسنر) نقله إلى العربية (نجدة هاجر) و (إبراهيم عبد الستار) .
- ٢٦ - كتاب (ماذا حدث في التاريخ) تأليف (جوردن تشيلد) نقله إلى العربية (جورج حداد) .
- ٢٧ - كتاب (شمال بلاد العرب) تأليف (أ . موسى) نقله إلى العربية (عبد الحسن الحسيني) .
- ٢٨ - كتاب (السيادة العربية . والشيعية . والإسرائيليات في عهد بني أمية) تأليف (فون فاوتن) نقله إلى العربية (حسن برهيم) و (محمد زكي إبراهيم) .
- ٢٩ - كتاب (دائرة المعارف الإسلامية) نقله إلى العربية (محمد تابت الفندي) و (أحمد الشنتوي) و (إبراهيم زكي خورشيد) و (عبد الحميد بونس) .
- ٣٠ - كتاب (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) تأليف (آدم متز) نقله إلى العربية (محمد عبد الهادي أبو ريده) .

۳۱ - كتاب (العرب في سورية قبل الإسلام) تأليف (رنيه دلييسو) نقله إلى العربية (عبد الحميد الدواخلى) .

۳۲ - كتاب (الرافدان) تأليف (ستين لويد) نقله إلى العربية (طه باقر) و (بشير فرنسيس) .

۳۳ - كتاب (تاريخ بخارى) تأليف (أرمينيوس فامبرى) نقله إلى العربية (أحمد محمود السادات) .

۳۴ - كتاب (تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى) تأليف (جيمس هنرى بريستد) نقله إلى العربية (حسن كمال) .

۳۵ - كتاب (المغازى الأول ومؤلفوها) تأليف (يوسف هورفتس) نقله إلى العربية (حسين نصار) .

۳۶ - كتاب (دراسات عن المؤرخين العرب) تأليف (مارغوليث) نقله إلى العربية (حسين نصار) .

۳۷ - كتاب (العرب والملاحة في المحيط الهندي) تأليف (جورج فضلو حورانى) العربى المتأمرک - نقله إلى العربية (يعقوب بكر) .

۳۸ - كتاب (آثار الأردن) تأليف (لانكستر هاردنج) نقله إلى العربية (سليمان موسى) .

۳۹ - كتاب (تاريخ الأدب العربى) تأليف (بروكلمان) المعروف فى الأوساط الأدبية والتاريخية . نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار .

ليست هذه المؤلفات - هي : كل ما ألفه المستشرقون فى التاريخ العربى والحضارة الإسلامية . وإنما هي : المؤلفات التى جمعها - كما قلت من قبل - وهى : جزء ضئيل بالنسبة لبحوث المستشرقين التى شملت جوانب كثيرة من التاريخ العربى السياسى والحضارى . تلك البحوث التى وجد فيها المحققون فى الماضى الجاهلى . والحاضر الإسلامى ما هو جدير بالأخذ به والرد عليه -

فأكثر المؤلفات التاريخية التي بحثت في العصور الجاهلية لم تستغن عن آراء المستشرقين ونتائج تحقيقاتهم - مثل : تاريخ (جواد علي) وكتاب (مصادر الشعر الجاهلي) وأكثر المؤلفات التي وضعت عن الإسلام ونبي الإسلام محمد عليه السلام مكتظة بالرد على المستشرقين الذين تطرفت بهم المسيحية فكانوا مرآة للعقائبة الصليبية التي تحكمت على منطق الغرب فترة غير قصيرة من الزمن وما فتئت تؤثر على بعض المستشرقين وتهيمن على أفكارهم .

وإنك لتجد في هذه المؤلفات التي وضع بعضها خصيصاً في التاريخ العربي ، والتي تعرض بعضها له كجزء من تاريخ العالم الكبير ، لا غنية عنه لتؤرخ الذي يكتب في التاريخ العام - وتجد : موضوعات هذه المؤلفات : تحكمت في منهج مؤلفيها فانصرف جهد بعضهم إلى ربط الحديد من النصوص الأثرية المكتشفة حديثاً بالقديم من النصوص . وتعيد آخرون بالمراجع العربية فنبعت آراؤهم من صميم نصوصهم . وليس في هذا حرج على المستشرقين فلكل موضوع مرجعه ومنهجته .

١٠ - والمؤلفون المستشرقون - كما قلت من قبل - منهم : المضغ الذي الذي يسبر الغور ولا يلتفت لغير الحقائق . ومنهم : النعمي المستعجل الذي لا يخلف نفسه مشاق التعديق للوصول إلى الحقائق . منهم في هذا كمثل غيرهم من مؤلفين الشرقيين عرباً وغير عرب . وحقائق التاريخية منهم : ما يرسب في الأعماق . ومنها : ما يظنوا على السطح . ولقد يأتيك ببعض الحقائق من لم تزود من معدني مستعجل . وقد يخون التوفيق العلامة المضغ . وقد يتأقروا : بوجود في الأمر ما لا يوجد في البحر . فإذا كان بعض المستشرقين أخطأهم التوفيق فيس معنى ذلك : أن كل المستشرقين مخطئون . أو أن كل ما يقدره هذا المستشرق الذي أخطأه هو : خارج عن محجة التصواب - فالمؤرخ الذي وفي كل صغره وسره في بحثه بما لا يجعل للمحفوظات الدافين مثلاً لم يحنق بعد ، لا في الشرق ولا في الغرب . وعلى ذلك تجد بحوث هذا الكتاب ترفض ما تشابه فيه من آراء المستشرقين وأقوال غيرهم من الحققين . وتأخذ منهم ما تطعن إليه . والذي يخطئ في موضوع قد يصيب في آخر . وقد يخطئ الأملعي الخامر .

وكذلك ليست النقوش الأثرية جميعها - كما قلت من قبل - : صادقة فيما ترويه ، نزيهة من كل ما يريب . فمن كتبها : عاميون ، ومنهم : عنصريون ، ومنهم عابثون . ومشعوذون . ولقد كان لذلك أثره على الذين اختلط عليهم النص التاريخي القيم بنقوش العامة ، والعاثين - على أن هذه الخطوط التي نقشها العابثون - أفادت بعض المحققين ، فلقد استأنس بها الكثيرون في تحقيق مساكن الأمم القديمة وهجراتها وطرق تجارتها .

وكذلك النتائج التي توصل إليها الحيولولوجيون - لم تكن جميعها نتائج قامت على أساس نظريات علمية متعمقه ، فمنها ظنون غير موفقة شوشت على الباحثين المحققين .

فهكذا نجد دائماً : الغث مختلطاً مع السمين ، وهكذا ازدادت متاعب التحقيق العلمي . ومصاعب المؤلفين في التاريخ .

١٠ نهاية المطاف

من صحيفة ٥٨٧ إلى صحيفة ٥٩٤

الموضوعات :

- ١ - الجمع بين الاستيعاب والإيجاز يكلف كثيراً .
- ٢ - مناقشة النصوص والآراء فيها ما فيها من إخراج .
- ٣ - عدم أخذى ببعض التحقيقات لا ينقص مكانتها .
- ٤ - فصول هذا الجزء ونتائجها .
- ٥ - الفكرة التي استهدفتها البحث في مصادر التاريخ .
- ٦ - كلمة صريحة .

نهاية المطاف

١ - في كل فصل من فصول هذا الكتاب - حاولت جهدي أن أجمع الاستيعاب والإيجاز . فأقدم صورة مصغرة واضحة لكل مرحلة من مراحل التاريخ ، ولكل مصدر من مصادره . ولكل رائد من رواده . ومحاولة الاستيعاب مع الإيجاز في موضوعات واسعة أبعادها عميقة أغوارها . متنوعة أهدافها تشمل التاريخ من عصره المجهولة إلى عصور الدراسات العلمية والتأليف المركز - لاتسلم من التفريط فيما لا يحق التفريط فيه رغبة في الإيجاز . ولا تسلم من التكرار الذي أراه ضرورياً للاستيعاب . وقد يراه القارئ الباحث من لزوم ما لا يلزم .

٢ - ثم إن مناقشة النصوص والآراء التي أبدت فيها - للخروج بحقيقة سليمة من التشويش واللبس والظنون الطائشة - فيها ما فيها من إحراج بالنسبة لموضوع بعض النصوص . ومكانة بعض الذين أبدوا رأيهم في قضايا التاريخ ومصادره ، فتوق العثرات في المناقشة الصريحة مرام صعب المنال ، والمناقشة الصريحة مهما كانت بريئة قل أن تخرج مع الباحث بسلام مما لا يجب التورط فيه من جدل وتفنيذ . وإن كان الجدل والتفنيد لا يقصد منهما التقليل من قيمة النصوص أو الغض من مكانة المحققين فيها .

ولقد حرصت الحرص كله على تجنب الشطط في تصحيح ما لا بد من تصحيحه ، وفي التمسك بما يجدر التمسك به . فإظهار الخطأ فيما رأيت فيه خطأ ، والصواب فيما رأيت صواباً - هو الذي جعلني أرفض مرة نتيجة من نتائج الباحثين وأعترف مرة أخرى بحقيقة من الحقائق التي قدمها أولئك الباحثون أنفسهم . فمن رأي : أن الذي يخطئ مرة يمكن أن يصيب مراراً - كما قلت من قبل - فأنا إن رفضت رأي جرجي زيدان في تحقيقه الأخير في موضوع مكتبة الإسكندرية وحريقها - فقد أخذت برأيه في كثير من بحوث هذا الجزء والجزء الذي تقدمه من هذا المؤلف (العرب في أحقاب التاريخ) . وأنا إن عارضت عبد العزيز الدوري ، وحسين

نصار وجواد على ، وناصر الدين الأسد في بعض النتائج التي وصلت إليها بحوثهم فإنني أجل معارفهم ، وأقدر سبقهم ، وأكبر سعة اطلاعهم . وأعترف بأن مؤلفاتهم كانت من مصادر هذا المؤلف .

٣ - وأنا وإن كنت تحدثت عن التهم التي وجهت إلى نصوص القدامى ، وأشرت إلى مواطن النقص في معارف الرواد المتجلية فيما أخذه بعضهم على بعض . وفيما كشفت التحقيقات المتأخرة - قد نوهت كذلك بفضل مصادر التاريخ ونصوصها القديمة . فإنا عندما صارحت القارئ بما قيل عن الأسفار لم أجنسها قيمتها التاريخية . وأنا عندما لفت النظر إلى أنانية نصوص الآشوريين والفراعنة لم أنتقص من قيمتها الأثرية . وأنا عندما كررت القول عن الخيال الذي امتزج بالتراث القديم - قلت : إن لكل قصة تاريخية غارقة في الخيال والمبالغة أساساً تقف عليه في خضم المبالغة والظنون . وأنا عندما ذكرت تجريخ الروايات ومثاليها والظعن في الرواد ومخادشة بعضهم بعضاً - ذكرت بجانب ذلك اعتراف المعترفين بفضلهم وثناء المقدرين لجهدهم . وإنني كما لم أنس ما ضبطه الكثيرون من المحققين في بحوث المستشرقين من أخطاء تختلف أسبابها - كذلك لم أنس ما أشاد به الكثيرون من حقائق كان للمستشرقين الفضل في إظهارها . ١١ -

٤ - ولقد كان الفصل الأول من هذا الجزء - (فكرة التاريخ ومصادره) وكانت نهاية المطاف لأبحاثه - أن الشكوى من سقم نصوص التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده لا يزيلها غير جهد جماعي تهيأ له المدون العربي - الأثرية - التفرغ والوسائل القادرة على جمع النصوص وتحقيقتها . وربط حتمت بحوث متشعبة في مؤلفات لا تجمعها لغة واحدة ولا يوحدها هدف واحد .

وكان الفصل الثاني : (التاريخ في القرآن) . وقد انتهت جملة بحوثي إلى أن ما جاء في القرآن من أنباء الماضين حقائق تاريخية لم تحظى العناية الإسلامية في فهمها على أساس من التاريخ . فالنص القرآني من أصدق النصوص وأصحها .

وقد ظهرت في الفصل الثالث : (الأسفار والتراث القديم) - قيمة الأسفار التاريخية . على ما فيها من تفسير وتأويل - في الأسفار نصوص ذات ثمنها بالنسبة

لقد تم تاريخها ، وبين البحث فضل التراث القديم على المؤلفين في تاريخ الشرق الأوسط وحدد أبعاد ذلك الفضل فلم يطفئ المكيال فيبخس ذلك التراث حقه ، ولم يبالغ فيضعه فوق مستواه . فمن تراث القدامى : الغث والسمين . وإلى التراث القديم رجع مفسرو التوراة في كلامهم عن آدم وإدريس ونوح وعوالم ما قبل الطوفان مما أطلقت عليه البحوث : اسم (التاريخ الديني) وذلك ما جعل المستشرقين يقولون : وقصة الخليقة الواردة في سفر التكوين تشبه القصص الواردة في معتقدات (كلدة) و (آشور) .

وتحدثنا في الفصل الرابع (الأساطير والشعر في العصر الجاهلي) عن الأمية ومعناها الذي يتفق مع الواقع العربي في العصر الجاهلي ، وعن ماهية الأساطير الجاهلية ومصادرها ، والنصوص التي جاءت في الشعر الجاهلي .

وأبرزنا في الفصل الخامس (من المدينة بدأ التاريخ وتدوينه) : دور المدينة في الدراسات التاريخية . وبناء الثقافة الإسلامية . فالمدينة المنورة هي ولا شك - أول مدرسة في الإسلام . وفي المدينة وضعت القواعد التي قام عليها التاريخ العربي الإسلامي .

وبينا في الفصل السادس (التدوين والمدونات في صدر الإسلام) : حقيقة ما ورد من نهى عن التدوين ، والهدف من الأحاديث والآثار الواردة في التدوين . تارة تهيئه وأخرى تحث عليه ، ونفينا عن المسلمين تهمة حرق مكتبة الإسكندرية مظهرين الأخطاء المتعمدة في تشويه السياسة الإسلامية .

وفي الفصل السابع (مناهل رواد الثقافة والتاريخ) تحدثنا عن مصادر الرواد وأين وجد أوائل الرواد مصادرهم الفارسية واليونانية والسريانية واللاتينية ؟

ولم ننكر في الفصل الثامن (المؤرخون العرب ورواياتهم) : ما في الرواية من مبالغة وخيال ، ولم نهضم المؤرخين العرب حقهم ونجحد جهدهم ونضرب برواياتهم عرض الحائط ، وكذلك لم ننكر جهد الموالى والشعوبيين ونجحد ما قدموه للثقافة العربية عامة وللتاريخ خاصة . وأثبتنا : أن العناصر غير العربية التي كان لها فضل على الثقافة العربية والتاريخ - لم تخرج الثقافة العربية عن عربيتها ولغتها ، وإنما الثقافة العربية هي التي أخرجتهم عن أعجميتهم ولغتهم .

وسرنا في الفصل التاسع (مسالك رواد التاريخ ومناهجهم) مع الرواد العرب من المرحلة الأولى التي بدأت منها مسيرتهم متحدثين عن المواد التاريخية التي جمعوها لنا : الأنساب . والجغرافية ، والتراجم ، وما نقلوه إلى العربية من مؤلفات لها أثرها في التاريخ والأدب العربي .

وقدمنا في الفصل العاشر (الأوائل من رواد التفسير والمغازي والأنساب - في القرنين الأول والثاني من الهجرة) تراجم بعض الرواد الذين أمست أقوالهم نصوصاً للتاريخ العربي - موضحين ما يهم المصادر إيضاحه في حياة أولئك الرواد ومصادرهم وآثارهم .

ولم تكن التراجم التي جاءت في الفصل الحادي عشر (نقاد الشعر ورواة أيام العرب) أقل قيمة بالنسبة لتاريخ العربي الاجتماعي من تراجم رواد المغازي والسيرة والأنساب بالنسبة لتاريخ العربي السياسي . ولم ندخر جهداً في تبيان معارف نقاد الشعر . ورواة أيام العرب ومصادرهم وتراجمهم مثل أبي عمرو بن العلاء وحماد الرواية والمنفصل الضبي وخلف الأحمر وأبي عبيدة معمر بن الأشج . وقد تجمعت الروايات على اختلاف مصادرهما أمام الموسوعات التاريخية . فانبهروا يحققون أسانيدها . وينسجون تاريخها . ويؤثثون حلقات التاريخ العربي العام .

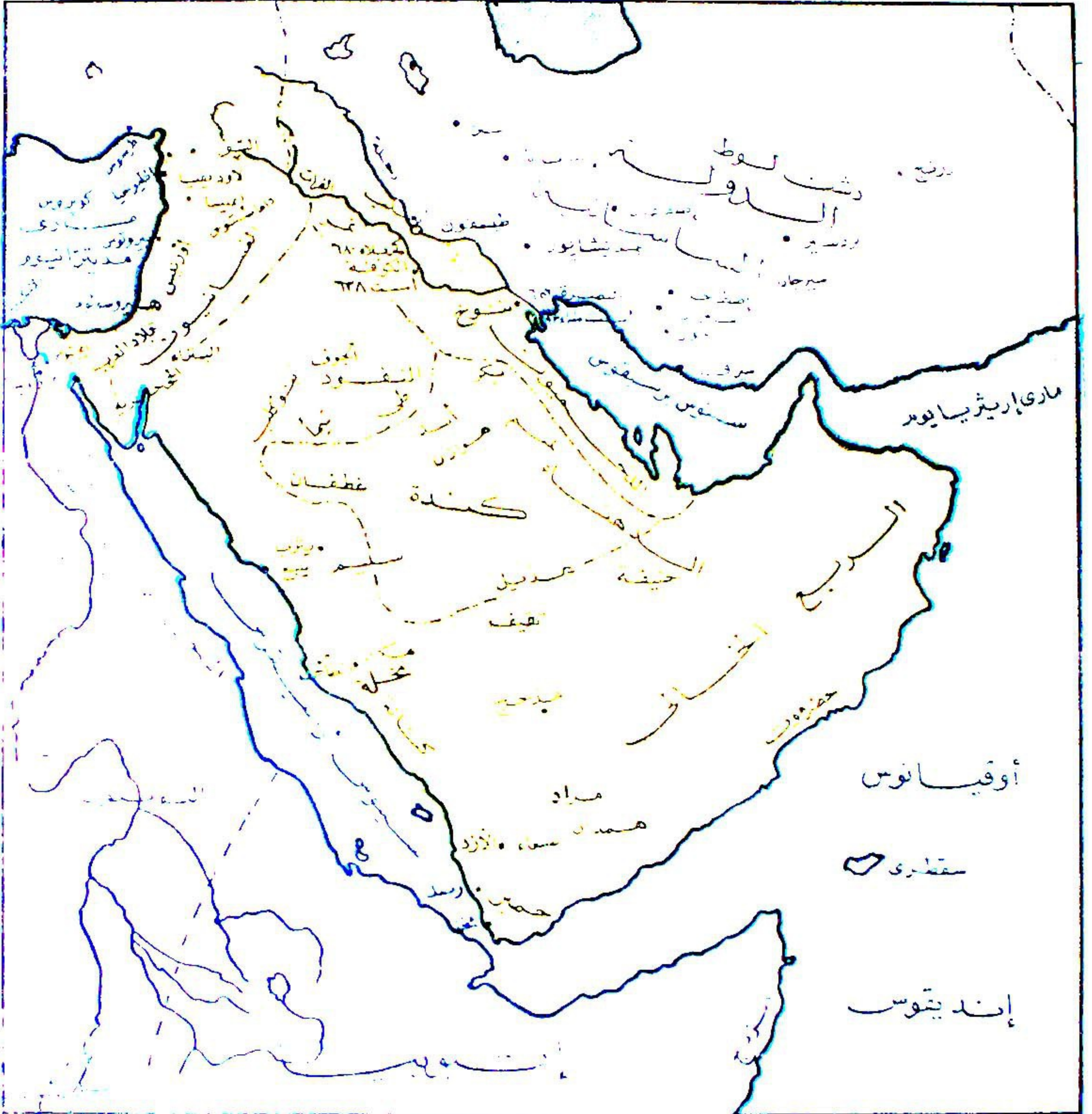
ولقد قدمنا في الفصل الثاني عشر (أعلام المؤلفين في التاريخ العربي بعد القرن الثاني من الهجرة) صورة مصغرة لتأريخين في العصر الإسلامي . وذكرنا بعض المؤلفات التاريخية موضحين أساليبها ومناهجها وموضوعاتها بقدر ما يستوعبه نطاق البحث الخاص بالموضوعات ومؤلفيها - وكان له مستشرقين . ولأثريين . واثريين في هذا الفصل مبحث خاص بهم بيتاً فيه شيئاً من تاريخ المستشرقين وهمي بدأ نشاطهم وكيف بدأ ؟ والمدى الذي وصل إليه . والتقدم الذي قدمته الأثريين والجيولوجيون للتاريخ ومؤلفيه .

٥ - هذه فصول هذا الجزء وهذه موضوعاتها . ومن موضوعات هذه الفصول تتضح لنا الفكرة التي استهدفتها بحث هذا الجزء . ففكرة البحث عن مصادر التاريخ نبعت مما جاء في المؤلفات التاريخية من روايات انتهى سندها إلى رجال عدت

أقوالهم نصوصاً اعتمد عليها مؤلفو الموسوعات التاريخية . فمن أين أتى أولئك الرواد بأقوالهم ؟ . . . إن هذا السؤال يقف أمام كل باحث في التاريخ ينتظر الجواب عنه ومن خلفه علامات استفهام ! فإذا كان الرواد قد أخذوا أقوالهم من الأسفار ومن تراث اليونان والفرس . ومن أساطير الجاهلية - فمن أين وصل إلى مفسري الأسفار والمؤلفين النصوص التي اعتمدوا عليها فيما فسروه وأولوه في توراة موسى وإنجيل عيسى ؟ ومن أين جمع اليونان والسريان والفرس والعرب والجاهليون أخبار الماضي القديم ؟ فإذا كانت النصوص التي جمعها ملوك آشور في نينوى . وإذا كانت آثار بابل والجانب الغربي من الهلال الخصيب - هي : مصادر مفسري الأسفار . ومصادر المؤلفين في التاريخ قبل الميلاد من كلدانيين ويونانيين وسريان وفرس . وإذا كانت آثار ثمود وعاد وسبأ وحمير والروايات التي توارثتها الأجيال في قلب الجزيرة - هي : مصادر القصص التاريخي الجاهلي ، فمن أين عرف سكان الهلال الخصيب من آشوريين وبابليين وغيرهم أنباء العالم المجهول قبل الطوفان وبعده؟! وأين وجدت عاد وثمود الأنباء التي انبت عليها عقائدها ؟

فالجواب عن هذه الأسئلة فرض على الأبحاث : أن يبدأ بفكرة التاريخ ونصوصه الحجرية في عصرها المجهول . وينوه بالتاريخ الديني الذي عرفته الأجيال من الأنبياء والرسل . ثم يسير مع فكرة التاريخ ونصوصه خطوة خطوة من مرحلة إلى أخرى . ويشير إلى النصوص على قدر ما اكتشفه بمنظاره ويعاق عليها في حدود ما يملكه من أدلة وشواهد .

٦ - وليس من قبيل التظاهر بالتواضع - إن قلت : إنني لم أستوف موضوع نصوص التاريخ ومصادره شمولاً ودراسة ، وإن ما جاء في مباحث فصول هذا الجزء لم يثر الطريق جميعه من البداية إلى النهاية - فالذي يسير مع التاريخ من بدايته لا يسلم من العثرات والأخطاء . والذي يبحث في المشكلات قل أن ينجو من الوقوع فيها . فمن المحال أن يتبين من يسير في تلك الطريق الممتدة عبر مئات القرون : المعالم جميعها . ويضع العلامات التي ترشد السائر إلى منعرجاتها ومجاهلها والعقبات التي ما زالت قائمة فيها . فما جاء في فصول هذا الجزء - هو :



خريطة الجزيرة العربية العربية في القرن الأول الهجري

بكل صراحة - محاولة قامت على جهد لم يدخر وسعاً في ترقى المبالغة والاعتماد على المنطق ، ولم يقنع بالقليل من البحث والاطلاع على المراجع والاستعانة بها . فأنا لست متواضعاً إن قلت : إن ما جمعته من نصوص وقدمته من نتائج - هو : وميض قد يفيد الذين يريدون السير في طريق مصادر التاريخ العربي ونصوصه ، والذين يريدون الإلمام بأطوار الحياة العربية التي ما زال الباحثون • شتغلين بسبر أغوارها . وتفسير غوامضها ومعالجة قضاياها . وإصدار الأحكام على الذين تحدوا مسؤولياتها منذ تجسد التاريخ العربي وبرز تحت الشمس .

۴

الفہارسُ

١ - فهرس الأعلام

(١)

- ١٧٤ . ٢٩٣ . ٢٩٦ . ٤٣٨ .
٤٤٥ . ٤٩٣ . ٥٧٩ .
إبراهيم بن الأشتر ٣٩٣ . ٣٩٤ .
إبراهيم بن بري ٩
إبراهيم رفعت ٣١٨
إبراهيم زكي خورشيد ٥٨٣
إبراهيم الزهري ٤٢٢
إبراهيم بن سعد ٤٥٩ . ٤٦٦ . ٤٧١ .
إبراهيم بن عبدالله بن حسن ٥٢٢ . ٥٢٤ .
إبراهيم عبد الستار ٥٨٣
إبراهيم بن عبد القاري ١٨٢
إبراهيم بن الوليد ٤٢٢
أبرهة ١٦٢
أبرويز ٥٤٠
ابن أبي بكرة ٢٤٧
ابن أبي رباح ٢٨٩
أبولودورس ١١٦
ابن أبي ٤٢٠
أبي بن كعب ١٧٦
أتيل ١٢٠
أثناسيوس ١١٦
ابن الأثير ٢٠٩ . ٢٨٠ . ٣٢٤ . ٣٢٥ .
٤٦٧ . ٤٨٨ . ٥٤٩ . ٥٥٩ . ٥٦٠ .
أجادة ١٢٠
الأحباش ١٤٠ . ٣٣١ .
الأحزاب ٤٣٩ . ٥٣٩ .
أحمد ٢٥٤
أحمد إبراهيم الغزالي ١٤ . ١٦ .
أحمد بن أبي الحراري ٢١٨ . ٢٢٦ . ٢٢٧ .
- آدم (عليه السلام) ٢٧ . ٩٣ .
١٥٢ . ٢٩٣ . ٤٤٠ . ٤٦٦ .
٤٧٠ . ٤٧٩ . ٥٩٠ .
آدم متر ١٨٩ . ٢٤٦ . ٢٤٨ .
٣١٣ . ٣١٥ - ٣١٨ . ٤٦٢ .
٤٦٣ . ٥٨٠ . ٥٨٣ .
الآراميون ١٠٣ . ٢٦٣ .
آزثر كريستنش ٥٨١
الآريسيون ٢٣٦
الآسيويون ٣١
الآشوريون ١٣ . ٢٧ . ٣٤ . ٣٨ .
١٠١ . ١٢١ . ١٢٤ . ٢٤٣ .
٢٥٥ . ٢٩٣ . ٣٠١ . ٥٧٨ .
٥٨٩ . ٥٩٢ .
آشي ٩٥
البرسيم ٢٣٧
أبان بن تغلب ١٧٨ . ١٩٥ .
أبان بن سعيد بن العاص ١٨١
أبان بن عثمان بن عفان ١٩٠ . ١٩٢ .
٢٠٥ . ٢١٢ . ٢٩٦ . ٣٣٩ .
٣٨٢ . ٣٨٥ - ٣٩٠ . ٣٩٦ .
٤٣٣ . ٤٦٨ . ٤٧٦ .
أبان بن عثمان البجلي ٣٨٨ . ٣٨٩ .
أم أبان ٣٨٩
آل أبي بردة ٥٢٩
إبراهيم (عليه السلام) ٣١ . ٣٥ .
٤٣ . ٤٨ . ٥٤ . ٥٦ . ٥٧ .
٦٤ . ٦٨ . ٧٤ . ٨٨ . ٨٩ .
١٠٠ . ١٢٥ . ١٥٠ . ١٥٤ .

إربان ۱۱۶
 إرتخسيس ۱۱۸ ، ۱۲۲
 أردشير بن بابك ۲۴۷
 أرسطو ۱۲۵ ، ۱۲۶ ، ۱۳۲ ، ۲۴۲
 أرفانيتاكي ۲۳۷
 إرم بن سام ۲۶۲
 أرمي ۲۹
 أرميا ۹۱ ، ۹۲ ، ۹۴ ، ۱۰۷
 أرميتيوس فامبري ۵۸۴
 الإرميون ۱۶۵ ، ۲۶۲ ، ۲۶۴
 أرنست رنان = رنان
 أريستون - أرسطو ۱۲۴ ، ۱۳۱
 أريسطون ۱۱۶
 أريمي ۱۲۹
 الأزد ۴۵۴ ، ۴۷۵
 أزد شنوءة ۵۱۱
 الأزرق ۵۶۱
 الأزرق (أبو الوليد أحمد) ۳۷ ،
 ۵۵۹ ، ۵۶۱ ، ۵۶۴
 أسامة بن زيد ۲۲۵
 الأسباط ۸۸ ، ۹۱
 الإيبانيون ۳۳۲
 إسترابون ۳۶ ، ۱۱۶ - ۱۱۸ ، ۱۲۱ ،
 ۱۲۴ ، ۱۲۵ ، ۱۲۸ ، ۱۳۲
 إستير ۹۳ ، ۱۰۷
 إستيفونس ۲۳۷
 ابن إسحاق (محمد) ۱۸۲ ، ۱۹۰ ،
 ۱۹۲ ، ۱۹۷ ، ۲۰۳ ، ۲۱۲ ،
 ۲۸۲ ، ۳۸۱ ، ۳۸۲ ،
 ۳۸۸ ، ۳۸۹ ، ۴۰۰ ، ۴۰۳ ،
 ۴۰۶ ، ۴۰۹ ، ۴۱۸ ، ۴۲۱ -
 ۴۲۳ ، ۴۲۶ ، ۴۲۷ ، ۴۳۱ ،
 ۴۳۲ ، ۴۵۷ - ۴۷۱ ، ۴۷۶ ،
 ۴۸۸ ، ۵۰۸ ، ۵۰۹ ، ۵۲۳ ،
 ۵۵۲ ، ۵۶۳

أحمد بن أعم الكوفي ۵۶۶
 أحمد أمين ۱۷۸ ، ۱۸۱ ، ۱۹۳ ،
 ۲۸۴ ، ۳۳۵ ، ۳۴۹ ، ۵۴۰ ،
 ۵۵۷

أحمد بن جعفر جحظة = جحظة
 أحمد بن حاتم الباهلي = الباهلي
 أحمد بن الحارث الخزاز ۴۷۴
 أحمد بن حنبل ۲۰۵ ، ۲۰۶ ،
 ۲۰۹ ، ۴۳۰ ، ۴۳۳ ، ۴۶۳ ،
 ۵۶۰

أحمد بن سهل = أبو زيد البلخي
 أحمد الشتناوي ۵۸۳
 أحمد بن عبد الله الخزرجي ۴۳۳
 أحمد بن عبد الله بن سلام ۹۰
 أحمد بن عبد ربه = ابن عبد ربه

أحمد عبد الغفور عطار ۱۳ ، ۱۴
 أحمد بن علي = الخطيب البغدادي
 أحمد فتحي زغلول ۵۸۱
 أحمد فخرى ۵۸۲
 أحمد فريد رفاعي ۵۵۷
 أحمد فيضبادي ۹
 أحمد محمد شاکر ۳۸۹

أحمد محمود السادات ۵۸۴
 أحمد بن يحيى ثعلب = ثعلب
 أخوا ۹۱
 الأخطل ۲۸۳
 الأخش ۵۰۴
 أنخيلس ۱۲۵
 إدريس (عليه السلام) ۱۲۲ ، ۱۵۲ ،
 ۲۹۳ ، ۵۹۰

أبو إدريس بن سنان ۳۹۹ ، ۴۰۲
 أدولف جرومان ۵۸۲
 أذينة ۳۵ ، ۱۶۵
 آل أذينة ۱۵۷

الأسود بن شيبان ٣٩٢
 ابن سيد الناس ٤٣٢
 ابن الأشعث . ٣٨٢ . ٤٤٤ . ٤٧٨
 الأشعوب ٣٩٣
 أشعيا ٩١ . ٩٢ . ١٠١ . ١٠٧
 الإشكانيون ٢٤٣
 أصحاب الأخدود ١٠٥ . ١٧٥
 أصحاب النيل ١٦٥ . ٤٦٨
 الإصطخرى ٣١٤ . ٣١٧ . ٣٣٣ . ٥٦٩
 الأصفهاني (أبو الفرج) ٤١٠ . ٣٧
 ٤٨٩ . ٤٩١ . ٥٠٣ . ٥٠٨
 ٥١٠ . ٥١٣ . ٥١٥ . ٥١٧
 ٥١٩ . ٥٣٦ . ٥٥٠ . ٥٦٧
 ٥٦٨
 الأصمعي ١٦٧ . ٤٥٠ . ٤٩٠
 ٤٩١ . ٤٩٧ . ٤٩٩ . ٥٠٢
 ٥٠٤ . ٥٠٨ . ٥١٧ . ٥٢٤
 ٥٢٧ . ٥٣٠ . ٥٣٣ . ٥٣٧
 ٥٤١ . ٥٤٣ . ٥٦١
 الأعاجم (أعجم) ١٥٦ . ١٦٠
 ٢٨٠ . ٢٨٦ . ٣٠٢ . ٥٦٨
 ابن الأعرابي ٤٨٨ . ٥٢٢
 الأعرج ٤١٣
 الأعشى ٥٠٣ . ٥١٨
 الأعشى ٤٢٢ . ٤٣١
 أغاثاريسيس ١١٦
 الإغريق ١٠١ . ١١٩ . ٢٥٧
 ٥٧٠
 أفرام تيساني ٢٥٥
 أفلاطون ١٣٠
 الأندلس ١٢٣
 الأندلس ١٦١
 أنطونيوس ٢٤٢
 الأندلس ٢٤٣

ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخرى =
 الإصطخرى
 إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام)
 ٨٨ . ٨٩ . ١٠٤ . ٣٦٤
 ٥١٧
 إسحاق بن بشر ٤٨٨
 أبو إسحاق الحضرمي ٥٠٤
 إسحاق بن حنين ٣٣١
 إسحاق الراهب ٢٢٠
 إسحاق بن زيد ٣٣٠
 إسحاق الموصلي ٥٣٣ . ٥٣٦
 بنو أسد ٤٣٧
 أسد بن ربيعة الكلابي ٣٧٦
 أسد رستم ٩٤
 أسد بن عبد الله القسري ٤٢٠
 أسد بن موسى ٣٧٦ . ٣٩٩ . ٤٠٢
 أسد بن ناعض ٣٧٦
 الإسرائيليون = بنو إسرائيل = اليهود
 إسرائيل ولئنستون ٥٨٣
 أسعد كرب ٥٦
 إسفندار ١٤٨ . ٣٣٠
 الإسكندر الأكبر ٥٦ . ١١١
 ١١٥ . ١١٩ . ١٢٥ . ١٢٦
 ١٢٨ . ١٣١ . ١٣٢ . ٢٣٣
 ٢٣٥ . ٢٣٩ . ٢٤٢ . ٢٤٣
 ٣١١ . ٣٣٤
 أسماء بنت أبي بكر ١٩٦ . ٣٨٠
 إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)
 ٣٥ . ٥٤ . ٦٤ . ٨٨ . ٨٩
 ١٥١ . ٣٦٤ . ٣٦٧ . ٤٦٤
 ٤٦٥ . ٥١٧
 إسماعيل الأسدي ٤٣١
 إسماعيل بن أبي خالد ٣٩٥
 إسماعيل بن رافع الأنصاري ١٥٤
 الأسود بن سريع التميمي ١٩٢

- أهلوير ٢٣٧
 أوانس ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٢
 أوتوج ١٢٠
 أورا زيوس ٢٣٦
 الأوربيون ٥١ ، ٦٥ ، ٣١٨
 أورتبخوس (البطريق) ٢٢٣
 أوزينا ١٢٠
 أورو كاجينا ١٢٠
 أوريان ١٢٦ ، ١٣٢
 الأوزاعي ٥٦٣
 أوزي ٥٦٦
 أوزيب ١١٨ ، ١٢٢
 الأوس ٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٠١ ،
 ٥٦٢ ، ٣٠٤
 أوسا بيوس ١١٦
 أوغسطس ٣٦
 الأونيمية ١٢٣
 أوليوس غالوس ٣٦ ، ١٢٥
 إياد ٣٥ ، ١٥٦
 أبو إياد المؤدب ٥١٦
 ابن إياس ٥٥٤
 أبو إياس ٤٠٠
 إيراتوستيس ١١٦ ، ١٢٨
 الإيرانيون ٢٤٧
 الإيطاليون ٣٣٢
 إيليا ٥٧
 أيوب ٤٣٦
 أيوب النبي ٩١ ، ١٠٦ ، ١٦١
- (ب)
- بابا الفاتيكان ٦٦
 البابليون ١٣ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ،
 ٥٧ ، ٢٦٢ ، ٣٠٩ ، ٥٩٢
 بابنياس الحمصي ٢٥٥
 باروخ ١٠٧
- ألفريد جيوم ٤٦٥ ، ٤٦٦
 الألوسي (محمود شكري) ٣٩ ، ١٤١
 إلياس (الياسين) ٤٨ ، ٥٧ ، ٧٠
 أبو أمامة بن سهل ٤٢٢
 أمد بن أمد الحضرمي ١٩٤
 امرؤ القيس ٣٧ ، ٣٨ ، ٧٣ ،
 ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٤ ،
 ٥٣٦ ، ٥٤٣
 موصل ٥٨٣
 الأمويون (بنو أمية) ٤٠ ، ١٧١ ،
 ١٩١ ، ١٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٣٢ ،
 ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ،
 ٣٩٥ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ،
 ٤١٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٠ ، ٤٦٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ،
 ٥٨٣ ، ٥٦٣
 الأموي ٤٥٩
 الأموية ٣٩٥
 إميل لودفيغ ٥٨٣
 أمين مدني ٩ ، ١٢ ، ١٨
 أمية بن أبي الصلت ٣٣ ، ١٤٧ ،
 ١٧٣
 ابن الأنباري ٥٦٦
 الأنباط (النبط) ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ،
 ٩٦ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ،
 الإنجليز ٣٣٢ ، ٥٧٤
 أندرياس ١٣٢
 أنس بن مالك ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ،
 ٤٦٣
 الأنصار ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٩٠ ،
 ٥١٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٤
 أنو شروان ١٩٤
 أهل التسوية ٥٣٩
 أهل الكهف ١٧٢ ، ٢٥٦

- الباطنية ٢٢٥ ، ٢٢٦
 الباهلي ٤٩٦ ، ٥٣٧
 بانيبال ١١٨ ، ١١٩
 البجلي ٤٣٦ ، ٤٤٩
 البخاري ٩٨ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ،
 ٢١٢ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ،
 ٥٠٩ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤
 بختنصر ٣٦ ، ٤٨ ، ١٥٦
 البديون ٤٠٨ ، ٤٠٩
 البرامكة ١٥٥
 بربر ٢٧٦
 برد ٣٦١
 أبو بردة بن موسى الأشعري ٥٢٦
 آل البرزنجي ٩
 البرقي ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٤٠٢
 ابن بركات النجدي ٣١٧
 برهان وجاني ٥٨٣
 بروسوس = بيروز = بيروس ٣٠ ، ٣٩ ،
 ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ،
 ١٣٤
 بروكلمان ١٩٥ ، ٤٨٠ ، ٥٨٤
 بروكيوبيوس البيزنطي ١١٦
 البسوس ٣٨ ، ١٦٧
 بشر بن عمرو الكلبي ٤٤٤ ، ٤٤٥
 أبو البشر بن المقفع (ساويرس) ٣٣٥
 بشير فرنسيس ٥٨٤
 البطالسة ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٦
 بطرس (الخواري) ٩٤ ، ٩٥ ،
 ١٠٣ ، ١٠٩
 بطار ٢٣٦
 بطليموس ٣٣ ، ٣٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٣١١ -
- ٣١٣ ، ٣١٥
 بطليموس الأول ٣١
 بطليموس - ساطر ١٣١
 بطليموس القلوذي ١١٦ ، ٣٣٢
 ابن بطوطة ٣١٧ ، ٣١٩
 بطولا ماوس ملادلنفوش ١١٩ ، ٢٢٠
 البكاء بن عامر بن صعصعة ٤٨٨
 بكر ٤٨١
 أبو بكر بن حزم ٥٦٣
 أبو بكر الصديق ٤٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
 ١٦٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٣٤٨ ،
 ٣٦٠ ، ٣٩٥
 آل أبي بكر الصديق ٥٣٨
 أبو بكر بن عباس ٣٦٨
 أبو بكر بن عبد الله بن سبرة ٤٣٢
 أبو بكر بن العياش ٣٦٨
 أبو بكر الخنفي ١٩٤
 أبو بكر بن هشام ٥٦٢
 ابن بكر بن محمد ٤٢٤ ، ٤٢٥
 أم بكر بنت المسور ٤١٢
 بكر بن وائل ٣٥٥
 البكري النسابة ٣٠٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥
 بكير بن عبد الله ٢٢٥
 البلاذري (أحمد بن يحيى) ١٤١ -
 ١٤٣ ، ٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٣٨١ ،
 ٤٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٥٥٥ ،
 ٥٥٩ ، ٥٦٥
 بلال بن أبي بردة ٥٠٣ ، ٥١٠ ،
 ٥١٣ ، ٥١٥
 بلال بن يحيى ٣١٦
 بلينوس ١١٦
 بهرام بن مروان شاه ٣٣١
 بوذا ٥١

بولس (القديس) ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
١٠٣ ، ١٠٩
بوندمورى ٢٣٧
بنو بويه ٢٤٧
بيبرس ٥٥١

بيروز = بروسوس

بيروس = بروسوس

البيروتيون ٢٢٥

البيزنطيون ٣١ ، ٣٧ ، ١١٥ ، ١٢٧ ،

٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ،

٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٥٥٠

بيكر ٣٩٩

بيكوردين ٣١٢

(ت)

تأبط شرًا ٤٩٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨

التابعون ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٢٣ ،

٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٦١ ، ٣٩٦ ،

٤٠٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ،

٤٨٧ ، ٤٨٩

تاون الإسكندراني ٣١٢

تاييس ٢٤٣

التبابعة ١٤٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،

٢٩٤ ، ٣٠٩ ، ٣٧٥ ، ٥٨٠

تبان أسعد ١٧٣

تبع ٤٩٥ ، ٤٩٦

التتاريون ٢٢٢

التدمريون ١٢٧

الترك ٣٦ ، ٣٨

الترمذى ٥٦٤

أبو تمام ٥٢٨

تغلب ٤٨١

تميم ٤٧٥

تميم الدارى ١٩٢

توماس كارليل ٥٧ ، ١٤٠ ، ٥٨٢

تيبورمند ٥٨٢

بنو تيم ٤٣٦ ، ٥٤٠

تيم قریش ٤٣٧ ، ٥٣٥

تيودثيوس ٢٥٣

تيوفيل ٢٣٥

(ث)

ابن أبي ثابت الزهرى ٤١٢ ، ٤١٧

ثابت بن قره ٣٣١

ثروت عكاشة ٤٣٧ ، ٤٣٨

الثعالبي ٢٤٤ ، ٣٤٩

ثعلب (أبو الحسن) ٥٤٢

ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى)

٥٣٨ ، ٥٢٤

بنو ثقيف (الثقفيون) ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٦ ، ٥١٢

ثمود ٣٢ - ٣٤ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٥٨ ،

٦٥ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ،

١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ،

١٩٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٩٣ ،

٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٤٤٥ ،

٤٥٩ ، ٤٦٨ ، ٤٩٥ ، ٥٥٦ ،

٥٨٠ ، ٥٩٢

الثموديون ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٨ ،

٥٢ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٦١

ثور بن كلب ٤٤٤

الثورى ٤٥٤

ثيوفراست ١١٦

(ج)

جابر البلاذرى ٥٦٥

جابر بن حيان ١٧٨

جابر بن عبد الله ٢١٠

الجاحظ ٢٤٤ ، ٤٨٩ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ،

٥٣٩ ، ٥٦٢

جاما ساب ٢٤٧

ابن جامع ٥١٤

أبو جعفر يزيد بن القعقاع ٤١٣
 جلعشمش ٥٦
 الجمحي (محمد بن سلام) ١٦٨ .
 ٤٥٨ . ٤٥٩ . ٤٨٨ . ٤٩٢ .
 ٤٩٦ . ٤٩٨ . ٥٠٤ . ٥١٨ .
 ٥٥٠ . ٥٦٢ .
 جميل ١٩٦
 جميل العظم ٣٧٥
 جناد بن واصل الكوفي ٥١٢
 جناب السدوسي ٣٨٦
 ابن جني (أبو الفتح عثمان) ٤٩١
 ج. ٥. النذر = يوسف النذر
 الجهمية ٥٥
 جواد علي ٢٩ . ٣٢ . ٣٤ . ٣٦ .
 ٣٧ . ٣٩ . ٩٥ . ٩٦ . ١٠٣ .
 ١٠٤ . ١١٤ . ١٢٣ . ١٢٧ .
 ١٣٢ . ١٤٢ . ١٤٧ . ١٤٩ .
 ١٥٠ . ١٥١ . ١٥٩ . ٣٣٥ .
 ٣٥٠ . ٣٧٥ . ٣٧٧ . ٤٠٠ .
 ٤٠٢ . ٤٦٥ . ٤٧٩ . ٤١٠ .
 ٥٤٨ . ٥٥٦ . ٥٥٧ . ٥٦٩ .
 ٥٨٥ . ٥١٩ .
 جوية ٣١١
 جورج حداد ٥٨٣
 جورج فضايل حداد ٥٨٤
 جورج كاستلاني ٥٨٢
 جورج كيرك ٥١٢
 جورجيس بن جبرئيل ٣٣١
 جزيون ٥١٣ .
 جون ديسون ٣٠ . ٣١ . ١٠٥ .
 ١٣٣ . ٥١٢ .
 جوي ٣٦١
 جويدن ٢٣٦ . ٢٣٨ .
 جيمس هينري برينك ٣١ . ٥١٢ .
 ٥٨٤

جان جاك بيربي ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،
 الجابرة ٣٠٩
 جبريل (عليه السلام) ١٧٦
 جبلة بن سالم ٣٣٠
 ابن جبير ٨٩ . ٣١٧
 جحظة (أحمد بن جعفر) ٥٠٨
 جديس ٣٢ . ٣٤ . ١٥٣ . ١٥٦ .
 ١٦٥ . ٣١٠ . ٣٤٤ . ٣٧٥
 ابن جذام ٤٩٦
 جربت ٥٧٤
 جرجي زيدان ٣٠ . ٣٤ . ٣٦ .
 ٣٧ . ٣٩ . ١٠٣ . ١٠٤ .
 ١١١ . ١١٥ . ١١٧ . ١٢٠ .
 ١٢٥ . ١٢٧ . ١٣٢ . ١٥٩ .
 ٢١٥ . ٢١٨ - ٢٢٧ . ٢٤٨ .
 ٢٦٢ . ٢٧٢ . ٣١٣ . ٣٣٥ .
 ٣٤٩ . ٤٠٠ . ٥٥٧ . ٥٦١ .
 ٥٦٩ . ٥٨٨ .
 جرير ١٩٦ . ٢٨٣ . ٥٠٤ . ٥٤٢ .
 ٥٤٣
 ابن جرير الطبري = الطبري
 الجرهاءيون ٢٧ . ٧٩ . ٣٤٩ . ٥٥٥ .
 جرم ٣٢ . ١٣٩ . ١٥٣ . ١٥٥ .
 ١٥٦ . ١٦٥ . ٢٩٣ . ٣٦٦ .
 ٤٥٨
 جروهان ٤٦٥ . ٤٧٠
 ابن جريح ٤٣٣ . ٥٦٣
 الجساسة ١٩٢
 الجعد بن درهم ٤٢١
 أبو جعفر الباقر ٤٦٣
 جعفر بن الزبير ٣٨٠ . ٤٦٢
 جعفر سنبل ١٦ . ١٧
 جعفر الصادق ١٧٨ . ٢٨٨
 أبو جعفر المنصور ٢٥٦ . ٢٥٧ . ٣٨٠
 أبو جعفر النحاس ٥١٧

(ح)

أبو حاتم سهل بن محمد = السجستاني

حاتم الطائي ٥٠٣

حاجب ٥٤٠

حاجي خليفة ٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٣٩٩ ،

٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٦٨ ، ٥٤٨ ،

٥٥٤

الحارث بن العاص ٥٠٢

الحافظ بن حجر = ابن حجر

الحافظ بن عساكر = ابن عساكر

الحاكم النيسابوري ٣٦٥ ، ٤٦٧ ،

حقوق ١٠٧

ابن حبيب ١٤١

أم حبيب ٣٥٨

أبو حبيبة (مولى الزبير) ٤٣٢ ، ٤٣٣ ،

حبيب جاماني ١٢ ، ١٣ ،

الحجاج بن يوسف ١٨٩ ، ٣٣٥ ،

٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٢٠ ،

٤٢٦

الحجاج بن يوسف بن مطر ٣٣١

ابن حجر ١٨٧ ، ٣٢٥ ، ٣٦٢ ،

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ،

٤٢٤ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٥٤ ،

٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٥٣٥ ،

حجر بن عدى ٥٦٠

حجي ١٠٧

بنو حدان ٤٥٤

حذيفة بن بدر ٥٤٣

حذيفة اليمان ٢٢٥

الحراني (محمد بن أسعد) ٣٠٢

حرملة بن منذر الطائي ١٩٤

حزقيال (حزقييل) ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ،

١٠٧

ابن حزم ٤١٤

حسان بن ثابت ١٦٦

حسان بن عمرو الحميري ٣٩٣

الحسن ١٨٨

أبو حسن ٣١٤

الحسن بن محمد بن الحنفية ٤٣٦

حسن إبراهيم حسن ٢١٩ ، ٢٢٤ ،

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٥٨٣ ،

أبو الحسن أحمد بن فارس ٣٩٤

الحسن البصري ١٩٥

أم الحسن بنت الزبير ٣٨٠

الحسن بن سهل ٣٣٠

أبو الحسن علي بن زياد التيمي ٣٣٠

أبو الحسن علي بن سليمان الزهري ٤١٣

حسن كمال ٥٨٤

أبو الحسن الكوفي ٥٦١

حسني عبد المجيد ٤٨

الحسين بن علي (ر) ٥٦٠

حسين مؤنس ٣١٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ ،

٣٩٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٦٥ ،

حسين نصار ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨٢ ،

٣٨٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ،

٤١٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٨ ،

٤٤٠ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٦٦ ،

٥٨٤ ، ٥٨٨ ،

حشوراش ٩١

الحضرميون ٣٠١

الخطيئة ٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ،

٥٢٧

الخلي ٢٠٦ ، ٤٦٠ ،

حماد ابن ابن إسحاق ٥٠٨

حماد الراوية ١٦٧ ، ٢٤٦ ، ٣٥٦ ،

٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ،

٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ،

٥١٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٧ ،

٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٦٩ ، ٥٩١ ،

حماد الزبيرقان ٥٠٩

خديجة بنت الزبير ٣٨٠
ابن خرداذبة (عبد الله بن أحمد) ٣١٥ ،

٥٦٩ . ٣١٦

الحرابي (أبو يعقوب) ٥٠٩

خزاعة ١٥٤ . ١٥٦ . ١٦٥ . ٣٠١ ،

الخرزج ١٤٠ . ١٤٢ . ١٤٦ ،

١٤٧ . ١٧٣ . ١٧٤ . ٣٠١ ،

٥٦٢ . ٣٠٤

خزيمة ١٨٢

الحضر ٥٦

الحضري (محمد) ٢٥٦ . ٣٦٠

أبو الخطاب الأخفش - الأخفش

الخطي - خديفة بن بدر

الخطيب البغدادي ٢٠٥ . ٢٠٧ ،

خلاد بن يزيد - الباهلي

ابن خلدون (عبد الرحمن) ٢٩ . ٣٢ .

٣٧ . ٨٧ . ٨٩ . ١٣١ . ١٣٢ .

٢١٨ . ٢٢٣ . ٢٤٥ . ٢٤٨ .

٢٦١ . ٢٦٢ . ٢٧٥ . ٢٨٠ .

٣٠٣ . ٣٠٤ . ٣٣٧ . ٣٤٣ .

٤٩٠ . ٥٤٧ . ٥٥٢ . ٥٥٤ .

٥٥٧ . ٥٧١ . ٥٧٢

ابن خلدون (يحيى) ٥٧٢

خلف الأحمر ٤١٣ . ٤١٧ . ٤٩٠ .

٤٩٦ . ٤٩٨ . ٥٠٣ . ٥٠٤ .

٥٠٨ . ٥١٠ . ٥١٥ . ٥٢٥ .

٥٣١ . ٥٩١

الخلفاء الراشدين ٢٢٢ . ٣١٦ .

٤٣١ . ٤٥٠ . ٤٥٥ . ٤٦٦ .

٥٦٨

الخلفاء العباسيون ٣٥٨

الختمانية ٢٣٦

ابن خلکان ١٨٨ . ٣٩٩ . ٥٤١ .

٥٧١

خديفة بن خياط ٤٧٨

حماد بن سلمة ٥٦٣

حماد عجرد ٥٠٩

حمد الجاسر ١٨ : ٣١٨

بنو حمدان ٢٤٧

حمزة الأصفهاني ٣٢ : ٣٣٦ ،

٥٦٦ . ٥٦٩

حمزة بن الزبير ٣٨٠

حمورابي ١٠٢ . ١٠٤ . ١٢٤

الحمورابيون ٣٤٤

حمير (الحميريون) ٢٧ : ٣٤ ،

٣٦ : ٣٨ . ١٤٦ . ١٤٧ ،

١٥٠ : ١٥٦ . ١٥٧ : ٢٧٣ ،

٣٠٥ : ٣٤٤ . ٣٧٤ . ٣٧٦ ،

٣٩٩ : ٤٩٥ . ٤٩٦ . ٥٥٠ ،

٥٦١ . ٥٦٩ . ٥٧٢ . ٥٩٢

أبو حنيفة ٢٧٦ . ٤٩٤

حنين بن إسحاق ٣٣١

حواء ١٥٢ . ٥٧٩

الحواريون ١٠٩

ابن حوقل ٣١٤ - ٣١٦

ابن حيان ٤٠٩

حي بن أخطب ١٧٧

(خ)

خالد بن عرفطة ٢٠٥

خالد القسري ٤١٥ . ٤١٦ . ٤١٨ -

٤٢١

خالد بن الوليد ١٤٣ . ٢٨٣ . ٤١٢ .

٤١٧ . ٤١٩ . ٤٦٤

أم خالد ٤٣٣ . ٤٣٤

خالد بن يزيد بن معاوية ٣٣٢

الخالدبان ٥٢٧

الخانجي (محمد أمين) ١٢٥ . ٢٤٢ .

٢٤٣ . ٤٩٤

خديجة (أم المؤمنين) ١٥١ . ٢٨٢ .

٣٨٢

دغفل النسابة ٣٠٣ ، ٣٣٩ ، ٣٥٣ —
٤٤٤ ، ٣٥٥

دفيف (مولى ابن عباس) ٣٦١
أبودلف العجلي ٣١٧
الدهريون ٥٧٦
دومة ١٩٥
الديار بكري ٤٣٠

ديتلف نيلسن ١٠١ ، ٢٧٤ ، ٥٨٢
الدينورى ٢٧٤ ، ٣٧٣ ، ٣٩٥ ،
٤٨٨ ، ٥٥٥ ، ٥٦١ ، ٥٦٥
ديودورس الصقلي ١١٦ — ١١٨ ،
١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٧

(ذ)

الذهبي (شمس الدين) ١٨٧ ، ٤٠٩ ،
٤١٥ — ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٠ ،
٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣ ،
٤٦٤ ، ٤٧٨ ، ٥٦٨
ذو رعين ٣٤٨
ذو الرمة ٥٠٣ ، ٥١٣
ذو القرنين ٤٨
ذو نواس ٤٠١ ، ٤٦٥
آل ذى شعبين ٣٩٣

(ر)

الرازي ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢
راعوث ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٦
أبورافع ٣٦٥ ، ٣٦٧
الرافعي (مصطفى صادق) ٥٠٤
آل الربيع ٥٣٧
الربيع بن صبيح ٥٦٣
ربيعة ٣٠٢
ربيعة الرأى ١٧٨ ، ١٨٨
رحمة الله ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٤ ،
١٠٩
رحمة الله السندی ٩٢

الحليل بن أحمد ٢٧٩ ، ٥٠٢ ،
الخوارج ٤٤٩ ، ٥٣٥ ، ٥٣٨ ،
٥٣٩

خواشير بن يوسف الأركي ٣١٧
الخيريون ٣٠١
بنوخيم ٣٩٩
الخيزران ٥١٦

(د)

ابن دأب ٤٩٩
الدادانيون ٣٨
دارا الأول ٢٤٣
الدارقطني ٣٦٢ ، ٤٦٣
داسمانيوس ١١٩
دانيا ١٠٧
دانيال ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٧ ،
٢٠٥ ، ٢١١
داهر ٢٤٥
أبودؤاد الإيادي ٥٢٨
داود (عليه السلام) ٥٠ ، ٨٦ ،
٩١ ، ٩٢ ، ٩٤
داود باشا ٥٧٨
أبو داود ٥٦٤
داود بن قيس الصنعاني ٣٩٨
ابن داود بن متمم بن نويرة ٤٩٧
الدبس (المطران) ٣١ ، ٩٤ ،
١٠٢ ، ١١٤
الدبش ١٨٢
دبورانت — ول ١١٧ ، ١١٩ ،
١٢٠
الدجال ١٦٢
دحيم ٤٦١
أبو الدرداء (عويمر بن مالك) ١٨٧ ،
٣٥١
درمنغام ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٥٧٨
أبو دعامة العبسي (علي بن مرثد) ٤٩١

- ٥٧٠ ، ٥٦٨ ، ٥٦٦ ، ٥٦١
 زكريا ١٠٧
 زكى مبارك ٥٥٧
 زكى المحاسنى ١٧ ، ١٨
 زكى نجيب محمود ٥٨٣
 ابن أبى زناد ٤١٤
 أبو الزناد ٤٢١
 الزنادقة ٥٦٧
 بنو زهرة ١٧٩ ، ١٨٢ - ١٨٥
 زهرة بن كلاب ٤١٢
 الزهرى = ابن شهاب
 زهير ٣٣ ، ١٦٧ ، ٥٤٣
 زياد ابن أبيه ٣٠٣ ، ٤٢٠ ، ٥٣٨
 زياد بن عبد الله البكائى ٤٥٨ ، ٤٨٨
 زيلاء بنت جرير ٥٤٣
 ابن زيد ١٤٤ - ١٤٦
 أبو زيد ٥٠٤ ، ٥٢٢ ، ٥٣٤
 زيد البلخى ٣١٤
 زيد بن ثابت ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٦
 ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٤٠٨
 زيد بن حارثة ٢٨٢
 زيد بن عمرو ٤٣١
 زيد بن الكيس التمرى ٣٠٣ ، ٥٥٥
 زينب - الزباء ٢٣٥
 زينب بنت أبى سلمة ١٩٦
 زينب بنت جحش ٢٨٢
 زين العابدين الموسوى ٣٧٦
 زينوفون ١١٦
 (س)
 سابور بن أردشير ١٥٢ ، ٢٤٦
 ٢٤٨
 سابور (أبو حماد الرومى) ٥٠٨
 ٥١٨
 الساسانيون (آل ساسان) ٢٣٩ ، ٢٤٣
 ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٥٨٢
- رستم ١٤٨ ، ٣٣٠
 الرشيد = هارون
 آل الرشيد ٩
 رشيد رضا = محمد
 رقاديوس ٢٥٣
 رملة بنت الزبير ٣٨٠
 رنان (أرنست) ٢٣٧
 رنيه دليسون ٥٨٤
 رؤبة بن العجاج ٣٥٤ ، ٤٩٠
 روث ٩١
 الروم = الرومان = الرومانيون ٣٥ -
 ٣٧ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ١٠٣
 ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٤٠ ،
 ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ،
 ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ،
 ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ،
 ٢٩٤ ، ٣٠٢ ، ٣٣١ ، ٥٦٧ ،
 ٥٨٠ ، ٥٨٢
 (ز)
 زادويه بن هاشويه الأصفهاني ٣٣١ ،
 ٣٣٦
 ابن زباله ٥٦٤
 آل الزبير ٤٣٣
 الزبير بن بكار ٥٦٢
 الزبير بن العوام ٣٦٣ ، ٣٨٠ ،
 ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢
 الزبيرى (أبو عبد الله المصعب) ٤١٤
 الزبيريون ٤٣٤ ، ٤٦٢
 الزجاج ٩٧
 زرادشت ٢٤٧ ، ٢٤٨
 ابن زرعقة ٣٣١
 الزركلى (خير الدين) ١٨٠ ، ٣١١ ،
 ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٤٨ ،
 ٣٧٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٠ ، ٤٨١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢

٢١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ -
 ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،
 ٤٠٩ ، ٤١٢ - ٤١٤ ، ٤١٩ ،
 ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤ ،
 ٤٤٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٥ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٨٨ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ،
 بنو سعد بن مالك ٥١٨
 سعد بن أبي وقاص ٢١٨ ، ٢٢٤ ،
 ٢٤١
 سعدة بنت ثعلبة ٢٨٢
 آل السعود ٩
 ابن سعيد ٢٦١
 سعيد بن جبير ١٨٧ ، ١٨٨ ،
 ٣٦٢
 أبو سعيد الخدري ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
 ٢٦١ ، ٤٠٨ ، ٥٠٤ ،
 سعيد بن عروبة ٥٦٣ ،
 سعيد بن عريض ١٩٤
 سعيد الغز ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،
 سعيد الفيومي ٩١
 سعيد بن المسيب ٣٠٣ ، ٣٦١ ،
 ٤١٣ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٨٧ ،
 ابن سعيد المغربي ٥٧١
 سعيد بن وهب الثقفي ١٥١٨
 السعيدى الراوية ٥١٦
 السفاح ١٩٤ ، ٣٣٥ ،
 سفطى ٩١
 أبو سفيان ١٧٣ ، ٣٠٣ ، ٣٦٣ ، ٥٣٨ ،
 سفيان الثوري ٤٥٩ ، ٥٦٣ ،
 سفيان بن عيينة ٢١١ ، ٤٥٨ ،
 سفيان بن معاوية ٣٣٦
 السفيانيون ٣٦٢ ، ٤٢٤ ،

الساعى (تاج الدين) ٥٧١
 سالم بن أبي الضبي ٥٢٢
 سام ٢٦٢
 السامريون ٥٦
 الساميون ٢٩ ، ٣٤٤
 آل السائب ٣٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ،
 السائب بن محمد السائب ٤٤٤
 سبأ ٣٧ ، ٧٩ ، ١٠١ ، ١٢٨ ،
 ١٢٩ ، ١٥٣ ، ٣٠١ ، ٣٤٤ ،
 ٣٤٩ ، ٥٨٠ ، ٥٩٢ ،
 السبثيون ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ١٢٧ ،
 ٣٠١ ، ٣٤٩ ، ٥٥٥ ،
 ست ٣١
 ستيزيان ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
 ستيفانوس البيزنطى ١١٦
 ستين لويد ٥٨٤
 السجستاني (سهل بن محمد) ٤٧٤ ،
 ٤٧٥ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٩ ، ٥٤٣ ،
 سخاو (إدوار) ٤٠٦ ، ٤٣٠ ،
 السخاوى (شمس الدين) ٤٠٠ ، ٤١٦ ،
 ٤١٨ ، ٤٣٧ ، ٥٥٣ ،
 سدوس ٣٥٥
 سرجون ١١٩ ، ١٢٠ ،
 سرجون الثانى ١٢١
 سريان بن نبيط ٢٦١
 السريانيون ٢٨ ، ٣٢ ، ٥٥ ، ١٤٩ ،
 ١٥٩ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،
 ٢٧٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
 ٣٠٥ ، ٣٣٢ ، ٥٧١ ، ٥٩٢ ،
 ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع
 البصرى الزهرى) ١٤١ ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
 ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ،

سند الوراق ٥٠٩
 آل سهل ٥٣٧ ، ٥٤١
 سهل بن سعد ٤٢٢
 السوربون ٦٥ ، ١٢٩
 السوموريون ١٣ ، ٢٧ ، ١٠٢ ،
 ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٥٢
 سويد بن الصامت ١٥١ ، ١٥٥
 سويد بن مقرن ٢٢٢
 سويروس ألكسندروس ٢٥٥
 سيويه ٢٧٩ ، ٥٠٢
 سيديو ٢٣٦ - ٢٣٨ ، ٣١٠ ،
 ٣١١ ، ٥٦٧ ، ٥٨١
 سيرسيرين ٩١ ، ٩٢
 سيف بن عمير الأسدي ٤٨٨
 سيف اليزن ٦٣ ، ١٩٣
 سيلين ٩٦
 السيوطي (جلال الدين) ٤٨٩ ،
 ٣٩٩ ، ٥٠٨ ، ٥١٤ ، ٥١٧ ،
 ٥٢٢ ، ٥٣٤ ، ٥٥٣
 (ش)
 الشاسو ٣٠ ، ٣٠٩
 الشافعي ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٤٢٠
 أبو الشامه ٥٧١
 شبرنجر (لويس) ٤٣٠
 شبلي النعمان ٢٢٣
 شرحبيل بن سعد ١٩٠ ، ٣٣٩ ،
 ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٧
 الشرقي القصاب ٤٩٩
 ابن شمرية - عبيد بن عمير
 الشريف الخزازي ٣١١
 شريش ٣٩٥
 السعديون ٣٩٣
 شعبة (م - ابن عباس) ٣٦١
 السعدي ١٩ ، ١٩١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٩
 شرح العزب

سكينة بنت الحسين (ر) ١٩٦
 السلاجقة ٥٧٠
 سلم ٣١٤
 سلمان الفارسي ٢٨٣ ، ٤٤٠
 أبو سلمة بن عبد الرحمن ٤٢٢
 سلمى ٣٦٥
 ابن سلول ٤٢٠
 سليم (مؤسس أورشليم) ٩٥
 بنو سليم ٣٩٩ ، ٤٣٦
 أبو سليمان ٢٤٦
 سليمان بن داود (ص) ٤٨ ، ٥٤ ،
 ٥٩ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠١ ،
 ١٠٦
 سليمان بن طرخان ٣٣٩ ، ٤٣٥ -
 ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ - ٤٥٤ ،
 ٤٥٨ ، ٤٦٨
 سليمان بن عبد الملك ٤٢٤
 سليمان بن علي ٤٤٤
 سليمان بن عبيد ١٩٣
 سليمان بن قتة ٤٣٧
 سليمان بن مهران = الأعمش
 سليمان موسى ٥٨٤
 سليمان بن يسار ٣٨١ ، ٤٢٠ ، ٤٣٦
 السلمايون ٤٣٥ ، ٤٣٧
 ابن السمط ٤١٧
 السمعاني ٥٧٠
 السمهودي ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ،
 ٥٥٤
 السموي ١٩٤
 آل السميذع بن هونته ١٥٦
 سميراميس ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ،
 ١٣٤
 ابن سنان ٣٧٦
 سنان بن ثابت بن قرة ٣٣١
 سنده بن علي ٣١٢

١٥٢ ، ١٢٠ ، ٦٨ ، ٦٥
 ١٧٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣
 أبو صالح ٤٤٥ ، ٤٧٩
 صالح بن سلمان ٥١٥
 صالح بن طريف ٣٩٩
 صالح بن كيسان ٤١٢ ، ٤١٤
 صاهلة بن كاهل ١٨٢
 صبح الطائي ٣٥٥

الصحابه ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ —
 ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٩٤ ، ٣٢٣
 ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠
 ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨
 ٣٨١ ، ٣٩٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٨
 ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٤ ، ٤٨٧
 ٤٨٩ ، ٥٧٠

صحارى العدوى ٣٥٥
 صطفن الإسكندراني ٣٣١
 صعصعة بن صوحان ٣٠٣
 صفونيا ١٠٧

صموئيل ٩٩ ، ١٠٦
 صهيب الرومي ٢٨٣
 الصمونيون ٣٦٦
 الصولي ٥٦٧

(ض)

ضبيعة ٤٣٦
 الضحاك بن مزاحم ١٨٩ ، ٣٦١
 ضياء الدين رجب ١٨

(ط)

أبو طالب ١٣٩ ، ٥٧٨

الطبري (ابن جرير) ٣٢ ، ٣٣
 ٣٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٦
 ٧٤ ، ٨٧ — ٩٠ ، ١٠٤
 ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ —
 ١٤٦ ، ١٤٩ — ١٥١ ، ١٧٥

٣٩١ — ٣٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ،
 ٤٧٥

الشعبيون ٣٩٣

الشعوبية ١١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٥ ، ٣٠٢ ، ٤٩١ ، ٥٣٤ ،
 ٥٣٩ — ٥٤٢ ، ٥٩٠

الشعوبيون ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣

شعيب (ص) ١٥٢

شعيب بن حرب ٢٠٦

شكيب أرسلان ١٣١ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥

شمس بن عبد مناف ٥٦١

شمعون الإرشامى ١٤٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٢

شمويل (شماويل) ٩١ ، ٩٣

الشنفرى ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨

شهاب أحمد بن ماجد السعدى ٣١٧ ،

٣١٨

ابن شهاب الزهرى (محمد بن مسلم)

١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ،

٢٩٦ ، ٣٣٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ،

٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤١١ — ٤٢٢ ،

٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٦٥ ،

٤٦٧ — ٤٦٩ ، ٥٦٣ ، ٥٦٩

ابن شهاب بن عبد الله ٤١٩ ، ٤٢٠ ،

٤٣٦ ، ٥١٩ ، ٥٦٩ ، ٥٨٣

الشهرزورى ١٢٥

الشيعة ٢٢٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٩ ،

٣٩٥ ، ٤٣٦

(ص)

صاعد بن أحمد الأندلسى ١٥٦ ،

١٦٠ ، ٤١٣ ، ٥٦٩

صالح (ص) ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٤ ،

عاصم بن الزبير ٣٨٠
عاصم بن عمر بن قتادة ١٩٠ . ١٩٣ .
٣٣٩ . ٤٠٥ . ٤٠٦ . ٤٢٧

عاصم بن النجود ٣٦٨
عامر بن شراحيل ٣٩١ . ٣٩٦
عامر بن عبد الله بن عبد القيس ٩٠
عاموس ٩٥ . ١٠٧

عائشة (أم المؤمنين) ١٧٦ . ١٨٩
١٩٦ . ٢٠٧ . ٣٦١ . ٣٦٥
٣٨٦

عائشة بنت الزبير ٣٨٠
عبادة بن الصامت ١٨٧ . ٣٩٨
ابن عباس = عبد الله
العباس بن بكار ٥٢٢ . ٥٢٣
أبو العباس ثعلب = ثعلب
العباس بن عبد المطلب ٢٨٠ . ٣٥١
٤٠٦ . ٤٣٩ . ٤٧١
عباس محمود العماد ٥١

العباسيون ١٩٧ . ٢٥٧ . ٣٠٢
٣١٠ . ٣٢٢ . ٣٢٣
٤٣٩ . ٤٦٦ . ٤٧١ . ٥٣٤
٥٣٥ . ٥٥٢ . ٥٦٧

ابن أم عبد = عبد الله بن مسعود
أم عبد ١٨٢

بنو عبد ١٨٣

عبد الله بن أحمد بن حردويه
بن حردويه
عبد الله بن أحمد بن محمد ٥٦٥
عبد الله بن أبي إسحاق الجعفي ٤٣٤
عبد الله بن أبي بكر بن محمد ٤٥١
١٩٦ . ٣٣٩ . ٤٢٣ . ٤٢٨
٤٦٧

عبد الله بن عمرو ٣٥٥
عبد الله بن حنبل ٢٨٢
عبد الله بن جعفر الزماني ٤١٢

١٧٧ . ١٨٠ . ١٨١ . ٢٠٧

٢٠٨ . ٢٣٣ . ٢٤٤ . ٢٦١

٢٧٤ . ٢٨٠ . ٣٠٤ . ٣٤٣

٣٦٠ . ٣٦٣ . ٣٦٤ . ٣٦٧

٣٨١ . ٣٨٢ . ٣٩٥ . ٣٩٦

٤١٢ . ٤١٣ . ٤١٨ . ٤١٩

٤٢١ . ٤٢٦ . ٤٣١ . ٤٣٢

طرفة ٣٣ : ٥١٨

طسم ٣٢ . ٣٤ : ١٥٣ . ١٥٦

١٦٥ . ٣١٠ . ٣٤٤ . ٣٧٥

طه باقر ٥٨٤

طه حسين ٣٦٠ . ٤٩٢ . ٥٥٧

طهمورث ٢٤٥

الطوائف ٥٨١

طوبيا ٩٤ . ١٠٧

الطولونيون ٢٣٦

أبو الطيب ٥٠٣

أبو الطيب المنبي ٤٩٣

أبو الطيب النامي ٥٥٤

ابن طيفور (أحمد) ٢٤٦ . ٥٥٣

٥٦٥

طيودوس ٢٣٥

طبي ١٥٧ . ٤٧٥

(ع)

عابر ٣٧٦

عاد ٣٢ - ٣٤ . ٤٩ . ٥٧ . ٦١

٧٩ . ١٢٨ . ١٣٩ . ١٤٧

١٥٠ . ١٥٢ . ١٥٥ . ١٦٥

١٩٤ . ٢٧٤ . ٢٩٣ . ٣٤٤

٣٦٦ . ٣٧٥ . ٤٤٥ . ٤٥٩

٤٦٨ . ٤٩٥ . ٥٥٦ . ٥٨٠

٥٩٢

عادل زعير ٥٨١ . ٥٨٣

العاديون ٥٨ . ١٦١

عارف حكمت ٥٦٤

عبد الله بن مسعود ١٥٥ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٧٩-١٨٥ ، ١٨٧ ،
١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٧٩ ، ٥٦٧ ،
٥٦٨

عبد الله بن مسلم الزهري ٤١٤

عبد الله بن مطيع ٣٩٣

عبد الله بن أم مكتوم الزهري ١٨٥

عبد الله بن يزيد الخطمي ٣٩٣

عبد البر ٤٦٣

ابن عبد البر ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،

١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣٢٤ ،

٣٢٥ ، ٥٥٠

عبد الجبار بن عمارة ٤٢٦

عبد الحلیم النجار ٥٨٤

عبد الحميد الدواخلى ٥٨٤

عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد

الخطاب ٣٩٢

عبد الحميد يونس ٥٨٣

ابن عبد ربه (أحمد) ٣٧ ، ٤٨٩ ،

٥٥٠ ، ٥٦٦

عبد الرازق ٤٥٤

أبو عبد الرحمن ١٧٥

عبد الرحمن بن العباس ٣٥٨

عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم ٥٦٤

عبد الرحمن بن عبد القارى ١٨٢

عبد الرحمن بن عوف الزهري ١٨٣ -

١٨٥

عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر

ابن حزم ٤٢٥

عبد الرحمن بن محمد السائب ٤٤٤

عبد الرحمن بن معاوية ١٩٣

بنو عبد بن زهرة ١٨٣ ، ١٨٥ ،

ابن عبد الظاهر ٥٥١

عبد العزيز توفيق جاويد ٥٨٢

عبد العزيز الدورى ١٥٠ ، ٣٨١ ،

عبد الله بن الحارث ١٨٩ ، ٣٦١ ،

عبد الله بن الزبير ٣٨٠ ، ٣٨١ ،

٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٥٦٢

عبد الله بن زياد بن أبيه ٤٢٠

عبد الله بن سعد الزهري ٤١٢ ، ٤١٧ ،

٤١٩

عبد الله بن سلام ٣٦٨ ، ٤٢٦ ،

عبد الله بن صفوان ٤٢٦

عبد الله بن طاهر ٢١٨ ، ٢٢٤ ،

٢٢٦

عبد الله بن عباس ٢٩ ، ٤٧ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ١٤٤ - ١٤٦ ،

١٧٥ - ١٧٧ ، ١٨٦ - ١٨٨ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،

٢١١ ، ٢٨٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ،

٣٥٠ ، ٣٥٧ - ٣٦٩ ، ٣٨٠ ،

٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ،

٤٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٦٤ ،

٤٨٧ ، ٥١٠ ، ٥١٧ ، ٥٢٣ ،

٥٣٠ ، ٥٦٢

عبد الله بن عبد الحجر ٣٠٣

عبد الله بن عبد المطلب ٤١٢

عبد الله بن عمر ٨٩ ، ٤١٤ ، ٤٢٢ ،

عبد الله بن عمرو بن العاص ١٨٧ ،

١٩١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،

٢١٠

عبد الله بن علي ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،

٣٦٥

عبد الله بن قلابة ١٠٢

عبد الله بن قيس ٢٨٣ ، ٤٨٧ ،

عبد الله بن أم كلثوم ١٧٩ ، ١٨١ ،

عبد الله بن مالك ٥١٦

عبد الله بن محمد بن علي ٣٦٠

عبد الله مدني ٩ ، ٣١٨

- عبيد الله بن عمر ٤٢٢
 أبو عبيد البكري ٣١٥
 ابن عبيدة ٤٥٤
 عبيدة بنت الزبير ٣٨٠
 أبو عبيدة (معمربن المثنى) ١٦٨ .
 ١٨٧ . ٤٨٣ . ٤٨٧ . ٤٩٠ . ٤٩١ . ٤٩٧ . ٥٠٢ .
 ٥١٥ . ٥٢٩ . ٥٣٣ - ٥٤٤
 ٥٩١
 عبيد بن شريعة ٣٢ . ١٤٧ . ١٥١ .
 ١٥٦ . ١٥٩ . ١٦٠ . ١٩٤ .
 ٣٠٣ . ٣٢٩ . ٣٥٤ . ٣٧١ .
 ٣٧٧ . ٤٠٠ . ٤٠٢ . ٤٧٠ .
 ٥٦٥
 أبو عبيد القاسم ٢٠٧
 عبيد بن محمد السائب ٤٤٤
 عبيد مدني ٩ . ١٥
 عبيد ٣٢ . ٣٤ . ١٥٣ . ١٥٥ .
 عتبة بن الحكم الضرير ٤٤٧ - ٤٥١ .
 ٤٥٤ . ٤٧٩ . ٤٨٠ .
 عتبة بن مسعود ١٧٩ . ١٨٣ . ١٨٥ .
 عتبة بن الهيثم البيهقي البيهقي
 العتيبي ٥٢٧
 عتيبة بن فرقة ٢٢٥
 عثمان بن عفان ١٤ . ١١٠ . ١١١ .
 ١٩٢ . ١٩٤ . ٣٤٨ . ٣٤٩ .
 ٣٨٦ . ٣٨٨ . ٤٢٥ . ٤٢٦ .
 ٤٣١ . ٤٥٥ . ٤٦٦ .
 العثيمين ٤٠
 العجمي الأحمدي
 عثمان ٣٠٢ . ٣٠٤ . ٣١٦ .
 عثمان بن عيسى ٣٢ . ٣٧٦ .
 ابن عثمي ٤١٢ . ٤١٩ .
 عثمي بن رثاث الزياتي ٤٤٥
 عثمي بن زياد العبادي ١٤١ . ١٦١ .
- ٣٨٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ،
 ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ،
 ٤٣٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٦٥ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٢ ، ٥٨٨ ،
 عبد العزيز بن عمران الزهري ٤١٢ .
 ٤١٩
 عبد القادر بدران ٥٧٠
 عبد القدوس الأنصاري ١٨
 عبد القيس ٣٩٣ ، ٥٣٠
 عبد اللطيف البغدادي ٢٢٠ ، ٢٢١ .
 ٢٣٦ ، ٢٣٧
 عبد المحسن الحسيني ٥٨٣
 عبد المحسن بن ناعمة الخدصي ٣٣١
 عبد المطلب ٤٩٥
 عبد الملك بن سفيان ٢٠٧
 عبد الملك بن محمد بن حزم ٤٢٤ .
 ٤٢٥
 عبد الملك بن مروان ١٩٢ ، ٢٠٨ .
 ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٢٦ .
 ٥٠٢
 عبد الملك بن هشام = ابن هشام
 بنو عبد مناف ٣٠٢ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .
 عبد المنعم بن إدريس ٣٩٨ ، ٤٠٠ .
 ٤٥٤
 بنو عبد الواد ٥٧٢
 عبد ود ١٨٢
 عبد الوهاب محمد وهيبه ٣١٥
 عبد الوهاب النجار ٤٩ ، ٥١ ، ٥٧ .
 ابن العبري ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .
 ٢٣٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٥٧١ .
 عبس ٣١٠
 أبو عبيد الله ٣٦١
 عبيد الله بن العباس ٣٥٨

٥٨٨ ، ٥٩٠ ، ٥٩١	١٦٧ ، ٤٤٩ ، ٤٩٢
العرب البائدة ٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥١ ،	العراقيون ٢٤٧
١٥٥ ، ١٥٧ ، ٤٠١	العرب ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢١ ،
العرب العاربة ١٥٦	٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
عروة بن الزبير ١٨٦ ، ١٩٠ ،	٣٦ ، ٣٨ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ٨٧ ،
١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،	٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ،
٢١٢ ، ٢٩٦ ، ٣٣٩ ، ٣٧٩ ،	١٠٤ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٤٠٨ ،	١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،	١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ،	١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،
٤٣٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٨	١٦١ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ،
أبو عروة = معمر بن راشد الأزدي	١٧٥ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ،
عروة بن مرة بن عباد ٤٣٦	٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
عزرا ٩٣ ، ١٠٦	٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
عزور ٩١	٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
عزير ٦٥ ، ٨٨	٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ،
العزير بالله ١٨٩	٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،
ابن عساكر ١٩٤ ، ٣٧٤ ، ٥٥٣ ، ٥٧٠	٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ،
عضل ١٨٢	٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ،
عطاء بن أبي رباح ٣٥٨ ، ٣٦٢ ،	٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ،
٤٦٣	٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ،
عطاء بن يسار ١٩٥ ، ٤٠٢	٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ ،
عقبة بن عامر ٣٦١	٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
عقبة بن عمرو ٤٠٠	٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ ،
عقبة بن أبي معيط ٤٥ ، ١٥٥	٣٨٢ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ،
عقيل بن أبي طالب ٤٤٥	٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٢ ، ٤٢٧ ،
أبو عكرمة ٥٢٤	٤٣٢ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٨ ،
عكرمة ١٧٦ ، ٢٨٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،	٤٨١ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ،
٤٣٦ ، ٣٦٧	٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ،
عكرمة بن خالد المخزومي ٣٦١	٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥١٢ ،
عكرمة بن عمار اليماني ٣٦١	٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ،
أبو العلاء المعري ٤٦٣	٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ،
علان الشعوبي ٥٣٨	٥٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ ،
علقمة بن أبي علقمة ١٨٩	٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٧ ،
علقمة بن أبي وقاص ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٥٢٤	٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ،

٢٤١ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٣٤٨ ،
٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٨٨ ،
٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٥١٠

عمر بن أبي ربيعة ٤٨٧

عمر بن شبة ٥٣٤

عمر بن شيبان ٣٥٥

عمر بن عبد الله بن الزبير ٤٦٢

عمر بن عبد العزيز ٨٩ ، ١٩٣ ،

٢٥٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ،

٤٠٦ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣

عمر بن الفرخان ٣٣١

عمر بن منبه ٣٩٨ ، ٤٠٣ ،

ابن عمر = عبد الله

أبو عمر ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،

عمران بن حصين ٤٨٧

عمرة الجسجية ١٩٦

عمرة بنت عبد الرحمن ١٩٦ ، ٤٢٢ ،

٤٢٤ ، ٤٢٥

أبو عمرة ٣٩٤

عمرو بن حزم ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،

عمرو بن دينار ٤٢٢

عمرو بن الزبير ٣٨٠

عمرو بن سلام ٣٩٤

عمرو بن شعيب ٤٦٣

عمرو بن عيسى ٢١٧ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣ ،

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٦١ ،

أبو عمرو الشيباني ٤١١ ، ٤٩١ ، ٥٠٣ ،

٥٦٠

أبو عمرو بن عبد الله ١٦١ ، ٣٥٥ ، ٤١٣ ،

٤١١ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ ، ٤٩١ ،

٥٠١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ،

٥١٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤٣ ، ٥٩١ ،

العصري ٩

العلويون ٤٠ ، ١٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٦٢ ،

٣٦٣ ، ٣٩٥ ، ٤٢٠ ، ٤٥٠ ،

٤٧٤ ، ٤٧٥

أبو علي الإسواري ١٩٣

علي الجمل المدني ٤٩٩

علي حافظ ١٨

علي بن الحسن ٣٦٠

علي بن داود الجوهري ٥٥٣

أبو علي بن سوار الكاتب ١٨٩

علي بن أبي طالب ١٥٥ ، ١٧٦ ،

٢٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٥ ، ٤٢٠ ،

٤٢٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٧٤ ،

٥٠٢

علي بن أبي طلحة ٣٦١ ، ٣٦٢ ،

علي بن عبد الله بن العباس ٣٦١

أبو علي القماني = القماني

علي بن محمد الشاشي ٥٦٧

علي بن المديني ٤٦٣

علي بن مرثد = أبو دعامة العبسي

علي بن موسى ٥٣٧

عمارة بن عمرو بن حزم ٤٢٦

العماليق ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ،

١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٤ ،

٢٩٣ ، ٣٠٩ ، ٣٤٤ ،

عمر الإسكندراني ٥٨٢

عمر بن بحر أبو طلحة ٤٠٠

عمر بن الحارث ١٥٣

عمر بن الخطاب ٤٠ ، ٤٧ ، ٩٨ ،

١٦٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،

٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،

٢٢٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،

أبو العميثل ٤٩١

ابن العميد ٢٤٦

عنتر بن شداد ٦٣ ، ١٦٧ ، ١٩٣

٤٩٦

عوانة بن الحكم الضرير ٣٤٠

عوبال ١٠٧

عويمر بن مالك = أبو الدرداء

العبي ٥٥٣

عيسى بن علي العباسي ٣٣٥

عيسى بن عمر الثقفي ٤٨٧

عيسى بن مريم = المسيح (ص)

٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤

٦٤ - ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٥ -

٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ - ٩٦ ، ١٠٠ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٣٣ ،

١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ٢٥٥ ،

٤٤٠ ، ٥٧٩ ، ٥٩٢

عيسى بن المهدي ٥١٥ ، ٥١٦

العيلامية ٢٤٣

أبو العيناء ٥٣٨

ابن عينة ٤٦٣

(غ)

ابن غزالة ٥١٦

الغساسنة ٣٥ - ٣٧ ، ١٢٧ ، ١٤٣ ،

١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ،

٣٠١ ، ٣٠٤

غويغيني ٢٣٧

غطفان ٣١٠

غندر ٤٥٤

غوستاف لوبون ٥٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ،

١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ٢٠٣ ،

٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ،

أبو الغول الأكبر ٥٢٤

أبو الغول النهشلي ٥٢٤

غيلان ٢٨٤

(ف)

ابن فاتك ١٢٥

فازيليف ٥٨٢

فاطمة (زوج عبد الله بن أبي بكر

ابن حزم) ١٩٦ ، ٤٢٥ ،

فاطمة بنت المنذر ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،

٤٦١ ، ٤٦٣

أبو الفتح عثمان = ابن جني

أبو الفداء ٥٥٩ ، ٥٧١ ،

الفراغة ٢٧ ، ٨٠ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ،

١٩٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٧ ،

٢٦٦ ، ٥٨٩

فرتز هومل ٥٨٢

أبو الفرج الأصفهاني = الأصفهاني

أبو الفرج الملطي ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢

فرجيل ٢٥٤

الفرزدق ١٩٦ ، ١٨٣ ، ٤٩٥ ،

٥١٠ ، ٥٤٢

الفرس ٢٧ - ٣٠ ، ٣٥ - ٣٧ ،

٤٥ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ١٢٥ ،

١٢٧ ، ١٤٠ ، ١٤٧ - ١٥٠ ،

١٦١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٩ ،

٢٤٣ - ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ،

٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،

٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ،

٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ،

٣٣٢ ، ٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٣٩٨ ،

٤٤٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٥٩٢

ابن الفرضي ٥٥٣

فرعون ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٨٠

الفرنسيون ٣٣٢

فرويد ٩٦

٣٨٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ،
 ٤١٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٤ ،
 ٤٤٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٨ ،
 ٤٧٤ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ ،
 ٤٩٥ ، ٥٢٢ ، ٥٣٥ ، ٥٤٢ ،
 ٥٥٥ ، ٥٦٤

قثم بن العباس ٣٥٨

قحطان ٣٠٢

القحطانيون ٣٧٤ : ٣٧٦ .

قدامة بن جعفر ٣١٦

القدرية ٣٩٨

قدموس ١١٤

قريش والقريشون ٣٥ . ٣٦ . ٤٥ .

٤٦ . ٥٥ . ٦٥ . ٦٦ . ٧٤ .

١٤٠ . ١٤٦ . ١٤٨ . ١٦٠ .

١٦٢ . ١٧٤ . ١٨٥ . ٣٠٢ .

٣٩٣ . ٤١٤ . ٤١٨ . ٤٢٦ .

٤٣٩ . ٤٤٥ . ٤٦٥ . ٤٧١ .

٤٨١ . ٥١٢ . ٥٦٢

بنو قريظة ٤٣٩

قس بن ساعدة ٣٤ . ١٤٧ .

قسطنطين ٣٣١

قسطنطين ١٠٣ . ٢٥٥ .

قسطنطين الأول ٢٥٣ . ٢٥٤ .

قصي ١٦٥

قضاة ٣٥

ابن القنظي ٢١٧ . ٢١٨ . ٢٢٠ .

٢٢١ . ٢٢٢ . ٥٦٠ .

ابن قلابة ١٨٠

القنقشندي ٤٨٩

ابن القوطية ٥٥٣

قوهلت ٩١ . ١٩٢ .

قيس بن مخزوم ٤٦٣

فريد وجدى = محمد

ابن فضلان ٣١٧

الفضل بن الربيع ٥٣٧

الفضل بن عبد المطلب ٣٥٨

الفضل بن نوبخت ٣٣٠

ابن الفقيه ٣١٦

فؤاد حسين على ٥٨٢

فوت ٢٣٧

فون فلوتن ٥٨٣

فون كريم ٤٣٧ : ٤٣٨ : ٤٤٠ ،

٤٤١

فيثاغورث ١٣٠

فيدال دلابلاش ٣١٥

الفيروزابادي ١٨٢

فيشر ٤١٥

فيك ٤٦٦ . ٤٦٧ .

فيليب ٢٥٥

فيليب حتى ٢٧٥ . ٥٤٨ . ٥٥٧ .

فيلوسترجيوش ١١٦

فيمون الراهب ١٤٧ . ٤٠١ . ٤٠٢ .

الفينيقيون ٢٧ . ٣٥ . ١١٥ .

(ق)

القارة ١٨٢ - ١٨٤

القاسم ٤٦٣

أبو القاسم جعفر بن محمد الموصلی ١١٩

القاسم بن محمد ٢٠٧

القالي (أبو علي) ٥١٠ . ٥٢٦ .

٥٢٧

قباد ٥٤٣

القبط ٢٨٥

قتادة بن دعامة ١٤٤ . ١٤٥ .

٤٢٢ . ٤٥٤

ابن قتيبة ١٦٨ . ٢٤٤ . ٣٢٥ . ٣٤٨ .

٣٥٤ . ٣٥٥ . ٣٥٨ . ٣٦١ .

٣٧٣ . ٣٨٠ . ٣٨٦ . ٣٨٨ .

— ٤٧٧، ٤١٩، ٣٤٠، ١٩٥، ٣٧

٤٨٢

الكلدانيون ٣٢، ٣٤، ١٠٠، ١٠١،

١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣،

١٢٤، ١٢٨، ٢٥٥، ٢٦٢،

٢٧٤، ٢٩٣، ٣٣٢

كليب ٣٨

كمال دسوقي ٥٨٢

الكميت بن زيد ١٨٩، ٤٨٨،

ابن كناسة الكوفي ٤٨٨

أبو الكناس الكندي ٤٤٥

كنانة ١٨٢، ٣٠٢

كندة ٣٧، ١٦٥، ٣٧٦، ٤٤٥،

٤٧٥، ٤٨١، ٥٧٢

الكندي ٣١٣، ٣١٥

الكنعانيون ٣٤، ٦٥، ١١٣،

١١٤، ٢٥٥، ٣٤٤

كورش ٥٤٣

كورين دي برسفال ٢٥٥

كولج تزهير ٤٧٩

(ل)

لاروس ٩٩

لاوون ٢٥٦

لبد ١٦١

لبيد بن ربيعة العامري ١٦١، ٤٩٤،

٤٩٥

لحم ٣٧٦

اللخميون = المناذرة

لدبيل ١٨٩

لسان الحمرة ٣٠٣، ٣٥٥، ٤٤٤،

لسان الدين بن الخطيب ٥٥٣

لطوشيم ٣٤

لقمان ١٥١، ١٥٥، ١٦١، ٣٧٥،

لقيط بن يعمر الإيادي ١٤١، ١٦١،

لكرك ٢٥٧، ٣٧٣

(ك)

كارا دي فوه ١٧٥

كارلتون كون ٥٨٣

كارليل = توماس

أبو كبير الهدلي ٤٩٢

الكتابيون ٥٧٦

كثير ٩٦

ابن كثير ٤٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٤٣،

٤٣٢، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥٤٩،

٥٥٠، ٥٧٢

كرد علي = محمد

كركلا ٢٣٥

كرنكو ٣٧١ - ٣٧٤، ٣٧٦،

٣٩٩، ٤٦٧

كريب بن مسلم ١٩٢، ٣٦١،

٣٦٧، ٤٣٢، ٥٢٣

كزيوسروز ١١٩

كسرى ٢٨٥، ٤٦٤، ٤٧٩، ٥٦٢،

كعب الأحبار ٣٣، ٣٤، ٨٩،

٩٠، ١٠٣، ١٩٤ - ١٩٦،

٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٧ -

٣٥١، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٣،

٤٢٢، ٤٢٦، ٥٣٠

كعب بن زهير ٣٨٨

كلب ٤٥٠

ابن الكلبي (محمد بن السائب) ١٥٦،

١٥٨، ١٦٠، ١٧٦، ١٩٥،

١٩٦، ٢٤٦، ٣٠٣، ٣٣٩،

٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦٧، ٣٦٨،

٤٠٣، ٤٧٩ - ٤٨٠، ٥٤٣،

٥٥٠، ٥٦٥

ابن الكلبي (هشام بن محمد) ٣٢،

محمد ثابت الفندي ٥٨٣
 محمد جابر الحسيني ٣١٤ ، ٣١٥
 محمد بن الجهم البرمكي ٣٣٠ ، ٣٣٦
 محمد بن حبيب ٥٥٢ ، ٥٦٢
 محمد بن الحسن ٢٤٧
 محمد حسين هيكل ٥٥٧
 محمد حمودة ٥٨٢
 محمد حميد الله ٣٩٨
 محمد بن الحنفية ٣٩٣ ، ٣٩٤
 محمد بن خلف = وكيع
 محمد دروزة ٩٣ ، ٩٤
 محمد رشيد رضا ١٢٤ ، ١٣٩
 محمد رفعت ١٦
 محمد زكي إبراهيم ٥٨٣
 محمد بن زيد ٥٢٨
 محمد بن السائب الكلبي = ابن الكلبي
 محمد السباعي ٥٨٢
 محمد بن أبي السري ٤٧٨
 محمد بن سلام الجمحي = الجمحي
 محمد الشابشي ٥٢٩
 محمد الطيب الأنصاري ٩ ، ٢١١
 محمد بن عبد الرحمن الأنصاري ٢٠٧
 محمد بن عبد الملك الزيات ٣٣٢
 أبو محمد بن عبد الملك بن هشام ٣٩٩
 محمد عبد الحمادي أبو ريذة ٤٦٢ ،
 ٥٨٣
 محمد عبد الحمادي شعيرة ٥٨٢
 محمد بن عبدوس الجهشياري ٣٥٤
 محمد بن عمر ٤٣٢ - ٤٥٤
 محمد بن عمرو بن حزم ٤٢٤ ، ٤٢٥
 محمد بن علي ٣٥٨
 محمد الغزالي ٩٨
 محمد فريد وجدى ٨٥ ، ١٠٠ ، ٣٤٨
 محمد بن فليج ٤٣٣
 محمد كرد علي ٣٧ ، ١٣٩ ، ١٨٧ ،

١٨٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،
 ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٥ ، ٣٥١ ، ٥٦٣
 محمد بن كعب القرظي ٨٩ ، ٤٠٢ ،
 ٤٦٥
 محمد لبيب البتنوني ٣١٨
 محمد بن محمد الحسيني ٣١١
 محمد محمد المدني ١١ ، ١٢
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري =
 ابن شهاب

محمد مصطفى زيادة ٥٨٣
 محمد بن مطيار الأصفهاني ٣٣٦
 محمد بن موسى الخوارزمي ٣١٢
 محمد النفيلي ٤٥٩
 محمود خيرت ٥٨١
 محمود بن الربيع ٤٢٢
 محمود شكري الألوسي = الألوسي
 محمود الغزنوي ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
 المختار بن عبيد الثقفي ٣٩٢ - ٣٩٥ ،
 ٥٦٠

المختار العدوي ٣٥٥
 آل مخزوم ٢٨٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،
 بنو مخزوم ٣٠٢
 أبو مخنف الأزدي ٣٤٠ ، ٤٣٧ ، ٤٧٣ -
 ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٨
 مخنف بن سليم ٤٧٤
 المدائني (أبو الحسن علي بن محمد)
 ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٧ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٥٠٨ ،
 ٥١٤ ، ٥٦١
 ابن المذني ٤٢٢
 مرة ٢٠٥
 بنو مرة ٤٣٦
 المرزباني ٥٢٤
 مروان ٢٠٨ ، ٤٢٤

المشركون ٥٥ ، ١٤٨ ، ٢٠٥
 المصريون ٣٠ ، ٦٥
 مصطفى السقا ٤٦٠
 مصطفى صادق الرافعي = الرافعي
 مصعب بن الزبير = ٣٨٠ ، ٣٨١ ،
 ٤٤٤

مصعب بن عمير ١٧٩
 مضر ٣٠٢ ، ٣٧٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٠
 المضربون ٢٨٥ ، ٤٢٠
 أبو المطرحة ٤٩١
 مطرف ٤٨٧

أبو المطهر = إسماعيل بن رافع
 معاذ بن جبل ١٨٧ ، ١٨٨
 معاذ بن العلاء ٥٠٢
 معاوية بن أبي سفيان ١٠٢ ، ١٩٤ ،
 ٢٠٨ ، ٢٥٧ ، ٣٠٣ ، ٣٤٧ ،
 ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،
 ٣٨٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٥

معاوية بن صالح ٣٦١
 معاوية بن عمار ٢٨٨
 معبد بن عباس ٣٥٨
 المعتزلة ٢٢٥ ، ٢٢٦
 المعتضد ٥٦٥
 المعتز أبو محمد ٢٣٦ ، ٤٥١ ،
 ٥٦٥

أبو معتز سليمان بن صالح
 معاذ ١٥١ ، ٣١٦
 أبو معتز المسيحي
 ٤١١

معتز بن محمد ٣٩١ ، ٤٠٣
 معتز بن راشد الأندلسي ٣٤٠ ، ٤١٥
 ٤٢١ ، ٤٣١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥
 معتز الميمني ٥٦٣

بنو مروان ١٩٣ ، ٣٦٢

مریم ٥٠ ، ١٠٩
 ابن مزاحم الثماني ٥١٠
 مزدك ٣٣٦
 مسبرك ٢٣٧

المستشرقون ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ،
 ٤٧ - ٤٩ ، ٥٤ - ٥٨ ، ٦٥ ،
 ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٦ ،
 ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
 ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،
 ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ،
 ١٥٨ ، ١٧٥ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ،
 ٢٣٧ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٢ - ٢٧٥ ، ٣١٠ ،
 ٣١١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
 ٣٩٩ ، ٤٤١ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ،
 ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٠ ، ٥٣٣ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ ،
 ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ -
 ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٩ - ٥٩١

أبو مسحل ٤٩٠

مسحل بن زيداء ٥٤٣

مسعر بن کدام ٤٨٨

ابن مسعود = عبد الله

المسعودي ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢١٤ ،
 ٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٨٨ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٧

مسلم ٩٩ ، ١٥٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
 ٤٨٧ ، ٥٦٤

أبو مسلم الزهري ٤١٢ ، ٤١٣

المسيح = عيسى بن مريم

المسيحيون - النصارى

- معن بن طي ٢٨٢
ابن معين ٤٣٠ ، ٤٣١ ،
المعينيون ٢٧ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ ،
٥٨ ، ٦٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
٣٤٩ ، ٥٥٥
المغيرة بن سعيد ٤٢١
المغيرة بن عبد الرحمن ١٩٢ ، ٣٨٧ -
٣٩٠ ، ٣٩٢
المغيرة ٤٢١
المفضل الضبي ١٦٧ ، ٤٨٣ ، ٤٨٧ ،
٤٩٠ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٧ ،
٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٥ - ٥١٨ ،
٥٢١ - ٥٢٤ ، ٥٩١
المفضل بن عمر ١٧٨
المقتدر ٥٦٥
المقداد ٣٦٣
المقدسي البشاري = محمد بن أبي بكر
المقدونيون ٢٥٨
المقريزي ١٧٩ ، ١٨٣ - ١٨٥ ،
٥٥٣
أبو مقسر ٣١٢
ابن المقفع (عبد الله) ٢٤٨ ، ٣٢٧ ،
٣٣٠ ، ٣٣٥ - ٣٣٧
المكتفي ٥٦٥
ملاخيا ١٠٧
ملخي ٩١
ابن أبي مليكة ٣٨١
أبو مليكة ١٧٥
ابن مناذر ٥٣٤
المناذرة ٣٥ ، ٣٦ ، ١٢٧ ، ١٤٣ ،
١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ،
١٦٧ ، ٢٤٦ ، ٢٨٢ ، ٣٠٥ ،
٣٧٤ ، ٤٩٠
منبه ٤٥٥
المنتجع ٥٠٤
- منجاب بن الحارث ٤٤٨
ابن مندة ٣٢٥
المنذر بن الزبير ٣٨٠
المنذر بن ساوي ٤٣٣
المنصور ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٤٥٧ ،
٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، ٥١٦ ،
٥٢٢ ، ٥٢٣
ابن منظور ١٦٨ ، ١٩٣ ، ٤٩٤
المنهال بن عمر ٣٦٠
المهاجرون ٤٠٩
المهدي ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،
٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٥٠٧ ، ٥١٢ ،
٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣
أبو المهدي ٥٠٣
المهلهل ٣٨ ، ٧٣ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ،
٤٩٥
الموالي ٢٧٧ ، ٢٧٩ - ٢٨٤ ، ٤٠٨ ،
٤٣١ ، ٤٣٧ ، ٤٦٢ ، ٥٣٩ ،
٥٤٠ ، ٥٩٠
المهذب بهرام ٣٣٦
موسى (عليه السلام) ٣٦ ، ٤٣ ،
٤٦ ، ٥٢ - ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ،
٦٦ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٥ - ٨٨ ،
٩١ - ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ - ١٠٥ ،
١٠٩ ، ١٢٤ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،
٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٥٣ ، ٤٩٣ ،
٥٩٢
موسى (عم ابن إسحاق) ٤٦٣
أبو موسى الأشعري ١٨٧
آل أبي موسى الأشعري ٥٣١
موسى بن خالد بن نوبخت ٣٣٠
موسى بن سيار الأسواري ١٩٣
موسى بن شاعر ٢٥٧ ، ٣٣٢
موسى بن عقبة الأسدي ١٩٠ ، ١٩٢ ،

ابن النديم ٣٢ ، ٩٠ - ٩٢ ، ١٧٥ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٤ - ٢٤٧ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،
 ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ،
 ٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ -
 ٣٧٤ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٤ - ٤٢٦ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ،
 ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٥١٢ ، ٥٢٢ ،
 ٥٢٤ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢ ،
 ٥٤٣ ، ٥٤٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ،
 ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٩ ،
 النسائي ٤٦٣ ، ٥٦٤ ،
 النسابة البكري - البكري
 النساطرة ٣٣١ ، ٣٣٣ ،
 النسطورية ٢٦٣ ،
 نسطوريوس ٥٠ ،
 نشوان بن سعيد الحميري ٥٥١ ، ٥٦٩ ،
 النصاري = المسيحيون ٤٦ ، ٤٩ ،
 ٥٠ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩١ ،
 ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ،
 ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،
 ٢٧٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ،
 ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٩٣ ، ٥٦٦ ، ٥٩٧ ،
 نصر (من الأزدي) ١٥٦ ،
 آل نصر بن ربيعة ٤٧٩ ،
 أبو نصر الفارسي ٤٣٠ ،
 نصر بن مزاحم ٥٦٠ ،
 النصرانية ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ،
 نصيب ١٩٦ ،
 النصر ٣٥٨ ،
 أبو النصر ٢٠٨ ،
 النصر بن الخارث ٤٥ ، ٦٧ ، ١٤٠ ،

٣٣٩ ، ٣٦٧ ، ٤٠٨ - ٤١٠ ،
 ٤٢٩ - ٤٣٤ ، ٥٢٣ ،
 موسى بن عيسى الكسروي ٣٣٤ ،
 أبو موسى المدني ٣٢٥ ،
 ميخا ١٠٧ ،
 ميخائيل الثالث ٢٥٦ ،
 الميديون ٢٤٣ ،
 ميرخوند = همام الدين خاوند ،
 مسرة (أبو حماد الراوية) ٥٠٨ ،
 ٥١٨ ،
 الميكابيون ٩٤ ، ١٠٨ ،
 ميكائيل ٤٨ ،
 ميمون بن غيلان الضبي ٣٥٥ ،
 (ن) ،
 النابغة الجعدي ٥٦٦ ،
 النابغة الذبياني ٣٣ ، ٥٢٧ ، ٥٣٠ ،
 ناحوم ١٠٧ ، ١٢٣ ،
 نادي ٥٢ ،
 النازيون ٣٦٦ ،
 ناصر الدين الأسد ١٤١ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٤٩٤ ،
 ٥٠٧ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ،
 ٥٢٩ ، ٥٤٣ ، ٥٥٧ ، ٥٨٩ ،
 النبط = الأنباط ،
 نبويد ٣٦ ،
 نبيه أمين فارس ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢١٧ ،
 النجاشي ٤٦٢ ،
 نجدة ٣٦٠ ،
 نجدة هاجر ٥٨٢ ، ٥٨٣ ،
 نجيب العتيبي ٥٧٤ ،
 نجيع بن عبد الرحمن = أبو معشر ،
 نجميا ٩٤ ، ١٠٦ ، ١١٨ ،
 النخار بن أوس العدواني ٤٤٥ ،
 النخار بعد أوس التقطاعي ٣٠٣ ،

- هاشم بن عبد مناف ٤٩٥
 هامان ٤٦ ، ٥٢ ، ٨٠
 ابن هاني = أبو نواس
 هتتر ٣٦٦
 هذيل ٤٧ ، ٥١٠
 هرقل ٢٥٣
 هرمز (أبو حماد الراوية) ٥٠٨ ،
 ٥١٨
 أبو هريرة ٨٩ ، ١٤٦ ، ١٩١ ، ٢٠٥ ،
 ٣٥٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٩٥ ،
 ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٨
 أبو هريرة ٢٠٦
 ابن هشام (عبد الملك) ٤٦ ، ١٤٨ ،
 ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣ ،
 ١٨٢ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٨٢ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٢٦ ، ٤٦٠ ،
 ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ،
 ٤٨٨ ، ٥٦١
 هشام بن إسماعيل ٣٨٧
 هشام الزهري ٣٨١
 هشام بن عبد الملك ٣٩٨ ، ٤٢٠ ،
 ٤٢١ ، ٤٣٧ ، ٤٤٤ ، ٥٦٣
 هشام بن عروة بن الزبير ٣٦٥ ،
 ٣٨٠ ، ٣٨٣ ، ٤٢٤ ،
 ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
 هشام بن القاسم ٣٣١ ، ٣٣٦
 هشام بن الكلبي = ابن الكلبي
 هشام بن يوسف ٤٥٤
 المكسوس ٣٠ ، ٣١ ، ٨٩ ، ١٠٤ ،
 ١٣٣ ، ٣٠٩
 همام الدين خاوند (ميرخوند) ٥٥٤
 همدان ٤٧٥
 الهمداني (أحمد بن محمد) ١٤٧ ،
 ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
- ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦١ ،
 ٣٣٥
 النضر بن شميل ٤٨٨
 بنو النضير ٤٣٨
 النعمان بن المنذر ٢٤٦ ، ٢٨٥ ،
 ٥٦٢
 نعيم الأشجعي ٤٣٨ ، ٤٣٩
 نمرود ٤٨ ، ١١٩
 أبو نواس (ابن هاني) ٥١١ ، ٥٢٩ ،
 آل نوبخت ٣٣٠
 نوح (عليه السلام) ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٨ ،
 ٧٥ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣ ، ٢٩٣
 ابن نوح ٤٩٧
 نوح البكائي ٥٥
 نور الدين السهمودي = السهمودي
 نوفل ٤٨٧
 أبو نوفل بن أبي عقرب ٥٠٢
 نومانوس ٢٥٥
 النووي ٤٦٣
 النويري ١٨٢ ، ٣٥٤ ، ٨٤٩
 النيسابوري ٤٨ ، ٥٠ - ٥٢ ، ١٠٢ ،
 ١٣٢ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٥ ،
 ٢٠٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٣ ،
 ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٥١٠
 نيمون = أرتخرسيس
 نينجر ١٢٠
 النينوون ١١٨ ، ١١٩
 (٥)
 الهادي ٥١٦
 هارون (عليه السلام) ٥٤
 هارون الرشيد ١٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
 ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٥١٦ ، ٥٣٦ ،
 ٥٦٦
 بنو هاشم ٣٠٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٤٣٩

أبو واقد الليثي ١٧٧
 وائلة بن الأسقع ٢١٠ . ٣٦٥
 وبار ٣٤
 الوثنيون ٥٥ . ٦٥ . ٢٦٣ . ٥٧٦
 ود ٦٥
 ورقاء بن الأشعر - لسان الحمرة
 ورقة بن نوفل ١٤١ . ١٤٧ . ١٥١
 وكيع (محمد بن خلف) ٥٠٨ . ٥٦٤
 ول ديورانت ٥٨٣
 ولغرياد ثيسيفر ٥٨٣
 ولغنستون ٢٠٤ . ٢٦٢ . ٢٦٣
 وليام لانجر ٥٨٣
 الوليد بن عبد الملك ١٧٩ . ١٨٣ -
 . ١٨٥ . ٣٨٠ - ٣٨٢ . ٤١٥
 ٤١٨ . ٥١٢
 الوليد بن يزيد ٢٥٦ . ٢٥٧ . ٤٢٠
 ٥١١ . ٥١٢ . ٥١٩
 ومن ثنين أسعد ٩
 وهب بن منبه ٣٢ . ٣٤ . ١٤٧
 . ١٥٠ . ١٥١ . ١٥٩ . ١٦٠
 . ١٩٥ . ٣٣٩ . ٣٤٩ . ٣٧١ . ٣٧٣
 ٣٧٤ . ٣٧٦ . ٣٧٧ . ٣٩١
 ٤٠٣ . ٤٦٣ . ٤٦٥ . ٤٦٨
 ٤٧٠

ويانر (٥ - ح) ٥٨٢

(ن)

أبو ياسر بن كعب ١١٧

ياق ٤٦٣

ياق ٥١٢

ياقعي (عبد الله بن) ٣٥١
 . ٣١٣ . ٤٢٤ . ٤٣٦ . ٤٥٤
 . ٥١١ . ٥٣٥ . ٥٣٦ . ٥٣٧
 ٥١٢
 ياق حمدي ٣٣ . ٣٧ . ١٣٠
 . ١٩٥ . ٣١٠ . ٣١٩ . ٤٤٩

ياق ٥١٢

٣١٠ ، ٣١٦ ، ٥٦٧
 الحمداني (أبو محمد الحسن) ٣١٦
 همام بن منبه ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ،
 ٤٥٤
 الهنود الحمر ٦٥
 ابن أبي هنيذة ٣٨٧
 هود ٣٣ . ٤٥ . ٤٩ . ٥٤
 ٦٤ . ٦٥ . ٦٨ . ٦٩ . ١٥٠
 ١٥٢ - ١٥٤ . ٣٧٦ . ٥٨٠
 هوشع ٩٦ . ١٠٧
 هومر ١٢٩
 الحون ١٨٣
 هويسع بن سيرين ٩٢
 أبو الفيثم ٢٨١

الفيثم بن عدى ١٥٦ . ١٦٠ . ٤٣٧
 . ٤٥٠ . ٥٠٨ . ٥١٠ . ٥١١
 ٥٣٨ . ٥٦٠ . ٥٦٥
 هيرودتس ٣٠ . ١١٦ - ١١٨
 . ١٢١ . ١٢٣ . ١٢٤ . ١٢٧
 ١٣١ . ١٣٢ . ٢٠٩ . ٢١٠
 هيروديان ١١٦
 هيروشيوش ١٣١ . ٢٤٥
 هيروليموس ١١٦

(و)

الواثق بالله ٢٥٦ . ٢٥٧

واصل بن حيان الأحديب ٣٦٨

الواقدي ١٤٢ . ١٤٣ . ١٧٩ -
 . ١٨٢ . ١٨٥ . ١٩٠ . ٣٢٥
 . ٣٨١ . ٣٨٢ . ٣٨٨ . ٣٨٩
 . ٤٠٦ . ٤٠٩ . ٤١٢ . ٤١٨
 . ٤٢٣ . ٤٢٥ . ٤٢٧ . ٤٣٢
 . ٤٣٨ . ٤٤٠ . ٤٤١ . ٤٥٥
 . ٤٧١ . ٤٧٦ . ٤٨١ . ٥٥٩
 ٥٦٠ . ٥٦٢

- آل يعقوب (ص) ٥٧٩
- اليقطيني ٢٧٤ . ٢٩٥ . ٣١٦ .
- ٣٤٣ . ٣٨٨ . ٤٨٨ . ٥٥٥ .
- ٥٦٦
- اليقطينية ٢٦٣
- أبو يقظان ٣٠٣ . ٤٣٦ . ٤٩٥ .
- اليقطينيون ٦٥ . ١٤٩ . ٢٨٥ . ٢٩٤ .
- ٤٥٣
- اليهود = العبرانيون = الإسرائيليون =
- بنو إسرائيل ٢٨ . ٢٩ . ٣٣ .
- ٤٥ . ٤٦ . ٤٩ - ٥٢ . ٥٤ .
- ٥٦ . ٦٤ - ٦٨ . ٧٠ . ٨٣ .
- ٨٥ - ٨٩ . ٩١ - ٩٤ . ٩٦ .
- ٩٨ . ٩٩ . ١٠١ - ١٠٣ .
- ١٠٥ . ١٠٩ . ١١٥ . ١١٧ .
- ١٢٠ . ١٢٣ . ١٢٧ . ١٢٨ .
- ١٣٣ . ١٤٠ . ١٤٢ . ١٤٤ -
- ١٤٧ . ١٥٢ . ١٥٦ . ١٥٩ .
- ١٦٠ . ١٧٤ . ١٧٥ . ١٧٧ .
- ١٩٤ . ١٩٥ . ٢٠١ . ٢٠٣ .
- ٢٠٤ . ٢٠٦ . ٢٠٩ . ٢١١ .
- ٢٢٢ . ٢٥٥ . ٢٥٧ . ٢٦٢ .
- ٢٧٣ . ٢٧٤ . ٢٧٩ . ٢٩٣ .
- ٢٩٥ . ٣٠٥ . ٣٣١ . ٣٣٣ .
- ٣٤٨ . ٣٥١ . ٣٦٤ . ٣٦٦ .
- ٤٠٠ . ٤٠١ . ٤٣٩ . ٤٥٧ .
- ٤٥٩ . ٤٦٢ . ٤٦٤ . ٤٦٥ .
- ٤٦٨ . ٤٧٨ . ٤٩٣ . ٥٦٧ .
- ٥٨١
- يهوديت ٩٤ . ١٠٣ . ١٠٧ .
- يهودا ١٠٩
- يهوسع ٩١
- يوحنا (الإنجيلي) ٨٦ . ٩٢ . ٩٤ .
- ١٠٨ . ١٠٩ .
- ٤٥١ : ٤٨٩ . ٥١٥ - ٥١٧
- ٥٦٦ . ٥٦١
- يحنس (الحواري) ٤٦٤
- يحيى الأنصاري ٤٣٣
- يحيى بن جعدة ٢٠٧
- يحيى بن الحكم بن أبي العاص ٣٨٧
- يحيى بن خالد البرمكي ٣١٤ . ٣٣٢
- يحيى الحشاب ٥٨٢
- يحيى بن سعيد القطان ٤٩٦
- يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ٤٦٢
- يحيى بن عدى ٣٣١
- يحيى بن عمرو بن الزبير ٤٦٢
- يحيى بن أبي كثير ٤٢٢
- يحيى بن معين ٤٦٣
- يحيى النحوي ٢١٩ . ٢٢٠
- يزدجرد الثالث ٢٤٨
- يزيد بن حبيب ٤٦٧
- يزيد بن ذريع ٤٥٨
- يزيد بن رومان ٤٦٢
- يزيد بن أبي سفيان ١٨٧ . ٣٥١
- يزيد بن عبد الملك ٤١٣
- يزيد بن هارون ٤٣٦ . ٤٦٣
- اليزيدي ٥٠٣
- يسار (جد ابن إسحاق) ٢٨٢ .
- ٢٨٣ . ٤٦٠ . ٤٦٤
- يستوباز ١١٩
- اليعاقبة ٣٣١ . ٣٣٣
- يعقوب (عليه السلام) ٨٨
- يعقوب بكر ٥٨٤
- يعقوب الزهري ٤٢٢
- يعقوب القاري ١٨٢
- يعقوب (الحواري) ١٠٩
- أبو يعقوب = الحرثي

- يوسليوس ٢٥٥
يوشع بن ليفي الرباني ٥٧ . ٨٧
يوليوس قيصر ٢٣٥
يونان ١٠٧
اليونانيون ٢٨ . ٣١ . ٣٤ . ٣٧ .
٤٥ . ٥٥ . ١١١ . ١١٤ .
١١٥ . ١١٧ . ١٢٥ . ١٢٧ .
١٣٢ . ١٤٩ . ١٥٠ . ١٥٧ .
١٩٥ . ٢٠٤ . ٢٣٤ . ٢٣٧ .
٢٤٣ . ٢٤٤ . ٢٤٩ . ٢٥٥ .
٢٥٧ . ٢٦٢ . ٢٦٣ . ٢٧٤ . ٢٩٢ .
٢٩٤ . ٢٩٥ . ٣٠٥ . ٣٠٧ .
٣٠٩ . ٣١١ . ٣١٣ . ٣١٤ .
٣١٦ . ٣٣١ . ٣٣٣ . ٣٣٤ .
٣٦٦ . ٥٥٠ . ٥٦٧ . ٥٩٢ .
يونس ٤٣٦
يونس بن بكير ٤٦٧
يونس بن حسب القسبي ٤١١ .
٥٠٤ . ٥١٥ . ٥١٦ . ٥١١ .
يونس بن يونس ٤١٦
يوسيل ١٠٦
- يوحنا (أسقف نقيوس) ٢٢٣ .
٢٣٦ . ٢٤٦ .
يوحنا بن البطريق ٣٣١
يورفير يوس ٢٥٥
يوسع بن نون (يشوع) ٩١ . ٩٣ .
٩٩ . ١٠٦ .
يوسف بن خالد بن نوت ٣٣٠
يوسف الصديق (ص) ٣١ . ٥٤ .
٦٤ . ٣٦٦ . ٣٦ .
يوسف بن عمر ٣٩٩ . ٤٠٢ . ٥١٢ .
يوسف غنيمه ١٤٢ . ١٤٧ . ١٤٩ .
يوسف فلافيوس ١٠٤
يوسف النادر ١٦ . ١٧ .
يوسف هورفتس ٤٠٦ . ٤٠٩ .
٤٢٣ . ٤٢٥ . ٤٢٧ . ٤٢٩ .
٤٣٠ . ٤٣٢ . ٤٤١ . ٤٦٢ .
٤٦٤ . ٤٦٦ . ٤٦٧ . ٤٧١ .
٥٨٤
يوسفوس (يوسف اليهودي) ٢١ . ٨٩ .
٩٦ . ١١٨ . ١٢٢ . ١٢٥ .
١٢٧ . ١٢٩ . ١٣٣ .

٢ - فهرس الأمكنة

(١)

أشيلية ٥٧٤	آبامية ٢٥٥
الأشمونين ٣٣٥	آدوم ٩٣
إصطخر ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٥٦٨ ،	آسيا ١١٥ ، ١٥٢ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ،
أصفهان ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،	٢٥٥ ، ٣١٧ ، ٢٦٤ ، ٥٥٢ ،
أعشاش ٥٢٤	٥٨٢ ، ٥٥٣
إفريقية ١١٥ ، ١٤٠ ، ١٥٧ ،	آسيا الصغرى ١٠٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ،
٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٥٥٢ ،	آشور ٣٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
٥٧٥ ، ٥٧٢ ، ٥٥٣	١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ -
أفغانستان ٣١٧	١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٩٥ ، ٢٧٤ ،
ألمانيا ٥٧٤	٢٨٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٥٨١ ،
أمريكا ٦٥ ، ٥٧٤	٥٩٠ ، ٥٩٢
الأنبار ١٤٣ ، ٢٨٣	أثينا ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤
الأندلس ١٥٥ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ،	إثيوبيا ١٢٨ ، ٣٠٩
٥٧٤ ، ٥٧٢	أحد ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٣٢٥ ، ٣٨١ ،
الآنضول ١١٥	٤٦٨ ، ٤٠٨ ، ٣٨٢
أنطاكية ٧٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٨ ،	أحمد آباد ١٢٢
أنقرة ٢٥٦	أدسا ٢٦٢
أوامي ٤١٥	الأردن ١٨٧ ، ٣٥١ ، ٥٨٤
أور ١٥٢	أرغوب ١٠٤
أوربا ٦٥ ، ١٠١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،	إرم ذات العماد ٧٩ ، ١٠٢ ، ٣٤٩ ،
١٥٢ ، ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،	أرمينية ١١٥ ، ١١٨ ،
٥٥٢ ، ٥٦٧ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥	أريتريا ١٢٥
أورشليم ٩٥	الأزهر ١٨٩
أورفا ٢٦٣	الإسكندرية ١١٥ ، ١٢٧ - ١٢٩ ،
أورهي ٢٦٢	١٤٦ ، ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢١٩ -
الأولبية ١٢٣	٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،
إيران ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٥٧ ، ٢٣٩ ،	٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ،
٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٣٣٦ ، ٥٨٢ ،	٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ -
إيطاليا ٢٧٤	٢٧٢ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣٣٥ ،
إيليا ٢٢٥	٤٦٧ ، ٥٧٠ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠

بغداد ١٥٥ . ١٩٠ . ١٩٧ . ٢٤٦ .

٢٤٩ . ٢٥٦ . ٢٨٤ . ٣١١ .

٣١٢ . ٤٢٤ . ٤٦٦ . ٤٧٠ .

٥٠٧ . ٥١٥ . ٥١٦ . ٥٥٣ .

٥٦٥ . ٥٦٧ . ٥٦٨ .

بلجيكا ٥٧٤

بلغار ٣١٦

البلقاء ٣٥ . ٣٧ . ١٢٩ . ١٤٣ .

البلقان ٣١٧

بمباي ٥٦٦

بيت الخرم ٣٥ . ٥٤ . ١٢٧ .

١٥٣ . ١٦٥ . ٤٦٨ .

بيت الحكمة ٣١٤

بئر عروة ٣٨٠

بيروت ١٤٣ . ١٨٠ . ٢٤٦ .

٢٥٥ . ٤١٧ . ٤٩٦ . ٥٠٩ .

٥١٤

بيروت ٢٣٧ . ٢٥٣ .

(ت)

تيس ٣١

تيمور ٣٥ . ١٢٩ . ١٤٩ . ١٦٥ .

تركيا ١٥١

تونس ٥١٢

تهامة ١٥٦ . ٢١٦ . ٣١٠ .

تونس ٢٥٦ . ٥١٢ .

٣٦٠

(ث)

جدة ١٥٦

١٢٩

شعب الأمم ٢٥٦

سنة ٥١٤

الصحراء ٣٤

الجزائر ٢٥٦

(ب)

بابل ٣٠ . ٣٢ . ١٠٠ . ١٠٢ .

١٠٤ . ١١٨ . ١٢٠ . ١٢٢ . ١٢٤ .

١٣٤ . ١٩٥ . ٢٤٣ . ٢٦١ .

٢٧٤ . ٣٠٩ . ٣١٣ . ٥٨١ .

٥٩٢

باب المنذب ١٣٢ . ٣١٠ .

بادية الشام ٣٠٩

باريس ٣١٨ . ٥٧٥ .

بتافيا ٥٧٤

البحر الأحمر ١٣١

البحر المتوسط ٦٥ . ١٠٥ . ١١٤ .

١٥٧ . ٢٣٤ . ٢٥٣ . ٣٠٩ .

٣١٠

البحرين ١٥٦

بخارى ٥٨٤

بندر ١٣٠ . ١٧٤ . ١٨١ . ١٩٢ .

٢٠٨ . ٣١٩ . ٣٢٠ . ٣٦٣ .

٣٨١ . ٣٨٢ . ٤٠٨ . ٤٠٩ .

٤٣١ . ٤٦٨ . ٤٧١ .

برسيوس ٢٤٢

برلين ٤٣١

البصرة ١٢٩ . ١٦٧ . ١٨٧ .

١٨٨ . ١٩٠ . ١٩٣ . ١٩٧ .

٢٤٦ . ٢٩٤ . ٢٩٥ . ٣٥٨ .

٣٦٠ . ٣٦٢ . ٣٨٠ . ٤٢٢ .

٤٣٦ . ٤٣٨ . ٤٤٤ . ٤٥٤ .

٤٨٥ . ٤٨٧ . ٤٩٠ . ٤٩١ .

٤٩٧ . ٥٠١ . ٥٠٢ . ٥٠٤ .

٥٠٨ . ٥٢٦ . ٥٢٧ . ٥٢٩ .

٥٤٢ . ٥٦٤ .

بطرا ٣٥ . ١٢٩ .

بطن عاقل ٣٧

بعلبك ١٢٢

الحجون ١٥٣
 الخدائق المعلقة ١٥٢
 الخديبية ١٩١ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
 ٤٣٩ ، ٤٦٨
 الحديث ٢٤٧
 حراء ٣١٩
 حران ١٨٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ،
 ٣٣٣ ، ٤٥٩
 الحرة ١٩٠ ، ٣٨٣ ، ٣٩٣ ، ٤٢٤ ،
 ٤٢٥
 الحرمان ١٣٠
 الحرم المكي ٢٦٢
 الحرم النبوي ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ،
 ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ،
 ٢٦٢ ، ٤٨٧ ، ٥٣٠ ، ٥٧٩
 حضرموت ٧٣ ، ١٥٣ ، ١٩٤ ،
 ٣٠١ ، ٣٤٤
 حصن ١٥
 حلف ٥٧٠
 حماة ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٥٧١
 حمص ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥١
 حنين ٤٦٨
 حورب ١٢٩
 حيدر آباد ٣٤٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ،
 ٣٧٥ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٦٧
 الحيرة ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٥ ،
 ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،
 ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ،
 ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٣٩ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ،
 ٣٣٥ ، ٣٧٤ ، ٤٤٥ ، ٤٦٦ ،
 ٤٦٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩٠ ،
 ٥٤٣ ، ٥٥٠

جزيرة العرب ١٢ ، ١٨ ، ٢٢ ،
 ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ،
 ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٧٩ ،
 ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
 ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٩ ،
 ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ،
 ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،
 ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
 ١٧٣ ، ١٩١ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،
 ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٩ ،
 ٣٤٤ ، ٤٠٢ ، ٤٤٥ ، ٤٨٩ ،
 ٤٩٠ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٧ ،
 ٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢

الجمهورية العربية المتحدة ١١

جند سابور ٢٤٨ ، ٢٣٩

جى ٢٤٥ ، ٢٤٩

الجيزة ١٢٢

(ح)

الحبشة ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٣٠٩ ،
 ٣٢٥ ، ٣٨٢ ، ٤٠٨ ، ٤٣١ ،
 ٤٥٨ ، ٥٦٨
 الحجاز ٩ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٣ ،
 ٣٨ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ،
 ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ،
 ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣٩٤ ،
 ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٢ ، ٤٧٤ ،
 ٤٨١ ، ٥٠٤ ، ٥٥٤ ، ٥٧٥ ،
 ٥٨٠

حجر اليمامة ١٣٩ ، ١٤٨

رام هرمز ١٨٩
الرقعة ٣٧٥ ، ٣٧٤
الرقيم ١٢٩
الرها ١٨٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ،
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٣٣
روسيا ٥٧٤
رومة ٩٤ ، ٢٥٣
الرياض ١٣

(س)

سايس ٣١
سلع ٤٩٨ ، ٥٢٧
سنجار ٣١١
أسند ١٥٧
سورية ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٨ ،
١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ،
١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ،
٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ،
٢٧٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣٥٤ ،
٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٥٥٤ ، ٥١٠ ،
٥٨٤

سوق سنين ١٣٠

سوق ١١٧

سوق ١٢٠

سوق ٣١ ، ١٩ ، ٣٠٩

(س)

اسم ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ١٦٣ ،
١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ،
٣٤١ ، ٣٥١ ، ٣٦٤ ، ٣٩٣ ،
٤٧٤

شبه جزيرة البنقان ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٥٤

شبه ١٢٩

(خ)

خان الزبيل ٥٠٩
خراسان ٤٧٤
الخليج الإسلامي العربي ٢٧ ، ٣٤ ،
٣٧ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ١١٣ ،
١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٥٤ ،
٢٥٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣٠٩ ،
٣٤٤ ، ٤٤٠ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ،
٥٨٠ ، ٥٨٢

الحنديق ١٧٤ ، ٤٣٩ ، ٤٦٨

خور زاباد ١٢١

خير ٣٠١ ، ٣٩٩ ، ٤٣٩

(د)

دار الضيفان ١٨٣
دار القارة ١٨٤ ، ١٨٥
دار القرآن ١٨١
دار القراء ١٣٠ ، ١٧١ ، ١٧٩ ،
١٨١ ، ١٨٥
دار المضيف ١٨٣
الدائرك ٥٧٤
دجلة ١١٤

دلتا النيل ٣١ ، ٣٤٤

دمشق ١٥٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣٢٩ ،
٣٥١ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ،
٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٣٠ ،
٤٣٤ ، ٥٥٣ ، ٥١٠ ،
دير الجماجم ٣٩٢ ، ٤٤٤

(ذ)

ذوقار ٣٦ ، ٦٥ ، ٥٤٣

(ر)

الرافدان ٣٠٩ ، ٥٨٤

عمان ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ، ٣٠٩ ،
٣٤٤

عمورية ٢٥٦

عيسباد ٥٠٧ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ،
٥١٦

عين تمر ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٤٤٥ ،
٤٦٠ ، ٤٦٤

(غ)

غسان ٣٠١ ، ٣٧٦

نعمردى كنده ٣٧

(ف)

فارس ١٣ ، ٣٥ ، ١١٨ ، ١٤٠ ،

١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٩٤ ، ٢١٨ ،

٢٢١ ، ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،

٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ - ٢٤٨ ،

٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ،

٢٨٥ ، ٣١٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ،

٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٨ ، ٤٧٤ ،

٤٧٩ ، ٥٧١

الفرات ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٥٤ ،

٢٥٣

الفرع ٣٨٠

فرنسا ٥٧٤

فلسطين ٢٩ ، ٣٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ،

١١٠ ، ١٢٢ ، ١٥٢ ، ٢٥٥ ،

٣٠٩ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٥٧٥ ،

٥٨٠

فينيقية ٣١٣

(ق)

القادسية ١٨٢

القاهرة ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ٥٧٠ ،

قبا ٤٠٩

قبرص ٩٤ ، ١١٥

(ص)

صان الحجر ٣١

الصحراء العربية المصرية ٣٠٩

الصفاء ١٥٣

الصفقة ٣٦

صفين ١٥٥ ، ٤٤٤ ، ٥٦٠

صنعاء ١٤٩ ، ١٥٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٨ ،

٤٥٤ ، ٣٩٩

الصين ٢٤٧ ، ٢٦٤ ، ٣١٢ ، ٥٧٥

(ط)

الطائف ٣٨ ، ١٣٩ - ١٤١ ،

١٤٣ ، ١٨٩ ، ٣٥٩

طور سيناء ٥٤ ، ٥٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢

(ع)

عدن ٥٧٢

العراق ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٥ - ٣٨ ،

١٠٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٤ ،

١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،

١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،

٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،

٢٦٤ ، ٢٩٦ ، ٣٤٤ ، ٣٧٤ ،

٣٩٢ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٢٠ ،

٤٥٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ،

٥٤٤ ، ٥٥٤ ، ٥٦٧ ، ٥٨٠

عرفة ٣٦٣ ، ٣٦٤

العروض ٢٧٦ ، ٣١٠

العقبة ٣٢٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٦ ، ٤٣١ ،

٤٦٨

العقيق ٣٨٠ ، ٥٦٢

عكاظ ٢٩٤ ، ٤٩٠

الغلا ١٤٨

٦٣٣

ما بين النهرين ١٠١ . ١٢٠ . ١٢٢ .
٢٤٨ . ٢٥٣ . ٢٦٢ . ٣٦٣ .
٥٨٢

مادى ١١٨

مجاج ٣٨٠

مدائن صالح ١٤٨

مدين ٣٨ . ١٥٢

مرصد البصرة ١٦٧ . ٢٩٤ . ٤٩٠ .
٤٩١

المدرسة البيهقية ١٨٩

المدينة المنورة ٩ . ١٤ . ١٦ . ١٨ .
٣٤ . ٣٥ . ٣٨ . ٤٥ . ٧٤ .

١٣٠ . ١٣٩ . ١٤٢ . ١٤٣ .

١٤٦ . ١٦١ . ١٦٩ . ١٧٦ .

١٧٣ . ١٧٤ . ١٧٧ . ١٨٠ .

١٨٣ . ١٨٥ . ١٨٦ . ١٨٨ .

١٩٠ . ١٩٢ . ١٩٦ . ١٩٧ .

٢١٢ . ٢١٣ . ٢٦٢ . ٢٦٩ .

٢٨٥ . ٢٩٥ . ٢٩٦ . ٣١٨ .

٣١٩ . ٣٢٤ . ٣٤٨ . ٣٥٩ .

٣٨٠ . ٣٨٢ . ٣٨٦ . ٣٨٧ .

٣٩٢ . ٣٩٥ . ٤٠٠ . ٤٠٨ .

٤٠٩ . ٤١٣ . ٤١٥ . ٤٢٤ .

٤٢٧ . ٤٣١ . ٤٣٤ . ٤٣٦ .

٤٣٨ . ٤٥٦ . ٤٥٩ . ٤٦٤ .

٤٦٦ . ٤٦٧ . ٥٣٠ . ٥٦١ .

٥٦٣ . ٥٦٤ . ٥٧٦ . ٥٩٠ .

٥٦٤ . ٢٤٩ . ٢٤٦ . ٥٦٤ .

المزود ٤٣٠

المزودة ٣٦٣ . ٣٦٤ .

المسجد النبوي الحرم النبوي

مصر ١٣ . ٢٩ . ٣١ . ٤٦ . ٥٢ .

٥٣ . ٥٥ . ١٠٠ . ١٠١ .

١٠٥ . ١١٥ . ١١٩ . ١٢٤ .

القدس ٩٥ . ٢٢٥ . ٣٥١ . ٥٧٠ .
قرح ٣٣

قرطبة ١٥٥ . ٥٥٣ . ٥٧٤ .

القسطنطينية ٢٢٩ . ٢٣٦ . ٢٣٨ .

٢٤٤ . ٢٥١ . ٢٥٣ . ٢٥٨ .

٣١٢ . ٣٣١ .

قنسرين ٢٦٢

قيصرية ٢٥٥

(ك)

الكرخ ٢٤٧ . ٢٤٨ .

كشمير ٣١٧

كلاب ٥٤٣

كلدة ١٠٠ . ١٠١ . ١٢٤ . ٥٩٠ .

الكوفة ١٧٩ . ١٨٠ . ١٨٢ . ١٨٧ .

١٨٨ . ١٩٠ . ١٩٧ . ٢٤٦ .

٢٧٩ . ٣٧٠ . ٣٩٢ . ٣٩٤ .

٤٢٢ . ٤٤٤ . ٤٦٠ . ٤٧٥ .

٤٨٥ . ٤٨٧ . ٤٩٠ . ٥٠٢ .

٥٠٤ . ٥٠٧ . ٥٠٨ . ٥١٠ .

٥١٢ . ٥١٤ . ٥٢٢ . ٥٢٦ .

٥٢٧ . ٥٤٢ . ٥٦٤ .

الكويت ٢٧٦

(ل)

لاجاش ١٢٠

لبنان ٢٧ . ١١٤ . ١٢٧ . ٢٧٥ .

٥٨٠

لندن ٢٢

لويكة كومة ٣٦

ليبيا ٢٥٦

(م)

مآب ١٤٩

مأرب ٣٠١

(ن)

نجد ٣٥ . ١٤٢ . ١٥٤ . ١٦٥
١٦٧ . ٢٧٦ . ٣٠٩ . ٣١٠

نجران ٣٧ . ١٤٧ . ٤٠١ . ٤٠٢
٤٢٤ . ٤٦٥

نصيبين ٢٢٥ . ٢٣٣

النمسا ٥٧٤

نيبور ١٢٠

نيسابور ١٨٩

نیش ٢٥٣

النيل ١١٤ . ١٥٤ . ٢٥٣

نينوى ٣٢ . ١٠٢ . ١١٨ . ١٢٣
٢٨٤ . ٥٩٢

(هـ)

الفلال الحصيب ٣٦ . ١٢٨ . ١٥٠

٢٥٥ . ٢٧٧ . ٢٨٤ . ٢٩٤
٣٠٩ . ٥٧٥ . ٥٩٢

الهند ٥١ . ٩٣ . ١٢٢ . ١٥٧

٢٤٤ . ٣١٠ . ٣١٧ . ٣٧٥
٤٧٤ . ٥٧٢ . ٥٧٤ . ٥٧٥

هيلبرج ٣٩٩

(و)

وادی برهوت ١٩٥

وادی الرمة ٣٧

وادی القرات ٩٥ . ١١٣ . ٢٦٤

وادی القرى ٣٣ . ٣٨ . ٧٩
١١٣ . ٢٧٤ . ٢٧٦ . ٣٤٤

٥٨٠ . ٥٧٥

الوادی المقدس ٤٦ . ٤٧ . ٥٣

٥٥ . ٦٤ . ٦٦

وادی النيل ٢٧ . ٣١ . ٣٨ . ١١٣

٢٣٤ . ٢٥٦

الولايات المتحدة الأمريكية ٣٦٦

١٢٥ . ١٣١ . ١٣٢ . ١٨٧

١٨٩ . ١٩٣ . ١٩٤ . ١٩٧ . ٢١٩

٢٢١ . ٢٢٣ - ٢٢٥ . ٢٢٧

٢٢٩ . ٢٣٣ - ٢٣٦ . ٢٣١

٢٤٢ . ٢٥٤ . ٢٥٥ . ٢٥٧

٢٩٦ . ٣٠٩ . ٣١٥ . ٣٤٤

٣٦٦ . ٣٨٠ . ٣٨١ . ٣٩٣

٤٦٩ . ٥١٢ . ٥٥٣ . ٥٦٤

٥٦٧ . ٥٦٨ . ٥٧٠ . ٥٧٢

٥٨٠ . ٥٨٤

مصر الجديدة ١٦

المصيصة ٤١٢

المعرة ٢٥٥

معين ٧٩ . ١٢٨ . ٣٤٤

المغرب ٢٥٦ . ٣٩٣ . ٥٦٤

٥٦٨ . ٥٧٠

مقدونية ١١٤ . ١١٥ . ١٢٥

١٢٦ . ٢٤٣

المقصورة ٤٩٩

مكة المكرمة ٩ . ٢٧ . ٣٥ . ٣٧

٣٨ . ٤٥ . ٥٥ . ٧٤ . ١٣٠

١٣٩ . ١٤٣ . ١٥٠ . ١٥٣

١٥٤ . ١٥٦ . ١٦١ . ١٧٣

١٧٤ . ١٧٩ . ١٨٥ - ١٨٨

١٩٢ . ١٩٧ . ٢٠٨ . ٢٦٢

٢٩٥ . ٣٠١ . ٣١٣ . ٣٢٥

٣٣٥ . ٣٤٤ . ٣٥٩ . ٣٦٠

٣٦٣ . ٣٨٠ . ٣٨١ . ٣٨٢

٤٢٦ . ٤٣٨ . ٤٦٨ . ٤٩٣

٥٠٢ . ٥٥٣ . ٥٥٤ . ٥٦١

٥٦٢ . ٥٦٤ . ٥٧٨

منى ٣٦٣ . ٣٦٤

مؤتة ٣٨٢ . ٤٣٩

الموصل ١١٨ . ١٨٩

ميفادة ٢٥٣

٢٧٦ . ٢٩٤ . ٢٩٦ . ٣٠١

٣٠٩ . ٣١٠ . ٣٤٤ . ٣٤٨

٣٧٢ . ٣٧٤ . ٣٧٦ . ٣٩٢ . ٣٩٣

٣٩٨ . ٤٠٠ . ٤٠١ . ٤٠٣

٤٢٤ . ٤٢٥ . ٤٤٠ . ٤٥٤

٤٥٥ . ٤٦٥ . ٤٨١ . ٥٥١

٥٥٥ . ٥٦١ . ٥٦٩ . ٥٧٢

٥٧٥ . ٥٨٠

يوغسلافيا ٢٥٣

اليونان ١١٤ . ٢٥٣ . ٥٥٠ . ٥٦٧

(٥)

يابر ١٠٤

يُترب ٤٥ . ٣٠١ . ٥٥٥

إنجامة ٧٩ . ٣٤٤

اليمن ٢٧ . ٣٢ . ٣٣ . ٣٥ . ٣٧

٣٨ . ٥٨ . ٧٩ . ١٠٢

١٢٨ . ١٢٩ . ١٤٠ . ١٤٣

١٤٦ . ١٤٩ . ١٥٠ . ١٥٤

١٥٧ - ١٥٩ . ١٦٥ . ١٧٣

١٨٨ . ١٩٢ . ١٩٥ . ١٩٧

٣ - فهرس الموضوعات

من صفحة إلى صفحة	
٩ - ١٠	من هو المؤلف
١١ - ١٨	مقتطفات من آراء رجال الأدب والتاريخ في هذا الكتاب
١٩ - ٢٢	التوطئة
٢٣ - ٤٠	الفصل الأول : فكرة التاريخ ومصادره
٤١ - ٨٠	الفصل الثاني : التاريخ في القرآن
٤٣ - ٦٠	البحث الأول : القصص القرآني
٦١ - ٧٠	البحث الثاني : القصة في القرآن
٧١ - ٧٦	البحث الثالث : الأمثال القرآنية
٧٧ - ٨٠	البحث الرابع : النص القرآني أصدق النصوص
٨١ - ١٣٤	الفصل الثالث : الأسفار والتراث القديم
٨٣ - ١١٠	البحث الأول : الأسفار مصدر من مصادر التاريخ
١١١ - ١٣٤	البحث الثاني : المؤلفون في التاريخ قبل الميلاد وبعده
١٣٥ - ١٦٨	الفصل الرابع : الأساطير والشعر في العصر الجاهلي
١٣٧ - ١٦٢	البحث الأول : أساطير الأولين في العصر الجاهلي ومصادرها
١٦٣ - ١٦٨	البحث الثاني : الشعر الجاهلي وصلته بالتاريخ
١٦٩ - ١٩٨	الفصل الخامس : من المدينة بدأ التاريخ وتدوينه في العصر الإسلامي
١٧١ - ١٩٨	المدينة المنورة المدرسة الأولى في الإسلام
١٩٩ - ٢٢٨	الفصل السادس : التدوين والمدونات في صدر الإسلام
	البحث الأول : التأليف في التاريخ وكراهية التدوين
٢٠١ - ٢١٤	في صدر الإسلام

- البحث الثاني : المسلمون لم يشعلوا النار في تراث القدامى . ٢٢٨-٢١٥
- الفصل السابع : مناهل رواد الثقافة . ٢٦٦-٢٢٩
- البحث الأول : لم تكن مصر بعد الفتح الإسلامي مورداً لرواد الثقافة العربية . ٢٣٨-٢٣١
- البحث الثاني : ماذا وجد رواد الثقافة في العراق وبلاد فارس ؟ . ٢٥٠-٢٣٩
- البحث الثالث : القسطنطينية لم تبخل بذخائرها . ٢٥٨-٢٥١
- البحث الرابع : السريانية والسريانيون . ٢٦٦-٢٥٩
- الفصل الثامن : المؤرخون العرب ورواياتهم . ٢٨٨-٢٦٧
- البحث الأول : الرواية العربية وموقف التحقيق منها . ٢٧٦-٢٦٩
- البحث الثاني : من الرواد موال وشعوبيون . ٢٨٨-٢٧٧
- أولاً : الولاء وموالي . ٢٨٣-٢٨١
- ثانياً : الشعوبية والشعوبيون . ٢٨٨-٢٧٤
- الفصل التاسع : مسالك رواد التاريخ ومناهجهم . ٣٣١-٢٨٩
- البحث الأول : المواد التاريخية . ٢٩١-٢٩١
- البحث الثاني : لأسباب مادة تاريخية . ٣٠٦-٣٩٩
- البحث الثالث : جغرافيو عرب ورحلاتهم . ٣٢٠-٣٠٧
- البحث الرابع : التراجم . ٣٢٦-٣٢١
- البحث الخامس : التعريب أو الترجمة . ٣٣١-٣٢٧
- الفصل العاشر : الأوائل من رواد التفسير والمغربي ولأسباب . ٤١٢-٣٣٩
- القرنين الأول والثاني من الهجرة . ٤١٢-٣٣٩
- البحث الأول : من هم الأعلام الذين عاينوا أو فهمهم . ٣٤٦-٣٤١
- البحث الثاني : كعب الأحمد . ٣٥٢-٣٤٧
- البحث الثالث : دغفل نسبية . ٣٥٦-٣٥٣
- البحث الرابع : عبد الله بن عباس . ٣٧٠-٣٥٧

من صفحة إلى صفحة

٣٧٨-٣٧١	البحث الخامس : عبيد بن شريفة
٣٨٤-٣٧٩	البحث السادس : عروة بن الزبير
٣٩٠-٣٨٥	البحث السابع : أبان بن عثمان .
٣٩٦-٣٩١	البحث الثامن : الشعبي - عامر بن شراحيل
٤٠٤-٣٩٧	البحث التاسع : وهب بن منبه .
٤٠٦-٤٠٥	البحث العاشر : عاصم بن عمر بن قتادة
٤١٠-٤٠٧	البحث الحادي عشر : شرحبيل بن سعد الأنصاري .
٤٢٢-٤١١	البحث الثاني عشر : الزهريون - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
٤٢٨-٤٢٣	البحث الثالث عشر : عماد الله بن أبي بكر بن حزم .
٤٣٤-٤٢٩	البحث الرابع عشر : موسى بن عقبة الأسدي
٤٤٢-٤٣٥	البحث الخامس عشر : سليمان بن طرخان
٤٤٦-٤٤٣	البحث السادس عشر : آل السائب - محمد الكلبي .
٤٥٢-٤٤٧	البحث السابع عشر : عوانة بن الحكم الضرير ^٤
٤٥٦-٤٥٣	البحث الثامن عشر : أبو عروة معمر بن راشد الأزدي
٤٧٢-٤٥٧	البحث التاسع عشر : محمد بن إسحاق .
٤٧٦-٤٧٣	البحث العشرون : أبو مخنف الأزدي .
٤٨٢-٤٧٧	البحث الحادي والعشرون : أبو المنذر هشام بن الكلبي
٥٤٤-٤٨٣	الفصل الحادي عشر : نقاد الشعر الجاهلي ورواة أيام العرب
٥٠٠-٤٨٥	البحث الأول : رواة الشعر ودوازين النقاد
٥٠٦-٥٠١	البحث الثاني : أبو عمرو بن العلاء
٥٢٠-٥٠٧	البحث الثالث : أبو القاسم حماد الراوية
٥٢٤-٥٢١	البحث الرابع : أبو العباس المنفصل الضبي
٥٣٢-٥٢٥	البحث الخامس : أبو محرز خلف الأحمر
٥٤٤-٥٣٣	البحث السادس : أبو عبيدة معمر بن المثنى

من صفحة إلى صفحة

٥٨٦-٥٤٥	. .	الفصل الثاني عشر : أعلام المؤلفين في التاريخ العربي
٥٥١-٥٤٧	. .	البحث الأول : بعد القرن الثاني من الهجرة
٥٧٢-٥٥٩	. .	البحث الثاني : فهرست الموسوعات ودولفيتها
٥٨٦-٥٥٣	. .	البحث الثالث : المستشرقون والآثار وعلم الجيولوجيا
٥٩٤-٥٨٧	خاتمة المطاف
٥٩٥		الفهارس
٦٢٧-٥٩٧		فهرس الأعلام
٦٣٥-٦٢٨		فهرس الأمانة
٦٣٩-٦٣٦		فهرس الموضوعات

تم إعداد هذا المصنف من قبل اللجنة الوطنية للدراسات والبحوث
تحت رقم ٣٣٩٤ لسنة ١٩٦١

مطبع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧١

تصويب

وقع في الكتاب بعض أخطاء لا تخفى على القارئ الفطن . وهذه هي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧	٢	على ضرائح معابد الأمم	على ضرائح ومعابد الأمم
٢٩	١٥	على جميع	على جمع
٣٩	١٨	لهذا الجهد والتفرغ ، الوسائل	لهذا الجهد التفرغ والوسائل
٥٢	١٩	في تاريخ اليهود والمنقطع	في تاريخ اليهود المنقطع
٥٥	١٥	أصلها اليهودية	أصلها القصة اليهودية
٥٦	٢٢	ودرها	وردها
٦٦	١	في قصة موسى في المنهد	في قصة موسى في الوادي المقدس
٩٤	٢	وبل آثمهم وبين سلوكهم	وبين آباؤهم وبين سلوكهم
٩٩	٨	تدوين اليهود وأسفارهم	تدوين اليهود أسفارهم
١٠٣	١١	نتج عنها الفهم اليهودي	نتج عنها تحول الفهم اليهودي
١٠٤	١٧	البابى الإرمي	البابلى الإرمي
١٦٠	١٦	ومؤلفات (ابن الكلبي)	وفى بعض ماجاء فى مؤلفات (ابن الكلبي)
١٦٦	٩	الشعرى العر	الشعر العربى
١٧٩	٥٠١	عبد الله بن أم كلثوم	عبد الله بن أم مكتوم
١٨٠	٥	كان يعرض القرآن	كان يعرض عليه القرآن
١٨١	١٩	عبد الله بن أم كلثوم	عبد الله بن أم مكتوم
١٨٣	١٣	الحشى	الحش
١٨٤	٤	التي يقال لها [دار القراء]	والندار التي يقال لها [دار القراء]
١٨٤	٢٣	والمهادى فى الرحبة	والمهادى والرحبة
١٨٥	٢٢	الأعلون	إلا على
١٨٩	٣	الكسنت بن زيد	الكسيت بن زيد
١٩٥	١٠	(كعب الأخبار)	(كعب الأخبار)
٢٠٦	٢٠		
٦٢٤	}	[أبى هريرة]	[أبى هريرة]
٢٠٧	٨	إنى ذكرت	وإنى ذكرت
٢٣٣	٢٠	نسخ	مسح
٢٣٤	١٦	بفتاوت	بفتاوت

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٥	١٨	من هذه المصغرة	من هذه المصنعة
٢٤٧	٢٠	قد هم	قد وهم
٢٥٤	١٩	تتمشى	تتمشرق
٢٧٢	٢٣	عاشوا في مدافن هذه الآثار	عاشوا على أرض هذه الآثار
٢٨١	١٨	المولّى	الولى
٢٩٦	٩	بغالبية الشعوب العربية	ببوادى الشعوب العربية
٣٠٩	١٥	اليمين السعيد	اليمين السعيدة
٣٣١	٢٢	بعد فتح القسطنطينية	بعد فتح سوريا
٣٥٥	١٥	التاريخ الأول	التاريخ الأدبي
٣٩٦	٦	أبو عامر بن شراحيل أبو عمرو	أبو عامر بن شراحيل بن عمرو
٤٠١	١١	(في وهب) من مثل	(في وهب) مثل
٤٣٧	١٨	مع الذى	مع الذين
٤٦٩	٩	إما أن يكون جاهلاً لا يميز والشعبى كما مر بنا شيعى متعصب للعلويين	وإما أن يكون جاهلاً وإما متسرعاً لا يميز والشعبى كما مر بنا متعصب للعلويين
٤٧٥	١٠		سار أخيراً فى ركاب الأمويين
٥٠٩	١٠	انتقل	انتقل
٥١٨	٢٠	وأن حماداً	أو أن حماداً
٥٢٣	٨	من هذه	ومن هذه
٥٣٠	٢١	إعرب	إعراب
٥٣١	٤	ومن التهم	كذلك من التهم
٥٣٩	٣	إلى العزلة العزلة	إلى العزلة - والعزلة
٥٥٤	٨	أبو الطيب الناسى	أبو الطيب الفاسى
٥٥٧	١٣	يشغل	يشغل
٥٦١	١٨	أن تكون	أن يكون
٥٦٥	٢٢	من رواد الأوائل	من الرواد الأوائل
٥٧٥	٢٣	على النزيه يبعث	على النزيه الذى يبعث
٥٩٠	٢١	الرواية من	الرواية العربية من
٦٣٩	٣	البحث الأول : بعد القرن الثانى من الهجرة	البحث الأول : أعلام المؤلفين فى التاريخ العربى ومؤلفاتهم

وهناك أخطاء لا يجهلها القارى

